



# اليهودية

بين الأسطورة والحقيقة

نشوء وتطور العقيدة الموسوية

عصام الدين حفي ناصف





اليهودية

عصام الدين حفي ناصف

# اليهودية

بين الأسطورة والحقيقة

نشوء وتطور العقيدة الموسوية

شركة المطبوعات الشرقية

دار المروج

١٩٨٥

جميع الحقوق محفوظة  
وَالرَّابِعُ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ  
بيروت - ١٩٨٥



## مقدمة

بقلم: الدكتور حسن فاظا

أستاذ الدراسات العربية

بكلية الآداب - جامعة الاسكندرية

لم ينفصل التاريخ عن الأسطورة إلا في عصور متأخرة جداً من حياة البشر على هذه الأرض. وكان انفصاله رحلة طويلة شاقة عبر الحضارات. ولا نستطيع أن نقول اليوم أن التاريخ - كل التاريخ - قد انفصل تماماً عن الأسطورة، بل إنه في بعض مواقع التي انفصل فيها عن الأسطورة لم يستطع أن يتحد اتحاداً كاملاً بالحقيقة. وما زلنا حتى الآن نصطدم في سير المعاصرين، على الرغم من الوثائق والصحف المكتوبة وشهود العيان، بخلافات صاخبة وظلمات من الغموض دامية، لأن التاريخ الذي أكسبته حضارتنا المادية استقلالاً عن الأسطورة، لم تستطع أن تكسبه مناعة ضد الأكاذيب. فلا نابليون، ولا الخديوي اسماعيل، ولا هتلر، ولا جمال عبد الناصر قد ارتقوا في عصر التدوين والتسجيل، وبوسائل التحقيق والتحصيص، الى مستوى السيرة الحقيقية مائة في المائة، المحصنة ضد الريب والشكوك، المغافرة بإجماع أهل الحق من المعاصرين.

وعندما كان التاريخ هو الأسطورة، في طفولة الشعوب وأمتها، كانت تسوقها معاً وجدانات جاهيرية أو عشائرية تتلمس تعليلاً مقبولاً لكونها منبثقة من مجموعة من البشر لها كيانها المنفصل عن كيان الناس جميعاً، ويحرص عقلها الجماعي على اثبات أصل تنتمي اليه، ونسب تتشرف به، وأحداث يتجاوب خلالها طنين البطولة وقمعة الامتياز. ثم ترتفع بعض تلك السير البطولية الموغلة في القدم من الأرض الى السماء، لتارس بقية رحلتها الخيالية في ملك الآلهة. وتصبح بذلك مقدسة، وتعود بطولاتها من السماء الى الأرض وقد اكتسبت ثوباً ساحراً من الغيبات، وأصبحت ديناً وإيماناً. وتزدحم علامات الاستفهام كما قلنا مستجدة بكل وسائل التنقيب والتدقيق. بالأثار، وبالتاريخ، وبالقولكلور، وبعلم مقارنة الشرائع والأديان، وبالعقل والمنطق.

وهذا الكتاب الذي بين يدي القارئ اليوم واحد من أشد هذه الكتب إخلاصاً للبحث عن الحقيقة. وهو - مع كونه من أكثرها جرأة - يتسم بالاتزان المضني الصارم الذي لا يريد أن يسأل سؤالاً إلا إذا كان هذا السؤال خلية حية نشطة تتحرك بقوة في كل القلوب والعقول. وهو لا يبدل بإجابة إلا من خلال نص، أو من أخدود ضيق وعرب بين هضاب ووهاد من النصوص.

والمؤلف، الأستاذ عصام الدين حفي ناصف، قد نمته أعراق أخلصت للبحث العلمي، فأخذت مكانها في تاريخ الفكر الحديث لمصر والأمة العربية جمعاء. فهو ابن حفي ناصف، العلامة اللغوي والأديب والمشرع والمصلح الفكري والثقافي، الرجل الذي أنشأ مجعاً للغة العربية نابتا من غيرة الأمة على لسانها، ومن حرصها على ألا ينعقد هذا اللسان أمام طوفان المخترعات والمبتكرات في حضارة القرن العشرين، قبل أن يقوم المجمع اللغوي الرسمي في مصر بهذه الرسالة. وهو الرجل الذي أسهم بمؤلفاته في تعليم صحيح لهذه اللغة لعل أحداً لم يتجاوزه حتى الآن. وهو الرجل الذي رفع لواء الرقة المصرية - شعراً وزجلاً - إلى أعلى المستويات، حتى غدا من أعلام النكتة اللاذعة وخفة الظل التي عرفنا بها بين العرب جميعاً. عرفته مصر كما يقول شاعر النيل حافظ إبراهيم:

مفتشاً وفقهياً وقاضياً وابناً فن

والى هذا البيت الكرم تنتمي الأدبية الكبيرة ملك حفي ناصف، باحثة البادية، السيدة التي أثبتت ببحوثها وآثارها الأدبية أن حرية المرأة في مصر لا تنحصر في الدب بالكعوب العالية على أرصفة الشوارع، ولا ارتياد المجتمعات الصاخبة لعرض آخر صيحة في الأزياء.

وشقيقه المرحوم مجد الدين حفي ناصف كان من أولئك المترجمين الأمانة الذين تمثلوا الفكر الأوروبي دون أن يلفظوا عربيتهم أو إسلامهم، فخدم بذلك الثقافة المعاصرة أجل الخدمات، كما خدم الجامعة بعمله الطويل في ادارتها خدمة نسال الله له عنها أجل الجزاء.

والأستاذ عصام الدين حفي ناصف إنما هو استمرار للضمير العلمي النزيه الذي كان وما يزال تقليداً في هذا البيت العريق.

فإذا كان قد لمس الحقيقة في بعض جوانب بحثه بينان اليقين، فإنه في الجوانب الأخرى قد وضعنا على طريقها، لعلنا نواصل المسيرة على بعض أشعة من أنوار تلك الحقيقة.

د . حسن ظاظا

# اليهودية في العقيدة والتاريخ

- نشوء العقيدة الدينية
- قصة الخلق
- قصة الطوفان
- برج بابل





# نشوء العقيدة الدينية

١

## حيرة الانسان البدائي

جاوز الانسان البدائي أولى مراحل تطوره، وسار فيه شوطاً آخر نمت خلاله مقدرته على التفكير والتعبير، فجعل يرقب ما بين يديه من ظواهر الطبيعة. وقد انتشر عليه رأيه من جراء ما يعتمر هذه الظواهر من تغيرات راتبة دورية أو عنيفة فجائية، فجعل يسائل نفسه عن مولد اليوم ومماته: كيف ينتشر ضوء الفجر بعد السحر اللجيني، ثم يمتد الصبح حتى يصير نهراً بيتاً، ويرتفع الضحى، وتحم الظهيرة، ثم يأخذ صهدان الشمس يفتر رويداً رويداً حتى المغيب فيبين الشفق العسجدي؟ وهذا القمر يتساق بدرأ ثم لا ينفك يتضاءل أمام ناظريه حتى يستخفي محاقاً؟ وهذه النجوم الزاهرة المنتثرة والشهب المندثرة والكسوف والخسوف؟ وهذه الفصول الأربعة تتخالف ألوانها وتتميز خصائصها؟ وهذه السحب المدفوعة وما تسحه من أمطار؟ وقوس قزح، تلك التي تتراءى في اليوم المطير؟ وهذا السيل الجارف والجدول المنساب يتفرق ماؤه زلالاً، والبركة الساجية لا يغشى الموج صفحتها فهي تعكس طلعة الناظر الدهش، وهذا البحر لا يدرك الطرف مداه، والمد والجزر؟

وهذه الأزهار ذات الأرج المنعش، والغابات الكثيفة تصوت فيها فيرتد إليك رجع الصدى؟ والريح العصفوف تقتلع الأشجار وتقلقل الأحجار، وجلمود الصخر يحطه السيل من عل؟ والبروق المملعة والرعود المدوية يصم هزيمها الاسماع؟ وهذه الجبال المكلفة قللها بالجليد الناصع تندلع من فوهاتنا السنة النيران؟ كل شيء من ذلك يبدو له وكأنما تضطرب فيه قوى وتأثيرات هي، وإن لم تدركها الحواس، حقائق ماثلة.

وبعد هذا كله أعجوبة الولادة وغموض سر الموت؟ ورؤى المنام؟ يرى البدائي إذا غشيه النعاس أنه يجول ويصوم في غابته المحبوبة ويصرع حيواناً مكتنزاً فيمتلاً شبعاً ورياً من لحمه الشهي، ثم يهب من نومه فإذا هو لم يزل، حيث رقد، يتضور من أوار العطش وسعار الجوع. كانت تلك كلها أموراً غامضة تحفى عليه، فقد استرت عنه طبائع الأشياء واستبهمت لديه الأسباب والنتائج، ولم يتوافر له من العلم ما يصل به بين العلة والمعلول في عالم المنظور.



وأهل جزائر ماليزيا يدعون القوة الغامضة غير الشخصية « مانا » Mana ، فإذا وفق امرؤ في القتال فإنما يرجع الفضل في تفوقه إلى مانا روح أحد الموتى الشجعان، وإذا أصاب امرؤ نجحاً مرموقاً في زراعته أو في تربية ماشيته فذلك أيضاً من المانا الكامنة في بعض الأحجار أو في التأمم المناطة بعنقه أو في خصلة أوراق النبات التي يزين بها حزامه. ويتحدث أهل مراكش عن « البركة » فهناك أشياء: آبار وينابيع ومغارات لها خاصة تبت الخصب في الأرض أو تهب لورادها وحجاجها البرء من الأسقام. وقد كان سلاطين مراكش يمنون على رعاياهم ببركتهم. وكان الإنجليز إلى عهد قريب يعزون إلى ملوكهم قوة سحرية، فهم يستطيعون بلمسة اليد أن يبرئوا المصابين بالداء الخنزيري المسمى داء الملوك<sup>(١)</sup>. وما زال الفلاحون في البلدان الكاثوليكية كإيطاليا وبعض أقاليم فرنسا يؤمنون بأن للقساوسة سلطاناً على الرياح والأمطار والفيضانات والأوبئة والحرائق، وبأن للبابا مقدرة غامضة على غفران الخطايا والآثام وعلى إصدار المنشورات المعصومة والتشفع إلى الله. والناس أشد تعلقاً بأذيال الأباطيل والترهات حيث الطبيعة صاخبة والحياة غير مستقرة تفتقر إلى أسباب الأمن والطمأنينة، ومن ثم كان أقل تغير عن الحالة المألوفة لدى الفلاحين والبدو الرحل يورثهم الفزع والهلع. ورب رهبة عرت الناس فأوحت اليهم الإيمان بقوة شيء أو مكان ما مثل بيت إيل<sup>(٢)</sup> حيث بات يعقوب ليلة هربه من أخيه عيسو في طريقه إلى خاله لابان الآرامي.

كانت الرهبة تستبد بالإنسان البدائي ويملك عليه الوجل لبه فيخيل إليه أن لكل شيء مما يكتنفه ذكاء، وأن هذه الظواهر الطبيعية إنما تحدثها كائنات موفورة الفطنة واسعة المقدرة تبغي

(١) وقد مارست الملكة اليزابت هذه المهبة طويلاً. وعالج تشارلز الأول ذات مرة مئة مريض دفعة واحدة. ولمس تشارلز الثاني خلال حكمه ما يربى على مائة ألف. وكان القوم يتنازلون عليه من كل وجه ويتدافعون في سعيهم إليه حتى زهقت حياة بعض منهم وطئا بالأقدام. وظلت الحال على هذا المنوال حتى ولي الحكم ولم الثالث فصدف عن هذا المسلك الرزي.

(٢) كان اسرئيليو الشمال يعدون بيت إيل أكثر بلاد الأرض قدسية، شأنه شأن أورشليم في نظر جيرانهم الجنوبيين. وعندهم أن هذا الموضع هو المدخل إلى الهيكل الذي في السماء. وربما كان ذلك كذلك لأن سفح الجبل هناك مدرج كأنه سلم ضارب إلى السماء، ولهذا فإن يعقوب « رأى حلمًا وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء. وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها » - (تكوين ٢٨: ١٢).

وقد يعزي هذا الحلم إلى تأثيره بمنظر الجبل الشامخ وإلى خوفه من أخيه عيسو الذي كان يطلب حياة يعقوب لأنه خدع أباهما اسحق عن نفسه وسرق منه البركة التي كان قد أعدها لابنه الأكبر عيسو. « فاستيقظ يعقوب من نومه وقال حقاً إن الرب في هذا المكان وأنا لم أعلم. وخاف وقال ما أَرهَب هذا المكان. ما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء. وبكر يعقوب في الصباح وأخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه وأقامه عموداً وصب زيتاً على رأسه. (تكوين ٢٨: ١٦-١٨).

أي على رأس العمود، وقد فعل ذلك تقديماً للألوهية الحالة به.

بصنيعها إنجاز أغراض خاصة لا نعلمها . إن الطفل يحسب دميته ذات حياة حين تتحرك آلياً فهو يتحدث إليها ، وقد كان الإنسان البدائي في طفولة البشرية يفكر على هذا النحو ، ومن ثم خلع نحه البدائي على قوى الطبيعة المحيطة به مثل ما للبشر من ذكاء و ارادة وجعل يتوهم أحياناً أن لها هيئة كهيئة البشر ، كما حباها بالروح ، ولكأنما هي من البشر . وقد هيمنت هذه العقيدة على حياته ، وما زال أثرها في عقولنا باقياً لم يزل ، فلقد يتعثر المرء منا في كرسي فإذا هو قد ركله . وبيننا من يعرض للأحداث السعيدة التي تتمخض عنها نواميس الطبيعة فيذكرها على أنها عناية ربانية ومرحمة إلهية .

## الروح

فسر الإنسان البدائي بعض ما يخفى عليه أمره من هذه الظواهر بأن له روحاً أي جسماً لطيفاً حالاً بجسده ولكنه مستقل عنه قابل لأن يزياله في أية لحظة ويمارس نشاطه في أماكن أخرى. وهذه النظرة «الروحانية» هي أساس الدين. لقد كان يقرون بين النسمة والنسمة ويرى أن «الريح» إن هي إلا «روح»<sup>(١)</sup> كبيرة ترضى فتكون نسماً بليلاً ينفخ أو تسخط فتكون ريحاً سدوماً تلعف. وعنده أن المرء إذا تراءى له في نومه صديقاً فهو إنما رأى روح ذلك الصديق لا شخصه.

قد فطن إلى أن الموتى لا يتنفسون فتوهم أن «النفس» هو «النفس» أي الروح، ثم خيل إليه أن من يم نوماً عميقاً ينقطع تنفسه كذلك فتوهم أن روحه تفرقه بعض الوقت ثم تؤوب إليه. فهو قمين بالألا يوقظه فجأة لثلاثا تلقي الروح عنتا في العودة إليه، ثم قال في نفسه: لئن كان الروح تتردد إلى النائم إنها لحرية أن تتردد إلى الميت، وهكذا لاحت في ذهنه فكرة البعث، وجعل - تبعاً لذلك - يعني بدفن موتاه وإيداع قبورهم ما قد يحتاجون إليه من أغذية وأكسية وآنية، واشتت بعض ذوي الثراء في ذلك فجعلوا يقتلون نساء من مات من أقربائهم وجياده وكلابه ويدفنونها معه لعله يفقدها عند قيامته من الموت.

وقد كان يغلب عنده أن يكون موطن الروح في الرأس وأن يكون مخرجها عند الموت من الأنف أو الفم<sup>(٢)</sup> في أثناء التنفس، كما حدث لراحيل<sup>(٣)</sup> امرأة يعقوب، وأن يكون مدخلها

(١) ونرى في العربية كما في العبرية أن كلمتي «ريح» و«روح» صنوان، فإن كلمة ربح في العربية أصلها روح (بكسر السكون) ولهذا تجمع على أرواح، ومن ذلك قول ميسون بنت مجدل الكلبية امرأة معاوية حين نقلها زوجها من البدو إلى الحضر في مطلع قصيدة لها.

بييت تخفق الأرواح فيهِ احب إلي من قصر منيف  
(٢) ولهذا كان العرب يقولون: مات فلان «حتف أنفه» أو «حتف فيه» أي مات على فراشه من غير قتل ولا ضرب.

(٣) هي أم يوسف وبنيامين وقد لفظت روحها وهي تضع وليدها الأخير على طوار الطريق. وكان عند خروج نفسها لأنها ماتت ان دعت اسمه بن أوني. وأما أباه فدعاه بنيامين. (تكوين ٣٥: ١٨).

منها إلى الجسم إذا ارتدت إليه الحياة كما حدث لابن الأرملة التي كانت تعول إيليا: « فسمع الرب لصوت إيليا فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش ». ( ١ ملوك ١٧ : ٢٢ ).  
وهو شبيه بما حدث للرجل الطيني « ونفخ في أنفه نسمة حيوة فصار آدم نفساً حية »<sup>(٤)</sup>.  
(تكوين ٢ : ٧).

وبما حدث في الطوفان « كل ما في أنفه نسمة روح حياة من كل ما في اليابسة مات ». (تكوين ٧ : ٢٢).

وعند البدائي أن العطاس أذان بأن الروح تعالج دخول الجسم أو الخروج منه، ومن ثم كان عطاس المريض نذيراً بدنو أجله أو بشيراً بأن العافية تثوب إليه<sup>(٥)</sup> كما حدث عندما رد اليشم الحياة إلى ابن المرأة صاحبة مثواه. « ودخل اليشم البيت وإذا بالصبي ميت ومضطجع على سريريه. فدخل وأغلق الباب على نفسيهما كليهما وصلى إلى الرب. ثم صعد واضطجع فوق الصبي ووضع فمه على فمه وعينه على عينيه ويديه على يديه وتمدد عليه فسخن جسم الولد. ثم عاد وتمشى في البيت تارة إلى هنا وتارة إلى هناك وصعد وتمدد عليه فعطس الصبي سبع مرات ثم فتح الصبي عينيه ». ( ٢ ملوك ٤ : ٣٢ - ٣٥ ).

وكان البدائي إذا حضرته الثؤباء يضع يده على فمه متخذاً منها حاجزاً يحول دون خروج الروح من جسده أو دخول عدو روحي إليه<sup>(٦)</sup>. لقد ذهبت به أوهامه إلى ما يعرف الآن باسم المذهب الحيوي Animism أو مذهب حيوية المادة القاتل بأن لكل شيء في الكون، حتى الكون عينه، روحاً هي المبدأ الحيوي المنظم له، وقد صور له هذا المذهب:

- ١ - أن له جسداً وروحاً.
- ٢ - أن لكل شيء بما حوله روحاً كروحه.
- ٣ - أن من هذه الأرواح ما يبغيه الخير ومنها ما يتربص به الشر.

---

(٤) نقل محمد بن جرير الطبري في الجزء الأول من كتابه « تاريخ الأمم والملوك » عن ... عن ابن عباس انه قال: فلما نفخ الله الروح ودخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح رجله عجلان إلى ثمار الجنة، فذلك حين يقول ﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾ (الأنبياء ٣٧)، فلما تمت النفخة في جسده عطس فقال « الحمد لله رب العالمين » بالهام الله فقال الله « يرحمك الله يا آدم ».

(٥) ولهذا جرى الناس على أن يشتموا العاطس أي أن يتمنوا له الصحة والعافية ويدعوا له ألا يكون في حالة يشمت به فيها، وذلك بأن يقول هو على اثر عطاسه « الحمد لله » فيقال له « يرحمك الله ».

(٦) وقد ورننا ذلك عن تلك العقيدة بعد أن درست فلسفتها، فترى السيد المهذب في هذه الأيام إذا ما أوشك أن يعطس اثبت على فمه منديلاً يحول دون أن تنثر منه الجراثيم فيتأذى، بل يطالبه بالجلوس في الجوار ومن السنن النبوية أن يضع المرء عندما يدركه العطاس على فمه باطن يده اليمنى أو ظاهر يده اليسرى، ثم يردد آية الله

والى هذه الأزواج غير المرئية التي تزخر بها بيئته كان يعزو مختلف الظواهر، فما وميض البرق وهزيم الرعد وهبوب الريح واندفاق المطر وزلزلة الأرض عنده إلا أفاعيل آلهة غضبى وشياطين ناقمة<sup>(٧)</sup>.

وكان يعتقد أن الروح تظل في الجسم ما ظل الجسم صحيحاً متماسكاً فإذا دب إليه التحلل والفساد زایلته الروح<sup>(٨)</sup>.

وكان يعتقد أن الروح بعد مبايئتها للجسد تحوم حوله زمناً ما، ولذلك كان أهل الميت يتنكرون بلبس ثياب الحداد وبتغيير معالم الأثاث في البيت وبتعفير وجوههم وحلق شعورهم وتجليل رؤوسهم بالرماد لينبهم الأمر على روح الميت المتحررة من جثائه، ثم «يصوتون» صوات المكرويين ليدعروا الروح ويروعوها فترحل. وما فتىء المحافظون (على التقاليد القديمة) من اليهود الى اليوم يغيرون اسم مريضهم اذا تبلغت به العلة ليعثوا الحيرة والارتباك في الروح الشريرة التي أورثته الوصب.

وهذه العادات والتقاليد التي كان يمارسها العبريون القدماء ما زالت حتى اليوم باقية لم يعف عليها الزمن غير أن معانيها لم تعد واضحة في الأذهان فالناس يمارسونها خالفاً عن سالف دون تفكير وتمحيص.

---

(٧) ولا يزال بين الناس من يتشبث بتلك المعتقدات القديمة: بالأرواح الشريرة والجان وما إليها. وأكثر القصص الخرافية التي يسامر بها الأطفال مؤسس على مخلفات المذهب الحيوي.

(٨) ولهذا كان قدماء المصريين يمارسون التحنيط ليضمنوا بقاء الروح في الجسد. فكان التحنيط منسكاً دينياً يراد به ما يشبه أحياء الموتى، وكانوا يهجون جثمان الميت في محلول النطرون عدة أسابيع ثم يحشونه بالقار. ويسمى في الفارسية «مومياي» ولهذا أطلقوا على الجثة المحنطة اسم «موميا».



## الطوطم والتابو

كان البدائي يعتقد :

١ - أن الروح بعد بينونتها عن صاحبها تبدو في زيه (هيئته)، وبذلك وجدت الثنائية Dualism من الجسد والروح.

٢ - وانها قد تنقلب صورتها الى صورة حيوان ما، ومن هنا نشأت أساطير المخلوقات التي كانت أناسي ثم مسخت حيوانات.

٣ - أن اللحم يحتوي مادة الروح التي ينطوي عليها الحيوان، فراح يتوهم أن المرء يكتسب خصائص الحيوانات التي يغتذي بلحومها، وكان ذلك من أسباب تحريم لحم الخنزير عند اليهود. وكان كل امرئ يؤثر برعايته حيواناً ما ويعدّه حارساً له ويحس بصلة وثيقة تربط بينها حتى ليستحرم قتله ويرى أكل لحمه ضرباً من أكل لحم البشر. ومن هذا المعتقد تولدت الطوطمية وهي ضرب من عبادة الانسان البدائي لحيوان (أو نبات) يحسب أن بينها آصرة رحم وقربى.

ومن الطوطمية نشأت عقيدة تقمص الأرواح ويبدو أنه كان لكل قبيلة في تلك العهود الموغلة في القدم طوطم<sup>(١)</sup> حيواني واحد على الأقل تقدسه وتنظر إليه على أنه الروح الحارسة لها وأنه منبع قوتها ومصدر البركة الحائلة بها وترى الاقامة في جواره من صالح الأعمال، وكان هذا الطوطم كأنه رمز للقبيلة وشعار يوحد بين أفرادها اذ يتوهمون أنهم منحدرون من سلالة أو أنهم على الأقل تربطهم به آصرة قربى<sup>(٢)</sup>.

(١) Totem لفظ بلسان أهل أوجبواي معناه أسرة.

(٢) ومن ثم كانت كل أسرة من أسر نبلأ أوروبا في القرون الوسطى تتخذ من رسم أحد الحيوانات شعاراً يسمون به اعلامهم وأعدتهم ومركاتهم وما إلى ذلك. ولعل في ذلك أيضاً ما يفسر تسمية الناس بأسماء الحيوان عند كثير من الأمم، وقد سمي العرب أبناءهم باسم فهد وغر ووبر وأسامة (أي أسد) وضيغم وكليب وجحش الخ.

كان الطوطم يعد مقدساً ونجساً في آن واحد، وكانت تحميه شريعة الـ «تابو»<sup>(٣)</sup> أي شريعة التحريم، فمن المحرم عليهم قتله وأكله لحمه، وهذا منشأ التابو الغذائي.

وقد بقيت فكرة الاضراب عن أكل بعض الطواطم سائدة في بعض المجتمعات، فالبقرة تابو عند الهنود، والخنزير تابو عند اليهود، وإنما يضرب اليهودي الورع عن أكل لحم الخنزير لأن أسلافه الأقدمين منذ خمسة آلاف سنة أو ستة آلاف كانوا يتخذون الحلوف<sup>(٤)</sup> البري طوطماً لهم، ولا صلة لهذا الاضراب بما يحتاج به حاخامو اليهود المحدثون من أسباب صحية، فإن الكتاب المقدس لم يذكر أية حادثة فشا فيها وباء أو نجم فيها مرض من جراء أكل لحم غير طاهر، ولا غرو في ذلك فهو ينظر الى المرض على أنه رجس من عمل الأرواح والشياطين.

وقد كان الحمل طوطماً لإحدى القبائل الكنعانية، وكان عيد الفصح عند الكنعانيين عيداً يقربون فيه حملاً لإله من الآلهة المحليين، ثم أصبح هذا الطوطم بعد ذلك «حمل بسكال» في الدين المسيحي.

---

(٣) يطلق أهل بولنيزيا لفظ تابو Tabu على ما يحرم عليهم مسه من الأشياء بسبب قداستها أو نجاستها. ويرى بعضهم ان يترجم هذا اللفظ بكلمة «لا مساس» من قول موسى للسامري ينتهره لصنعه العجل الذهب. «فأذهب فان لك في الحياة أن تقول لا مساس» (طه ٩٧).

واليهود يعدون المرأة في حال الطمث (الحيض) وعقب الولادة «تابو» فمن مسها لحقته النجاسة وحق عليه التطهر. وهكذا أصبحت المرأة تستشعر العار بجللها حين تحيض وحين تحمل، ومن هنا نشأ الحياء والخفر وأنظر إلى العلاقات الجنسية على أنها نجس.

(٤) أي الخنزير. وهي كلمة عامية مصرية يقال انها من أصل بربري.

## التائم والأوثان

كان البدائيون اذا طاف بأحدهم طائف من مرض أو حل به الموت عزوا ذلك الى الأرواح الماثلة في كل ما يكتنفهم، ولهذا كانت تلك الأرواح حرية بأن تسترضي. وازدادت الآراء الدينية على الزمن تعقداً واعتياصاً وغدت الأرواح عسيرة المأتمى، فبدت الحاجة الى انقطاع فئة من الناس لمباشرة هذه الأمور والتعمق في اكتناه أسرارها. وبدأ التخصص فلم يبق كل امرئ كاهن نفسه بل أخذ آباء الأسر الكبيرة ورؤساء العشائر الصغيرة على عواتقهم تصريف أمور الشعائر والاحتفالات الدينية وغدوا بذلك ملوكاً وكهنة معاً، وما فتئت الأفكار الدينية تزداد زخرفاً حتى غدا الكاهن الملك هو المثوي الذي تحمل به روح القبيلة ولهذا كان قميناً أن يعبد إلهاً، وهكذا - في أغلب الظن - نشأ الحق الإلهي للملوك. وكان من أثر هذه العقيدة في بعض الشعوب أن درجوا على قتل الملك إذا ما علت به السن ووهن منه العظم ليفسحوا للإله أن يثوي في جسد شاب موفور الفتوة جم النشاط حديد العزم عظيم الهمة. وكان الملك في بعض الأحيان يفتدي نفسه بابنه فيقتلون ابن الملك ويقولون انهم قتلوا ابن الإله.

وفي خلال ذلك تخلقت في بطن فئة من الناس تجردت لمعالجة الأمور الروحية، كانوا يتلقون تدريباً طويلاً ويلقن كل منهم ابنه ما أوتي من حكمة. وخبر هؤلاء الكهنة البدائيون عنت الحماية عن الطعام في أوقات الجذب وعلموا أن المخصصة تورث الخبال وتطلق الحناجر بالهذيان، وبلوا كذلك فعل المخدرات في اطلاق الأعنة للأخيلة والأوهام فاستعانوا بها وبالصوم على التجلي، فكانت تعترهم نوبات من الدروشة وتنطلق ألسنتهم بأصوات غريبة وألفاظ غير ذات معنى فيتوهم من حولهم من السذج أن الأرواح قد حلت بهم وأنها هي التي تنطق بألسنتهم<sup>(١)</sup> فيسري

(١) وليس بعيداً عن ذلك ما كان من مردي المسيح بعدما رفعه الله إلى السماء. وقد فطن بولس الرسول بما أوتي من سعة الثقافة إلى أن تصايح اتباعه لم يكن حديثاً بلغات أجنبية كما كان يتوهم بطرس. «امتلاً للجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون باللسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا» (أعمال الرسل ٢: ٤).

الرعب في أوصالهم فيبدلون بعض ما يملكون ليشتروا به أمنهم وسلامتهم<sup>(٢)</sup>.

كان البدائي يتوسل الى دفع الأرواح الشريرة بتلاوة الأدعية وإقامة الصلوات وحمل الخرز وعد حبات السبح واناطة التائم وهي شيء تثوي فيه روح صديقة ذات بأس ونشاط، فإذا ما حل المرء التميمة « حجبت » عنه أذى الأرواح الشريرة، وما « الحجاب » الذي ينوطه المرء عليه في وقتنا هذا إلا صورة متأخرة من التميمة. ولا تزال كثيرات من نساء أوروبا يلبسن المديلات والتائم لاستدرا المعونة مما وراء الطبيعة ولاتقاء ما عسى أن يكون محبوءاً لهن في عالم الغيب. ولا يزال كثير من رجال الشرق يحملون السبح لأسباب هي في بعض الأحيان قريبة من ذلك.

وقد أضفت صناعة التائم قدسية على الذين انفردوا بصنعها وهم الكهنة. واستغل الكهنة الدين لأغراضهم الخاصة وعلموا على استدامة الخرافات بين شعوبهم لتظل قابعة في غيابة الجهل فيسهل عليهم خداعها واخضاعها وابتزاز أموالها. وقد أيقظت الخرافات في الناس المطامع الحمقاء وأثارت فيهم النزعات الهوجاء وسيرت موكب البشرية أحقاباً مديدة مسخراً في أشغال شاقة لا خير فيها ولا جدوى منها. ولو أن أولئك الناس بذلوا في سبيل البشر ما بذلوه في سبيل آلهتهم تلك لكنا الآن نتفياً ظلال حضارة خير من حضارتنا وأرقى.

وما لبث الناس أن انتقلوا من تميمة الفرد خاصة الى تميمة القبيلة عامة وكانت بادئ بدء تتخذ من الروح الباسق والجلاميد الضخام، تلك هي الأوثان Idols في أبسط أشكالها. وعندما اتخذ الناس الأوثان أرباباً يتوسلون بها الى ما فيه صلاحهم بدأ « الدين ». وقد نجمت الأديان الأولى من الاتحاد بين العقيدة والمنسك.

ولما ارتقى القوم شيئاً ما عمدوا الى مسح أوثانهم هذه بالزيت<sup>(٣)</sup> ثم خطوا خطوة أخرى فأصبحوا يخضبونها بالدم لتطيب الأرواح التي تسكنها بذلك نفساً فتظل حالة بها لا تريم، ثم تفتت أذهانهم عن خطة جديدة فغدوا يقتلون الإنسان وينحرون الحيوان ويقربونها لأوثانهم، وبذلك نشأ منسك التضحية<sup>(\*)</sup> وكان أهم المناسك الدينية طراً عند جميع الشعوب في تلك

---

وأما هو استجابة عاطفية لتهدوس هستيري، بيد أنه لم يكن يستطيع كبح هذا التهوس في صراحة ولهذا اجتزأ بالتهوين من شأنه قائلاً: « لأن من يتبأ أعظم ممن يتكلمون بالسنة. » (١ كورنثوس ١٤: ٥).

(٢) وقد بلغ من هول هذا الرعب ان مات امرؤ فرقاً ورعباً عندما تهدده الساحر بازهاق روحه. لقد زعم أولئك الكهنة الأولون أنهم أوتوا مقدرة خاصة على رياضة الأرواح.

(٣) وقد مسح (بضم الميم) كل من هرون وشاول وداود وسليمان ويسوع بالزيت. « أمرىض أحد بينكم. فليدع شيوخ الكنيسة فيصنوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب. » (يعقوب ٥: ١٤).

(\*) وتناظر هذه الكلمة في الإنجليزية كلمة Sacrifice وهي تتركب من لفظين لاتينيين هما Sacer أي مقدس و Facere ومعناه يصنع أو يجعل

الأعصر السحيقة في القدم، وبه فسر أول حادث قتل في العالم إذ فتك هايبيل بقاين (قبايل) لأن يهوه تقبل قربان قاين وكان من اللحم وأشاح عن قربان هايبيل وكان من النبات. كان الفينيقيون والقرطاجيون<sup>(٤)</sup> ومن إليهما من الشعوب السامية يقدمون القرابين البشرية للإله ملخ (بضم الميم) - أي الملك، وعندما حوصرت مدينة قرطاجنة سنة ٣٠٧ ق.م. حرق أهلها على مذبح هذا الإله متي غلام من أبناء السراة. وكانوا في سورية إذا ما حذبهم أمر يحرقون بعض الأطفال ثم أصبحوا يكتبون بختهم أو ببذل قدر من المال قرباناً لبعل أو عشتورت.

لقد رتع الآلهة في لحوم البشر ردحا من الدهر. فلما ارتفعت الحضارة وغدا الناس يبدون امتعاضهم من التضحية بأفلاذ أكبادهم انصرف الآلهة عن لحم الإنسان إلى لحم الحيوان ونرى صورة لذلك في قصة إبراهيم، حين يمك عن ذبح ابنه إسحق ويفتديه بكبش.

---

(٤) كانت قرطاجنة في القرن الثالث الميلادي أشد مدائن البحر الأبيض المتوسط ثراء، وقد بنى تلك المدينة قوم هاجروا من مدينة صور، كان أهلها على صلة باليهود الأقدمين من حيث الدم والملاحم والزي، وكانوا اباحيين فيما يتصل بالعلاقات الجنسية. ومن آلتهم بعل هامان واسم بطلهم هانبيال يعني الفضل لبعل. (ملخص عن كتاب قصة الحضارة بقلم ول ديورنت).



## الآلهة

وما عثم الناس أن آثروا الاقتصاد في الوقت واليسر في العبادة فانتهجوا طريقة الأعمال الكبيرة وذهبوا الى أن هناك إلهاً أعظم يهيمن على الآلهة الصغار. كان كهنة سورية يعترفون بالآله الأعظم « الو » (المشابه لالوهيم اليهود) في الوقت الذي كانوا يعبدون فيه الآله « بعل » وكانوا في بابل في عصر بختنصر ومن قبله ينادون بأن « مردك » (بضم الدال) هو الإله الخالق دون أن يحو ذلك عبادة سائر الآلهة، فالاعتراف بالآله الخالق ليس هو الاقرار بالوحدانية.

وأخلت أديان الآلهة المتعددة والأصنام الكثيرة الطريق آخر الأمر للايمان بآله واحد لا يحشم الخلق عناء الحج إليه في موطن بعينه بل يجدونه أينما ولوا وجوههم لأنه حال بكل مكان. وزعم كل شعب أن إلههم هذا هو الذي أنزل عليهم شريعتهم، فالآله « شمس » إله الشمس هو واضع قانون حمورابي ملك بابل و « أهورا - مزدا » هو الذي جبا زرادشت بالناموس في فارس حين راح هذا يصلي فوق جبل شاهق و « زيوس » هو الذي أعطى الملك منيوس فوق جبل دكتا (بكسر الدال) الشريعة التي حكمت بمقتضاها جزيرة كريت وهلم جرا.

## السحر عند الوثنيين

الآن، وقد اكتسب الذكاء الإنساني حدة وازدادت المعرفة البشرية سعة، أصبحنا نعلم عن يقين أنه ما من صلة بين سلوك الإنسان وظواهر الطبيعة، فمهما بلغ أمرؤ أو شعب من سوء السيرة ولؤم السريرة ومهما أتى هذا المرء أو هذا الشعب من المناكر وطالَح الأفاعيل<sup>(١)</sup> فلن يحدث ذلك زلزالاً أو يعقب طوفاناً أو يجبس السماء فتجذب الأرض. ونعلم كذلك أن الصاعقة قد تنقض على الطيب والخبث بدرجة سواء، فالطبيعة لا ترمي الى هدف معلوم وإنما هي تنتج بلا غرض وتخطم بلا سبب.

وقد كان البدائيون على غير بصر بما نعرفه اليوم من بواعث المرض، فالأمراض كلها ترجع عندهم الى ما وراء الطبيعة ولا دواء لها غير السحر. لقد كانوا لا يعزفون حداً تقف عنده قوى الروح في إبلاء الشر وإيتاء الخير، ولذا عملوا على تألفها بالابتهاال إليها، ومن هنا نشأت صلاة الوثنيين وسائر شعائرهم واحتفالاتهم الدينية وفشت عبادة الأرواح وازلاف القرابين لها والتفنن في اقناع الأرواح الخيرة بمديد المعونة إليهم، وذلك أصل السحر وهو فن الاستعانة بقوى وطاقت من وراء الطبيعة غير منظورة وذلك لبلوغ أغراض مخصوصة يتعاضى بلوغها بالوسائل الطبيعية المألوفة والأساليب المنطقية المعروفة، ويتم ذلك باتيان حركات معلومة وترديد كلمات مرسومة.

ويقوم السحر على مبدئين أساسيين يكونان معاً ما يمكن تسميته بالسحر العاطفي Sympathetic Magic وهذا المبدأن هما :

### ١ - السحر بأشبه الأشياء Homoeopathic Magic :

ينتج الشيء ما يشبهه وتأتي النتائج من جنس المقدمات، فاذا عرف الساحر المحنك بخبرته أن المطر وشيك الانهار شرع يستسقي للقوم وذلك بأن يسكب بعض الماء على الثري ويقعق<sup>(٢)</sup>

(١) الأفعولة: الأمر العجيب يستنكر.

(٢) قعق الشيء اليابس الصلب: حركه مع صوت.

قارورة فيها حصى . فيحدث ذلك صوتاً يحاكي ما يصحب المطر من هزيم .  
ولقد كانوا في انكلترا الى عهد قريب يعالجون الرمد بنباب الفراسيون Eyebright لأن  
زهوته تشبه العين، وكانوا في ألمانيا يعالجون اليرقان بأشياء صفراء فأقع لونها كالذهب  
والزعفران .

٢ - السحر بما بين الأشياء التي ينفصل أحدها عن الآخر من صلة غير مقطوعة

: Contact Magic

ان الأشياء التي كانت مرة موصولاً بعضها ببعض تحتفظ بقوة تفاعل بينها حتى بعد أن  
تنفصم تلك الصلة، ولهذا يتخذ « أثر » الشخص وسيلة للكيد له والنيل منه .



## السحر عند العبريين

سار العبريون فيما يتصل بأوهامهم ووساوسهم الدينية على النهج الذي سارت عليه سائر الشعائر البدائية- فبدأوا بتعاطي السحر. وقد رووا وقائع كثيرة أنجز فيها السحر ما أريد منه وخلفوا « وصفات » شتى لكيفية قتل امرئ، أو إيذائه بالسحر ولطريقة اجتذاب المحبوبة الى من يهواها وحلها على أن تطارحه الهيام .

والكتاب المقدس حافل بالشواهد على ايمان اليهود بالسحر .

فعندما احتشدت جحافل الفلسطينيين لذود الغزاة من بني إسرائيل وطفق الكهنة يكيدون شاول ويزعمون له أن الرب حال عن موذته وكف عن نصرته تلبد الجو في وجهه وأعيت عليه معالجة الخطر الخارجي والداخلي في آن، وأراد أن يستخير<sup>(١)</sup> ربه فإذا هو قد تجمدت قريحته وتبلدت مخيلته حتى استعصى عليه أن يرى رؤيا يفسرها بما تشاء له وساوسه وأوهامه، ولم يجد بدا من الانصراف الى الجان عوضاً عن الآلهة واللواذ بالسحرة بدلاً من الأنبياء . « فقال شاول لعبيده فتشوا لي على امرأة صاحبة جان فاذهب إليها واسألها فقال له عبيده هوذا امرأة صاحبة حان في عين دور . فتنكر شاول ولبس ثياباً أخرى وذهب ... فقالت المرأة من أصدك لك فقال أصعدي لي صموئيل<sup>(٢)</sup> . فلما رأت المهلة صموئيل صرخت بصوت عظيم . وكلمت المرأة شاول قائلة لماذا خدعتني وأنت شاول<sup>(٣)</sup> فقال لها الملك لا تخافي<sup>(٤)</sup> فإذا رأيت . فقالت المرأة لشاول

(١) استخار : طلب الخيرة ، يقال « استخّر الله يخر لك » أي اطلب منه أن يختار لك ما يوافقك .

(٢) هو صموئيل الرائي أي الذي ينظر ، وهو نبي « لأن النبي اليوم كان يدعى سابقاً الرائي » .

(١ صموئيل ٩ : ٩) .

وهو آخر من حكم بني اسرائيل قبل تحررهم من الحكومة الدينية الفاسدة وتقليكهم شاول عليهم . وقد حاول عليه السلام أن يبسط نفوذه على شاول فلما أبدى شاول بعض التسخط والتأيي شن صموئيل عليه حرباً شمواء وهو الذي عناه القرآن في قوله : « وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً ... » . (البقرة ٢٤٧) .

(٣) ومن عجب أن المرأة لم تعرفه أول وهلة وهو الفارع الطول الذي زاده الله بسطة في الجسم « من كتفه فما فوق كان أطول من كل الشعب » . (١ صموئيل ٩ : ٢) .

(٤) هو هنا يهذي، روحها ويسري عنها، لما عرف عنه من تعقب المشتغلات بالسحر، إذ أنه كان - تلبية لرغبة

رأيت آلهة<sup>(٥)</sup> يصعدون من الأرض. فقال لها ما هي صورته فقالت رجل شيخ صاعد وهو مغطى بحبة. فعلم شاول أنه صموئيل فخر على وجهه إلى الأرض وسجد. فقال صموئيل لشاول لماذا أقلقنتني باصعادك إياي. فقال شاول قد ضاق بي الأمر جداً... فقال صموئيل ولماذا تسألني والرب قد فارقك وصار عدوك وقد فعل الرب لنفسه كما تكلم عن يدي وقد شق المملكة من يدك وأعطاها لقريبك<sup>(٦)</sup> داود». (١ صموئيل ٢٨: ٥-١٧).

ولست تغرب عنا تلك المباراة التي قامت بمشهد من فرعون بين سحرة مصر وبين النبيين اليهوديين الوافدين من مدين في إحالة العصى حيات وثعابين ولنا أن نعد من هذه البأبة ما حدث في برة سينا حين أبدى بنو اسرائيل الآبقون<sup>(٧)</sup> من مصر تذرهم من التيه الطويل في تلك المناوز<sup>(٨)</sup> الوعة التي مكثوا يضربون فيها أعواماً دون أن يجدوا سببلاً منها إلى خروج واستشاعهم الطعام المسيح<sup>(٩)</sup> الذي كتب عليهم أن يتجرعوه وهم لا يكادون يسيفونه<sup>(١٠)</sup> وتأذيم من الحيات التي وقعوا بين أنباها فما انفكت تخنهم لدغا حتى بدا لموسى أن يجتزىء بما أصابهم وأن يكف عنهم هذا الأذى. « فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية فكان متى لدغت حية إنساناً ونظر إلى حية النحاس يحيا ». (عدد ٢١: ٩).

وقد سحق هذه الحية بعد ثمانية قرون > زقيا بن آحاز ملك يهوذا بين ما حطمه من أصنام وأنصاب. « هو أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السواري وسحق حية النحاس التي عملها موسى لأن بني اسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها ودعوها نحشتان ». (٢ ملوك ١٨: ٤).

هنا وقد فصّلت الأسطر الأولى من سفر التكوين كيف سلك الله في خلق الكون نهجاً يذكرنا بصنع السحرة. « وقال الله ليكن نور فكان نور ». (تكوين ١: ٣).

---

الكهنة في التخلص من منافسهم - قد اصطلم السحرة ومسخري الجان والتوابع (والتابع هو الجني يتبع الانسان حيث ذهب) فلم يبق منهم غير هذه المرأة لحاجة القصة إليها.

(٥) استعمل الكاتب العبري هنا كلمة الوهم خطأ وهو يريد رفايم ومعناها أشباح الموتى، فالذي رأته الساحرة إذن هو شبح صموئيل (أي روحه) ولهذا فهو يعقب على كلامها سائلاً ما هي صورته؟.

(٦) كلمة «قريبك» هنا يراد بها الاخوة في الدين والجنس لا قرابة الرحم.

(٧) الآبق: العبد المأرب. أبق: هرب من سيده.

(٨) المفازة: الصحراء و - المهلكة و - الفلاة لا ماء فيها وقد سميت بهذا الاسم (من مادة فاز) من قبيل تسمية الشيء بصد معناه على جهة التفاؤل أو على جهة التطير من اسمه كتسمية «القافلة» على حين أنها ذاهبة لا قافلة.

(٩) المسيح: الطعام الذي لا ملح له ولا لون ولا طعم.

(١٠) أساغ الطعام: سهل مدخله في الخلق وساغ له دخوله فيه. «وسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد

يسيفه...». (ابراهيم ١٦-١٧).



ويغنيها عن المزيد من الاستشهاد أن يهوه نفسه قال صريحاً: «لا تدع ساحرة تعيش».  
(خروج ٢٢: ١٨).

وهي الآية الكريمة التي أزهقت بمقتضاها حياة الألوفا من البشر متهمين بجرائم لم يكن في طوقهم أن يقارفوها.

وقد ظل السحر عالي الشأن عميق الأثر حتى القرون الوسطى. وكان الأقدمون يؤمنون أن ممارسة السحر عمل اختصت به النساء دون الرجال أو أن الغلبة لهن في ممارسته، ولهذا كانت كثيرة المتهمين بممارسته من النساء، والنساء في نظر الأكليروس مفطورات على الشر<sup>(١١)</sup>.

والساحرة في صورتها المحدثه امرأة وثيقة الصلة بالشيطان لها مقدرة على إتيان الخوارق تحلق بين آن وآخر في الهواء فيما بين الجمعة والسبت من ليالي الأسبوع ممتطية مكنسة ذات عصا، فتؤم ندوات مختلفة تتنادى فيها الساحرات فوق قنن الجبال الشاهقة لتجديد البيعة للشيطان وإظهار الولاء له. وتخرج الساحرة الى رحلتها هذه لا جهرة من باب البيت بل خفية من ثقب المفتاح أو من مدخنة المدفأة، ويرقد في فراشها في أثناء غيبتها شيطان من الشياطين الصغيرة الشأن متخذاً زياً. ويحضر الندوة شيخ الشياطين في هيئة جدي ذي رأسين فيمضين إليه يلثمنه ويرقص لفيف منهن عاريات بين يديه، ثم يقبلن جميعاً على الطعام والشراب على حين يجوس هو خلالها متفحصاً باحثاً عن العلامة التي كان قد وسمن بها.

وكان على من تقرف بممارسة السحر أن تعترف بجريرتها فإن لم تفعل طوعاً أُجبرت على ذلك

(١١) وقد انتقل هذا الظن الى العرب. ومن ثم قيل في بيان سبب نزول الآية «ومن شر النفاثات في العقد».

(العلق ٤).

ان يهوديا يدعى ليبيدا كان يحسد النبي على ما آتاه الله، فاستعان ببناته في الاضرار به فأتين بحيط فمعدن فيه إحدى عشرة عقدة وأخذن ينفثن فيها وينفخن فيها بشي. يقلنه من غير ريق فأحس بأنه قد لحقه بعض الأذى حتى كان يفعل الشيء، ويظن أنه لم يفعله، فأعلم الله نبيه بالمكيدة وأنزل عليه المعوذتين (وهما سورة الفلق وسورة الناس)، وقد أسمينا بذلك لأن كلا منها تبدأ بكلمة «قل أعوذ» وجموع آياتها إحدى عشرة وأوحى إليه أن يتعمد بها فكان كلما قرأ آية منها انحلت عقدة ووجد خفة حتى انحلت العقد كلها وقام كأنما نشط من عقال.

وقد أحصينا المرات التي وردت فيها كلمة «السحر» ومشتقاتها في القرآن فوجدناها ٦٣ مرة ووردت فيه كلمة «الجن» و«الجان» و«الجنة» ٣٩ مرة وكلمة «الشيطان» ٧٠ مرة وكلمة «الشياطين» بصيغة الجمع ١٨ مرة.

ورود فيه ما فسروه بأن سليمان كان قد جمع كتب السحر ودفنها، فلما مات دلت الشياطين عليها اليهود فاستخرجوها فوجدوا فيها السحر فتعلموه ورفضوا كتب أنبيائهم، وتعلموا كذلك ما أنزل على الملكين هاروت وماروت وهما - على تفسير ابن عباس - ساحران من الناس كانا يعلمان الناس السحر أو ملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس. «واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت... فيتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه...»  
(البقرة ١٠٢).

كرهاً، فإذا تجنت على نفسها استنجاها من سوء العذاب لم يكف الزبانية عن تعذيبها، إذ أن الاعتراف المطلوب منها لا يصح أن يقتصر على ما يتصل بشخصها بل يجب أن يتناول كذلك كل من تعرف (المتهمة) أنهم حلائف الشيطان، ومن ثم كانوا يستأنفون تعذيبها ولا يسكون عن اذقتها أنكى ضروب التعذيب حتى تدلى بأسماء من شهدت في ندوة السواحر من أهل القرية (أو الحي) أو بصفاتهم، فيشد عليهن وتستنطق كل منهن بالطريقة عينها فتعترف على نفسها ثم تدلي بما يعن لها من أسماء وهلم جرا. وكان يقال للزوج وهو يعلم أن زوجته لم تفارق فراشه، أن ضجيعة في تلك لم تكن حليلته حقاً، بل كانت شيطاناً يتزيا بزيتها. وكان المؤلف أن يخنقوا الساحرات بأيديهم فيمتن دون أن تهرق دماؤهن ثم يحرقوا جثثهن فينبعث منها قنار<sup>(١٢)</sup> كذلك الذي ينبعث من محرقات اليهود.

وقد عبد الساحر الطريق أمام الخبر<sup>(١٣)</sup> اليهودي، وليس ذلك بالأمر الذي يعسر فهمه، فهما صنوان ولدا معاً وشباً وترعرعا معاً ولبنا معاً يعيشان على خرافات ما وراء الطبيعة ويمارسان وظيفتها بإقامة شعائر ومناسك خاصة بكل منها، فالساحر يستعين الرقي والعزائم على إخضاع القوى التي تعلق قوة البشر وإملاء ارادته عليها، على حين يتوسل رجل الكهنوت الى هذه القوى بدعوته إياها بألفاظ مهذبة. وهذا الفرق بين الأسلوبين وليد التباين العقلي والثقافي بين الساحر ورجل الدين. وكذلك بين جمهور هذا وجمهور ذاك، وثم في بعض الأحيان ما يشبه أن يكون تعاوناً بين الطائفتين، إذ أن بين رجال الكهنوت من يدللون على صدق مزاعمهم حول عالم ما وراء الطبيعة وخلود أرواح البشر وصدق المعجزات المنسوبة الى أنبياء بني إسرائيل (كوقوف الشمس والقمر عن الدوران) بما يروجه السحرة ومحضرو الأرواح المحدثون من الأضاليل وما يدعون اتيانه من الخوارق والاعاجيب، وكذلك بين المشعوذين من يستشهدون على صحة دعاوهم في فعل السحر وتسخير الجان قديماً وحديثاً بما ورد في هذا المعنى من آي الكتاب المقدس.. وقد نشأ الدين اليهودي مشوباً بالوساوس والأوهام التي كانت تهيمن على أولئك البدو البدائيين، ولم يكن في أول مراحلها غير أمشاج<sup>(١٤)</sup> من الأساطير والوصايا أي التابوات المؤسسة

(١٢) القنار: دخان ذو رائحة خاصة ينبعث من الطبخ أو الشواء أو العظم المحروق أو البخور.

(١٣) الخبر: الصالح من العلماء. الخبر الأعظم: رئيس البيعة الكاثوليكية ورئيس كهنة اليهود. وقد ذكر اسرائيل ولفنسون في كتابه «تاريخ اليهود في بلاد العرب» أن هذه الكلمة عبرية الأصل إذ معناها «الرفيق» وقد كانت تطلق في العصور الأولى على كل عضو من أعضاء الشيعة اليهودية الدينية «الفروشم» ثم لما تغلبت هذه الفئة أصبح كل متعلم من اليهود يلقب بلقب خبر..

(١٤) مشج الشبي: خلطه، يقال مشج بينهما. المشج كل شيتين مختلطين أو كل لونين اختلط. ج أمشاج. «إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميماً بصيراً» (الانسان ٢).

على المذهب الحيوي والسحر العاطفي ولهذا كان يتضمن أوامر ونواهي تغمض حكمتها على القارئ ما لم يكن على بصر بما كان للآيمان بالسحر من دخل في تحبير هذه الأقوال. « لا تزرع حقلك صنفين لثلا يتقدس الماء الزرع الذي تزرع ومحصول الحقل. لا تحرث على ثور وحرار معاً... لا تلبس ثوباً مختلطاً صوفاً وكتاناً معاً » (تثنية ٢٢: ٩-١١).

ولهذا جرت جبهة القراء على أن تغضى عنها وتجاوزها الى ما يليها. انظر - مثلاً - الى ما يتصل بالا حصاء الذي أجراه داود. « وعاد فحمى غضب الرب على اسرائيل فأهاج عليهم داود قائلاً: امض واحص اسرائيل ويهوذا... فكان اسرائيل ثمان مئة ألف رجل ذي بأس مستل السيف ورجال يهوذا خمس مئة ألف رجل<sup>(١٥)</sup> وضرب داود قلبه بعدما عد الشعب. فقال داود للرب لقد أخطأت جدا في ما فعلت. والآن يا رب أزل إثم عبدك لأني انعمت جداً... فجعل الرب وبأ في اسرائيل من الصباح الى الميعاد فهات من الشعب من دان الى بئر سبع سبعون ألف رجل ». (٢ صموئيل ٢٤: ١-١٥).

١ - فلما احتاج الاحصاء الى « اهاجة » داود؟

٢ - ولماذا استحمق داود نفسه بعدما عد الشعب ولماذا عرض له أنه أغضب الرب (أي

الكهنة)؟

٣ - ولماذا استبد به الفزع حتى لدم<sup>(١٦)</sup> صدره؟

٤ - وما هو هذا الائم الذي سأل الرب أن يزيله، والذي وجب أن تكون تحلته ٧٠,٠٠٠

رجل؟

ألا انها لأمر يعجز العقل المنطقي المتحضر عن استكناه أسبابها ويعيبه الاهتداء الى سرها لأن مفتاحها إنما هو فيما يزعمونه من التفاعلات السحرية العاطفية كما سنرى من بعد.

هذا وفي مناسك العبريين، غير ما تقدم، أمور كثيرة يعيا بها الفهم ويكل عنها النظر إلا أن يهتدى الى جذورها في ألفاف<sup>(١٧)</sup> الأساطير، ومن ذلك اتخاذ الطلاسم والعودات استجلاباً لليمن واناطة التائم تحرزا من قوى الشر، والابتهاال والصلاة والحشو على الركبتين والصيام عن تناول بعض الأطعمة الخ الخ.

(١٥) وبذلك تكون جملة مقاتلة اليهود ١,٣٠٠,٠٠٠ وهذا يعني أن عدة بني اسرائيل بلغت إذ ذاك زهاء

٦,٠٠٠,٠٠٠ وهو رقم مفرط في المبالغة.

(١٦) لدم فلاناً: لطمه أو ضربه بشيء ثقيل يسمع وقعته، ويقال لدمت المرأة صدرها ووجهها.

(١٧) اللف: البستان المجتمع من الشجر.

## التابو وليد الايمان بالسحر

تكشف لنا أساطير<sup>(١)</sup> « العهد القديم » وأقاصيصه<sup>(٢)</sup> عن كثير من معتقدات الاسرائيليين الغابرين، ومنها نتبين فرط تخبط أولئك القوم في دياجير الجهالة، ولنضرب لذلك مثلاً قصة يونان<sup>(٣)</sup> وهو الذي يعرفه العرب باسم يونس. « وصار قول الرب الى يونان بن أمتاي قائلاً: قم اذهب الى نينوي<sup>(٤)</sup> المدينة العظيمة وناد عليها لأنه قد صعد شرهم أمامي. فقام يونان ليهرب الى ترشيش<sup>(٥)</sup> من وجه الرب فنزل الى يافا. ووجد سفينة ذاهبة الى ترشيش فدفع أجرتها ونزل فيها ليذهب معهم إلى ترشيش من وجه الرب<sup>(٦)</sup> فأرسل الرب ريحاً شديدة إلى البحر فحدث

(١) الأسطورة هي فيما يقول العرب كلمة مأخوذة مما يسطر أي يكتب، وأغلب الظن أن هذه الكلمة ليست عربية بل معربة عن الأصل اللاتيني المتأخر الذي أخذت منه اللغة الانجليزية كلمتي Story أي حكاية و History أي تاريخ. وقد وضع الأقدمون الأساطير ليفسروا بها بعض الظواهر الغامضة وغير ذلك كما سيأتي بعد.

(٢) وضع المحدثون كلمة « قصة » يعنون بها الأحداث (الحدوتة) وهي الحكاية الثرية الطويلة تستمد من الخيال أو من الواقع، وتجمع القصة على قصص وجع الجمع أقاصيص.

وقد توهم بعض الكتاب المحدثين أن واحدة الاقاصيص هي أقصوصة قياساً على أساطير وأسطورة وأكاذيب وأكذوبة إلخ وهو خطأ شائع فإن كلمة « أقصوصة » لا وجود لها في اللغة، ومثل أقاصيص في هذا أقاويل فليس لها مفرد على زنة أفعمولة.

(٣) وعلى ما بين أجزاء من هذه القصة ومثلتها في أساطير الهند واليونان من مشابه، فانه يغلب على ظن الباحثين أن يونان هذا شخص حقيقي كان يعيش في منتصف القرن الثامن في عهد يربعام الثاني ملك اسرائيل، فقد جاء في سفر الملوك (وهو من آثار القرن السابع أو السادس ق.م) أنه تنبأ بأن ذلك الملك سيسيطر رقعة مملكته من حاة إلى البحر الميت. « هو رد تخوم اسرائيل من مدخل حاة الى بحر العربة حسب كلام الرب إله اسرائيل الذي تكلم به عن يد عبده يونان بن أمتاي النبي الذي من جت جافره ». (٢ ملوك ١٤: ٢٥).

(٤) عاصمة مملكة آشور موقعها على نهر دجلة.

(٥) هي منطقة الوادي الكبير في الأندلس وقد أوطن بها الفينيقيون فكان سمكها ومعادنها، وبخاصة الفضة، ينوع ثراء لهم، وقد ذكرها سفر أخبار الأيام عند استعراضه عظمة الملك سليمان ووفرة ماله. « لأن الملك كانت له سفن تذهب إلى ترشيش مع عبيد حيرام، فكانت سفن ترشيش تأتي مرة في كل ثلاث سنين حاملة ذهباً وفضة وعاجاً وفروة وطواويس ». (٢ أخبار الأيام ٩: ٢١).

(٦) ويتضح من ذلك أن يونان كان كسائر بني جلدته يعتقد أن سلطان الرب المحلي يهوه محدود بأقليم معين هو الذي يعمره بنو اسرائيل، فإذا غادر هو هذا الاقليم أفلت من قبضة الرب وتحرر من واجباته قبله.

نوء<sup>(٧)</sup> عظيم في البحر حتى كادت السفينة تنكسر. فخاف الملاحون وصرخوا كل واحد الى الهه... وقال بعضهم لبعض هلم نلقي قرعا لنعرف بسبب من هذه البلية. قألقوا قرعا فووقت القرعة على يونان.

... فقالوا له ماذا نضع بك ليسكن البحر عنا، لأن البحر كان يزداد اضطراباً. فقال لهم خذوني واطرحوني في البحر فيسكن البحر عنكم لأنني عالم أنه بسببي هذا النوء العظيم عليكم<sup>(٨)</sup>.  
... ثم أخذوا يونان وطرحوه في البحر فوقف البحر عن هيجانه. فخاف الرجال من الرب خوفاً عظيماً وذبجوا ذبيحة للرب ونذروا نذوراً. وأما الرب فأعد حوتا<sup>(٩)</sup> عظيماً ليلتلع يونان. فكان يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاثة ليال<sup>(١٠)</sup>. (يونان ١: ١-١٧).

هذا، وقد سجل «العهد» في طياته غير قليل من المعتقدات المؤسسة على المذهب الحيوي والسحر العاطفي، ارتضاها أخبار بني إسرائيل وأدجوها في أسفارهم المقدسة:

١ - فالابن يرث من أبيه آتاهه كما يرث منه قسما وجهه، ومن ثم كان الابن يؤخذ بجزيرة أبيه<sup>(١٠)</sup>.

٢ - ومن الميسور أن تنقل الآثام كما تنقل الأثقال من كاهل الى كاهل، ومن هنا نشأ منسك نقل الذنوب من بني الانسان الى تيس يطلقه الكاهن في القفر<sup>(١١)</sup>. «ويضع هرون يديه على رأس التيس الحي ويقر عليه بكل ذنوب بني إسرائيل وكل سيئاتهم مع كل خطاياهم ويجعلها على رأس

---

(٧) النوء: النجم إذا مال للغروب. يقابل هذه الكلمة في الترجمة الانجليزية Tempest أي عاصفة أو زوبعة.  
(٨) وهذا يدل على انه كان يعاني عقدة الذنب، وأنه هو وركب السفينة وملاحوها ذوو الدربة والحنكة كانوا يجهلون أن احتياج الجو واضطراب البحر والتنظام الموج من سنن الطبيعة ويرون في كل أولئك عقاباً لهياً على إثم اقترفه أحد أفراد الجماعة. فوجب على سائر أفرادها أن يظاهروه بتحمل نصيبهم من الجزاء الويل ما دام يعيش بين ظهرانيمهم. وأدهى من ذلك أن البحر نفسه اعتقد أن من واجبه أن يرغي ويزيد حتى يلقوا إليه بعروس البحر.  
(٩) كلمة «حوتا عظيماً» يقابلها في الترجمة الانجليزية Agreat Fish أي سمكة ضخمة كبيرة الجرم وكان العرب في الزمن الغابر يستعملون لفظ «حوت» في هذا المعنى وبه نزلت الآية «فالتقمه الحوت وهو مليم». (الصافات ١٤٢).

بيد أن هذا اللفظ اكتسب الآن معنى علمياً فأصبح يطلق على ما يقابل في الانجليزية Whale وهو حيوان ثديي سمكي الشكل ضيق البعوم يعتمد في غذائه على الحيوانات البحرية الصغيرة كالسرطان وغنق البحر، وهو نادر في البحر الأبيض المتوسط. ويبدو أن واضع سفر يونان كان يعتقد أن السمكة الضخمة جوفاء تنطوي على مقام يتيح لذلك النبي اليهودي أن يقضي فيه الساعات والأيام.

(١٠) وقد بلغت تلك العقيدة ذروة نموها في المسيحية إذ أورتت الجنس البشري كله خطيئة آدم.  
(١١) وينقل البراهمة آثامهم إلى البقر المقدس وكان المسيحيون في مبدأ أمرهم يضحون في مكان التيس المطلق بجمل، ومن ثم اتخذوا الحمل رمزاً للمسيحية. وهم يحتفلون اليوم في عيد صعود المسيح لذكروا أكبر تيس مطلق، فقد حل المسيح معه آثام البشرية جماعاً.

التيس ويرسله بيد من يلاقه الى البرية . ليحمل التيس عليه كل ذنوبهم الى أرض مقفرة فيطلق التيس في البرية » . ( لاويون ١٦ : ٢١ - ٢٢ ) .

٣ - قد يولد الطفل وبجسده علامة شبيهة بشيء وقع عليه بصر الأم في أثناء حملها به وفي استطاعة الحامل أن تكسب الجنين الذي في أحشائها شبه شيء ما وذلك بأن ترنو<sup>(١٢)</sup> إليه طويلاً . ويمكن احداث هذه الظاهرة في الحيوانات أيضاً . ومن ذلك أن يعقوب عندما حان له أن يفصل<sup>(١٣)</sup> عن بيت خاله وحيمه لابان سأله أن يوفيه أجر خدمته إياه وعرض عليه أن يكون جعله ما يولد من الغنم وبه رقشة<sup>(١٤)</sup> أو تفويف<sup>(١٥)</sup> . « فأخذ يعقوب لنفسه قضباناً خضراء من لبنى<sup>(١٦)</sup> ولوز ودلب<sup>(١٧)</sup> ، وقشر فيها خطوطاً بيضاء كاشطاً عن البياض الذي على القضبان . وأوقف القضبان التي قشرها في الأجران في مسامي الماء حيث كانت الغنم تحب لتشرب . فتوحمت<sup>(١٨)</sup> الغنم عند القضبان وولدت الغنم مخططات ورقطاً<sup>(١٩)</sup> وبلقاً<sup>(٢٠)</sup> . ( تكوين ٣٠ : ٣٧ - ٣٩ ) .

٤ - إذا أغلى اللبن أصببت البقرة التي أدرتة بجفاف ضرعها ، ثم صلة بين أنثى الحيوان ولبنها تظل قائمة بعد أن تدره<sup>(٢١)</sup> .

ولهذا نجد آخر الوصايا الموسوية العشر ( في صيغتها القديمة ) تنهي عن الجمع بين اللحم واللبن على مائدة واحدة . « لا تطبخ جدياً بلبن أمه » . ( خروج ٣٤ : ٣٦ ) . ويحافظ المسيحيون المتزمتون على هذه الوصية المهمة فيطهون اللحم بالزيت لا بالزبد .

٥ - ومن الميسور إنجاز عمل مرغوب فيه بصنع ما يحاكيه ، فيسدد المرء خنجراً أو شظية حادة من العظم نحو العدو مع صب اللعنة عليه في أثناء ذلك ، ويطلق ألواناً من الطيب نحو الحبيب الذي تهفو إليه النفس وتود اجتذابه ، مع مناغاته خلال ذلك بألفاظ التحبب والتدليل ،

(١٢) رنا : أدام النظر في سكون طرف .

(١٣) فصل عن البلد : خرج منه ، ومنه « فلما فصل طالوت بالجنود » .

(١٤) رقص كلامه : زخرفه . الرقص : لون كدرة وسواد ونحوها .

(١٥) مفوف : فيه خطوط بيض على الطول ، يقال برد مفوف أي كساء مخطط يلتحف به .

(١٦) اللبني : يقابلها في الترجمة الانجليزية Poplar أي شجر الحور .

(١٧) الدلب : شجر عظيم الورق لا زهر له ولا ثمر وهي في الترجمة الانجليزية Chestnut يعني أبا فروة .

(١٨) ورحمت المرأة وتوحمت : حبلت واشتدت شهوتها للأكل .

(١٩) الرقطة : لون مؤلف من بياض وسواد أو من حرة وصفرة وغيرها .

(٢٠) البلق : سواد وبياض في اللون .

(٢١) كان العرب يقولون « اللبن محضر فغط اناءك » أي انه كثير الآفة ، وهم يعنون أن الجن تحضره .

ويؤدي بغمه حركات امتصاص لاستخراج السموم من أجسام الأصدقاء ولابرائهم من الأمراض.

٦ - ويواري المرء منهم قلامة ظفره وقصاصة شعره وما إلى ذلك مكاناً خفياً حتى لا تحرق أو تسحق أو تمزق فيلحقه ما لحق ذلك « الأثر ».

٧ - وينطوي تمثال المرء على شطر من روحه، فمن لقي بين يديه تمثالا تسنى له التوسل به إلى إيذاء النموذج الذي نحت التمثال على قوامه أو صيغ على غراره<sup>(٢٢)</sup>، ومن ثم جاءت الوصية الثانية تنهي عن صنع التماثيل، ولم تكتف بنص واحد جلي قاطع، بل كررت النهي في ألفاظ منتقاة وفصلت القول في بيان جامع مانع. « لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة ما، مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض... » (خروج ٢٠: ٤). وكان العبرانيون في وقت ما يتحامون التلفظ بكلمة « تمثال » إذ غدت التماثيل عند أولئك الجهلة الموسوسين<sup>(٢٣)</sup> « تابو » وذلك من خشيتهم أن تنشأ صلة عاطفية بين التماثيل والأشياء التي هي صورة لها<sup>(٢٤)</sup>.

وكان كليمنس الأسكندري يرى في تطلع المرأة إلى خيالها في المرأة انتهاكا للوصية الثانية، إذ أنها بعملها هذا تصنع لنفسها تمثالاً.

ويهم بعض الناس أن من يحم مرآة يتبدد جده وسعده كما يتبدد شبهه مع كسارها المتناثر والى هذا الاعتقاد ترجع عادة حجب المرايا أو ادارتها الى الخلف عندما يموت أحد سكان البيت حتى لا يختطف شبح الميت، وهو يجوس خلال الدار أو حواليتها، الروح التي تبرز من أحد أهل البيت في المرآة.

(٢٢) الفرار: المثال تضرب عليه النصال لتصلح، يقال ضرب نصاله على غرار واحد: على مثال واحد، وضرب على غراره: نهج منهجه.

(٢٣) وسوس الرجل: أصيب في عقله وتكلم بغير نظام واعتدته الوسوس.

(٢٤) ولذلك كانت معابد قدامى المصريين والفرس صفرا من التماثيل.

أما التماثيل التي نصبت في الجزيرة العربية أيام الجاهلية فجلبها - ان لم تكن كلها - من أصل أجنبي، وقد وردت أسماء بعض منها في غير موضع من القرآن، ومنها الأصنام الثلاثة التي كانوا يعدونها بنات الله. «أفرأيت اللات والعزى. ومناة الثالثة الأخرى. ألكم الذكر وله الأنثى. تلك اذن قسمة، فيزيء» (النجم ١٩-٢٢).

فأما اللات، وقد نصب تماثلها في الطائف، ومناة وقد نصب تماثلها على سيف بحر القلزم (أي البحر الأحمر والقلزم بلد قديم خرب بنيت في موضعه مدينة السويس) فهما من أصل بابلي، وأما العزى، وقد نصب تماثلها بالحراض، فهي الربة المصرية المعروفة ايزيس.

وأشهر أصنام الكعبة وأعلامها كعباً هو هبل وهو تمثال من العقيق الأحمر جيء به من الشام وزعموا أنه يتشفع الى الله في الاستسقاء واسمه معرب من هبل أي البعل. (مستخلص من كتاب «نحو آفاق أوسع» للسيدة أبكار السقاف).

٨ - وكذلك يكون اسم الشخص جزءاً من روحه والمرء لا يحرز روحه قبل أن يحرز اسمه<sup>(٢٥)</sup> فعلى المرء أن يخفي اسمه مخشاة أن يصاب في طريقه بما يلقي به الى التهلكة وأن يحمله الاسم المعلن على المعاطب وينغص عليه عيشه<sup>(٢٦)</sup> وفي ميسور المرء إذا عثر به الجد أن يغير حظه بتغيير اسمه. ويمسك اليهودي عن اطلاق أسماء من ماتوا من أطفاله على من يولدون له من بعد، إذ أن عزرائيل متى جهل اسم طفل تعذر عليه أن يقبض روحه. وما فتىء بعض اليهود الى اليوم يطلقون على مرضاهم أسماء جديدة حتى يخطئهم ملك الموت، وتراهم اذا ذكر لهم اسم أحد الموتى يستعيزون من روحه بقولهم «أفاشولم» أي فلترقد روحه بسلام.

وهذا التابو هو الذي يمنح اليهود من ذكر الاسم السريّ لإلههم<sup>(٢٧)</sup> برغم أنهم بذلك يدرأون عن العالم وقوع كارثة تطيح به. وعندهم أن ذلك الإله قد خلق العالم بأن جعل فمه ينطلق باسمه

(٢٥) ونجد في بعض اللغات أن كلمة «اسم» و«نفس» (بفتح الفاء) و«نفس» (بتسكين الفاء) أو «روح» هي كلمة واحدة.

(٢٦) كان قداماء المصريين يطلقون على من يولد لهم اسمين اسماً يعرف به بين الناس وآخر يظل مستورا عنهم. وقد جرى غلاة المتدينين في انكلترا واسكتلندا على ألا ينطقوا بكلمة «شيطان» نطقاً سليماً حين تعرض لهم وهم يتلون الكتاب المقدس، خشية أن يتراعى لهم الشيطان، بل يصحفوها فينطقوها Devil بدلاً من Devil.

(٢٧) يكاد التابو الذي يحرم النطق باسم الله يكون قد عم الأديان البدائية كافة، فاسم «براهما» مقدس عند الهنود واسم «ردرا» Rudra (أي العاوي أو المولود) مقدس عند الودا. وقد ذكر سيشرون أنه كانت هناك فرقة من أهل مصر تعد ذكر اسم أحد الآلهة المصريين جريرة من الجرائر. وما من أحد يعرف الاسم الحقيقي لكل من أمون وأنون، فقد كان كبار الكهنة هم وحدهم الذين يؤتمنون على الأسماء المقدسة والأسماء السرية للآلهة، فإذا ما اقتضاهم الأمر أن يلفظوا بتلك الأسماء فعلوا ذلك بصوت مخفوض على تيب وخشوع، وكذلك كانت الحال فيما يتصل بأسماء الملوك والأشخاص المقدسين.

وقد ظل الكثير من اليابانيين إلى عهد غير بعيد يجهلون اسم امبراطورهم، وحدث أن اكتشف أحد ضباطهم أن الاسم الذي أطلقه على ابنه هو اسم الميكادو فاعتزل عمله وانتحر تكفيراً عن انتهاكه حرمة هذا التابو.

وهناك قصة طريفة تصور كيف انتزعت ايزيس الماكورة من رع إله الشمس اسمه السري، وهذه القصة تقول: كانت المرأة ايزيس تصبو إلى أن ترتقي إلى عالم الآلهة، فبنت عزمها على أن تعرف الاسم الكبير للإله «رع» كي تتوسل به إلى قضاء وطورها، ولم يكن يعرف هذا الاسم سواه. وكان ذلك الإله قد طعن في السن فكان فمه يتحلب فينحدر ريقه على الثرى، فجمعت ايزيس قدراً من لعابه وعجنته وجبلت منه حبة أطلقتها تسمى في الطريق التي يسلكها الإله الكبير في مسيره بين شطري مملكته المزدوجة. ولدغته الحية فزرع من شدة الألم، وسرى السم في جسده فتولته رعدة وأخذت أسنانه تصطك. فأقبلت إليه ايزيس وسألته أن يطلعها على اسمه لتدعوه به فيعيش، واستجاب لها من بعد إلحاح فأخذه من أثر السم، بيد أنه لم يملك بعد أن غلب على اسمه إلا أن يتوارى عن سائر الآلهة وشغل مكانه في سفينة الأبدية.

وعند بعض الفرق الاسلامية أن لله غير أسائه الحسنى سبحانه وتعالى ما يطلق عليه «الاسم الأعظم» وبه يدهى تضرعا وخفية، فيقال «بحق الاسم الأعظم».



فإذا العالم قد وجد بعد أن لم يكن. ويعتقد المسيحيون أن العالم قد خلق بما لبعض الكلمات من قوة سحرية. « في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله ». (يوحنا ١: ١).

ويشتمل الكتاب المقدس على أسماء ذات قوة سحرية فمن عرف خواص تركيب الحروف استطاع تسخيرها في الاتيان بالعجائب والتسلط على قوى الشر غير المرئية. وقد أصبح العرافون والكهنة والسحرة، لمعرفة التركيب السري للأسماء الإلهية، على صلة بالسماء تسنى لهم ربط القوى السماوية بما يقع لبني الانسان من أحداث.

وفي الكتاب المقدس شواهد كثيرة على ما لاسم الله من قوة سحرية. « فيجعلون اسمي على بني اسرائيل وأنا أباركهم »<sup>(٢٨)</sup>.

ومن المتواتر عند اليهود أنه حدث في القرون الوسطى أن بدا لخاصام من القبلين Sefer Yezirah وهم فرقة صوفية النزعة، أن يرفع المظالم عن بني جنسه ويقتصص لهم مما أنزله بهم أعداؤهم، فخلق من الطين « جولم Golem وهو صنم ضخم الجرم موثق<sup>(٢٥)</sup> التجاليد<sup>(٢٠)</sup> غير أنه لا قبل له بالكلام، ونقش على جبهته اسم الله فدبت فيه الحياة ونشط يدمر ما أمامه ويحتاج ما في طريقه فنظر الخاصام من ذلك وبدر الى محو الاسم من فوق جبهة الصنم فإذا الصنم قد انهار تراباً.

ولأسماء الملائكة قوة سحرية. جاء في المعلمة (أي دائرة المعارف) اليهودية أن هانيل عم ارميا استحضر الملائكة عندما حاصر بختنصر بيت المقدس، واستعدها على البابليين فمدت له يد المعونة وأوقعت في قلوبهم الرعب فولوا فراراً، كما انه استخدم الاسم الذي لا يحى ورفع بذلك بيت المقدس في اجواز<sup>(٢١)</sup> الفضاء ليجعلها بمنجاة من أذى الأعداء، بيد أن يهوه كان قد اقتضت مشيئته أن يدع المدينة تسقط في أيديهم، ولهذا أعادها إدراجها وبدل الملائكة فاستعصى على هانيل إحصارهم إليه مرة أخرى.

وتستخدم أسماء بعض شخوص الكتاب المقدس في الوصول إلى نتائج سحرية: دانيال للسلامة من الحيوانات الضارية وموسى لاتقاء النيران<sup>(٢٢)</sup> ويوسف لدرء الاحتلام وللعصمة من الغواية، وهلم جرا.

(٢٨) وهندنا أيضاً، إذا تعثر طفل في مشبه أو اصابه مكروه ما تقول له أمه « اسم الله عليك ».

(٢٩) وثق الشيء: قوي وثبت وكان محكما.

(٣٠) تجاليد الانسان: جماعة جسمه وبدنه.

(٣١) جوز الشيء: وسطه ومعظمه، يقال قطعوا جوز الفلاة وأجواز الفلا.

(٣٢) مما يذكرنا بقولهم: « وظهر له ملاك الرب بلبيب نار من وسط عليقة. فنظر وإذا العليقة تتولد بالنار

والعليقة لم تكن تحترق ». (خروج ٣: ٢-٣).

وتم آيات تتلى لأغراض خاصة، فهم يتلون لتلطيف أوجاع الولادة: « وافقد الرب سارة كما قال. وفعل الرب لسارة كما تكلم. فحبلت وولدت لابراهيم ابناً في شيخوخته في الوقت الذي تكلم الله عنه ». (تكوين ٢١: ١-٢).

ويتلون لاتقاء شره الكلب العقور: « ولكن جميع بني اسرائيل لا يستن<sup>(٣٣)</sup> كلب لسانه إليهم لا الى الناس ولا الى البهائم لكي تعلموا أن الرب يميز بين المصريين<sup>(٣٤)</sup> واسرائيل ». (خروج ١١: ٧).

٩ - هذا وقد يمس المرء غيره بمخطر مبهم غامض دون أن يتوسل الى ذلك بتمثاله أو باسمه أو بشيء من مخلقاته وذلك يشتهي احراز شيء من ممتلكاته أو من الاتصاف بشيء مما يتحلى به من المزايا، فان الحسد ينفي عن المحسود ما يكتنفه من خيرات فلا يلبث أن ينضب ماله وتنفق ماشيته وكأنما غصبه حاسده ما كان في حوزته. وكم من رجل حسده حاسد فخرع<sup>(٣٥)</sup> بدنه و« ربطت » أعضاؤه التناسلية فاذا هو مخرس إزاء نداء الجنس لا قبل له باشباع رغبة أو خلية. وموجز القول أن الحسد لا يعدو أن يكون ضرباً من السحر آلتة العين الخبيثة.

ولا ضير في أن يحسد العبري امراءاً من « الاميين » فقد أباح يهوه لشعبه المختار أرواح أهل الأمم الأخرى، وجعل أموالهم غنيمة للاسرائيليين في الحرب والسلم على السواء<sup>(٣٦)</sup>. وأجاز للاسرائيلى أن يقرضهم المال بالربا الفاحش. « للأجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا ». (تثنية ٢٣: ٢٠).

وأن يطعمهم جيف الحيوانات النافقة. « لا تأكلوا جثة ما. تعطيتها للغريب الذي في أبوابك فيأكلها أو يبيعه لأجنبي ». (تثنية ١٤: ٢١).

أما في داخل نطاق بني اسرائيل فقد حرمت هذه الموبقات<sup>(٣٧)</sup> تحريماً قاطعاً، وحظر على اليهودي أن يحسد قريبه أي ابن قبيلته وأخاه في العقيدة الدينية، لأن فشو هذه الآفة في أسباط<sup>(٣٨)</sup> اليهود يعرضها لخطر هو خفي ولكنه مقيم يرفرف على أعضائها جميعاً، ولهذا جعل

---

(٣٣) استن الرجل: استاك أي تدلك بالسواك، وهو فعل لازم لا ينصب مفعولاً. يقابل هذا الفعل في الترجمة الإنجليزية كلمة Move أي يحرك. والترجمة الصحيحة للجملة هي: أما في وجه بني اسرائيل فلن يدلغ كلب لسانه.

(٣٤) وردت كلمة « مصر » و« المصريين » مئات المرات في « العهد القديم » فكلما قام يهودي بمنسك ديني أو تلا قبا من الذكر اليهودي الحكيم ألفى نفسه يسب مصر والمصريين.

(٣٥) خرع الرجل وتخرع: استرخى وضعف ولانت مفاصله.

(٣٦) « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل » (آل عمران ٧٥) أي لا تثريب علينا أن نظلم العرب وغيرهم ممن ليسوا منا.

(٣٧) أوبقه: أهلكه. الموبقات: الكبائر من المعاصي لأنهن مهلكات.

(٣٨) السبط من اليهود كالقبيلة من العرب.

اشتهاء ممتلكات هؤلاء الأقرباء انتهاكاً لتابو فمن فعل ذلك أوشك أن يلحق الأذى بجماعته، ومن ثم حق لها أن توقع به أو بل عقاب. «ويل للمفتكرين بالبطل<sup>(٣٩)</sup> والصانعين الشر على مضاجعهم. في نور الصباح يفعلونه لأنه في قدرة يدهم. فانهم يشتهون الحقول ويغتصبونها والبيوت ويأخذونها ويظلمون الرجل وبيته والانسان وميراثه. لذلك هكذا قال الرب. هأنذا افكر على هذه العشيرة بشر لا تزيلون منه أعناقكم ولا تسلكون بالتشامخ لأنه زمان رديء». (ميخا ٢: ١-٣).

وقد أبانت الوصية العاشرة تفصيلات الاشتهاه فيما يأتي: «لا تشته بيت قريبك. لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك<sup>(٤٠)</sup>». (خروج ٢٠: ١٧).

وكانت هناك ألفاظ خاصة يحرص اليهود على التفوه بها وحركات معلومة يلوحون بها استعادة لأنفسهم ولأقربائهم من شر الحاسدين وتحزرا من كيد الأرواح الشريرة التي توشك أن تدهمهم بما يورثهم وهن الجسم وضعف العقل ويفقدنهم الجمال وينبو بهم عن التوفيق في أعمالهم، فكانوا يدرأون عن أطفالهم شر الحسد بأن يضعوا في جيوبهم كسرة من الفطير غير الخمير وشيئاً يسيراً من الملح. وكانوا إذا طاب لأحدهم أن يعبر عن اعجابهم بامرئ، قدم لذلك بكلمة تبطل أثر الحسد، فيقول مثلاً: «كنهور» Kenanhore يا له من طفل جميل موفور العافية<sup>(٤١)</sup>. وان هذا ليزكرنا بمحادثة وقعت ذات مرة في إحدى المحاكم الأميركية، إذ سأل القاضي شاهداً يهودياً عن عمره فلم يحرج جواباً، ونبه أحدهم القاضي الى أن هنالك تابو يحرم على اليهودي احصاء ما عنده من أناس أو ماشية أو دواجن أو غيرها<sup>(٤٢)</sup> ويحظر عليه الاجابة عن الأسئلة التي

(٣٩) الترجمة الصحيحة هي: ويل للذي يدبرون الظلم والاجحاف.

(٤٠) وقد ذكرت هذه الوصية بعد ذلك مرة أخرى مع بعض الاختلاف في الصيغة. «لا تشته امرأة قريبك ولا تشته بيت قريبك ولا حقله ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا كل ما لقريبك». (تثنية ٥: ٢١). وهذه الصيغة أحدث عهداً بدليل استعمال الواو العاطفة وبدليل ذكر الحقل وهو ما يؤخذ منه أنها كتبت في مرحلة تالية لمرحلة البداوة.

(٤١) ويقول العامة من أهل مصر في مثل هذا المقام «صل على النبي».

(٤٢). وهذا التابو هو الذي انتهكه الملك داود إذ أحصى فتيان مملكته.

وقد بينت التوراة طريقة الخلاص من العقاب على انتهاك هذه الوصية وهي أن يؤدي كل من المعدودين إلى الكهنة نصف شافل من الفضة وهو يعادل ثلث دولار أميركي مع ملاحظة ما كان للفقوة في ذلك العصر من قيمة شرائية عظيمة. «يعطون كل واحد فدية نفسه للرب عندما تعدمهم لثلا يصير فيهم وبأ عندما تعدمهم. هذا ما يعطيه كل من اجتاز الى المعدودين نصف الشافل بشافل القدس». (خروج ٣٠: ١٢-١٣).

تصل بذلك ما لم يكن السؤال مسبقاً بكلمة مأثورة معينة فأعاد القاضي السؤال مسبقاً بتلك الكلمة فقال أمبشرين Umbeshrien كم أتى لك من العمر؟ فباح اليهودي بسنه .

١٠ - اذا سرق امرؤ أحد موطنيه<sup>(٤٣)</sup> ولم يمسك بجريته، وصب المسروق - بنفسه أو بواسطة كاهن - لعنته على السارق وهو لا يعرفه، حلت اللعنة به ونالت منه، وقد نجم عن ذلك أنه اذا سرق امرؤ شيئاً ثم عرض له عارض من مرض توهم أن ذلك ألم به من جراء اصابته، فلا يملك إلا الاقرار بجرمه ورد المتاع المسروق الى صاحبه أو تعويضه منه حتى لا تظلل اللعنة آخذة بمخنقه<sup>(٤٤)</sup>، ومن هنا جاءت الوصية الثامنة تحرم السرقة .

١١ - وعندهم أن دم الانسان أو الحيوان هو حياته، أو - على الأقل - أن روحه تكمن في دمه، ومن هنا نشأ تحريم أكل الدم عند اليهود. « لكن احترز أن لا تأكل الدم لأن الدم هو النفس فلا تأكل النفس مع اللحم<sup>(٤٥)</sup> . (تثنية ١٢: ٢٣) .

لقد اختص يهوه نفسه بالدم كله فهو على الانام حرام « فتذبح الكبش وتأخذ دمه وترشه على المذبح من كل ناحية » . (خروج ٢٩: ١٦) .

ويذبح العجل أمام الرب ويقرب بنو هرون الكهنة الدم ويرشون الدم مستديراً على المذبح لدى باب خيمة الاجتماع » . (لاويون ١: ٥)

« فذبحه وأخذ موسى الدم وجعل على قرون المذبح مستديراً باصبعه وطهر المذبح ثم صب الدم الى أسفل المذبح وقدهه تكفيراً عنه » . (لاويون ٨: ١٥) .

أما نصيب الانسان من الذبائح فهو اللحم. « وقال شاول تفرقوا بين الشعب وقولوا لهم أن يقدموا الى كل واحد ثوره وكل واحد شاته واذبحوا ههنا وكلوا ولا تخطئوا الى الرب بأكلكم مع الدم » . (١ صموئيل ١٤: ٣٤) .

واليهود المتزمتون<sup>(٤٦)</sup> لا يمتنعون من أكل الدم الخالص<sup>(٤٧)</sup> فحسب، بل انهم يتورعون كذلك

---

ومن المعلوم أن الكهانة قد حبست على أولاد الكاهن الأكبر هرون أخي موسى وحفدته، فهم الذين تنتهي الى خزائهم حصيلة هذه الفريضة .

والأصل في التابو الذي بنيت عليه الوصية العاشرة هو التوقي من الحسد .

(٤٣) أوطن بالمكان: أقام به فهو موطن. وأما المواطن فهو الموافق، يقال واطنه على الأمر: وافقه عليه .

(٤٤) ولطالما سمعنا من يتهم بالسرقة بين ظهرانينا يبري نفسه باستئزال اللعنة على نفسه قائلاً ان كنت يا رب

قد سرقت كذا فافعل بي (أو بأولادي) كيت وكيت .

(٤٥) هذا مثل من سوء الترجمة، والترجمة الصحيحة هي: ولكن تحفظ من أن تأكل الدم، لأن الدم هو الحياة ولا

ينبغي لك أن تأكل الحياة مع اللحم .

(٤٦) زمت الرجل: وقر ورزف وقل كلامه. تزمت: توقر وتشدد في دينه أو رأيه (مولدة) .

(٤٧) يأكل الاوروبيون أصنافاً من (السجق) محشواً بالدم المجفف المطيب بالتوابل .

عن أكل اللحم ما لم يستصف تماماً من الدم، وذلك بنقعه في الماء وتمليحه ثم تجفيفه ونزع الأوعية الدموية منه مع تلاوة دعاء خاص عند ذبح الحيوان تكفيراً عن سفك دمه.

وإذا سفك امرؤ دم آخر خرجت روح القتيل من جثمانه مع الدم ولم تنفك تجار بالشكوى. « صوت دم أخيك صارخ الي من الأرض ». (تكوين ٤: ١٠).

وكان العرب يزعمون ان القتيل المطلول الدم أي الذي لم يقتص له يظهر عند قبره طائر ليلي صغير يقال له الهامة وقد يسمى الصدى، ولا ينفك يصرخ قائلاً اسقوني حتى يؤخذ بثأره. ومن ذلك قول ذي الأصعب العدواني:

يا عمرو الا تدع شمتي ومنقصتي أضربك حيث تقول الهامة اسقوني

ومن هنا نشأ تحريم سفك الدم ووجوب تطهر الجنود بعد القتال من اهراق دم العدو ومن لمسه حتى لا ينقلوا ذلك الدم الى عشيرتهم فتنقل معه أرواح القتلى من الأعداء فيتاح لها الاقتصاص من قتلة أصحابها، ومصداق ذلك قول موسى لجنوده وقد عادوا بعدما أعملوا السيف في رقاب أهل مدين. « وأما أنتم فانزلوا خارج المحلة سبعة أيام، وتطهروا كل من قتل نفساً وكل من مس قتيلاً في اليوم الثالث وفي السابع أنتم وسبيكم وكل متاع من جلد، وكل مصنوع من شعر معز وكل متاع من خشب تطهرونه ». (عدد ٣١: ١٩-٢٠).

وهم يستشعرون التنجس من سيلان الافرازات المنوية عند مباشرة القربان<sup>(٤٨)</sup> كما يستشعرون التنجس من سيل الدم عند القتل، ومن ثم وجب التطهر من هذا كما وجب التطهر من ذاك. « اذا حدث من رجل اضطجاع زرع يرحض كل جسده بماء ويكون نجساً الى المساء. وكل ثوب وكل جلد يكون عليه اضطجاع زرع يغسل بماء ويكون نجساً الى المساء ». (لاويون ١٥: ١٦-١٧). وقد فرض عليهم أن يتطهروا بعد الاحتلام أيضاً « اذا خرجت في جيش على أعدائك فاحترز من كل شيء رديء. ان كان فيك رجل غير طاهر من عارض الليل يخرج الى خارج المحلة. لا يدخل الى داخل المحلة. ونحو اقبال المساء يغتسل بماء وعند غروب الشمس يدخل الى داخل المحلة ». (تثنية ٢٣: ٩-١١).

(٤٨) ولهذا ملك الملح على قابين (قاييل) ليه بعدما سفك دم أخيه هابيل، وأصبح يحس أنه مطلوب بدمه. « وأكون نائهاً وهارباً في الأرض فيكون كل من وجدني يقتلني ». (تكوين ١٤). وقد تذكر اخوة يوسف جنابتهم عليه وتذاكروها حين اتهمهم يوسف، ولما يعرفوه على حقيقته بأنهم قدموا مصر لكي يتنجسوا أخبارها. « فاجابهم رأوبين قائلاً: ألم أكلمكم قائللاً لا تأثموا بالولد وأنتم لم تسمعوا. فهوذا دمه يطلب ». (تكوين ٤٢: ٢٢).

(٤٩) قرب الشيء: دنا منه و- باشره. قرب الرجل زوجته: جامعها. قال تعالى ﴿ولا تقر بهن حتى يظهرن﴾.

وعندهم انه اذا باضع<sup>(٥٠)</sup> الرجل زوجته في أثناء نشوب الحرب زايسته المقدرة على أن يصرع عدوه، فاذا أصيب هو مجرح أودي الجرح بجياته. ولهذا أبى أوريا الحثي أن يمثل لما رسمه<sup>(٥١)</sup> له الملك داود من الرجوع الى بيته ليغشي امرأته «بتشبع» «فقال داود لأوريا اما جئت من السفر، فلماذا لم تنزل الى بيتك، فقال أوريا لداود أن التابو واسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوآب<sup>(٥٢)</sup> وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء وأنا آتي إلى بيتي لأأكل وأشرب واضطجع مع امرأتي<sup>(٥٣)</sup>». (٢ صموئيل ١١: ١٠-١١).

وتم صلة عاطفية بين الزوجة وزوجها كتلك التي بين البقرة وما تدره من اللبن، فإذا اقدمت المرأة على الزنا ركب ذلك زوجها بالأذى، ولهذا أصبح الزنا «تابو» سجلته الوصية السابعة في قولها: «لا تزني». (خروج ٢٠: ١٤).

هذه الوصية لم تصدر عن احساس خلقي ولا هي تمت الى القيم الخلقية المعروفة في هذا العصر، فان قواعد الأخلاق Ethics لم تكن قد ارتقت في الزمن الذي كتبت فيه الوصايا العشر الى مستوى يعد فيه الزنا عملاً ينطوي على سوء الخلق، وانما كان النهي عن الزنا مجرد وصية تسجل تابو. وقد يكفي للدلالة على ذلك أن الكتاب المقدس ردد كلمة «الزنا» ومشتقاتها ما يربى على خمسمئة مرة على حين أن كلمة «الخلق» Moral لم يرد لها ذكر فيه البتة.

---

(٥٠) باضع الزوجة: باشرها.

(٥١) رسم له كذا: أمره به.

(٥٢) القائد المظفر يوآب هو الذي بطش بأبشالوم عندما شق هذا عصا الطاعة على أبيه ومليكه داود ونادى بنفسه ملكاً بدلاً منه، وهو الذي أنفذ في أوريا الحثي أمر الملك داود باغتياله. وعندما حضر الموت داود دعا إليه سليمان وأوصاه ألا يرحم أحداً من أعدائه وبأن يقتل يوآب، وسرعان ما استجاب سليمان للوصية.

(٥٣) وانما طلب إليه داود أن يدخل على امرأته حتى لا يستبين له ولغيره فيما بعد أنها حلت سفاحاً وهو في ميدان القتال. فلما أبى الزوج الامتنال لرغبة الملك صونا لحرمة التابو أمر جلالته قائده يوآب بقتل الزوج المثلوم العرض غيلة. وما عم داود أن ضم الأرملة الحسنة، إلى حريمه فولدت له سليمان.

## الوصايا العشر

ينوه الكهنة بالوصايا العشر ويحفونها بهالة من القدسية زاعمين أنها أول شريعة أخرجت للناس وأنها أس الفضائل، وهو زعم لا ينهض على أساس من العلم ولا يدعمه سند من التاريخ، فقد سبق المصريون العبريين في سن التشريعات ورعاية الآداب وكذلك سبقتهم شعوب قديمة أخرى.

وقد أسفر التحليل العلمي لهذه الوصايا عن:

١ - انها خاصة بمن يسمونهم شعب الله المختار وحدهم، وهذا واضح من مقدمتها: «أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية». (خروج ٢٠: ٢).

٢ - انها تفتقر الى الوضوح والتحديد، فالوصية السادسة - مثلاً - «لا تقتل» لا تبين لنا هل هي تحرم قتل الانسان وحده أو قتل الحيوان أيضاً؟ وهل هذا التحريم يشمل القتل دفاعاً عن النفس من شرة انسان أو ضراوة حيوان؟ وهل هي تحرم قتل الحيوان للاغتذاء بلحمه؟ وهل هي تحرم على الجلاد انفاذ حكم القتل في المحكوم عليهم به؟

والوصية الثامنة «لا تسرق» ليس من الواضح هل هي خاصة بسرقة الممتلكات المادية وحدها أو هي تنطبق كذلك على من يسرق من أحد أصدقائه خطيبته وعلى من يستولي على دراجة غيره ليتنزه بها ساعة ثم يعيدها مكانها؟ وهل هي تنطبق على تزوير الصكوك وتزييف النقود وهما أمران لم يكن للناس بها عهد في العصر الجاهلي إبان ظهور التوراة؟

٣ - انها تناقض أمور أخرى أوصى بها «العهد القديم». فمن ذلك أنها تنهي عن القتل على حين أن موسى أمر بالقتل الجماعي دون رحمة وبلا تمييز بين الرجال والنساء والأطفال. فقد حدث أنه أرسل جيشه لآبادة شعب مدين، فأعمل الجيش سيوفه في رقاب الرجال ثم أشعل النيران في مساكنهم فذهبت ربوعهم وقراهم طعمة للحريق، وأقفل الجيش راجعاً يدق طبول النصر معتزلاً بما جلب من السبايا وما غنم من الماشية وما نهب من المتاع، وعلل قواده أنفسهم بما

سيلقاها به موسى من الحفاوة والبشر، فإذا بكلم الله قد تمر وجهه وصب عليهم جام<sup>(١)</sup> غضبه معرباً عن فرط سخطه لأنهم استحيوا النساء والأطفال وما كان ينبغي لهم، وأمرهم بأن يبادروا فيستأصلوا شافة الأسرى جميعاً لا يستبقون منهم إلا العذارى. « فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال، وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلواها ». (عدد ٣١: ١٧).

ومن ذلك أيضاً أنها تنهى عن السرقة على حين أن موسى حرض بني اسرائيل على أن يسرقوا المصريين قبل أن يبرحوا بلادهم. « فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين ». (خروج ٤٣: ٢١-٢٢).

٤ - ولم يكن المقصود بها هو الحث على الفضيلة والنهي عن الرذيلة على حسب المعنى المفهوم في هذه الأيام، بل كان للتحذير من بعض أمور يعتقد أنها تولد أخطاراً جسيمة وتعقب نتائج وخيمة لا يقتصر اذاها على الذين ظلموا منهم خاصة بل يعم الجماعة كلها إذ هي متضامنة في السراء والضراء<sup>(٢)</sup>.

لهذا جاءت أغلب الوصايا العشر في صيغة النفي، فهي لا تقول: كن سالماً، كن نزيهاً، كن عفيفاً، بل تقول: لا تقتل. لا تسرق. لا تزني. لا تشهد على قريبك شهادة زور<sup>(٣)</sup>.

ويتضح مما تقدم أن هذه الوصايا بنيت على أوهام العبريين القدماء ووساوسهم المؤسسة على المذهب الخيوي والسحر العاطفي وان غايتها القسوى هي توكيد سريان بعض التابوات التي فرضت عليهم منذ أقدم عصور جاهليتهم وتجنبيهم عقبي اللعنات الفتاكة التي هي قميئة أن تعصف بهم اذا انتهكت تلك التابوات.

---

(١) الجام: اناء للشراب والطعام من فضة أو نحوها، وهي مؤنثة وقد غلب استعمالها في قذح الشراب.

(٢) ولهذا عوقب الشعب المصري جميعاً وقتل أبقاره- فيما يزعمون - عن بكرة أبيهم لأن فرعون نفسه لم يؤمن برسالة موسى، وعوقب الشعب اليهودي بأن تحرم الموت من أبنائه سبعين ألف رجل حصدهم الوياء لأن الملك داود أحصى فتيان الشعب القادرين على حمل السلاح، وعوقب أهل الأرض طرا بالطوفان لأن قرية نوح أنكرت نبوته وسخرت بمزاعمه.

وما كان يحفظ على العبريين تضامنهم أنهم كانوا يمدون أهل الأمم الأخرى « تابو » لا يحق لهم المشاركة في شهود الشعائر الدينية اليهودية كالاقتراب من المسكن المقدس وأكل الخبز المقدس بين يدي الرب وحرق البخور أمامه.

(٣) وعند علماء التربية وعلم النفس أن تكرار النهي عن اتیان أمر ما يضعف المقدرة على مقاومة اغرائه بل هو يكاد يوحى بارتكابه.



## جهالة العبريين

وهذا الذي أثبتناه فيما يتصل بالوصايا العشر يصدق كذلك على «العهد القديم» كله، فهو سجل لايمان العبريين بالسحر بين عن قصور معارفهم، لا فيما استحدث بعدهم من المعلومات فحسب (كدوران الأرض ونظام كوبرنيكس وقوانين كبلر وجاذبية الثقل وعدم قابلية المادة لأن تستحدث وأن تفنى)، بل كذلك في الأمور التي كان يعرفها معاصروهم وأسلاف معاصريهم من الشعوب العريقة في الحضارة والمدنية. فقد كان الصينيون - مثلاً - يفقهون الشيء الكثير من سبح الاجرام السماوية في مسالكها وكانوا يحسبون أجال الكسوف والخسوف حتى لقد حاكموا في سنة ٢١٦٩ ق.م عالمان فلكيان يدعيان «هو» و«هي» لأنها غفلا عن تنبيه القوم مقدماً الى كسوف للشمس كان وشيك الوقوع.

لم يكن العبريون في زمن «العهد القديم» إلا ألقافاً من أشباه الانسان لا يحسنون غير السلب والنهب. وقد لبثوا الى نهاية دوليتهم الهزليتين وهدم بيت المقدس سنة ٧٠٠ م مرتطمين في حاة الجهالة. ومن اليسير علينا أن نستخلص من العهد القديم بياناً بطائفة من المعلومات لم ترق الى معرفتها أذهانهم، فكان جهلهم بها مبعث أخطاء جسام تفشت بذلك الكتاب. ويمكننا القول بوجه عام إن أولئك العبريين لم يكونوا قادرين على تصور الأبعاد الشاسعة سواء ما يتصل بالزمان والمكان. لقد كانوا على غير بصر بأن الكائنات الحية تعمر الأرض منذ مئات الملايين من السنين، ولهذا زعموا أن الكون خلق سنة ٤٠٠٤ ق.م، ولم يدبر في اخلادهم أن النجم المسمى بالشعري الهانية Sirius يكبر عن شمسنا في الجرم ٢٦٨٨ ضعفاً وأن النجم القطبي الذي يهتدي به الملاحون والسارون في الصحراء يبعد عنا ٢٩٢,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ميل وأن الضوء النافذ الذي يتأدى إلينا من بعض النجوم بسرعة ٨٥,٠٠٠ ميل في الثانية، يقطع ما بيننا وبينها في ٥,٠٠٠,٠٠٠ سنة، فالحياة في وهمهم غير موعلة في القدم، والأرض في ظنهم تشمل الشرق الأوسط وما يصاقبه<sup>(١)</sup> من الاصقاع ليس غير، والكون عندهم يتألف من شيئين متقابلين

(١) صاقبه: قاربه وواجهه، يقال جار مصالب.

متكافئين هما السموات والأرض. « في البدء خلق الله السموات والأرض ». (تكوين ١: ١).  
 وهم يرون الشقة بينها غير شاسعة، أما ما يسمونه « الجلد » ويسميه العرب « الرقيق » أي قبة  
 السماء فهو في حسابهم جسم صلب أشبه شيء بلوح من زجاج يعلو علينا مئات من الأمتار وهو  
 مرفوع على عمد. « أسس السماء ارتعدت وارتجفت لأنه غضب ». (٢ صموئيل ٢٢: ٨).  
 « أعمدة السماء ترتعد وترتاع من زجره ». (أيوب ٢٦: ١١).

وهذا الجسم الصلب مرصع من باطنه باجرام سماوية مضيئة على النحو الذي نرى به المصابيح  
 والثريات في السقوف والجدران.

وبما أن الشمس والقمر في حسابهم لا يزيدان في الحجم كثيراً على المقدار الذي يدوان به  
 فقد كان من الهين اليسير على نبي مثل يشوع بن نون أن يعثب بها. « حينئذ كلم يشوع الرب يوم  
 أسلم الأموريين أمام بني اسرائيل وقال أمام عيون اسرائيل. يا شمس دومي على جبعون ويا قمر  
 على وادي ايلون. فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه. ليس هذا مكتوباً  
 في سفر ياشع<sup>(٢)</sup> فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل<sup>(٣)</sup> ». (يشوع ١٠: ١٢-١٤).

لقد كان مؤلف هذا السفر جاهلاً بأصول الفلك كما كان جاهلاً بمشاعر الرحمة: كان يجهل  
 أن الأرض هي التي تدور حول الشمس، وأن ما يبدو وقوفاً للشمس والقمر لو صح أنه حدث  
 ما كان إلا وقوفاً للأرض عن الدوران حول محورها وهو أمر لو تحققت لأعقبت فجاءته حرارة  
 صاعقة، وهكذا يستهان بافساد نواميس الكون كما يتسنى لقبيلة من الهمج أن تنتصر على قبيلة  
 أخرى في ذلك اليوم نفسه بدلاً من ارجاء الانتصار الى اليوم التالي<sup>(٤)</sup>.

ولم يكن العبث بنواميس الكون يقف في مخيلة هؤلاء القوم عند حد، فقد طالعونا بمعجزة  
 أخرى أعقبت معجزة يشوع بثانية قرون وبزتها في روعتها، فقد ابتلى حزقيا بن آحاز ملك

(٢) لا وجود لهذا السفر في الوقت الراهن.

(٣) وقد حاول بعض المحدثين الغير على الدين أن يلفظوا من غرابة هذه الحادثة بالبحث لها عن عوامل وأسباب  
 طبيعية فإذا هم قد زادوها شذوذاً، فقد زعموا أن حركة الأرض لم ينلها الخلل والاضطراب ولكن أشعة الشمس  
 انكسرت واستطالت لأسباب تتصل بانعكاس الضوء فبدت يوماً كاملاً كأنها في كبد السماء. ولو حدث ذلك لبدا كان  
 الشمس قد ظلت تشرق ٣٦ ساعة متصلة هي ١٢ ساعة للنهار الأصلي و١٢ ساعة للنهار الظاهري الناجم عن انكسار  
 الأشعة و١٢ ساعة للنهار الحقيقي التالي، ولوجب على المتحاربين من الفريقين أن يظلوا يتصاولون ويتجادلون في  
 حومة الرغي ٣٦ ساعة متوالية.

(٤) وفي آداب الاغريق مثيل لذلك نجده في الفصل ٢٣ من الياذه هوميروس، فان الآلهة هيرا Here أزدادت أن تنفذ  
 « الاخائيين » من الهزيمة التي أوشتك أن تحيق بهم فأمرت الشمس بالمغيب.

يهوذا بالقروح فجأر إلى إله بالدعاء فاستجاب له يهوه. وأراد النبي الذي يعاصره، أشعيا بن أموص، أن يطمئن ذلك الملك بأنه سيراً من قروحه فأظهره على ما أوحى إليه. «قد سمعت صلاتك. قد رأيت دموعك. هأنذا أشفيك. في اليوم الثالث تصعد إلى بيت الرب: وأزيد على أيامك خمس عشرة سنة». (٢ ملوك ٢٠: ٥-٦).

ولم يقنع الملك بكلام النبي وطلب برهاناً على صحة نبوءته فاجترح النبي معجزته الباهرة، وفيها لم يكتف بوقف الأرض عن الدوران، بل تمادى فركسها فانقلبت تدور في الاتجاه العكسي<sup>(٥)</sup>.

كان العبريون يذهبون إلى أن الله يقيم فوق الجلد متوارياً في الظلام. «حينئذ تكلم سليمان. قال الرب إنه يسكن في الضباب<sup>(٦)</sup>». (١ ملوك ٨: ١٢).

«وجعل الظلمة ستره حول مظلمته ضباب المياه وظلام الغمام». (مزمور ١٨: ١١). وأنه كان ينزل بين الحين والحين من فوق الجلد إلى الأرض لبعض شأنه ثم يعود أدراجه. «فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنيونها». (تكوين ١١: ٥). وأنه كان يقيم معه فوق الجلد أبناؤه، أولئك الذين هبطوا الأرض فراقتم بنات الناس وخبئ ألبابهم فتزوجوا بعضهم ورزقوا منهم أولاداً يمتازون ببسطة الجسم ووفرة القوة وشدة النهم. «وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً. هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم». (تكوين ٦: ٤).

وأنه كانت تقيم معه الملائكة أيضاً وتنتقل جيئة وذهوباً بين الأرض والسماء، وذلك ما شاهده يعقوب في رؤيا له. «وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء. وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها وهو ذا الرب واقف عليها فقال أنا الرب». (تكوين ٢٨: ١٢-١٣).

«فاستيقظ يعقوب من نومه وقال حقاً ان الرب في هذا المكان وأنا لم أعلم. وخاف وقال ما أرهب هذا المكان. ما هذا البيت الله وهذا باب السماء». (تكوين ٢٨: ١٦-١٧). وأنه كان يقيم معه كذلك بعض المقربين إليه من البشر: منهم أخنوخ المعروف عند العرب باسم ادريس. «وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه». (تكوين ٥: ٢٤).

(٥) والطريف في الأمر أن تلك المعجزة حدثت بعد أن أبل الملك من علته، ولهذا ورد نبأ ذلك الإبلال في الآية السابعة من الاصحاح العشرين من سفر الملوك الثاني. «فقال أشعيا خذوا قرص تين، فأخذوها ووضعوها على الدبيل فبري». (٢ ملوك ٢٠: ٧).

على حين ورد نبأ المعجزة الباهرة بعد ذلك في الآية الحادية عشرة من ذلك الاصحاح. «فدها أشعيا التي الرب فارجح الظل بالدرجات التي نزل بها بدرجات آحاز عشر درجات إلى الورا». (٢ ملوك ٢٠: ١١). (٦) و صواب الترجمة هو: يسكن في الظلام الكثيف.

ومنهم ايليا التشبي، المعروف باسم الياس، وقد كان يسير ذات مرة هو وتابعه الشبع. « وفيما هما يسيران ويتكلمان اذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما. فصعد ايليا في العاصفة الى السماء<sup>(٧)</sup> ». (٢ ملوك ٢: ١١).

وأنى لأولئك العبريين الجهلاء أن يعلموا أنه لو صعد امرؤ بجسده في السماء لراه البرد فمات خصر<sup>(٨)</sup>، ولما يقطع من الطريق شوطاً طويلاً، وناهيك افتقاره الى التنفس والاعتداء. وفي وهمهم أن الأرض كانت أول أمرها لا شكل لها « وكانت الأرض خربة ». (تكوين ١: ٢).

وصواب الترجمة: وكانت الأرض بلا شكل أما كيف يكون جرم ما بغير شكل فأمر يدق على الافهام، بيد أن الأرض لم تبق طويلاً على هذا اللاشكل، فسرعان ما أصبحت ذات تربع « وبعد هذا رأيت أربعة ملائكة واقفين على أربعة زوايا الأرض<sup>(٩)</sup> ممسكين أربع رياح الأرض لكي لا تهب ريح على الأرض ولا على البحر ولا على شجرة ما ». (رؤيا يوحنا ٧: ١).

فهي إذن رقعة مفلطحة غير كروية وغير متحركة. وهي أيضاً - كالسما - مرفوعة على عمد « لأن للرب أعمدة الأرض وقد وضع عليها المسكونة ». (صموئيل ٢: ٨).

« المؤسس الأرض على قواعد فلا تتزعزع الى الدهر والأبد ». (مزمو ١٠٤: ٥).

وهي مركز الكون، وكل ما في الكون انما خلق من أجل الأرض وسخر لساكنيها، فالشمس تنير لهم نهراً والقمر يضيء لهم ليلاً والنجوم تهدي المدلجين<sup>(١٠)</sup> من البدو مصحرين<sup>(١١)</sup> والمقلعين<sup>(١٢)</sup> من النواتي مبحرين. أما النجوم فقد بلغ من هوان شأنها عند كتاب التوراة أنهم لم يفرودوا لذكرها في قصة الخلق غير كلمة واحدة. « فعمل الله النورين العظيمين. النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل والنجوم ». (تكوين ١: ١٦).

لقد جهل القوم كيف تكونت البحار وكانوا، فيما يبدو، يخالونها أسبق من اليابسة وجوداً.

(٧) وقد أضاف إليها المسيحيون ربهم يسوع « ثم أن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله ». (مرقس ١٦: ١٩).

ويضيف الكاثوليك إليهم السيدة مريم البتول (أي العذراء المنقطعة عن الزواج إلى الله) وقد منَّ الله عليها بأبناء وبنات كثيرين. « أليس هذا هو النجار ابن مريم وأخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان. أرو ليست اخواته ههنا عندنا. فكانوا يمتنون به ». (مرقس ٦: ٣).

(٨) خصر الرجل: آذاه البرد في أطرافه. الخصر: البرد.

(٩) ولهذا كان بعض الجغرافيين في العصور الوسطى يرسمون بسيط الأرض في خرائطهم على شكل مربع.

(١٠) أدلج القوم: ساروا من أول الليل، وقبل الادلاج سير الليل كله.

(١١) أصحر القوم: برزوا إلى الصحراء لا يوازيهم شيء، تقول رأيته مصحرين أي بارزين إلى الصحراء.

(١٢) أقلع الملاح السفينة: رفع شراعها ونشره لتسير. ولا يقال أقلعت السفينة اذا سارت لأن الفعل ليس لها.

ونحن نعلم الآن أن بخار الماء ظل يكتنف الكرة الأرضية دهرًا طويلًا فلما بردت قشرتها استحال البخار ماء وغشى الماء وجه الأرض. وحدثت بعد ذلك تكرشات في أديم الغبراء فارتفعت أجزاء منه فكانت الجبال وتجمع الماء في القيعان<sup>(١٣)</sup> بقوة الجاذبية فكانت البحار والمحيطات: ولكن كتاب الوحي الذين دونوا سفر التكوين كانوا يجهلون كل ما يتصل بجاذبية الثقل، فلم يجدوا بدا من الاستظهار بالقوة العظمى لحسر المياه التي تغمر البسيطة وجمعها في القيعان. « وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء الى مكان واحد ولتظهر اليابسة. وكان كذلك ». (تكوين ١ : ٩).

---

(١٣) القاع: أرض سهلة مطمئنة انفرجت عنها الجبال والأكام.

## الأساطير

كان من جراء هذا الجهل المطبق ان تقبل العبريون الأساطير التي كانت ذائعة بين الشعوب المجاورة وانتحلوا الكثير منها وبخاصة الأساطير البابلية<sup>(١)</sup> فقد كانت قبائل العبريين ضاربة أطنابها<sup>(٢)</sup> على تخوم الكلدان، وكلا الشعبين سامي<sup>(٣)</sup> الجنس حيوي (أنيمي) العقيدة يقبض على ناصيته<sup>(٤)</sup> شؤونه الدينية كهنة ينطقون بالوحي.

فما الأساطير؟

هي قصص ابتكرها البدائيون لتفسير ما يغم عليهم من ظواهر الطبيعة وأحداث الكون، وليس عجباً أن تكون تلك القصص بدالية كالأذهان التي تفتقت عنها. وقد ذاعت تلك الأساطير وشاعت على ترادف الأزمنة وتخالف الأمكنة. وهي تشابه تشابهاً وثيقاً على ما بين البلاد التي ذاعت فيها من بعد الشقة.

والأساطير ضروب شتى، فمنها:

١ - أساطير تكشف عن أصل الانسان وتبين كيف وفد الموت على العالم وتوضح كيف تعددت اللغات، كالأساطير التي حاكتها بعض الشعوب حول خلق الوجود في ستة أيام ومعصية آدم وبناء برج بابل.

(١) لاحظ الشبه بين قصة انقاذ الطفل موسى بوضعه في سلة طفت به فوق النيل وقصة انقاذ سرجون الأول Sargon الذي كان يحكم بابل قبل المسيح بخمسة عشر قرناً (أي قبيل زمن موسى) إذ وضع وهو طفل في سلة طفت به فوق مياه الفرات فأنقذه بعض الناس، ثم هامت به الآلهة عشاروت فتزوجته وملكنته على البلاد فكان أول ملك من الساميين ودام ملكه ٤ سنوات.

(٢) الطنّب (بضمّتين): جبل طويل يشد به سرادق البيت أو الوتد. والسرادق هو الفسطاط الذي يمد فوق صحن البيت و- الذي يجتمع فيه الناس لعرس أو ماتم وغيرها.

(٣) نسبة إلى سام بن نوح، ويرى بعض العلماء باللغات أن اسم سام مشتق من اسم اسماعيل.

(٤) الناصية: مقدم الرأس و- شعر مقدم الرأس إذا طال - ويقال اذل فلان ناصية فلان: أهانه وخط من قدره.

٢ - أساطير تتعلق بحدوث طبيعية وتفسر بعض الظواهر الطبيعية، كأسطورة اكتساح الطوفان للكرة الأرضية كلها مما يعللون به ما يعثرون عليه من الأصداف المتخلفة من الحيوانات الرخوة في أحجار الجبال البعيدة عن البحار .

٣ - أساطير تعلل ما استرعى الانتباه من أشياء غير مألوفة، كأسطورة مسخ امرأة لوط عمودا من الملح، مما يعللون به مصادفتهم بعض صخور تشبه الانسان في هيئته .

٤ - أساطير تتعلق بتاريخ شخص حقيقي كأسطورة القائلة بأن الناس كافة منحدرون من أرومة نوح .

٥ - أساطير تتعلق بتاريخ شخص حقيقي ( كالملك سليمان ) أو موهوم ( كالملك آرثر ، وفلهلم تل )<sup>(٥)</sup>، ومن ذلك أسطورة الصراع بين الله ويعقوب، وهي تعلل لنا لم استبدل يعقوب هذا باسمه فتسمى « اسرائيل » ولم أسمى البقعة التي اصطرعا فيها « فينيثيل » أي وجه الله .

٦ - أساطير تبين الأصل المنسي لبعض العادات والمناسك والاحتفالات، فأسطورة الصراع بين الله ويعقوب السالفة الذكر تجلو لنا لم يعزف اليهود عن أكل حق الفخذ، وأسطورة استير تبين لنا لم يحتفل اليهود بعيد البوريم، وكذلك أسطورة افتداء افجينيا بغزال<sup>(٦)</sup> تبين لنا مصدر المنسك الخاص بالتضحية في العيد مجيوان والاقلاع عما جرى عليه البدائيون في القرون الأولى من التضحية بأبنائهم على مذابح آلهتهم . ومما لا ريب فيه أن هذه الأساطير قد تبدلت معالمها بكثرة تداولها، وأن الشعوب والقبائل حشدت فيها من التغيي بمحامدها والتنويه بمآثرها ما يجعلها محببة الى نفوس أبنائها .

وقد كان أعضاء الأسر الكبيرة في الزمان الخالي ينصتون الى هذه الأساطير في رهبة وخشوع، فلما درس ذلك النظام ونشأت طائفة الأطباء السحرة وأصبحوا هم الذين يصرفون أمور قبائلهم استأثر هؤلاء برواية أساطير الآلهة، وكانوا يرضون بروايتها فلا يفعلون ذلك إلا في مناسبات خاصة . وقد رفع هذا الصمت الذي احاط بهامن شأنها وأسبغ عليها ثوباً من القدسية فأصبحت لا يتراعى إليها الشك ولا يباح فيها الفحص ولا يخاض فيها بالحجاج واللجاج . فأما الأساطير التي تحولت الى غوامض<sup>(٧)</sup> والتي هي أجل من ذلك خطراً فقد كانوا يحبسونها عن التداول ليلقنوها خلفاءهم، وهذا ما نلمسه عندما نقرأ كيف وضع الكتاب المقدس .

(٥) بطل استقلال سويسرا كما نرى في رواية الشاعر الألماني شيلر .

(٦) وكأنما على نوال واحد نسجت هذه القصة وقصة افتداء اسحق بكبش .

(٧) Mysteries وهذه الكلمة المستعملة في لغات حديثة شتى مشتقة من الكلمة الاغريقية Myo ومعناها اخفاض

العينين واطباق الشفتين .

## أنبياء بني اسرائيل

شاع احترام النبوة بين بني اسرائيل، وان « العهد القديم » ليطالعنا بصورة الـ « نبييم » تباين تلك التي تطوف بأذهان كثير منا، فهم - في الجملة - أشبه الخلق بمن نعرف من أولياء الله الذين يجوبون قرانا الريفية ويرتادون موالدنا الدينية، ولا عجب في ذلك فان كلمة « نبي » العبرية تعني هاذايا أو مخبولا .

كانت هذه المهنة تدر لمحترفيها اخلاف<sup>(١)</sup> الرزق، الى أنها كانت تصادف هوى في أفئدتهم، فقد كانوا بطبيعتهم أفاقين<sup>(٢)</sup> تطيب نفوسهم بالتجوال بين القرى والدساكر وتنشرح صدورهم إذ يقرعون الأسماع ويغلظون للجهاهير في القول ويرمون الناس بأبشع التهم وينزونهم بأفحش الألقاب .

وإننا لتتعرف الكثير من أحوال أولئك الأنبياء عندما نقرأ سيرة اخاب وولده يهورام من ملوك إسرائيل في القرن التاسع ق. م. كان اخاب ملكاً مظفراً، وبدا له فـ « اتخذ إيزابل ابنة ائبعل ملك الصيدونيين امرأة وسار وعبد البعل وسجد له . وأقام مذبحاً للبعل في بيت البعل الذي بناه في السامرة . وعمل أخاب سوارى وزاد أخاب في العمل لاغماظة الرب إله اسرائيل أكثر من جميع ملوك اسرائيل الذين كانوا قبله » . ( ١ ملوك ١٦ : ٣١ - ٣٢ ) .

فتصدى له النبي ايليا (الياس) وطلب إليه على جهة التحدي أن يحضر انبياءه الذين يطاوعونه على هواه وسدنة الآلهة المنافسين لهيهو إله اسرائيل . « فالآن أرسل واجمع الى كل اسرائيل الى جبل الكرمل وأنبياء السوارى أربع المئة الذين يأكلون على مائدة ايزابل » . ( ١ ملوك ١٨ : ١٩ ) .

فلما احتشد أنبياء الفريقين أتى ايليا بمعجزة بارعة كان ولا ريب قد احسن الاعداد لها، إذ

(١) الخلف (بالكسر) : حلمة ضرع الناقة . أدر الله لك أخلاف الرزق : أكثر الرزق عليك .

(٢) الافاق : الضارب في الافاق مكتسباً . الافاق . النواحي .



جاء بثور فذبحه وقطع لحمه وصففه على الحطب ثم تغمغم<sup>(٤)</sup> أمام القوم بوضع كلمات فما لبث الحطب ان اتقد على الملاً طوعاً للخطة الموضوعة، وأخذ أنبياء البعل بهذه الأعجوبة الاسرائيلية التي لم يكن لهم بمثلها سالف عهد. « فسقطت نار الرب وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ولحست المياه التي في القناة. فلما رأى جميع الشعب ذلك سقطوا على وجوههم وقالوا: الرب هو الله. الرب هو الله<sup>(٥)</sup>. فقال لهم ايليا امسكوا أنبياء البعل ولا يفلت منهم رجل، فامسكوهم فنزل بهم ايليا الى نهر قيشون وذبحهم هناك ». (١ ملوك ١٨: ٣٨: ٤٠).

وشخص يهوشافاط ملك يهوذا ذات يوم الى أخاب ملك اسرائيل يسأله العون في شن حرب على آرام (أي سورية) لينتزع منطقة راموت جلعاد، ووجد أخاب انه لم يكن ينبغي له أن يحسم الرأي في أمر جلل كهذا دون أن يستطلع رأي الرب. « فجمع ملك اسرائيل الأنبياء نحو أربع مئة وقال لهم أذهب الى راموت جلعاد للقتال أم أمتنع. فقالوا اصعد فيها فيدفعها السيد ليد الملك ». (١ ملوك ٢٢: ٦).

واحتس القوم للقتال. « وعمل صدقيا بن كنعنة لنفسه قرني حديد وقال هكذا قال الرب: بهذه تنطح الأراميين حتى يفنوا ». (١ ملوك ٢٢: ١١).

وكان ثم نبي مغضوب عليه يدعى ميخا بن يمله فاستدعاه الملك إليه وسأله في هذه المشكلة الخطيرة فأبدى التشاؤم على التقيض من انداده الأنبياء. « وقال فاسمع اذا كلام الرب. قد رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره. فقال الرب من يغوي أخاب فيصعد ويسقط في راموت جلعاد. فقال هذا هكذا وقال ذاك هكذا ثم اخرج الروح ووقف أمام الرب وقال أنا أغويه. وقال له الرب بماذا. فقال اخرج واكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه. فقال انك تغويه وتقتدر فاخرج وافعل هكذا. والآن هو ذا قد جعل الرب روح كذب في أفواه جميع أنبيائك هؤلاء والرب تكلم عليك بشر. فتقدم صدقيا بن كنعنة وضرب ميخا على الفك وقال من أين عبر روح الرب مني ليكلمك ». (١ ملوك ٢٢: ١٩-٢٤).

وضرب ملك اسرائيل بنبوءة النبي ميخا عرض الحائط وأقدم على المغامرة الحربية مطمئناً الى مزاعم جبهة أنبيائه فكانت عقباه الموت الزؤام<sup>(٥)</sup>، ومن الطبيعي ان استرسال الكثير من الأنبياء في التكهن بالأحداث المقبلة طالما افضى الى خيبة وضیعة سؤل وفوت أمل ولهذا عمد

(٣) تغمغم الرجل: لم يبين كلامه:

(٤) يعني أن الله الإله المحلي الذي يعبد به بنو اسرائيل هو خالق السماء والأرض.

(٥) زام: مات موتاً سريعاً. الزؤام من الموت: الكريه، وقيل ألمجهز أي السريع.

أصحاب الأسفار المتأخرة الى التحفظ والحيطه فقالوا. « فإذا ضل النبي وتكلم كلاماً فأنا الرب قد أضللت ذلك النبي وسأمد يدي عليه وأبيده من وسط شعبي اسرائيل ». (حزقيال ١٤ : ٩).

ونذكر على سبيل المثال أن الملك الاسرائيلي أخاب كان يأخذ جزية من ملك مؤاب، فلما مات أخاب أمسك ملك مؤاب عما كان يفعل فلم يؤد الجزية الى يهورام الذي خلف أباه على عرش اسرائيل، فاشخص يهورام ملك اسرائيل الى يهوشافاط ملك يهوذا يستنفره الى مؤازرته في قتال المؤابيين، فما ونى هذا ان خف إليه يؤيده وأصبحت الحرب وشيكة. وأراد يهورام قبل أن يرمي بنفسه في حومة الوغي أن يطمئن الى أن إله يهوه سيظاهاه في هذا العدوان فأرسل الى النبي الإشع<sup>(٦)</sup> يستنبهه ما يكون. « فقال الإشع لملك اسرائيل. ما لي ولك. اذهب الى أنبياء أبيك والى أنبياء أمك... لولا أراك. والآن يهوشافاط ملك يهوذا لما كنت انظر اليك ولا أراك. والآن فأتوني. بعواد ولما ضرب العواد كانت عليه يد الرب فقال: هكذا قال لرب ».

(٢ ملوك ٣ : ١٣ - ١٦).

وأفضى إليه برأيه.

ولم يمض على ذلك طويل وقت حتى تقدم<sup>(٧)</sup> الإشع الى أحد صبيانه بأن يخلع الملك يهورام ويبيد أسرته وينصب ملكاً آخر مكانه. « ودعا الإشع النبي واحدا من بني الأنبياء وقال له شد حقوك<sup>(٨)</sup> وخذ قنينة الدهن هذه بيدك واذهب الى راموت جلعاد. واذا وصلت الى هناك فانظر هناك ياهو بن يهوشافاط بن نمشي وادخل وأقمه من وسط أخوته وادخل به الى مخدع داخل مخدع. ثم خذ قنينة الدهن وصب على رأسه وقل هكذا قال الرب قد مسحك ملكاً على اسرائيل. ثم افتح الباب واهرب ولا تنتظر. فانطلق الغلام أي الغلام النبي الى راموت جلعاد ».

(٢ ملوك ٩ : ١ - ٤).

وامتثل ياهو، بعد مسحه بالدهن، امر الغلام النبي ويم شطر الملك يهورام. « فلما رأى يهورام ياهو قال أسلام يا ياهو. فقال أي سلام ما دام زنا أمك سحرها الكثير... وضرب يهورام بين ذراعيه فخرج السهم من قلبه فسقط في مركبته ». (٢ ملوك ٩ : ٢٢ - ٢٤).

(٦) كان تابعاً لابليليا. « وفيها هما سيران ويتكلمان اذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينها فصعد ايليا في العاصفة إلى السماء ». (٢ ملوك : ١١).

وله معجزة فريدة في بابها. « ثم صعد من هناك إلى بيت ايل، وفيها هو صاعد في الطريق اذا بصبيان صغار خرجوا من المدينة وسخروا منه وقالوا له أصعديا اقرع اصعديا اقرع. فالتفت الى ورائه ونظر إليهم ولعنهم باسم الرب. فخرجت دبتان من الوعر وافتستا منهم اثنين وأربعين ولداً ». (٢ ملوك ٢ : ٢٣ - ٢٤).

(٧) تقدم إلى فلان بكذا : أمره به أو طلبه منه.

(٨) الحقو : الخصر. تقول « شد ازاره على حقوه » أي على خصره. و - الازار، يقال « رمى بحقوه » أي بازاره.

« وكان لأخاب والد يهورام سبعون ابناً في السامرة. فكتب ياهو رسائل وأرسلها... فلما وصلت الرسالة إليهم أخذوا بني الملك وقتلوا سبعين رجلاً ووضعوا رؤوسهم في سلال... وقتل ياهو كل الذين بقوا لبنت أخاب في يزرعيل وكل عظمائه ومعارفه وكهنته حتى لم يتبق له شاردآء. (٢ ملوك ١٠: ١-١١).

ويؤخذ مما تقدم:

١ - ان أناسا كثيرين أقبلوا على احترام مهنة النبوة لما لها من مزايا جمة فكثرت عدد الأنبياء كثرة لا تناسب قلة عدد السكان في البلاد.

٢ - وكان لبعض أولئك الأنبياء من قوة الشوكة ما يجوهم بسلطان يعلو على سلطان الملوك على النحو الذي بلونه في القرون الوسطى من المتربعين على كرسي البابوية إذ كانوا يورثون الفتن ويشعلون الحروب ويخلعون الملوك وينصبون غيرهم.

٣ - وكان بعض أولئك الأنبياء كلما رغبوا في تلقي الوحي هيأوا أنفسهم لذلك بتحريك رؤوسهم حركة راتبة على الايقاع الموسيقي كفعل الدراويش في حلقات الأذكار، وصنيع الوسطاء الروحانيين في بعض الأحيان.

٤ - وقد ظهر الأنبياء أيضاً في الدويلات المتاخمة لاسرائيل ويهوذا، إذ كانت تسودها أحوال وملابس كالتي مهدت لظهور تلك الطائفة في تينك المملكتين، ولم يكن ثم من فرق سوى أن اليهود المنتزحين عن الفيافي والقفار كانوا يدعون الى عبادة الإله الجبلي المحارب يهوه على حين أن سكان تلك الدويلات وجلهم من المزارعين الودعاء كانوا يدعون الى عبادة البعل، وهو إله متحضر مسالم وقد ذاع صيت نبي بني موآب الوثنيين أعدى أعداء اليهود، ذلك المدعو بلعام بن بعور المعروف باسم لقمان الحكيم (بلع = لقم) وقد اشتهر بالحوار الطريف الذي دار بينه وبين حاره. (العدد ٢٢).

٥ - وثم قصة عجيبة تبين لنا كيف كان الوحي يتنزل على الناس في ذلك الزمان.

فقد ظل بنو اسرائيل بعد موسى ما ينيف على أربعة قرون يحكمهم من يلقبون بالقضاة، وضاقوا آخر الأمر بهذا الحكم وازداد برمهم به في أعقاب عهد الرائي (أي النبي) صموئيل. « وكان لما شاخ صموئيل انه جعل بنيه قضاة لاسرائيل... ولم يسلك ابنه في طريقه بل مالا وراء المكسب وأخذ رشوة وعوجا القضاء. (١ صموئيل ٨: ١-٢).

واستشرى الفساد فاستغلظ التذمر وتنادى القوم بأن يملكوا عليهم ملكاً فأنكر صموئيل ذلك عليهم قائلاً إنه لا ملك إلا يهوه. « قلتم لي بل يملك علينا ملك. والرب إلهكم ملككم. (١ صموئيل ١٢: ١٢).

ويترتب على هذه السفسطة ان يكون صموئيل هو الذي يفصح عن مشيئة الرب وبها الرب إلا صموئيل وفي سنة ١٠٢٥ ق.م هتف الشعب بشاول ملكاً عليه، فلم يغفر صموئيل لشاول انه غصب منه صولجان الحكم، وزاده سخطاً على شاول أن هذا الملك عد نفسه مديناً بسلطانه للشعب وانه لم يمض الى آخر الشوط في تلبية ما للكهان من رغائب وانفاذ ما لهم من مطالب ولهذا عدوه مارقا من الدين وأبلغوه أن الرب غير رأيه فيه وأصبح شائنا له لا يريد به يسرا. « وكان كلام الرب الى صموئيل قائلاً. ندمت على اني قد جعلت شاول ملكاً لأنه رجع من ورائي ولم يقم لكلامي ». (١ صموئيل ١٥: ١-١١).

واختار صموئيل داود ليحل محل مسيح الله شاول بعد التخلص منه، ومسحه بالدهن ليوليه ملكاً على اسرائيل. « فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط اخوته وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً ». (١ صموئيل ١٦: ١٣).

وجعل صموئيل يسخر داود في الكيد لشاول، وقلب المرشح<sup>(٩)</sup> للملك والنبوة ظهر المجن للمليكة العتيد<sup>(١٠)</sup>، واحس شاول بما بيته له داود من مكاييد فأرسل الجند لاعتقاله، ولكن صموئيل اظله بمجايته. لقد نشب الخلاف بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية، وآثر الجند جانب النبي على جانب الملك فشملمهم شيخ الأنبياء بعطفه وأدخلهم في زمرة المنتبين. « فأرسل شاول رسلا لأخذ داود. ولما رأوا جماعة الأنبياء يتنبأون وصموئيل واقفا رئيسا عليهم كان روح الله على رسل شاول فتنبأوا هم أيضاً. وأخبروا شاول فأرسل رسلا آخرين فتنبأوا هم أيضاً. ثم عاد شاول فأرسل ثلاثة فتنبأوا هم أيضاً ». (١ صموئيل ١٩: ٢٠-٢٦).

كان قدامى الاسرائيليين يتلظون بنار الحسد من البلدان المتاخمة ذات الحضارة المتقدمة لوفرة ما ترتع فيه من خصب وما يفاض عليها من رخاء، وكان الأنبياء اليهود - بوجه عام - ينفظون ضغنا وسخيمة، فهم يتوجهون الى إلههم بمثل هذا الدعاء على بابل. « طوبى لمن يمك أطفالك ويضرب بهم الصخرة ». (مزمور ١٣٧: ٩).

انهم ينشدون الآن هذا في كنائسهم على أنغام الأرغن. وقد نشط أولئك الأنبياء المتعصبون ينثرون التكهنت التي يتوقعون فيها أن تحل النكبات بالبلدان المصابقة لهم، وبديه أن تلك التكهنت لم تكن أكثر من تعبيرات شعرية عن آمال بني اسرائيل القومية في استعباد الأمم المجاورة ونهب بلادهم واخراهاها. « لأن الأمة والمملكة التي لا تخدملك تبيد. وخرابا تخرب الأمم ». (أشعيا ٦٠: ١٢).

(٩) رشع الصبي: رياه، ومنه قولهم « هو يرشح لولاية العهد » أي يري ويؤهل لها.  
(١٠) العتيد: الحاضر المهيا.

لقد تكهن النبي حزقيال بخراب مدينة صور، وبما أن اليهود كانوا أهون من أن ينجزوا ذلك فقد تكهن ذلك النبي بأن خرابها سيتم على يد ملك أجنبي قوي الشوكة هو ملك بابل، وقد أسهب في تكهنه هذا حتى استغرقت تفصيلاته ثلاثة اصحاحات بتمامها، فمن ذلك قوله: «لأنه هكذا قال السيد هانذا اجلب على صور نبوخذ نصر ملك بابل من الشمال ملك الملوك بجيـل وبمركبات وبفرسان وجماعة وشعب كثير. فيقتل بناتك في الحقل بالسيف... بجوافر خيله يدوس كل شوارعك. يقتل شعبك بالسيف فتسقط الى الأرض انصاب عرك. وينهبون ثروتك ويغنمون تجارتك ويهدون أسوارك ويهدمون بيوتك البهيجة ويضعون حجارتك وخشبك وترابك في وسط المياه». (حزقيال ٢٦: ٧-١٢).

ولكن نبوخذ نصر لم يهدم مدينة صور بل هدمها الأسكندر بعد زمن نبوخذ نصر بـ ٢٤٠ سنة ثم أعيد بناؤها ولم تزل منذ ذلك الحين عامرة بالألوف من أهلها. وكان النبي أشعيا يتمنى أن «تصير بابل بهاء الممالك وزينة فخر الكلدانيين كتقليب الله سدوم وعمورة. لا تعمر الى الأبد ولا تسكن الى دور فدور... ويملاً البوم بيوتهم». (أشعيا ١٣: ١٩-٢١).

ولكن أمنيته لم تتحقق وما زالت تلك المدينة باقية حتى الآن يعرفها الناس باسم «الحلة». وكذلك لم تتحقق أمنيته بصدد دمشق وقد افصح عنها في قوله: «وحي من جهة دمشق. هو ذا دمشق تزال من بين المدن وتكون رجمة ردم». (أشعيا ١٧: ١). كما لم تتحقق أمنية معاصره وزميله ارميا حيث يقول: «ارتخت دمشق والتفتت للهرب. امسكتها للرعدة وأخذها الضيق والأوجاع كماخض... لذلك تسقط شبانها في شوارعها وتهلك كل رجال الحرب في ذلك اليوم يقول رب الجنود. وأشعل نازاً في سور دمشق فتأكل قصور بنهدد». (ارميا ٤٩: ٢٤-٢٧).

وقد مر على دمشق بعد ذلك زهاء ستة وعشرين قرناً دون ان تلتهمها النيران وتحولها كومات من الانقاض وقد كانت غوطة<sup>(١١)</sup> دمشق وما برحت واحدة من منازل الدنيا المعدودة فهي جنة فيحاء يتفياً ظلالتها قرابة سبعمئة ألف من النسم.

وكان أولئك الأنبياء أشد ما يكونون حقدا على مصر، فهم لا يفتأون يدعون عليها بالخراب والشبور<sup>(١٢)</sup> ويتوقعون لها - أو بالأحرى يتمنون لها - ان تذلل وتصبح هدفا لشهامة الأعداء.

(١١) الغوطة: مجتمع النبات والماء. وغوطة دمشق موضع بالشام كثير الماء والشجر وهي إحدى الجنان الأربع.  
(١٢) ثبر: هلك، ومنه أعوذ بك من دعوة الثبور. «وأما من أوتي كتابه وراء ظهره. فسوف يدعو ثبوراً». (الانشقاق ١٠-١١).

أي يدهو الله أن ينزل عليه الملاك.

« واشتت المصريين بين الأمم واذريهم في الأراضي واشدد ذراع ملك بابل واجعل سيفي في يده . وأكسر ذراعي فرعون فيئن قدامه انين الجراح » . ( حزقيال ٣٠ : ٢٣ - ٢٤ ) .

« ويأتي سيف على مصر ... من مجدل الى أسوان يسقطون فيها بالسيف ... اني أبيد ثروة مصر بيد نبوخذ نصر ملك بابل ... واضرم ناراً في مصر ... واشتت المصريين بين الأمم واذريهم في الأراضي » . ( حزقيال ٣٠ : ٤ - ٣٣ ) .

وقد خاب فأل حزقيال في ذلك كله ، فلم يتشتت المصريون بل كان الشتات مصير اليهود وكذلك خاب فأل أشعيا حيث قال : « واهيج مصريين على مصريين فيحاربون كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وتنشف المياه من البحر ويجف النهر وييبس . وتتن الأنهار وتضعف وتجف سواقي مصر ... في ذلك اليوم تكون كالنساء فترتعد وترجف من هزة يدرج الجنود التي يهزها عليها وتكون أرض يهوذا رعباً لمصر » . ( أشعيا ١٩ : ١ - ١٧ ) .

لقد افقد الحقد على مصر أولئك الأنبياء اتزانهم حتى طوعت لاشعيا نفسه ان ينضو عنه ثيابه ويمشي عارياً في الأسواق كاشفاً عن سواته يدعو إلهه أن يسلب أشور ذات البأس والجبروت على أهل مصر فتلحق بهم هزيمة ماحقة وتسوقهم الى بلادهم يرسفون في اغلال الأسر وهم عراة حفاة على النحو الذي يعرضه أشعيا على يهوه متخذاً من نفسه وسيلة ايضاح . « في ذلك الوقت تكلم الرب عن يد اشعيا بن أموص . قائلاً . اذهب وحل المسح عن حقوك واخلع حذاءك عن رجلك ففعل هكذا ومشى معرى وحافياً<sup>(١٣)</sup> فقال الرب كما مشى عبدي أشعيا معرى وحافياً ثلاث سنين آية وأعجوبة على مصر وعلى كوش<sup>(١٤)</sup> هكذا يسوق ملك أشور سبي مصر وجلاء كوش الفتيان والشيوخ وعراة وحفاة مكشوف في الاستاء خزيا لمصر<sup>(١٥)</sup> » . ( أشعيا ٢٠ : ٢ - ٤ ) .

أجل ، لقد كان أولئك الأنبياء كثيراً ما يعوزهم الاتزان فيأتون من السخافات أشكالاً وألواناً . انظر الى حزقيال وهو يبدي استيائه من الأحوال التي تسود البلاد معلناً في أسلوب فج<sup>(١٦)</sup> انه سيخبز خبزه على الغائط الذي يخرج من الناس . « وتأكل كعكاً من الشعير . على الجزء الذي من الانسان تحبزه أمام عيونهم » . ( حزقيال ٤ : ١٢ ) .

---

(١٣) وقد سبقه الى ذلك الملك داود وإذ تعرى ورقص أمام الرعية فزجرته فانقم منها . (٢ صموئيل ٦ : ٢١) .

(١٤) الكوشيون هم سكان شرق أفريقيا أي الصوماليون والأجاش وسكان شال السودان .

(١٥) من الواضح أن أشعيا كان يعني بتكهناته هذه أن تلك الأحداث ستقع في زمنه هو أو بعده بقليل لا في أيامنا هذه . فمن الخطأ أن يلتمس بعضهم في تلك التكهنات المشؤومة وفي أسرار الهرم الأكبر المزهومة دليلاً على شر متوقع في هذا العصر .

(١٦) الفج من كل شيء : ما لم ينضج .

وانظر الى هوشع يبدي مسوغات زواجه احدى المومسات. « قال الزب لهوشع اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى. لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب ». (هوشع ١: ٢).

ولا عجب في أن يتزوج نبي من بني اسرائيل بمومس بعد ان افترع النبي الاسرائيلي لوط ابنتيه. « فسقتا أباهما خراً في تلك الليلة. ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها... فحبلت ابنتا لوط من أبيهما ». (تكوين ١٩: ٣٣-٣٦).

وبعد أن تخلى أبو أنبيائهم ابراهيم عن امرأته سارة لفرعون وأصاب من جراء ذلك ثروة وافرة. « وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد واماء وأتن وجمال ». ثم تخلى عنها مرة أخرى لآخر من ملوك الممالك المجاورة<sup>(١٧)</sup>. « وقال ابراهيم عن سارة امرأته هي أختي. فأرسل ابيمالك ملك جرار واخذ سارة ». (تكوين ٢٠: ٢).

وبعد ان سار ابنه اسحق أبو اسرائيل على خطاه. « وسأله أهل المكان عن امرأته. فقال هي اختي. لأنه خاف ان يقول امرأتي لعل أهل المكان يقتلونني من أجل رفقة لأنها كانت حسنة المنظر ». (تكوين ٢٦: ٧).

---

(١٧) وقد تبين بعد مراجعات حسابية لم يفتن إليها كتاب التوراة أن سارة كانت في ذلك الوقت تناهز التسعين من عمرها، فتأمل.

مر العبريون بمختلف المراحل العقائدية التي مر بها غيرهم من العشائر البدائية، فانتقلوا من المذهب الطبيعي (ناتورزم) إلى المذهب الحيوي (أنيمزم) وعبدوا قوى الطبيعة كالشمس والقمر والكواكب والأشجار والأحجار وعرفوا الآلهة المتعددين ذوي الاختصاصات المحدودة ولبثوا يعبدونها دهرأ قبل أن يتجهوا صوب الإله الواحد.

وكان من أسماء آلهتهم القدامى «إيل» أم ومن ثم فان يعقوب (اسرائيل) «أقام هناك مذبحاً ودعاه إيل إله اسرائيل». (تكوين ٣٣: ٢٠).

وقد عبدوا «أناث» ملكة السماوات وهي آلهة سامية قديمة. «بل سنعمل كل أمر خرج من فمنا فنبحر لملكة السموات ونسكب لها سكائب كما فعلنا نحن وآباؤنا وملوكنا ورؤساؤنا في أرض يهوذا وفي شوارع أورشليم فشبعنا خبزاً وكنا نجير ولم نر شيئاً». (أرميا ٤٤: ١٧).

« وعبدوا كذلك «أشيا» إله النار والأوبئة عند البابليين.

وقد كان «يهوه» أيضاً إلهاً للنار وذلك ما جعله يتراءى لموسى في شجيرة مشتعلة. «وظهر له ملاك الرب بلهب نار من وسط عليقة. فنظر واذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق». (خروج ٣: ٢).

كما انه كان إلهاً للأوبئة. «قدامه ذهب الوبأ وعند رجليه خرجت الحمى». (حقوق ٣: ٥).

ويعتقد بعض الباحثين أن يهوه هو مالك Moleck الذي كانوا يحرقون أطفالهم تضحية له والذي بنى له الملك سليمان «مرتفعة» يعبدونه فيها. «حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم ولمولك رجس بني عمون». (١ ملوك ١١-٧).

ومولك معناها ملك، وقد كان، «ملك» من ألقاب يهوه المعروفة. ويبدو أن كلا من يهوه ومولك قد عبد في صورة العجل.

(كان يهوه أول أمره إلهاً من آلهة الطبيعة. كان إلهاً للجبال ثم أصبح إلهاً قبلياً مقاتلاً لأن



رجال القبيلة التي عبدته كانوا مقاتلين مظفرين ذوي شوكة وبأس، وظل هذا شأنه حتى السبي البابلي، ثم شملته حركة الترقيات فأصبح عميداً للآلهة في فلسطين على مثال مردخ Merodach في بابل وزيوس Zeus في اليونان، ولهذا نرى سفري التثنية ويشوع يصوران يهوه في صورة الطاغية الذي يهيسن على سائر الآلهة. «إله الآلهة الرب، إله الآلهة الرب، هو يعلم». (يشوع ٢٢: ٢٢).

ولسنا نعرف متى ظهر اسم يهوه أول مرة والأرجح أن ذلك كان بعد أن استوطن اليهود كنعان. وكان النطق بهذا الاسم محظوراً إلا في مقامات خاصة. «لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً لأن الرب لا يبريء من ينطق باسمه باطلاً...». (خروج ٢٠: ٧).

وكانوا يكتبون اسم يهوه بالأحرف الأربعة ي.ه.و.هـ. J.H.V.H. دون أن يدعم بأحرف العلة. أي دون أن يضبط بعلامات الشكل لخلو اللغة العبرية منها إذ ذاك وهكذا ورد اسمه في «المأصورا»<sup>(١)</sup> ومن ثم كان من الممكن أن يقرأ الاسم «يهوه» أو «ياهو» وقد ظهر الاسم الأخير مضافاً أو مضافاً إليه في بعض أسماء الأعلام الذين ورد ذكرهم في الكتاب المقدس مثل «ايياهو» ومعناه ربي هو ياهو «ياهوملك» ومعناه ياهو ملك.

ولما ابتكرت علامات ضبط الحروف العبرية في القرن السابع الميلادي كان رجال المقاريء في اسيناجوج (المعبد) يتورعون عن النطق باسم الله، إذ كان ذلك محرماً على اليهود كما هو محرم على بعض الشعوب البدائية الأخرى، ولهذا جعلوا يستخدمون بدلا من «لفظ الحلالة» كلمة «أدوناي» أو «أدونا» أي ربي، وقد أثرت هذه الوسوس والشكوك في أصحاب الترجمة السبعينية<sup>(٢)</sup> فكانوا يتحامون ذكر اسم الله إلا فيما ندر وأدرجوا بدلا منه كلمة «هوكوريوس» أي الرب. وركب اليهود آخر الأمر لكلمة يهوه أحرف العلة التي بكلمة أدونا Edona فأصبح الاسم يكتب على وزانها Je Ho Va H وينطق Jahweh يهوه.

ومعنى هذا الاسم سر مجهول وقد يكون معناه «أنا الذي (هو أنا)» أو «الخالد». وفي كتاب الفرس المقدس يقول أهورا مزدا لزرادشت «أنا الذي هو أنا». وفي «كتاب الموتى» يرمز قدماء المصريين إلى الحياة بكلمة «عنخ» ومعناها «ذاك الذي يعيش».

وقد انتابت دين اليهود تغيرات تترى لم تقتصر على أن استبدلت باسم إبرام مؤسس هذا الدين اسم إبراهيم وباسم الجماعة القومي «اسرائيليون» اسم يهود بل شملت كذلك اسم الله، فكان:

(١) وهو كتاب قراءات التوراة ويتضمن متن التوراة وعلى هامشه تعليقات مسهبة لضبط الألفاظ المكتوبة.

(٢) اشترك نحو سبعين عالماً قبل الميلاد بقرن ونصف قرن في ترجمة «المهد القديم» في الاسكندرية من العبرية إلى اليونانية ليستفيد بهذه الترجمة اليهود الموطنون بمصر ومن إليهم...

الوهيم في قصة نوح.  
الشداي في قصة ابرام.  
يهوه في قصة يعقوب.

وكان هذا الإله في بادئ الأمر يلقب نفسه بـ «إله ابراهيم وإسحق ويعقوب». «وقال الله أيضاً لموسى هكذا تقول لبني اسرائيل. يهوه إله ابراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم». (خروج ٣: ١٥).

ثم أصبح يلقب نفسه بـ «إله العبرانيين». «تدخل أنت وشيوخ بني اسرائيل الى ملك مصر وتقولون له الرب إله العبرانيين التقانا». (خروج ٣: ١٨).

ثم ياله اسرائيل. «وبعد ذلك دخل موسى وهرون وقالوا لفرعون هكذا يقول الرب إله اسرائيل أطلق شعبي ليعيدوا لي في البرية». (خروج ٥: ١).

ولم يدع قط أنه إله البشر أجمعين، بل هو على التقيض من ذلك أقر بأن ثمة آلهة آخرين وأبدى غيرته منهم، فقد كانت السماء في ذلك الوقت تنص بالآلهة، منهم عشتورت إلهة الصيدوين وكموش إله المؤابيين وملكم إله العمونيين وهلم جرا. ولم يكن إله العبرانيين إلا واحداً من أولئك الآلهة القبلية الذين كانوا يعبدون في عهد البداوة، وقد جعل أولى وصاياها العشر «لا يكن لك آلهة أخرى أمامي...». (خروج ٢٠: ٣).

وكرر هذا المعنى غير مرة. «فالآن اخشوا الرب واعبدوه بكل أمانة وانزعوا الآلهة الذين عبدتهم أبائكم في عبر النهر وفي مصر واعبدو الرب...». (يشوع ٢٤: ١٤).  
«من ذبح لآلهة غير الرب وحده يهلك...». (خروج ٢٢: ٢٠).

ونرى من حديث يفتاح الجلعادي إلى ملك بني عمون في أمر كموش إله المؤابيين أن يفتاح كان يعد كموش إلهاً حقاً مثل يهوه. «والآن الرب إله الاسرائيليين قد طرد الأموريين من أمام شعبه اسرائيل أفأنت تمتلكه. أليس ما يملكك اياه كموش تمتلك وجميع الذين طردهم الرب إلهنا من أمامنا فإياهم نمتلك...». (قضاة ١١: ٢٣-٢٤).

كان عباد يهوه يعتقدون انه الإله الواحد عندهم ولكنهم لم يكونوا يعتقدون أنه الإله الوحيد في العالم كله، وكانوا يتحدثون عنه بقولهم «ربنا» أي رب بني اسرائيل وحدهم، وكانوا يفاخرون به الشعوب والقبائل المتاخمة التي تعبد آلهة يراها اليهود دون يهوه شأنًا. «لا مثل لك بين الآلهة يا رب». (مزمور ٨٦: ٨).

«لأنني عرفت أن الرب عظيم وربنا فوق جميع الآلهة...». (مزمور ١٣٥: ٥).  
«وسقط اخزيا من الكوة التي في عليته التي في السامرة فمرض وأرسل رسلاً وقال لهم اذهبوا

اسألوا بعل زبوب إله عقرون ان كنت أبرأ من المرض. فقال ملاك الرب لا يلينا التشبي. قم  
اصعد للقاء ملك السامرة وقل لهم أليس لأنه لا يوجد في اسرائيل إله تذهبون لتسألوا بعل  
زبوب إله عقرون». (٢ ملوك ١: ٢-٢).

«أيها الرب إله اسرائيل. ليس إله مثلك في السماء من فوق ولا على الأرض من تحت».  
(١ ملوك ٨: ٢٣).

## صفات يهوه

كان لبعض الفرق اليهودية آلهة محليون بقي طرف من آثار عبادتهم حتى زمن ارميا عندما غزا البابليون يهوذا « لأنه بعدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا ». (أرميا ١١: ١٣).

أجل كانت عبادة بني اسرائيل للآلهة المحليين قد اضمحلت بوجه عام عندما توثقت عرى الوحدة السياسية في أيام داود وسليمان وتركزت العبادة في الهيكل الذي بناه سليمان (٩٧٠-٩٣٦ ق.م) في أورشليم، لولا ان تلك الوحدة ما نشبت ان انفرط عقدها إذ انقسمت مملكة اليهود عقب موت سليمان الى مملكتين صغيرتين:

١ - اسرائيل في الشمال وحاضرتها السامرة، وقد دمرها الأشوريون سنة ٧٢٢ ق.م بقيادة سرجون الثاني ووضعوا نهاية لتلك المملكة.

٢ - يهوذا في الجنوب وحاضرتها أورشليم<sup>(١)</sup> وقد اخربها البابليون بقيادة ملكهم بختنصر<sup>(٢)</sup> سنة ٥٨٦ ق.م وسبوا عدداً غفيراً من أهلها ساقوهم الى بابل حيث عاشوا عبيداً مسخرين الى أن غزا الملك الفارسي كيروش (قورش) الكبير بابل سنة ٥٣٨ ق.م وأطلق من بها من اليهود وقد أشربوا حضارة أعرق من حضارة العبريين وأرقى، وخبروا ما كان للبابليين من مناسك واحتفالات تعبدية وقصص دينية فلما قفلوا الى اسرائيل اذا هم يجدون من بقوا فيها من الطعام قد لابسوا من حولهم من الشعوب وتطبعوا بطباعهم وعبدوا آلهتهم، فلم يجذ الكهنة بدا من التنديد بأولئك الآلهة الأجانب. وكان من أثر الذلة التي ضربت على بني اسرائيل في الأسر زهاء نصف قرن أن عمدوا الى التشبه بالهم القومي والأزورار عن منافسيه. ولكن ذلك لم يكن هو التوحيد بالمعنى العلمي للكلمة.

وقد فند و. روبرتسن سميث القول بأن اليهود أسهموا في ادخال التوحيد على العقائد الدينية وأوضح ان ما يسمونه الاتجاه نحو الوحدانية ان هو الا الاتحاد بين الدين والحكم الملكي.

(١) أي مدينة السلام.

(٢) وترسم المطبوعة العربية من الكتاب المقدس اسمه هكذا « نبوخذ نصر » والرسم الصحيح هو نبوكدوروزور

. Nabu - Kudur - Uzur

ونحن حين نتحدث عن وحدانية الله نتحدث ضمناً عن البعث في يوم الدينونة وبجائزة المسيء بالعقوبة والمحسن بالثوبة، فذلك من متمات معنى الألوهية ووحدانيتها، وبغيره يكون الايمان بالوحدانية ناقصاً غير تام، بيد أن اليهود لم يكونوا يؤمنون بالبعث والجزاء بعده ولم يكن يدور في أخلادهم شيء عن النعيم والجحيم في الدار الأخرى ولم يعرفوا شيئاً من أمر الملائكة المجنحين الا بعد أن شاهدوا صورها في الآثار البابلية مدة سببهم في بابل، ولهذا عد النقاد ذكر الملائكة في الآية. « وسمعت صوت انسان بين أولاي فسادى وقال يا جبرائيل فهم هذا الرجل الرؤيا... » (دانيال ٨: ١٦).

دليلاً قاطعاً على أن سفر دانيال لم تخطه يراعة النبي دانيال عند سقوط بابل في يدي قورش سنة ٥٣٨ ق.م بل كتبه آخرون بعد ذلك بثلاثة قرون أو أربعة حول سنة ١٦٤ ق.م. أجل، كان اليهود يعتقدون أن من أثم منهم لقي عقابه في العاجلة، فرتبوا على ذلك أنه إذا أصاب امرءاً منهم أذى في نفسه أو في عياله أو ماله كان ذلك دليلاً على أنه سلف له اقتراح اثم كبير يطلقون مخيلاتهم في تصوره ويلصقونه به.

ولما برهنت المشاهد المتكررة على فقدان الارتباط بين ما يأتيه الانسان من خير أو شر وما يلقيه في حياته من هناءة أو شقاوة<sup>(٣)</sup> لم يكن هناك مناص من القول بأن العقاب والثواب يحددان في حياة أخرى بعد الموت. وقد وردت أول اشارة في العهد القديم الى يوم كيوم البعث في سفر أشعيا، وقد عاش أشعيا في نحو القرن الثالث ق.م.

ان القول بأن فكرة الوحدانية طرقت أذهان العبريين في سيناء خطأ لا يقل في جسامته عن القول بأن لغات البشر كان منشؤها عند برج بابل. لقد كانت أمخاخ العبريين الذي نحلهم احفادهم ابتكار الوحدانية لا تسمو كثيراً على مخ الانسان الشبيه بالقرود، فلم يكن في طوقهم ان يتصوروا صورة ثقافية كهذه. وكل ما حدث هو أن موجة من التعصب القومي غمرت اليهود في زمن متأخر أثر عودتهم من السبي البابلي، وان رجال الكهنوت آنسوا في هذا الاتجاه كسباً أدبياً ومغناً مادياً لهم فعاضدوه وناصروه<sup>(٤)</sup>.

(٣) وقد عرضوا لهذا الموضوع على نحو ما في سفر أيوب...

(٤) وكان أشهر الذين حلوا على تعدد الآلهة وعبادة الأصنام متنبئ. برز بين اليهود المسيبين في بابل ومضى يشرهم باقتراب زمن تهرهم وحلول الكوارث بأسريهم، وهو كاتب الاصحاحات ٤٠ إلى ٥٥ من سفر أشعيا، وليس يعرف اسمه ولكن القوم تواضعوا على تسميته أشعيا الثاني. « بمن تشبهوني وتسووني وتمثلوني لنشابه... الذين يفرغون الذهب من الكيس والفضة بالميزان يزنون يستأجرون صائغاً ليصنعها إلهاً يجرون ويسجدون يرفعونه على الكتف. يحملونه ويضعونه في مكانه ليقف. من موضعه لا يبرح. يزعم أحد إليه فلا يجيب. من شدته لا يخلصه. » (أشعيا ٤٦: ٥-٧).

ومن ثم أمسك يهوه عن الشرك بنفسه وانثنى ينادي بأنه الإله الأوحيد لا إله غيره. «أنا الرب وليس آخر. لا إله سواي...» (أشعيا ٤٥: ٥).

وأقبل يزعم أنه هو الذي فطر السماوات والأرض وبرأ الخليقة طرا وانه هو الذي يحفظ على الكون كيانه ويصرف أموره ويزجي السحب لتهمي أفأويقها<sup>(٥)</sup> على شعبه المختار فتخرج الأرض لهم ثمراً يقاتونها وتنبت لماشيتهم كلاً تعتلفه.

وهكذا كملت صورة الإله الواحد يهوه، الذي لم يخلق اليهود بل كان اليهود هم الذين خلقوه فجاء على صورتهم وفي مستواهم العقلي<sup>(٦)</sup> وناهيك. «وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا...» (تكوين ١: ٢٦).

والمقصود بالشبه هنا هو الشبه في شكل الجسم. وفي الحق انه لمن العسير ان يتصور المرء إلهاً ذا شخصية<sup>(\*)</sup> على هيئة حصان او عصفور أو ما الى ذلك فمن المألوف ذهنا أن يقترن الشكل بالمقدرة العقلية. وقد وصف بعضهم الله بأنه «روح» فلم تنقل هذه الكلمة إلينا معنى واضحاً. ان محاولة تجريد الله من الشكل تنتهي بنا الى مذهب وحدة الوجود القائل بأن الله حال بكل شيء.

ويوصف يهوه بأنه مشاكل للانسان<sup>(٧)</sup> في شكله وعواطفه وأسلوب معاشه فهو يسكن في

---

(٥) الفيقة: اللبن الذي يجتمع في الفرع بين الجلبتين - أفأويق. والأفأويق ما اجتمع من السحاب، فهو يمطر ساعة بعد ساعة.

(٦) ولا غرو في ذلك فانه لم يخلق قط إله يسمو فوق مستوى عابديه، بل ان الإله كان أحرى أن يميل أدنى فئاتهم.

(\*) وهو الذي تنادي به الأديان وتعزو إليه انه يتحكم في الكون وأن مصير أفراد الناس رهن بمشيئته فهو يحاسبهم على أعمالهم ويجازيهم بما صنعوا، وذلك بخلاف الإله غير ذي الشخصية Impersonal God وهو الذي ترى طائفة من المفكرين انه خلق العالم وأودعه لقوانين ثابتة يسير بمقتضاها ثم انقطعت بعد ذلك كل صلة مباشرة له بشؤون الخليقة ومصير الإنسان، ومن ثم فلا عقاب ولا ثواب.

(٧) Anthropomorphic وهذه الكلمة تتركب من لفظين يونانيين Anthropos ومعناها انسان و Morphe ومعناها شكل وكلمة شاكلة تعني مائلة، تقول في فلان مشاكله من أبيه أي شبه منه.

ويختلف الآلهة المشابهون للإنسان عن أولئك المشابهين للشمس وما إليها من الأجرام الطبيعية، مثل مردك وأمون وأتون.

ولقد آذى بالناس اعتقادهم في مشاكلة الله لم ومدخلته إياهم في شؤونهم الى شل أذهانهم وحرقة تقدمهم والى ععودهم عن تقصي أسباب المرض لأنه كان في حسابهم عقاباً لهم من الله على ما اقترفوا من آثام، ومن هنا نارت ثورة رجال الدين عندما لجأ الجراحون أخيراً الى استخدام مواد التخدير (البنج) وأعلنوا أن الله فرض الألم على بني آدم عقاباً لهم على خطاياهم، وأن تلطيف آلام الولادة يخالف نصاً صريحاً في التوراة هو: «بالوجع تلدين أولاداً» (تكوين ٣: ١٦).

بيت. « حينئذ تكلم سليمان. قال الرب انه في الضباب. اني قد بنيت لك بيت سكنى مكاناً لسكنائك الى الأبد ». (١ ملوك ٨: ١٢-١٣).

« ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالسكن فيه... ». (متى ٢٣: ٢١).

وهو يفرض على عابديه فرائض من حيوانات... « صحيحة لا عيب فيها ». (عدد ١٩: ٢٠).

ويطلب إليهم تحافه بالبواكير من ثمار الموسم ويسلط السباع الضاربة والحيات اللوادغ والأوبئة الفتاكة على من يعصيه ويخالف عن أمره.

وله مثل ما لنا من جوارح. « ثم اعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوشي الشهادة لوشي حجر مكتوبين بأصبع الله... ». (خروج ٣١: ١٨).

وله حواس كحواسنا، ومن ذلك انه شم ريح القتر مما شواه له نوح من اللحم بعدما رست به سفينته على البر عند المحسار الطوفان. « فتنسم الرب رائحة الرضا ». (تكوين ٨: ٢١).

وتنتابه انفعالات كانفعالاتنا: فهو مستشيط غضباً ثم يوبح<sup>(٨)</sup> غضبه فيمسك عن الاسترسال فيه. « فحمى غضب الرب على موسى... ». (خروج ٤: ١٤).

« ويسط الملاك يده على أورشليم ليهلكها فندم الرب عن الشر وقال للملاك المهلك الشعب كفى. الآن رد يدك ». (صموئيل ٢٤: ١٦).

وهو يغار من الآلهة الآخرين. « فانك لا تسجد لإله آخر لأن الرب اسمه غيور إله غيور هو<sup>(٩)</sup> ». (خروج ٣٤: ١٤).

ويغار من مخلوقاته، فقد طرد آدم من جنة عدن لأنه هدى النجدين<sup>(١٠)</sup> وميز بين السبيلين سبيل الخير وسبيل الشر عندما أكل من ثمار شجرة معرفة الخير والشر، وكانت المعرفة بها حتى ذلك العهد مما انفرد به الآلهة دون البشر. « وقال الرب الإله هو ذا الانسان قد صار كواحد منا

---

وأنكروا على المتمدنين المهذبين أن يستعينوا في أكلمهم بالشوكة والسكينة، محنجن بأن الله خلق لنا الأصابع لتأكل بها. وعندما اخترع بنيامين فرنكلين قضيب الصاعقة قالوا انه اخترع « قضيب الكفر والإلحاد » ليسلب الله مقدرته على ايقاع العقاب بمن يثيرون غضبه. وعندما اخترع توماس أ. أديسون المصباح الكهربائي زعموا أن هذا المصباح يبطل ما اقتضته مشيئة الله من جعل العالم مظلاً في الليل. ووصفوا الطائفة التي اخترعها الاخوان « رايت » بأنها مخترع إلحادي تمديفي سوف يتخذ لاقتحام ملكوت الله وبأنها اهانة طائفة الى وجه الله. وهم جرا.

(٨) باخ الحر والحمى والغضب: سكن وفتن.

(٩) الترجمة الصحيحة هي: لأن الرب الذي اسمه الغيور هو إله غيور.

(١٠) النجد: المكان المرتفع ويراد به هنا الطريق. قيل في تفسير الآية « وهديناه النجدين » ان النجدين هما

الطريقان، أي طريق الخير وطريق الشر.

عارفا الخير والشر». (تكوين ٣: ٢٢).

وقد اغرق الخلق بالطوفان، لم يستثن منهم غير نوح وذريته، ثم أثار الفرقة بين تلك الذرية لكيلا يتسنى لهم بناء مدينة في أرض شنعار، وهي المدينة التي كفوا عن ابتنائها وأسميت بابل. «وقال الرب هوذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل. والآن لا يتمتع عليهم كل ما ينون أن يعملوه هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض. فكفوا عن بنيان المدينة». (تكوين ١١: ٦-٨).

لقد جعل الاسرائيليون إلههم صورة منهم، وقد رسم الكهنة هذه الصورة بمذاد من الدم فإذا هو إله راعب يلتذ الأنين والتنهدات يظل الانسان ما عاش يرتجف بين يديه من الملح غير السمع والطاعة فليس له. ولقد عزوا الى هذا الإله أقوالا من بنات أفكارهم ونخلوه أعمالاً من تليفق تخيلاتهم، ووصفوه: بأنه وحش مفترس. فإني أنا مفترس وأمضي آخذ ولا منقذ». (هوشع ٥: ١٤).

«أصدهم كدبة مشكل واشق شغاف قلبهم وأكلهم هناك كلبوة يميزهم وحش البرية». (هوشع ١٣: ٨).

وبأنه غشاش مخادع. «فقلت آه يا سيد الرب حقا انك خداعا خادعت هذا الشعب وأورشليم قائلا يكون لكم سلام وقد بلغ السيف النفس». (أرميا ٤: ١٠).  
«قد اقنعني يا رب فاقنعت والحثت علي فغلبت»<sup>(١١)</sup>. (أرميا ٢٠: ٧).

وبأنه ولوع بالخمير. «فقال الأشجار للكرمة تعالي واملكي علينا فقالت لها الكرمة أترك مسطاري الذي يفرح الله والناس واذهب لكي أملك على الأشجار». (قضاة ٩: ١٢-١٣).

وبأنه أكل مناهم، زار خليله ابراهيم ذات يوم وتناول الطعام عنده. هو واثنان من ملائكته فأكرم ابراهيم وفادتهم وأحسن قراهم. «ثم أخذ زبداً ولبناً والمعجل الذي عمله ووضعها قدامهم. وإذا كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا». (تكوين ١٨: ٨).

وأولم له نوح وليمة شواء عقب انحسار الطوفان، كما سلف، فعفا عن البشر وآلى الى نفسه ألا يفرقهم بالطوفان مرة أخرى. «وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح. فتشم الرب رائحة الرضا. وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الانسان». (تكوين ٨: ٢٠-٢١).

(١١) الترجمة العربية تفتقر الى الأمانة وصوابها هو: قد خدعتني من نفسي فخدعت لأنك أقدر مني.



ورمونه بالعجز « وكان الرب مع يهوذا فملك الجبل، ولكن لم يطرد سكان الوادي لأن لهم مركبات حديد ». (قضاة ١: ١٩).

وهي ترجمة تفتقر الى الأمانة وصوابها: ولكنه (الرب) لم يقو على دحر سكان الوادي... إن صورة هذه الإله الغضوب الذي يشير إلينا بأصبعه متهدداً وهو يصرخ في وجوهنا: لا تفعلوا كذا وإياكم وكذاً وويل لمن يفعل كذا، هي أكبر عثرة في سبيل الانسانية الساعية الى تحرير نفسها من الخوف والجهل والى تطهير ذهنها من أساطير المممج البدائين.

## الضحايا البشرية

كان يهوه، كغيره من آلهة الشعوب المنحطة، يتطلب من بني الانسان اضاحي بشرية. « لا تؤخر ملء بيدرك وقطر معصرتك وابكار بنيك تعطيني ». (خروج ٢٢: ٢٩).

وهذه الترجمة تعوزها الدقة والترجمة الصحيحة هي: « لا تتوان في تقديم باكورة ما ينضج من ثمرك وما تعصر من خرك، وهب لي البكر من ولدك ».

فإذا نذر امرؤ ابنه للرب في لحظة من لحظات الضعف النفسي والتهوس الديني لم يكن له أن يعدل عن ذلك وأن يفتدي ابنه بالمال، وعليه أن يسوق بنفسه فلذة كبده إلى حيث يجرع كأس المنون. « كل محرم يحرمه انسان للرب من كل ماله من الناس والبهائم ومن حقول ملكه فلا يباع ولا يفك. ان كل محرم يحرم من الناس لا يفدى. يقتل قتلاً ». (لاويون ٢٧: ٢٨-٢٩).

« وكان جوع في أيام داود ثلاث سنين سنة بعد سنة. فطلب داود وجه الرب. فقال الرب هو لأجل شاوول ولأجل بيت الدماء لأنه قتل الجبعونيين... فلنعت سبعة رجال من بنيه فنصلبهم للرب في جبعة شاوول مختار الرب فقال الملك انا أعطي... فأخذ الملك إبني رصفة إبني أية اللذين ولدتهما لشاوول أرموني ومفبوشة وبني شاوول الخمسة الذي ولدتهم لعديريئيل ابن برزلاي المحولي. وسلمهم إلى يد الجبعونيين فصلبوهم على الجبال أمام الرب<sup>(١)</sup> ». (٢ صموئيل ٢١: ١-٩٤).

وتبلغ التضحية بالبشر ذروتها في قصة يفتاح بن جلعاد، وهي قصة يرمز بها إلى التضحية بأهله

(١) وبهذه التعللة المختلفة استأصل داود ذرية عدوه شاوول الذي كان أول من ولى الملك في اسرائيل. وقد بنى عرشه على انقراض حكومة الكهان فاضطغوا عليه واضمروا له الكيد واستعانوا على ذلك بدادود وقد ألحقوه بجاشية القصر فكان يدير للملك حلقات أزار بعد أن أوهم أولئك الكهان الأشرار أنه قد ركبته الأرواح الشريرة. وفي هذه الآيات الموحى بها خطأ لا معدى عن التنبيه إليه، هو أن ابنة شاوول التي تزوجها عديريئيل المحولي وكان له منها خمسة الأولاد الذين ذبحهم داود لم تكن « ميكال » بل أختها الكبرى « ميرب » وكان شاوول قد وعد داود بها بادی. الأمر ولكنه أخلف وعده ثم ارتضى أن يزف إليه ابنته الصغرى ميكال، أما ميكال التي تزوجها داود ثم هجرها في المضجع فقد ماتت دون أن تعقب. « ولم يكن لميكال بنت شاوول ولد إلى يوم موتها ». (٢ صموئيل ٦: ٢٣).

عذراء<sup>(٢)</sup> « ونذر يفتاح نذراً للرب قائلاً: ان دفعت بني عمون ليدي فالخارج الذي يخرج من أبواب بيتي للقائي عند رجوعي بالسلامة من عند بني عمون يكون للرب واصعده محرقة... ثم أتى يفتاح الى المصفاة الى بيته. وإذا بابنته خارجة للقائه بدفوف ورقص. وهي وحيدة لم يكن له ابن ولا ابنة غيرها... وكان لما رآها مزق ثيابه وقال آه يا ابنتي قد احزنتني حزناً وصرت بين مكدري لأني قد فتحت فمي الى الرب ولا يمكنني الرجوع. فقالت له يا أبي هل فتحت فاك الى الرب فافعل بي كما خرج من فيك بما أن الرب قد انتقم لك من أعدائك بني عمون. ثم قالت لأبيها فليفعل لي هذا الأمر. أتركي شهرين فأذهب وأنزل على الجبال وأبكي عذراويتي أنا وصاحباتي. فقال أذهب وأرسلها الى شهرين. فذهبت هي وصاحباتها وبكت عذراويتها على الجبال وكان عند نهاية الشهرين انها رجعت الى أبيها ففعل بها نذره الذي نذر وهي لم تعرف رجلاً. فصارت عادة في اسرائيل أن بنات اسرائيل يذهبن من سنة إلى سنة لينحن على بنت يفتاح الجلعادي أربعة أيام في السنة. (قضاة ١١: ٣٠-٤٠).

ويبدو مما كتبه ميخا نحو سنة ٧٠٠ ق.م وما كتبه حزقيال بعد ذلك بسنوات أن اليهود لم ينفكوا يحرقون بنهم وبناتهم قرابين ليهوه حتى عصر متأخر غدت فيه التضحية ببني الانسان امراً يبعث على النفور ويشير الحنق فاعتاض القوم من الأضحيات البشرية اضحيات من الخراف وما إليها كما نرى في قصة إبراهيم وولده إسحق. وأنكر الأنبياء المتأخرون هذه التضحية فقالوا على لسان يهوه. « هل أعطي بكري عن معصيتي ثمرة جسدي عن خطية نفسي ».

« وبنوا مرتفعات توفة التي في وادي ابن هنوم<sup>(٣)</sup> ليحرقوا بنهم وبناتهم بالنار، الذي لم آمر به ولأصعد على قلبي ». (أرميا ٧: ٣١).

ولكن يهوه ليس بمستطيع ان يتصل مما أسلف من أوامر وان يهت من خلوا من أنبيائه في جوههم ويجههم بالتكذيب، فكان عليه ان يلتمس لنفسه عذراً من اصداره تلك الأوامر التي جاء اليوم ينسخها ويرر فرضها عليهم فيما مضى « تمرد على بيت اسرائيل في البرية. لم يسلكوا في فرائضي ورفضوا أحكامي التي ان عملها انسان يمينا بها ونجسوا سبوتي كثيراً. فقلت أني أسكب رجزي<sup>(٤)</sup> عليهم في البرية لانفائهم... ورفعت يدي لهم في البرية لأفرقهم في

(٢) وعند بعض الشراح المسيحيين أن التضحية بالفتاة قد استبدلت بها العذراوية الدائمة عند الراهبات.

(٣) وهو في العبرية Ge-Hinnom وانتقل هذا اللفظ الى الحبشية فأصبح Gahannam بالجيم المصرية وانتقل من الحبشية إلى العربية فهو جهنم. وبعد ان كان علماً على الوادي القريب من القدس (وهو يدعى الآن وادي الرباني) وكان الوثنيون يقربون فيه صبيانهم أصبح الآن علماً على الموضع الذي في السماء الذي فيه يصلي الآمنون عذاب السمير.

(٤) الرجز: القدر والعذاب. يقابل هذه الكلمة في الترجمة الانجليزية Fury يعني السخط والهياج.

الأمم واذريهم في الأراضي... واعطيتهم أيضاً فرائض غير صالحة وأحكاماً لا يحيون بها. ونجستهم بعظاياهم إذ أجازوا في النار كل فاتح رحم لأبيدهم حتى يعلموا أني أنا الرب». (حزقيال ٢٠: ١٣-٢٦).

يعني انه انزل عليهم هذه الشريعة الفاسدة على عمد وفرض عليهم التضحية بأفلاذ أكبادهم بغية ايذائهم والتنكيل بهم ليعلموا أنه الرب.

لقد كان يهوه دائماً طلبوا للقرابين، ولطالما عمرت مائدته بألوان من لحوم الأطفال والرجال والأبقار والأغنام، وكان آخر أضحية قدمت له هو ابنه الوحيد يسوع، فما ان ارتوى بدمه المسفوح حتى فكه وطابت نفسه وأصبح يؤثر المال الصامت، الذهب والفضة، على صنوف اللحوم جمعاء، فمضى يحض الخلق على افتداء بنينهم وأداء مال الفدية إليه. « وكل بكر انسان من أولادك تفديه ». (خروج ١٣: ١٢).

« كل بكر من بنيك تفديه ». (خروج ٣٤: ٢٠).

« غير انك تقبل فداء بكر الانسان وبكر البهيمة النجسة تقبل فداءه ». (عدد ١٨: ١٥).

## إله في صندوق

وأمر يهوه، القادر على كل شيء الحال بكل مكان بأن يصنعوا له صندوقاً يقبع فيه، وبين أوصافه وحدد مقاييسه وعين اسم النجار الذي يعهد إليه في صنعه ونوع الخشب الذي يتخذ منه وصور التماثيل التي يحلي بها غطاؤه، وأسهب في ذلك غاية الإسهاب ومن ذلك قوله: « وتصنع غطاء من ذهب نقي طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف وتصنع كروبين من ذهب صنعة خراطة تصنعهما على طرفي الغطاء<sup>(١)</sup> فاصنع كروباً<sup>(٢)</sup> واحداً على الطرف من هنا وكروباً آخر على الطرف من هناك... وأنا أجمع بك هناك وأتكلم معك من على الغطاء من بين الكروبين اللذين على تابوت الشهادة بكل ما أوصيك به الى بني اسرائيل ». (خروج ٢٥: ١٠-٢٢).

وقد كان هذا الإله الثاوي في الصندوق محرم الرؤية واللمس على الناس باستثناء الكهنة وحدهم، فمن انتهك هذا التابو فجزاؤه الموت الزؤام. « وضرب أهل بيتشمس لأنهم نظروا الى تابوت الرب وضرب من الشعب خمسين ألف وسبعين رجلاً ». (١ صموئيل ٦: ١٩).

والراجح أن فكرة الصندوق أو التابوت هذه مستعارة من قدماء المصريين فقد كانت توابيتهم تحمل بتلك الطريقة، وهذا بيانها: « وتسبك له أربع حلقات من ذهب وتجعلها على قوائمه الأربع. على جانبه الواحد حلقتان وعلى جانبه الثاني حلقتان. وتصنع عصوين من خشب السنط وتغشيها بذهب. وتدخل العصوين في الحلقات على جانبي التابوت ليحمل التابوت بينها ». (خروج ٢٥: ١٢-١٤).

وهكذا نجد أن العبريين لم يستعروا من المصريين حلى الذهب والفضة فحسب بل استعاروا منهم نظام التوابيت كذلك.

(١) يقابله في الانجليزية Mercy Seat أي عرش الرحمة وهو الغطاء الذهبي لتابوت العهد اليهودي القديم.  
 (٢) كروب أي ملاك (وتجمع في العبرية على كروبيم) وقد نبت الوصبة الموسوية الثانية عن صنع تماثيل كهذه. ولا تصنع لك تماثلاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. (خروج ٢٠: ٤).

وقد لاحظ بعضهم أن توابيت المصريين كانت تحتوي رمز الحياة ودوامها، فدار بأخلاقهم أن العصا والحجرين وهي ما وضعه موسى في الصندوق، قد تكون رمز الذكورة، وما التابوت نفسه إلا رمز الأنثوية. ولا غرو أن تكون عبادة عضو الذكورة من الدعائم التي يقوم عليها دين اليهود فان هذا الدين مقتبس من شعبين وثيقي الايمان بهذه العقيدة، وهما الشعبان البابلي والمصري.

كان الأقدمون يبدون غاية الاعجاب بأعضاء التناسل ويعربون عن تجلّتهم لما تنطوي عليه من قوة خلاقة وما لها من قدرة معجزة على الاخصاب، وكانوا يربطون بين اخصاب النساء واخصاب الأرض، ولهذا جعلت بعض القبائل، تنتخب ملكاً وملكة للربيع يباشران الاتصال الجنسي على الملاء ليشيع الخصب في الأرض فتفسو غلتها وكانوا في بعض البلاد يحتفلون في أيام البذر فيلامس أفراد الجنسين بعضهم بعضاً ويتناكحون ما طاب لهم فيسفر ذلك عن اخصاب النساء ذوات الأزواج العقماء.

وكانوا يعتقدون أن في عملهم هذا إيحاء للأرض بأن تخرج في الربيع عن التحفظ الذي تلتزمه في الشتاء، وقد عرفت هذه الاحتفالات في اليونان وعند الرومان، كما أنها شوهدت خلال العصور الوسطى في فرنسا وانكلترا، ولا يزال شيء من هذه الاباحة الجنسية ملحوظاً في حفلات اللهو التنكرية التهرجية (الكرنفالات) ببلاد الغرب وفي الموالد الدينية ببلاد الشرق.

ولما نزع العبرانيون من البراري المقفرة الى كنعان، ألان يهوه من طباعه الحوشية<sup>(٣)</sup> ليلائهم موطنه الجديد الذي يفيض لبناً وعسلاً، واقتبس الكثير من خلال « بعل » إله الخصب والتناسل في كنعان، فكان العبري لا يجد غضاضة عليه<sup>(٤)</sup> في أن يقبض عضوه التناسلي حين يقسم أغلظ الايمان، وكانما هو يقول: ان حنثت في هذه اليمين فلتزايلي المقدرة على استعمال هذا العضو الحيوي<sup>(٥)</sup>. « وقال ابراهيم لعبد كبر بيته المستولي على كل ما كان له ضع يدك تحت فخذك فاستحلفك بالرب إله السماء وإله الأرض ان لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذي انا ساكن بينهم... فوضع العبد يده تحت فخذ ابراهيم مولاه وحلف له على هذا الأمر. (تكوين ٢٤: ٢-٩).

---

(٣) الحوش: الابل المتوحشة. الجوشي من الكلام: الغريب الوحشي، ويقال رجل حوشي: وحشي لا يكاد يخالف الناس.

(٤) الغضاضة: الذلة والمنقصة و - العيب، يقال: لا غضاضة عليك في هذا الفعل.

(٥) وقد بطل هذا النوع من الحلف بعد أن تبين القوم أن الكاذبين في حلفهم والحائنين في ايمانهم لم تصب مقدرتهم الجنسية بأي وهن أو فتور.

وقد استجاب بنو اسرائيل رجالاً ونساءً لدواعي اللذة الجنسية وسدروا<sup>(٦)</sup> ينطلقون في ميادينها نشطين خالعي العذار<sup>(٧)</sup>. « وبنوا هم أيضاً لأنفسهم مرتفعات وانصابا وسواري على كل تل مرتفع وتحت كل شجرة خضراء. وكان أيضاً مآبونون في الأرض ». (١ ملوك ١٤: ٢٣-٢٤).

كان هذا الإله الثاوي في الصندوق يتخذ - كغيره من الأوثان - للعرافة، وكانت رؤيته ولمسه محرمين على الناس باستثناء الكهنة وحدهم فمن انتهك حرمة من غير هؤلاء فجزاؤه الهلك.

وقد تولى هذا الإله قيادة بني اسرائيل في مهامه سيناء أربعين عاماً في رحلة كانت خليقة ألا تستغرق أربعين يوماً. وهم ينسبون إلى هذا التابوت، كما يطلقون عليه، الفضل في تمكنهم من عبور نهر الأردن. « فعند إتيان حاملي التابوت الى الأردن وانغماس أرجل الكهنة حاملي التابوت في ضفة المياه. والأردن ممتلىء الى جميع شطوطه كل أيام الحصاد. وقفت المياه المنحدرة من فوق وقامت ندا واحدا بعيدا جدا عن « ادم » المدينة التي إلى جانب صرتان. والمنحدرة إلى بحر العربية بحر الملح<sup>(٨)</sup> انقطعت تماماً وعبر الشعب مقابل أريحا. فوقف الكهنة حاملو تابوت عهد الرب على اليابسة في وسط اردن راسخين وجميع اسرائيل عابرون على اليابسة حتى انتهى جميع الشعب من عبور الأردن<sup>(٩)</sup> ». (يشوع ٣: ١٥-١٧).

وكانوا يعتمدون على هذا التابوت في دحر الأعداء، وقد باؤا مرة بالهزيمة فعللوا ذلك بأن التابوت لم يكن في معيتهم، إذ أن المقاتلين كانوا قد « صعدوا الى رأس الجبل وأما تابوت عهد الرب وموسى فلم يبرجا من وسط المحلة فنزل العمالقة والكنعانيون الساكنون في ذلك الجبل وضربوهم وكسروهم ». (عدد ١٤: ٤٤-٤٥).

وقد صدّ اليهود عن التابوت ولوا كشحم عنه لما أفوه قد استنفدت قواه، وحدث بعد ذلك أن منوا بالهزيمة في قتالهم للفلسطينيين دون أن يكون التابوت معهم، فقر رأيتهم أن يعيدوا التابوت إليهم وأن يمنحوا يهوه الهرم فرصة أخرى.

(٦) سدر: لم يهتّم ولم يبال ما صنع، ويقال هو سادر في الغي: تائه.

(٧) العذار: ما سأل من اللجام على خد الفرس والحياء، ومنه يقال للمنهك في الغي المتعب هواه « خلع عذاره » أي الحياء كما خلع الفرس العذار فجمع وطمح. وهو خلع العذار أي يقول ويفعل وما يبالي بشيء كالدابة بلا رسن.

(٨) يقصد البحر الميت.

(٩) وهكذا عبر يشوع بقومه نهر الأردن على النحو الذي عبر به موسى البحر الأحمر، وقد طالما كرر يشوع

معجزات موسى.

## مضي اليهود في عبادة الأوثان

وفي الحق أن اليهود لم يؤمنوا بالوحدانية تمام الايمان ولم يخلصوا لإلههم يهوه حاق<sup>(١)</sup> الاخلاص بل ظلوا إلى عهد غير موغل في القدم يشوب عقيدتهم الجنوح الى الأخذ بتعدد الآلهة. لقد كان إله الأسفار الأولى من « العهد القديم » يعيش عالياً في السماء مع كائنات أخرى أقل شأنًا تسمى هي أيضاً « الوهيم<sup>(٢)</sup> ». وفي التوراة آيات شتى تشير الى ايمان اليهود بالآلهة المتعددين، فمن ذلك: « وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا ». (تكوين ١: ٢٦).

« وقال الرب الإله هوذا الانسان قد صار كواحد منا عارفاً للخير والشر ». (تكوين ٣: ٢٤).

وهم لم يقتصروا على أن آمنوا بالآلهة الأجانب. « من مثلك بين الآلهة يا رب ». (خروج ١٥: ١١).

بل لقد عبدوها كذلك ضاربين بالوصية الأولى عرض الحائط، وفي ذلك يقول يهوه: « لأنهم تركوني وسجدوا لعشتورت إلهة الصيدونيين ولكموش إله الموابيين وللكوم إله بني عمون ولم يسلكوا في طريقي ليعملوا المستقيم في عيني ». (١ ملوك ١١: ٣٣).

وقال داود في شبابه يشكو موطنه الى ملكيه شاول ويحملهم تبعة لجوئه الى الفلسطينيين اعداء وطنه ودينه. « إنهم قد طردوني اليوم من الانضمام الى نصيب الرب قائلين اذهب اعبد آلهة أخرى ». (١ صموئيل ٢٦: ٢٩).

ومفاد القول أن عبادة يهوه محدودة بتخوم بني اسرائيل. ولهذا فان المدعو نعمان قائد جيش آرام (سورية) سأل النبي اليسع، عندما أبراه من البرص، أن يطرفه بقدر من ثرى بلاد اسرائيل

(١) الحاق الوسط، يقال: جئت في حاق الشتاء أي وسطه. أخذني حاق الجوع أي صادقه. رجل حاق الرجل أي كامل في الرجولية.

(٢) الوهيم جمع الوه ومعناه الآلهة بصيغة الجمع، وهي حقيقة حاول المترجمون طمسها فترجوا كلمة « الوهيم » بكلمة « الرب الإله ».



ليعبد فوقه إله إسرائيل ويذبح عليه الاضحيات التي يقربها له. « فقال نعمان أما يعطى لعبدك حل بغلين من التراب لأنه لا يقرب عبدك محرقة ولا ذبيحة لآلهة أخرى بل للرب ». (٢ ملوك ٥: ٧١).

وقد عبد اليهود كل ما عبده غيرهم من الشعوب البدائية في عصور الجاهلية، عبدوا الأوثان وعبدوا العجل الذهب. وقد أشار « العهد القديم » إلى عبادتهم للعجول في غير موضع ومن ذلك أن الملك يربعام الذي خلف سليمان أمر بصنع عجلين من ذهب. « فاستشار الملك وعمل عجلي ذهب وقال لهم كثير عليكم أن تصعدوا الى اورشليم. هو ذا آهتكم يا إسرائيل الذين أصدوك من أرض مصر. ووضع واحداً في بيت أيل وجعل الآخر في دان ». (١ ملوك ١٢: ٢٨-٢٩).

وذاعت عبادة العجول<sup>(٣)</sup> في مملكة يهوذا وعاصمتها السامرة. « زخ عجلك يا سامرة ». (هوشع ٨: ٥).

وكان يهوه يعبد في بقاع اسرائيلية شتى في صورة عجل ذهب وكل أنبياء القرن الثامن ق. م ينظرون الى عبادة العجل على أنها ضرب من عبادة يهوه وان كانوا يرونه ضرباً غير مستحب. وقد احتوى هيكل اورشليم نفسه على رموز لعبادة العجل. وبارك يربعام ملك يهوذا هذه العبادة فلم يكن لايليا وأليشع قبل بالاعتراض عليها، ولهذا قصرنا حملاتها على عبادة الآلهة الأجنبيات مثل بعل الفينيقي وكانت عبادته قد تطرقت الى مملكة اليهود مع الملكة ايزابل عند زفافها الى آخاب.

لقد عبدوا العجول رمز القوة والاختصاص قبل أن يعبروا نهر الأردن الى كنعان، فلما عبروه عبدوا البعليم وغيره من آلهة الوثنيين. وفي « العهد القديم » أن سليمان زين الهيكل بالصور والتماثيل وأنه انكفاً يعبد أصنام الشعوب المجاورة ولم يمكسك عن ذلك طوال حياته. « وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري. فأمالت نساؤه قلبه. وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أمعن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب الهه كقلب داود أبيه. فذهب سليمان وراء عشتورت إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين. وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه. حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموابيين على الجبل الذي تجاه اورشليم ولمولك رجس بني عمون<sup>(٤)</sup> ». (١ ملوك ١١: ٣-٧).

(٣) ﴿... واشربوا في قلوبهم العجل...﴾. (البقرة ٩٣).

(٤) الموابيون والعمونيون الذين عبد سليمان إلههم وأقام لها الانصاب في بلاده هم أضرى أعداء بني اسرائيل، وقد ظلت الحرب بينهم وبين اليهود سجالاتاً، ولهذا عمل كاتبو سفر التكوين على اسقاط مروتهم والغضب من شأنهم

وعند تربع حزقيا بن آحاز على عرش مملكة يهوذا حوالي سنة ٧٢٠ ق.م وجد القوم ما زالوا عاكفين على عبادة الأوثان فتسخطه ذلك. « وهو أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السواري وسحق حية النحاس التي عملها موسى<sup>(٥)</sup> لأن بني اسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها ». (٢ ملوك ١٨ : ٤).

ورفعوا الترافيم<sup>(٦)</sup> الى منزلة الآلهة وهي أصنام تحمل وتنقل، فعندما ظعن يعقوب بأغنامه المخططة والرقطاء من عند حميه لابان الأرامي (أي الشامي) ميمياً شطراً أبيه اسحق في كنعان عمدت راحيل ابنة لابان، إحدى الشقيقتين اللتين بنى بهما يعقوب في أسبوع واحد، الى سرقة أصنام أبيها. « وأما لابان فكان قد مضى ليجز غنمه. فسرقت راحيل أصنام أبيها. وخذع يعقوب قلب لابان الأرامي إذ لم يخبره أنه هارب ». (تكوين ٣١ : ١٩-٢٠).

وكان داود أيضاً يقتني الترافيم. فلما بحث عنه الجند ذات يوم لينفذوا فيه أمر الملك شاول بقتله هربته امرأته ميكال بنت شاول. « فانزلت ميكال داود من الكوة. فذهب هارباً فأخذت ميكال الترافيم ووضعت في الفراش ووضعت لبدة المعزي تحت رأسه وغطته بثوب ». (١ صموئيل ١٩ : ١٢-١٣).

وبعد ذلك بزهاء ثلاثة قرون أي في القرن الثامن ق.م كان النبي هوشع يعد الترافيم شيئاً لا غناء عنه في العبادة، فهو يتحدث الى العاهرة التي اشتراها بخمسة عشر شاقلاً من الفضة منبأً

---

فرموهم بأنهم أولاد زنية وقالوا في تفصيل ذلك أن لوطاً كان قد أسرف في معاقرة الصهبا وزين له السكر فانترى على ابنتيه وافترعها فتمخض ذلك عن قبليتي موآب وبني عمون. « فحبلت ابنتا لوط من أبيها. فولدت البكر ابناً ودعت اسمه موآب. وهو أبو الموآبيين إلى اليوم. والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمي. وهو أبو بني عمون إلى اليوم ». (تكوين ١٩ : ٣٦-٣٨).

(٥) فقد صادف الاسرائيليون الحفاة التائهون في بادية سينا ذات يوم لفيضاً من الصلال اثخن فيهم لدغاً، وفسر لهم موسى هذا الرزء بأن يهوه ينكل بهم لتمردهم على زعامته هو. « وتكلم الشعب على الله وعلى موسى قائلين لماذا اضعدماناً من مصر لنموت في البرية لأنه لا خبز ولا ماء وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف. فأرسل الرب على الشعب الحيات المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من اسرائيل. فأثى الشعب الى موسى وقالوا قد اخطانا. ففضع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية فكان متى لدغت حية انساناً ونظر الى حية النحاس يمياً. (عدد ٢١ : ٥-٩).

هذا، وقد كانت الشعوب القديمة تتخذ الحية رمزاً للعمل الجنسي ولهذا كانوا يقدرونها قدراً عظيماً ويمجدونها. (٦) Teraphim أي الآلهة المنزلية ويفلب أن تكون على هيئة الإنسان في مثل جرمه، وربما كان المقصود بها تمثيل أرواح الأجداد، وهي تضيي الحماية على الأسرة وتعد بين الأوثان. « لأن التمرد كخطية العرافة. والعداء كالزمن والترافيم ». (١٠ صموئيل ١٥ : ٢٣).

ومع ذلك فالراجح أن اليهود لم يكونوا يهدون في عبادتها خيانة عظيمة ليهوه كما كانوا يهدون في عبادة الآلهة الأجانب.

إياها أن البلاد أوغلت في الاثم ولجت في المعصية فكتب عليها يهوه أن تمر بها أوقات عصيبة يبلغ من هول المحنة فيها أن تزول منها الترافيم. « وقلت لها تقعدين أياماً كثيرة لا تزني ولا تكوني لرجل. وأنا كذلك لك. لأن بني اسرائيل سيقعدون أياماً كثيرة بلا ملك وبلا رئيس وبلا ذبيحة وبلا تمثال وبلا أفود وترافيم ». وعبدوا الانسان.

١٢ - وعاد بنو اسرائيل يعملون الشر في عيني الرب فشدد الرب عجلون ملك موآب على اسرائيل لأنهم عملوا الشر في عيني الرب.

١٤ - فعبد بنو اسرائيل عجلون ملك موآب ثماني سنوات وامتلكوا مدينة النخل.

١٥ - فعبد بنو اسرائيل عجلون ملك موآب ثماني عشرة سنة. (قضاة ٣: ١٢-١٤).

## في سبيل التوحيد

كان العبريون منذ زمن سحيق يعبدون يهوه مجسماً في صورة اسطوانة من الحجر، أو هم - بتعبير آخر - كانوا قد نخلوا معبودهم الحجري هذا صفة الألوهية وأطلقوا عليه اسم يهوه، فكيف أصبح هذا العمود القومي المقدس إلهاً قادراً على كل شيء، وكيف صارت بهم الحال إلى الوجدانية؟

الا انما يرجع الفضل في ذلك الى أمرين:

١ - الوضع الاجتماعي والسياسي لأسباط بني اسرائيل خلال المدة التي تبدأ بالقرن التاسع ق. م. وتنتهي بالقرن الخامس ق. م.

٢ - نزعة خاصة في عقول الساميين إلى التوحيد، ومن بدوات<sup>(١)</sup> ارنست رنان اللامعة قوله أن العقل السامي مفطور على التوحيد. لقد مرّ الساميون بطور عبادة الآلهة المتعددين ثم جرت منهم محاولة للتوفيق بين شتيت الآلهة فأسبغوا على كل منهم ما للآخرين من خصائص وصفات، فنصلت الألوان المميزة لكل منهم والفارقة بين بعضهم وبعض حتى التبس الأمر في شأنهم وقد حدث شيء من ذلك في بلدان غير سامية مثل مصر واليونان ولكن الأمر لم يبلغ فيها شأواً بعيداً.

١ - فقد كان إله العبرانيين مخبوءاً في ظلمة تابوت أو متوارياً في غبش داخل خيمة وكان العبرانيون يجفلون عند رؤيته ويتخرجون من النطق باسمه فبقيت آلهتهم دون أشكال واضحة أو ملامح محددة.

٢ - وبخلاف مصر ذات الجو الجاف الذي يدرأ العطب والفساد عن الموميوات والأصنام والمقابر والمعابد، كانت البلاد التي استوطنها العبريون تتعاورها أطوار جوية عنيفة من أمطار تنهمر ورياح تتناوح<sup>(٢)</sup> وتبعاً لذلك تتأثر الموميوات والآثار المقدسة فيسرع إليها التفتت والنبلى،

(١) البداية: الرأي يسنع، ويقال فلان ذو بدوات: اذا كانت تظهر له آراء فيختار أحزماً.

(٢) تناوح الشبان: تقابلا. تناوحت الرياح: اشتد هبوبها وهبت صبا مرة ودبوراً مرة وشالاً مرة وجنوباً مرة.

وهكذا تقوضت هذه الأشياء فاندرست عبادة الأسلاف واغضب الآلهة ذوو الخطر. مكان الرجل التاريخي وسمي الآلهة القدامى بأسماء جديدة متطفلة عليهم فأصبح ملكرت بعل مدينة صور يعبد في زمن متأخر على وهم انه الإله الاغريقي هرقل. وكان ببلوس صنان يعبدان على انها الإلهان السوريان أدونيس وعشرت ثم دار الزمن فأصبحا يعبدان باعتبارهما الإلهين المصريين أوزيريس وأيزيس<sup>(٣)</sup>.

وقد كان هذا الازدياد في الشبه بين مختلف الآلهة ورغبة القوم في التوفيق بينهم مما عبد الطريق في سبيل المناادة بالوحدانية فيما بعد، وساعد على ذلك أن التصورات الدينية عند الساميين كانت مشوبة بشيء من الابهام مرده الى:

- ١ - خلو حضارة الساميين من الفنون، فقلما دار مخلص أحد منهم أن ينقش صورة لآلهة.
  - ٢ - الخصائص المتأصلة فيهم والتي نرى الآن نموذجاً لها في العرب وما ركب في طبائعهم من كآبة وكبرياء وحذر واسترسال في التخيل واستغراق في التأمل.
- هذا ومن الخير أن نلاحظ:
- ١ - أن يهوه كان منظوراً إليه دوماً على أنه إله بني اسرائيل القومي.
  - ٢ - وأنه كان إلههم الأعظم على غرار زيوس في اليونان وجوبتر في روما.
  - ٣ - وقد أعلى مكانه في أعينهم وجعله يزعم على سائر الآلهة المحليين، بوصفه الإله القومي، إن بني اسرائيل كانوا يقيمون في فلسطين على قلق، وكانوا جاليات متناثرة يمدق بها الأعداء، وكانت الحرب سجالات بين الفريقيين.

---

(٣) وقد بذلت في طور متأخر من أطوار العبادة محاولات للزج بالأجرام السماوية وقوى الطبيعة العاتية في صلب المعتقدات الأسطورية أو الدينية فأصبح كل ملك منحدرأ من سلالة الشمس وكل إله عظيم هو الشمس بعينها. وتلت ذلك مساع للتوفيق بين يهوه والشمس، وقد كان الحجر المقدس الذي هو يهوه، في اسرائيل - كما كانت المسلة في مصر - يرمز الى معنى جنسي ويمثل كذلك أشعة الشمس. وبعد ان كان يسكن في التابوت ويرحل معه أينما رحل ونقله عجلة تجرها الثيران، جعل المتأخرون، وربما كان ذلك في القرن الثامن ق.م، مسكنه في السماء، وهي فكرة أكادية الأصل، وجعلوا ينسبون إليه ظواهر تتعلق بالنور والنار، فهو يظهر في مدين موسى في نبتة مشتعلة ويسمى أمام بني اسرائيل في البرية على هيئة مارج من النار. وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم... (خروج ١٣: ٢١).

ومن ذلك نرى أن عباد يهوه اقتبسوا غير قليل من عبادات آلهة بعض العناصر الفلكية التي كانوا قبل يعدونها معادية ليهوه كالاستراحة في يوم السبت وهو يوم البؤس عند الإله الخبيث كيوان أو زحل، وقد كان عابده يرغبون عن قضاء أية حاجة لهم في ذلك اليوم. وكان اليهود يعدون تقسيم الشهر القمري (وهو المدة المقدسة لعشرت ملكة السماء) الى أربعة أسابيع عملاً وثنياً، ثم تبنا يوم السبت وفسروه بأن الله استراح فيه بعدما خلق الدنيا في ستة أيام.

٤ - وكانت عبادة يهوه هي الرباط القومي الذي يوثق بين الأسباط المتناثرة المتنافرة، فهم يحملونه معهم في المعارك ليقاتل الى جانبهم، وهذا التضامن بين الإله والقبيلة هو ظاهرة واضحة من ظواهر العبادة عند الساميين.

وقد ازداد بنو اسرائيل ادراكاً لذلك بعد ما التأم شملهم على عهد داود وغدوا شعباً واحداً اتخذ من اورشليم عاصمة له.

٥ - ويرجع الفضل في صيرورة يهوه إلهاً للجنس الاسرائيلي برمته<sup>(٤)</sup> الى ما قام به داود من احضاره يهوه الى اورشليم وما نهض به سليمان من بناء هيكل له، حتى إذا ما انقسمت المملكة أثر موت سليمان أصبح يهوه هو الإله الأعظم للمملكة الجنوبية «يهوذا» على الأقل.

٦ - وقد انتفع يهوه بما هو مذكور من أمره في مبتدأ الوصايا العشر من أنه «إله غيور» أي انه لا يطيق أن يشركه في هيكله إله آخر، فان ذلك جعل «داجون» إله الفلسطينيين يخر على وجهه بين يديه ولا يقوى على البقاء في حضرته. «وإذا بداجون ساقط على وجهه الى الأرض أمام تابوت الرب ورأس داجون ويداه مقطوعة على العتبة. بقي بدن السمكة فقط...» (١ صموئيل ٥: ٤).

وهكذا فرض سدنة يهوه على الذين يتبعون له أن ينصرفوا انصرافاً تاماً عن الآلهة الآخرين وجعلوا ينظرون إلى أولئك الآلهة على أنهم أوثان، فغدا يهوه هو الإله الحي الواحد، على الأقل في أرض اسرائيل.

٧ - وكان رجال الكهنوت قد حظروا صنع تماثيل ليهوه اكتفاء بالحجر المقدس الذي أودعوه التابوت، فكان القوم يولون وجوههم شطر «شيلوه» ثم شطر «اورشليم» متخذين منها قبلة تدعم الوحدة القومية.

٧ - وكان رجال الكهنوت قد حظروا صنع تماثيل ليهوه الدبلوماسي ما يحفظ عليها استقلالها المزعزع وسط امبراطوريات قوية في مصر والعراق، بيد أن المملكة الشمالية ما عتمت أن تلقت في القرن الثامن ق.م ضربة قاصمة إذ أغار عليها الآشوريون واجتاحوا عاصمتها السامرة في سنة ٧٢٢ ق.م فطنى التحمس على عباد يهوه في ذلك العصر الذي نستطيع أن نسميه عصر النبوات والذي أبرز لنا تلك الشذرات الأدبية العبرية في المقاومة السلبية ومكافحة الغزاة بغير سلاح ومناصرة يهوه للعبريين في قتال أعدائهم قتالاً فت في أعضادهم فلم تغن عنهم افراسهم ومركباتهم الحربية، فاذا قصر الاسرائيليون عليه عبادتهم ونبذوا سائر الآلهة فسيعصف بأشور

---

(٤) الرمة: الحبل يشد في عنق البعير. اعطاه برمته أي بجملته وأصله أن رجلاً دفع إلى آخر بعيراً بحبل في عنقه فصار يقال لكل من دفع شيئاً بجملته: أعطاه برمته.

ويجعلها موطناً لأقدامهم. تلك هي اللغة التي كان يتحدث بها أشعيا ومن اليه .  
ومن عجب أن الحزب اليهودي اختار تلك الفترة التي كان الكيان القومي كله معرضاً فيها  
للانهيار كي يقوم بالإصلاح الديني الشامل .  
كان الكهنة في ذلك الوقت هم وحدهم على شيء من العلم وكانوا يكتبون الأسفار الدينية  
ويلقنون الناس أنها موحى بها ويتخذون من ذلك برهان صحتها، لا أنها صحيحة ومن ثم تكون  
موحى بها .

وتوفر حلقياً رئيس الكهنة في أورشليم على وضع سفر جلا فيه الشريعة مدونة على نمط جديد  
منقحة حسبما كانت تقتضي الأحوال والملابس المستجدة إذ ذاك، ثم شخص إلى يوشيا ملك  
يهودا (حوالي سنة ٦٢١ ق.م) وزعم له أنه سقط له من أوابد<sup>(٥)</sup> الهيكل سفر كان بديداً<sup>(٦)</sup> بين  
سجلات الهيكل يتضمن معلومات تاريخية وأحكاماً خلقية وتشريعية أدلى بها موسى فيما غبر وهي  
لا تدع وجهاً من أوجه الخلاف فيما يعرض من المسائل الاحتمية. وأفلح الكهنة في ضم الملك  
يوشيا الى جانبهم، فما ونى أن دعا كبار القوم إلى الهيكل حيث أمر فتلى عليهم سفر الشريعة  
وفرض عليهم بسلطانه الإصلاح الديني المنشود. « وأمر الملك حلقياً الكاهن العظيم وكهنة الفرقة  
الثانية وحراس الباب ان يخرجوا من هيكل الرب جميع الآنية المصنوعة للبعل وللسارية ولكل  
أجناد السماء واحرقها خارج أورشليم في حقول قدرون وحمل رمادها الى بيت ايل... وهدم  
بيوت المأبونين التي عند بيت الرب... وذبح جميع كهنة المرتفعات التي هناك على المذابح  
و حرق عظام الناس عليها ثم رجع الى أورشليم... وكذلك السحرة والعرافون والترافيم والأصنام  
وجميع الرجاسات التي رثيت في أرض يهوذا وفي أورشليم أبادها يوشيا ليقم كلام الشريعة  
المكتوب في السفر الذي وجده حلقياً الكاهن في بيت الرب ». (٢ ملوك ٢٣: ٤-٢٤).

ولم يقبض ليوشيا أن يعمر بعد ذلك طويلاً ليسهر بنفسه على ذلك الإصلاح الديني الكبير،  
فقد زحف « نخاو » ملك مصر على أشور مخترباً مملكة يهوذا وانبرى يوشيا لصد هذا الزحف في  
مجدو ففتك نخاو به وبجيشه في مجدو .

وانصرفت بعد ذلك سنون واذا بمختصر وقد انقض على نخاو وظهر عليه في قرقيش  
واستولى على يهوذا ودخل حاضرتها أورشليم سنة ٥٨٦ ق.م وأباحها لجيشه ثم أخرجها وقوض  
مرابعا وعاد منها الى بلاده بألوف الأسرى والسبايا، وبذلك أصبحت مملكة يهوذا ولاية تابعة  
لبابل وكفت دهرأ عن أن يكون لها وجود مستقل .

(٥) الأبدية: الأمر العجيب يستغرب له .

(٦) ذهبوا أبايد أي متبدين. طير اباديد: متفرقة .

وقد أغفل المؤرخون ما صار إليه العمود الحجر الذي هو يهوه، وما يديرنا لعل الغزاة فعلوا به ما فعله يوشيا بالسارية التي «أحرقها... ودقها إلى أن صارت غباراً». (٢ ملوك ٢٣: ٦). ومهما يكن من أمر فقد انقطع ذكر يهوه - بوصفه شيئاً مادياً - منذ تلك الحقبة فلم نعد نسمع نبأ يتعلق به وبالتابوت الذي كان يشوي فيه.

ومن عجب أن اختفاءه التام هذا من صحيفة التاريخ بوصفه إلهاً محسوساً ملموساً لم يكن سبباً لاضمحلال عبادته وخوردها في بلاد اليهود، بل كان مؤذناً بتحولها إلى عبادة روحية توحيدية منتشرة في مختلف أرجاء العالم، ذلك أن هذا الاختفاء حدث بعد أن أوšk دين يهوه على استيفاء تطوره، فإن الأنبياء من اليهود كانوا - حتى قبل السبي البابلي - قد شرعوا في تحسين فكرتهم في يهوه وقدسيته وسموه على البشر وقدرته على كل شيء، فلما كان السبي اتسع هذا الفهم الروحاني وجعل العبريون ندرا في مفاهيم يتصورون يهوه حاكماً رفيع الذرى يسكن السماء غير مقيد بقيود المادة ولا تراه العيون ولا تقام له التماثيل أو يرمز إليه بشيء.

وبدأت ألوحداية تغزو قلوب العبريين أول مرة في بابل، وما هي إلا أن أصبحت عقيدة لهم، فقد وقع في وهمهم أن كل ما حل بهم من الغوائل إنما يرجع إلى هجرهم يهوه ومخالفتهم عن أوامره، ومن ثم جعلوا يزدادون التصاقاً بهذا الإله الذي يمثل وجودهم ووحدتهم القومية.

وحدث في سنة ٥٣٨ ق.م أن قورش الكبير عاهل فارس غزا بابل وأطلق من بها من اليهود الذين اجتلبهم إليها بختنصر منذ نصف قرن ورد لهم آنية الذهب والفضة التي كان بختنصر قد غنمها من هيكل سليمان، ويسر العاهل الفارسي لهم إقامة معبد لربهم في أورشليم عوضاً عن هيكل سليمان الذي كان البابليون قد أتوا عليه. «هكذا قال كورش ملك فارس جميع ممالك الأرض دفعها لي الرب إله السماء وهو أوصاني أن ابني له بيتاً في أورشليم التي في يهوذا». (عزرا ١: ٢).

وعاد الأسرى والسبايا من بابل إلى يهوذا وهم على ثقة بأن صلاحهم وفلاحهم متوقفان على تجديد دينهم، ولم يكن بين أولئك الذين أبوا أخيراً إلى أورشليم غير نفر قليل، إن كان قد أب منهم أحد على الإطلاق، ممن سبق لهم أن عرفوا هذا الإله الحجر الذي كان ثاوياً في التابوت. لقد تبوأ يهوه مكانه في السماء بين النجوم الزهر، أما الهيكل الذي بناه القوم له بعد عودتهم من السبي فإنه لم يقم فيه بشخصه ولم يصير «بيت الله» بالمعنى الحرفي للكلمة كما كان سلفه هيكل سليمان الذي قوضه بختنصر.

وطوى الموت قورش فخلفه على عرش فارس عاهل اثر عاهل، نذكر منهم ارتحشتا وفي عهده رجع عزرا بن بن بن... بن هرون الكاهن شقيق موسى - من بابل إلى أورشليم وناط به الملك اصلاح الشريعة اليهودية وخوله في ذلك سلطاناً كبيراً، فسار عزرا على نهج جده حلقيا



وقام بالحركة الاصلاحية الثانية مبتدعا شريعة جديدة نسبها إلى موسى. «اجتمع كل الشعب كرجل واحد إلى الساحة التي أمام باب الماء وقالوا لعزرا الكاتب أن يأتي بسفر شريعة موسى التي أمر بها الرب اسرائيل فأتى عزرا الكاتب بالشريعة أمام الجماعة من الرجال والنساء وكل فاهم ما يسمع... وأجاب جميع الشعب آمين آمين رافعين ايديهم وخروا وسجدوا للرب على وجوههم إلى الأرض. واللاويون افهموا الشعب الشريعة والشعب في أماكنهم وقرأوا في السفر في شريعة الله ببيان وفسروا المعنى وافهموهم القراءة». (نحميا ٨: ١-٨).

وظفر يهوه بالنصر بفضل فقدانه لخصائصه المميزة واقتصراره على الاتصاف بالصفات العامة للألوهية، وهو ما اكسب الوجدانية قوة عظيمة وسنى لها أن تشق طريقها في كل مكان، فالوجدانية هي الدين مختزلاً إلى عنصره المركزي البسيط.

وقد تركت الأفكار الجديدة أثراً عميقاً في مناحي العقيدة اليهودية، فأقبل أولو الأمر يدونون الأخبار التاريخية جميعها في صورة يهوية. وبذلك لبست التوراة والأسفار التاريخية الثوب الذي ترتديه الآن وتغير مفهوم القوم عن يهوه فبعد ان كانوا، حتى القرن السادس ق. م، يعدونه الإله القومي لاسرائيل جعلوا الآن ينظرون إليه على أنه إله العالم كله على النحو الذي يعرفه الاسلام عن الله والذي تعرفه المسيحية عن الآب في الوقت الحاضر. بيد أن ذلك لم يحل دون بقاءه على ارتباط وثيق باليهود، وكل هؤلاء يرجون ان تعرف الأمم مجده وعظمته من طريقهم، وظل الأمر كذلك خمسة قرون في انتظار المناداة به خارج اسرائيل وعقد الاتحاد بينه وبين شتى القوميات، وكان الفضل في ذلك لبولس الطرسوسي.

## نشأة الوحدانية في مصر

وأيا ما كان الأمر فقد سبق المصريون اليهود في القول بوحدانية الله، فقد كان امنحتب الرابع آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة عند استوائه على العرش يؤمن بأن إلهاً واحداً هو الإله الحق وما عداه باطل وزور. وكانت الصورة المرئية لهذا الإله هي الشمس «أتون» فهي أم الكائنات جميعاً، وما وجدت الخليفة كلها الا بكلمة من فيها، وما صدف الناس عن عبادتها إلا ضلالة وعماية<sup>(١)</sup> وقد حزم الملك أمره، وعاونته زوجته الحسناء نفرتيتي، على أن يبث الدعوة لهذه العبادة وان يصطنع الشدة والحزم في نشرها. وأوجب على أتباع «أتون - رع» أن يستمسكوا بعبادة الشمس وأن يجحدوا سائر العبادات، وغير هو اسمه تمجيداً للشمس فجعله «اخناتون» أي عظمة الشمس وبهاءها.

ولم تتوافر لهذا المصلح العظيم، خلال الاحدى عشرة سنة التي ولى فيها الملك، مواءمة العوامل السياسية والاقتصادية ومؤازرة القوة الثقافية في البيئة فقد تصدت السلطة الدينية القومية في مدينة «طيه» لهذه الديانة الجديدة التي تتهدد عبادتهم للإله «أمون» بالاضمحلال والزوال، ولم تزل تكافحها حتى قضت عليها<sup>(٢)</sup>.

★ ★ ★

وفي التوراة نفسها دليل على قدم التوحيد في مصر، فقد قرب فرعون إليه العبد العبراني يوسف وأبدى اعجاب به. «فقال فرعون لعبيده هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله». (تكوين ٤١: ٣٨).

(١) العماء والعماية: الغواية واللجاج.

(٢) وإنما نجح الاصلاح الديني في مملكة يهوذا بعد ذلك بأكثر من ثمانية قرون لأن البداية فيه جاءت من قبل الكهنة أنفسهم، إذ كان الاصلاح يتمشى مع مصالحهم الاقتصادية. ومع ذلك فان تلك الحركة التي قامت للاصلاح الديني على سفر التثنية التي زعم حلقيا انه اكتشفه تمخضت عن اوراق سيول من الدماء.

وهو كلام بين الدلالة على أن فرعون وحاشيته كانوا يعرفون الله ويكرمون القانتين<sup>(٣)</sup> له وذلك في زمن يوسف وهو - تأسيساً على ما جاء في التوراة - يسبق زمن موسى بنحو ٢١٥ سنة<sup>(٤)</sup>

ولم تكن الوجدانية هي كل ما نقله أحبار اليهود عن عقائد المصريين، فقد كان كهنة المصريين يلقنون الناس أصول ديانتهم قبل أن تطالعهم التوراة بقولها. « في البدء خلق الله السموات والأرض. وكانت خربة وخالية وعلى وجه الغمر<sup>(٥)</sup> ظلمة وروح الله يرف<sup>(٦)</sup> على وجه المياه. وقال الله ليكن نور فكان نور. » (تكوين ١: ١-٢).  
وكان مما يلقنونهم اياه:

- ١ - ان ثم إلهاً خلق المادة الأولى، وكان الكون قبل ذلك خواء<sup>(٧)</sup>.
- ٢ - ثم صاغها في صورة ما.
- ٣ - ان نفس احد الآلهة هب فوق وجه الغمر.
- ٤ - ان الله برأ الخلق في سهولة ويسر بقوله: كن.
- ٥ - ان النور خلق قبل الشمس<sup>(٨)</sup>.

وكذلك عن مصر نقل وضعة التوراة الأجزاء الأساسية في قصصها، وعدلوا ما نقلوه حتى أصبح يلائم الأساطير الشائعة بين قومهم. وهم لا يمتازون من غيرهم من واضعي الكتب المقدسة الأخرى في مختلف أرجاء المعمورة الا بأنهم لم يمتد حديثهم فيتناول الحياة المستقبلية وبأنهم لم يعدوا بالجنة ويتعدوا بجهنم فقد كان يهوه يقتصر في السيطرة على عباده بما يجزيهم به في هذا العالم من مثوبة طيبة وما ينزله بهم فيه من عقوبة رادعة. أما حكاية النعيم والجحيم فهي اضافات حديثة العهد نسبياً.

- 
- (٣) قنت: أطاع وذل، يقال قنت الله وقتنت المرأة لزوجها.
  - (٤) جاء في قصة ابراهيم أن الله ظهر له. « وتكلم الله هكذا. أن يكون نسله متغرباً في أرض غريبة فيستبعدهو ويسبوا إليه أربع مئة سنة. » (أعمال ٧: ٦).
  - يبد أن يعقوب وبنيه لم يدخلوا مصر إلا بعد ان انقضى على هذا الحديث قرنان.
  - (٥) الغمر في اللغة: الماء الكثير و- معظم البحر. يقابل هذه الكلمة في الاغليزية كلمة The Deep ومعناها الأعماق أو البحر.
  - (٦) يقابلها في الاغليزية كلمة Moved ومعناها تحركت.
  - (٧) الخواء: الهواء أي الفضاء بين الشئين، يقال بينها خواء، وهي في الاغليزية Chaos.
  - (٨) وفي سفر التكوين أن الله خلق النور في اليوم الأول من الأيام الستة وخلق الشمس في اليوم الرابع.

# قصة الخلق

كانت أرجاء المعمورة في الأزمنة الغابرة تتجاوب فيها أساطير شتى تنطوي على أجوبة غير صائبة عما يخوض فيه الناس من أسئلة واستفسارات يتصل بمبدأ الخليقة ومنشأ الجنس البشري وبوفود الموت على هذا العالم وما إلى ذلك من معميات الوجود. ولم تكن تلك الأساطير التي يتناقها البدائيون عامرة بالتصورات الشعرية والتأملات الفلسفية كأساطير من تلامهم من الشعوب التي نهلت من حضارة بل كانت تدور حول محور واحد هو سن المناسك الدينية. وقد اكتسبت تلك الأساطير ما لها من جلاله الشأن بما أحدثت في حياة الأجيال اللاحقة من آثار عميقة لم تدرس حتى الآن.

وعاد العبريون إلى أورشليم من موطن سخرتهم في بابل وقد احتقبوا قصة تتعلق بخلق الدنيا ما لبثوا أن أحدثوا فيها من التعديلات ما يجعلها تلائم فكرتهم في الوحدانية وتؤيد منسك العطلة في اليوم السابع من أيام الأسبوع<sup>(١)</sup>. «لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع. لذلك بارك الرب يوم السبت وقدهس». (خروج ٢٠ : ١١). وقد وضعت هذه القصة لتعليل انتفاء الخلود عن الناس، فقد كان الناس أبدا الدهر تواقين إلى أن يقهروا الموت ويظلوا أحياء.

وكان البدائيون يرون الحيات والأورال والحشرات (في بعض أطوارها) تنسلخ من جلودها فيعتقدون أنها بذلك تستديم الحياة، وكان يخيل إليهم أن الطيور تنسل عنها ريشها فتجدد بذلك شبابها. «فيتجدد مثل النسر شبابك». (مزمو ١٠٣ : ٥).

(١) وقد احتج اليهود لتقديس السبت في مكان آخر من التوراة بسبب آخر، إذ تقول: «واذكر أنك كنت عبداً في أرض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة. لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت». (تثنية ٥ : ١٥).

هل أن نظام العطلات الدورية كان معروفاً للكثير من الشعوب القديمة فكانوا في روما يعفون من العمل في اليوم السابع من كل أسبوع، وكانوا في مصر على معرفة ثامة بالأسبوع، وكانوا يطلقون على الأيام السبعة أسماء الأجرام السواية السبعة التي كانت معروفة لهم في ذلك الزمان.

وقد زين الفرور والزهو القومي لليهود أن في تقديسهم يوم السبت استعلاء بأنفسهم عن مستوى الشعوب المتاحة لهم.

وما زال الأهلون في بعض الجهات (غينيا الجديدة والهند الصينية وجزائر أميرال وسليبيز الخ) يعتقدون أن الناس كانوا ذات يوم يستديمون حياتهم بتغيير جلودهم أو بدفن موتاهم في ظل شجرة معينة تعيد إليهم الحياة بعد فترة من الزمن.

وفي قصة خطيئة آدم ما يوحي بأن الانسان خلق بادىء الرأي ليكون من المخلدين لولا ذلك الحادث الذي دفع منه فافقده هذه المزية وألقى به فريسة أبدية للمرض والموت. تقول القصة أن في الجنة شجرتين تمتازان من سائر أشجارها بما لهما من خصائص هامة، هما: « شجرة الحياة في وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر ». (تكوين ٢: ٩).

وقد خول الله الانسان، بل هو أوصاه، أن يجتني ما طاب له من ثمار أشجار الجنة ما خلا شجرة واحدة هي شجرة معرفة الخير والشر. « وأوصى الرب الإله آدم قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها ». (تكوين ٢: ١٦-١٧).

واذن لم تكن ثمار شجرة الحياة حراماً على آدم، وقد كان حرياً أن يأكل منها لولا أن الحياة صرفت انتباهه عنها إلى الثمرة المحرمة فكتبت بذلك الموت عليه وعلى بنيه أبد الأبدين.

ورثنا هذه الأسطورة عن اليهود ثم سارت الكنيسة بها شوطاً إلى الأمام، إذ فسر القديس بولس النكبة التي كان مسرحها جنة عدن على نحو يتفق ومذهب الفداء وييسر عودة الانسان إلى الفردوس المفقود.

وتشبه قصة العبرانيين في خلق الكون ما دونه البابليون من ذلك في سجلاتهم الطينية وما سجله المصريون على آثارهم الضخمة والهنود في معابدهم المعتمة. والصورة اليهودية لهذه القصة، وان تكن أحدث عهداً تقل عن نظائرها من الصور الغواير بهاء وسموا وليست لها حظها من البساطة واليسر وذلك ما نراه في جلاء عندما نوازن بين قصة التوزاة والقصة الهندية التي هي أقدم منها بأربعين قرناً، وهي تقول: خلق الكائن الأعلى آدم وثنى بجواء وأسكنها جزيرة سيلان الفاتنة ليستمتعا في مخارفيها<sup>(٢)</sup> بأويقات لذيدة يزجيانها<sup>(٣)</sup> في الحب والغزل؛ فقد اقتضت مشيئته أن يكون الزواج أبداً مسوقاً بالحب. ولما أظلمها الحب ربط الكائن الأعلى بينها برباط الزواج وأوصاهما ألا يبرحا تلك الجزيرة، وكانت ذات رونق وبهاء تكسو أديمها أعشاب نضرة تزفها<sup>(٤)</sup> الرياح التناوحة<sup>(٥)</sup> فتعزف أنغاماً تبد أنغام القيشارة رقة وعذوبة تمتزج بتفريد البلابل

(٢) المخرفة: البستان و- السكة بين صفيين من نخيل.

(٣) زجى الشيء: دفعه برفق يقال « كيف تزجى الأيام » أي كيف تدفعها.

(٤) زفرت الريح الجشيش: حركته وصوتت فيه.

(٥) تناوحت الرياح: هبت شمالاً مرة وجنوباً مرة وصبا مرة...

وتاق آدم أن يلقي نظرة على ما حوله فدخل إلى طرف الجزيرة الشمالي وكان ثم معبر ضيق يصل الجزيرة بالقارة. ومد الشيطان في ناحية القارة سراباً رقراقاً<sup>(٧)</sup> صور لباصرتي آدم منظراً أخذاً رأى فيه قتل الجبال وقد جللتها الثلوج النواصع وتدفتت منها السيول لتتكسر على الجنادل فيجيش منها الزبد، ورأى تحت سفوحها الأودية الخضراء قد انبسطت رقاعها وانسابت فيها الجداول الصافية وقد أنضرت على ضفافها الأشجار وأينعت الثمار. وراقه ما شهد فأب إلى حليلته يزين لها أن تصحبه إلى القارة، ولم يزل بها حتى تبعته على هواه، بيد أنها ما ان اجتازا ذلك العنق الضيق من الأرض حتى انهار في اليم فانقطع دونها خط الرجوع وانتشع السراب فإذا هما لا يجدان بين أيديهما غير فياف قفراء وصخور صماء لا بهجة فيها ولا رواء.

هذا، ومن الملاحظ فيما يتصل بالزمن الذي أدجت فيه هذه القصة في سفر التكوين انه لم ترد اشارة إليها في أي سفر آخر من أسفار اليهود المقدسة الا كلمة عارضة في الوصية الموسوية الرابعة الخاصة بتحريم العمل أيام السبت وقد ذكرناها قبل وهي وصية لا يتأتى أن يكون اليهود قد أوصوا بها أبان بداوتهم حين كانوا يلبثون بياض النهار قاعدين عن كسب من أغنامهم، بل يغلب أن يكون ذلك قد حدث بعد أن استقروا فترة طويلة في مدن وأبنية وراء أسوار ومهما يكن من أمر فمن الثابت أن هذه القصة لم تفرع مسامع اليهود إلا بعد السبي البابلي<sup>(٨)</sup> فقد كان علم بدء الخليقة<sup>(٩)</sup> قائماً عند البابليين قبل أن يكتب سفر التكوين بأزمان مديدة، بل قبل العصر الذي يفرض أن موسى عاش فيه. وقد اشتمل هذا العلم على جميع الدعائم الأساسية التي تقوم عليها قصة الخلق العبرانية وعلى رأسها خلق العالم في ستة أيام واغراء حواء وغواية آدم وهم يسمونه «أدمي» وهي الصيغة الأشورية لاسم آدم ويسميه العبرانيون «أدمة» وهو اسم مشتق من

(٦) تمايد : تمايل مهتزاً...

(٧) الرقراق : كل شيء له تلالؤ وبصيص، يقال «سراب رقراق» أي ذو بصيص.

(٨) فان نبوخذ نصر (بختنصر) ملك الكلدان (بابل الحديثة) غزا ملكة يهوذا في سنة ٥٨٦ ق.م وأخرب حاضرتها أورشليم (ومعنى الاسم في العبرية مدينة السلام وان كانت المدينة تحمل هذا الاسم من زمن أقدم من اللغة العبرية) لأنها، كما يقال بنيت في جهد الكاهن ملكي صادق الملقب بملك السلام وهو معاصر لإبراهيم وملكه صادق ملك شالم... (تكوين ١٤ : ١٨).

وسبر الألوف من أهلها ونقلهم الى بلاده فلم يزالوا يسترقون فيها حتى أطلقهم كبروش الثاني ملك فارس عندما غزا بابل سنة ٥٣٨ ق.م.

(٩) Cosmogony (٩)

فعل معناه « يحمر »<sup>(١٠)</sup> وقد يكون مرد ذلك إلى ثرى فلسطين الأحمر .

وإذا رجعنا إلى اللغة الأكديّة (وهي التي سبقت البابلية والتي كتب بها الآشوريون والعبريون في بادئ الأمر جانباً من كتاباتهم في علم بدء الخليقة) ألفينا أن لفظ « أد » معناه أب وأن لفظ « دم » معناه أم، وبذلك يدل اسم آدم على انسان يجمع بين الأبوة والأمومة أو بين التذكير والتأنيث. أما اسم حواء فمعناه حية أو حياة<sup>(١١)</sup>.

وتذكر القصص الفارسية وقصص التلمود أن الله خلق بادية الرأي امرأ يجمع بين ذكر وأنثى ظهرها ملتصقان ثم فصل بين الذكر والأنثى. وورد هذا المعنى في التوراة أيضاً فهي تقول: « يوم خلق الله الانسان على شبه الله عمله. ذكراً وأنثى خلقه وباركه ودعا اسمه آدم ». (تكوين ٥: ٢).

أي أن آدم كان ذكراً وأنثى في وقت معاً<sup>(١٢)</sup> وبما أن آدم خلق على مثال خالقه. « خلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم ». (تكوين ١: ٢٧).

فإن الله - عندهم - يجمع أيضاً بين خصائص الجنسين هذا، وقد سردت أساطير الفرس قصة الخطيئة الأصلية على النحو الآتي:

كان الزوجان الأولان من البشر « مشيا » و « مشيانة » يعيشان بادية بدء عيش الطهر والبراءة، وقد عاهدتها أرمزد، خالق كل ما هو خير، على أن يديم عليها السعادة ما استمسكا بعري الفضيلة، بيد أن اهريمان، أس الرذيلة ومصدر الأذى، دس عليها شيطاناً تراءى لها في صورة حية وعاطاها من ثمار شجرة هببة المنظر من خصائصها أن تضفي الخلود على الأحياء وترد الحياة إلى الموتى، فتطردت إلى قلبيهما نوازع الشر وزايلها ما كانا يتحلجان به من خلق رفيع، ثم ما لبث أهريمان أن سعى إليها بنفسه في صورة الحية نفسها ولم يزل يغرر بها ويغريها حتى اعترفا به - دون أرمزد - خالقا لكل ما هو خير، وبذلك خسرا ما كان قد اعتد لها من نعم مقيم.

وفي أساطير المصريين القدماء أن ايزيس وأوزيريس كانا يعيشان معاً في الفردوس تظللها

---

(١٠) وقد دعى عيسو بن إسحق آدم لأنه مر يوماً بأخيه التوأم يعقوب فوجده قد أعد طبيخاً من العدس. « فقال عيسو ليعقوب اطعمني من هذا الأحمر... لذلك دعي اسمه آدم ». (تكوين ٢٥: ٣٠).

(١١) أما في اللغة العربية فإن اسم حواء مشتق من الحوة وهي الحمرة الضاربة الى السواد أو سمرة الشفة، فهو أحوى وهي حواء.

(١٢) قال جريجوري أسقف نيسا ان آدم وحواء ولدا ولا جنس لها وان الآية « ذكراً وأنثى خلقهم » ترجع الى عمل تال لخلقها نجم عن معصية آدم وانه لولا هذه المعصية لكان الناس يتكاثرون بطريقة تشبه بعض الشبه تكاثر النبات.

السعادة وتحف بها الهناءة وما فتئا في تلك الحال إلى أن استبدت بايزيس الرغبة في أن تستقي، من ماء الخلود، فمضى أوزيريس يطلبه فكانت تلك عثرته .

وقد فشت أساطير كهذه في مختلف الشعوب وكلها مجمع على أن المرأة الأولى اقترفت الخطيئة الأولى انقيادا للاغراء . وما يزال الناس في الشعوب المتمدنة يقولون « فتش عن المرأة » وانه ليس الرجل أن يلقي على المرأة تبعة اخطائه، والويل للضعيف .

وقد سردت لنا التوراة قصة الخلق مرتين، أو بالأحرى، سردت لنا قصتين في خلق الكون تستقل احدهما عن الأخرى، وقد الصقت كل من القصتين بالأخرى في غير لباقة، وتستوعب الأولى منها الاصحاح الأول من سفر التكوين والآيات الثلاث الأولى من الاصحاح الثاني، وقد اطلق على « الله » فيها لفظ « الوهيم » بصيغة الجمع، ويبدو الله في تلك القصة إلى حد بعيد كأنه مجرد فكرة لشيء معنوي ليس له وجود حسي، فهو قادر على أن يخلق ما يريد مكتفياً بأن يقول « كن » وهذه القصة خلاء من أية اشارة الى جنة عدن وما جرى فيها . وقد وضع الكهنة - بعد عودتهم من بابل - هذه القصة على غرار الأسطورة السامية التي سمعوها هناك . أما القصة الثانية وهي أقدم عهداً وأوغل بدائية، فهي تبدأ بالآية الرابعة من الاصحاح الثاني وتنتهي بنهاية ذلك الاصحاح<sup>(١٣)</sup>، وقد صور الله فيها مشاكللاً للإنسان في سمته وسلوكه . وقد أفاضت هذه القصة في حديث الجنة وحددت موضعها جغرافياً على الأرض . « وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة . ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس . اسم الواحد فيشون وهو المحيط . بجميع أرض الحويلة حيث الذهب . وذهب تلك الأرض جيد . هناك المقل وحجر الجزع . واسم النهر الثاني جيحون . هو المحيط بجميع أرض كوش<sup>(١٤)</sup> واسم النهر الثالث حدائق<sup>(١٥)</sup> وهو الجاري شرقي آشور والنهر الرابع الفرات<sup>(١٦)</sup> . (تكوين ٢ : ١٠ - ١٤) .

وتختلف القصتان فيما يتصل بالمادة التي جبل الله منها الخليقة، ففي القصة الأولى نجد الماء هو العنصر الأول<sup>(١٧)</sup> . « وروح الله يرف على وجه المياه » . (تكوين ١ : ٢) .

أي أن الله خلق من الماء كل شيء حي . « وقال الله لتفض المياه زحافات ذات نفس حية وليطير طير فوق الأرض وعلى وجه جلد السماء . فخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الأنفس

(١٣) لم تكن أسفار اليهود المقدسة في أول أمرها مقسمة اصحاحات بل ادخل عليها هذا التقسيم في زمن لاحق .

(١٤) وهي الحبشة .

(١٥) وهو دجلة .

(١٦) اذا صح ذلك فمعناه أن في مصوراتنا الجغرافية نقصا جسيما .

(١٧) وذلك ما كان يقول به المصريون والكلدانيون والفينيقيون والهنود والأغريق وأهل كرتايا وغيرهم .



الحية الدبابة التي فاضت بها المياه كأجناسها وكل طائر ذي جناح كجنسه». (تكوين ١: ٢٠-٢١).

أما القصة الثانية فنجد أن الله خلق كل شيء من طين. « وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء ». (تكوين ٢: ١٩).

وتتباين القصتان كذلك فيما يتصل بالترتيب الذي اتخذته الكائن الأعلى في خلق الكون خلال ستة أيام كما هو مبين فيما يلي:

### في القصة الثانية وهي أقدم عهداً:

خلق السماوات والأرض.

كان ينبثق من الأرض ضباب يسقي أديمها.

خلق من التراب انساناً اسماه آدم.

غرس جنة في عدن شرقاً وأسكن آدم اياها.

خلق حيوانات البرية والطيور.

خلق المرأة من احدى ضلوع الرجل.

### في القصة الأولى وهي التي كتبها الكهنة بعد السبي البابلي في اليوم:

١ - خلق السماوات والأرض والنور والظلمة.

٢ - خلق الجلد وجعل بعض المياه فوقه وبعضها تحته.

٣ - اجتمعت المياه التي تحت الجلد في البحار فظهرت اليابسة ونبتت الأعشاب والأشجار المثمرة.

٤ - خلق الشمس والقمر والنجوم.

٥ - خلق الزحافات (يقصد الأسماك) والطيور والتنانين (يقصد الحيتان).

٦ - خلق الوحوش والبهائم وجميع دبابات الأرض ثم خلق آدم وحواء.

أما تناقض القصتين فيما يتصل بخلق الجنس البشري فيمكن اجماله فيما يلي:

### في القصة الثانية

خلق الله آدم قبل حيوان البر وقيل الطير.

لم يرد ذكر لذلك.

### في القصة الأولى

أولاً: كان آدم وحواء آخر ما برأ الله من الخليقة.

ثانياً: خلق الله الإنسان على صورته.

ثالثاً: خلق الله الإنسان ذكراً وأنثى دفعة واحدة.

لاحظ الله ليومين من خلق آدم انه في حاجة الى امرأة تؤنسه، بيد أنه لم يخف الى خلقها بل انصرف عن ذلك إلى خلق شتى الحيوانات وعرضها على آدم. وبعد ذلك خلق حواء .

رابعاً: بارك الله الناس « وقال لهم أنمروا وأكثروا واملأوا الأرض ».

لم يفعل ذلك بل انه جعل الحمل والولادة لعنة على المرأة « وقال للمرأة تكثيراً أكثر أتعب حبلك بالوجع تلدين أولاداً » .

خامساً: ذكر الانسان من بادىء الأمر على أنه مبعوث لاختضاع الأرض. ولم يرد ذكر البتة لجنة عدن التي حدثت فيها مأساة الخطيئة .

وضع آدم في عدن ثم زف إليه حواء، ولكنها لم تحمل ولم تلد إلا بعد نفيها من الجنة .

تزعم قصة الخلق الموسوية أن الخالق كان قبل يعيش بلا خليقة، وفي يوم احد<sup>(١٨)</sup> من سنة ٤٠٠٤ ق.م<sup>(١٩)</sup> عن له أن يخلق الكون فاستحدثه من العدم، ودأب يعمل في ذلك ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع. « وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل. فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل<sup>(٢٠)</sup> ». (تكوين ٢: ٢).

(١٨) وهو أول أيام الأسبوع عند اليهود .

(١٩) أي قبل ٤٠٠٠ سنة من ميلاد المسيح في سنة ٤ ق.م وقد توصل رئيس الأساقفة «أشر» إلى معرفة ذلك بحساب السنين التي عاشها كل من آدم وحفدته حتى رزق كل منهم ولده البكر. ويتضح من ذلك أن كتب التاريخ تضلل قراءها حين تذكر أن مصر كانت قبل هذا اليوم ذات حضارة مرموقة وكانت فخمة العمارة كما يتضح من ذلك خطأ ما يذهب إليه جبهة علماء التاريخ الطبيعي من أن انسان الكهوف كان يعمر أوروبا قبل ربع مليون سنة وأن الأرض تزخر بالكائنات الحية منذ ملايين السنين .

(٢٠) ذكر محمد بن جرير الطبري في الجزء الأول من كتابه « تاريخ الأمم والملوك » عن ... « عن ابن عباس، قال هناد: وقرأت في سائر الحديث أنه اليهود. أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السماوات والأرض فقال خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن وال عمران والخراب... قال وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقيت منه فخلق في أول ساعة من هذه الثلاث الساعات الآجال من يحيا ومن يموت وفي الثانية القى الآفة على كل شيء. مما ينتفع به الناس. في الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة. ثم قالت اليهود. ثم ماذا يا محمد؟ قال: ثم استوى على العرش. قالوا قد أصبت لو أتممت. قالوا: ثم استراح، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً فنزلت: « لقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما سنا من لغوب فاصبر على ما يقولون » .

وخلق الله كل ما في الكون بترتيب عجيب، فكان الضوء يشع في الأفق قبل أن تخلق الشمس. لقد كانوا يجهلون - فيما يجهلون - أن تعاقب الليل والنهار إنما يولده تبدل موقع القارات من الشمس نتيجة لدوران الأرض حول محورها، ولهذا جعلوا النور يخلق في اليوم الأول. « وقال الله ليكن نور فكان نور، ورأى الله النور ان حسن. وفصل الله بين النور والظلمة. ودعا الله النور نهراً والظلمة دعاها ليلاً. وكان مساء وكان صباح يوماً واحداً. » (تكوين ١: ٣-٥).

ولكن كيف فصل الله بين النور والظلمة وكيف كانا مختلطين من قبل ؟ ليس النور بشيء له وجود ايجابي وانما هو ظاهرة تحدث طوعا لسنن معروفة في علم الفلك وعلم البصريات، اما الظلمة فليست بشيء مادي يمكن أن يمزج بالنور ويدمج فيه ثم يفصل منه، وانما هي مقدار سلبي، هي احتجاب النور. لقد كانوا يتوهمون أن الظلمة شكل من أشكال المادة، ولذا قالوا في قصة الضربات البشعة التي انحى بها موسى على مصر أن الظلام قد اشتدت حلكته في مصر بأمر موسى. « حتى يلمس الظلام ». (خروج ١٠: ٢١).

لقد قدموا المعلول على العلة فجعلوا الأرض تخلق في اليوم الأول على حين أن أمها الشمس لم تخلق إلا في اليوم الرابع. وجعلوا أديم الأرض يكتسي بالخصرة في اليوم الثالث. « فاخرجت الأرض عشباً وبقلاً ». (تكوين ١: ٢).

قبل أن تتجلى ذكاء (الشمس) في اليوم الرابع فترسل ضوءها العسجدي وهو لا غناء عنه للنبات في التمثيل الكلوروفيلي الذي هو سبب اخضرار لون النبات ومصدر هام لاغذائه. وجعلوا الحيوانات تخلق بترتيب يباين ترتيب رتبها وفصائلها، فقد خلقت الحيتان عندهم قبل الثدييات وما الحيتان إلا طور متأخر منها. « فخلق الله التنانين العظام<sup>(٢١)</sup> وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التي فاضت بها المياه كأجناسها وكل طائر ذي جناح كجنسه وقال الله لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها بهائم ودبابات<sup>(٢٢)</sup> ووحوش أرض كأجناسها وكان كذلك ». (تكوين ١: ٢٤).

وجعلوا الوحوش تطعم العشب. « ولكل حيوان الأرض وكل طير السماء وكل دبابة على الأرض فيها نفيس حية اعطيت كل عشب أخضر طعاماً ». (تكوين ١: ٣٠).

(٢١) وهي في الانجليزية Great Whales فهي حيتان لا تنانين.

(٢٢) وهي في الانجليزية Creeping Things يعني الزواحف كالنعايب والأورال.

وعندهم أن الله خلق الحيوانات زوجين زوجين<sup>(٢٣)</sup> ذكراً وأنثى إلا الرجل فقد خلقه الله وترا لا شفعا. « وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة<sup>(٢٤)</sup> فصار آدم نفساً حية<sup>(٢٥)</sup>. (تكوين ٢: ٧).

وأسكن الله آدم جنة، أي حديقة، في بقعة اسمها « عدن » ثم عرض عليه الحيوانات كلها فنشط آدم يضع لكل منها اسمه العلمي<sup>(٢٦)</sup>، وهو عمل ضخم لا ينهض بمثله في الوقت الحاضر أقل من مجمع علمي كامل بيد أن آدم كان في غضون ذلك معنياً بالبحث عن شريكة لحياته. « فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية. وأما لنفسه فلم يجد معيناً نظيره ». (تكوين ٢: ٢٠).

(٢٣) الزوج: كل واحد معه آخر من جنسه، والعامية تحظى. فتظن أن الزوج اثنان وليس ذلك من مذهب العرب إذ كانوا لا يتكلمون بالزوج موحداً في مثل قولهم زوج حمام وإنما يقولون زوجان من حمام وزوجان من خفاف. ولا يقولون للواحد من الطير زوج بل للذكر فرد وللأنثى فردة.

(٢٤) هي في الإنجليزية The Breath of Life يعني الهواء الذي نستنشقه أي « نفس » بفتح الفاء. ونذكر لهذه المناسبة أن كلمة «روح» العبرية أخذت على أنها تعني «روح» العربية و Spirit الإنجليزية. وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه. (تكوين ١: ٢). والصواب أنها تعني «ريح» لا روح.

ويرى في الآية: «فقال لي تنبأ للروح. تنبأ يا ابن آدم وقل للروح هكذا قال السيد الرب لهم يا روح من الرياح الأربع وهب على هؤلاء القتل ليحيوا». (حزقيال ٣٧: ٩). وبالرجوع الى الترجمة الإنجليزية نجد أن كلمة روح قد وضعت هنا في المرة الأولى مقابل كلمة Wind أي ربح وأنها وضعت في المرة الأخيرة مقابل كلمة Breath ومعناها نسيم.

(٢٥) ومعنى هذا أن الانسان صنع من الطين دفعة واحدة، ولم ينحدر من سلسلة كل لاحق فيها أرقى من سبفه. ذكر الطبري في الجزء الأول من كتابه «تاريخ الأمم والملوك» أنه: لما أراد الله جل جلاله أن يطلع ملائكته على ما قد علم من انطواء إبليس على الكبر... فبعث الله جبرائيل عليه السلام إلى الأرض ليأتيه بطين منها، فقالت الأرض اني أعوذ بالله منك أن تنقص مني شيئاً وتشيني فرجع ولم يأخذ، فبعث الله ميكائيل فعادت منه فأعادها فبعث ملك الموت فأخذ من وجه الأرض وخلط فلم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة حراء وبيضاء وسوداء. فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به قبل التراب حتى عاد طيناً لازياً، واللازب هو الذي يلتزق بعضه ببعض ثم ترك حتى تغير واتن، وذلك حين يقول (من حاً مسنون).

وعن عن... عن ابن عباس قال: فخلق آدم بيده فمكث أربعين ليلة جسداً ملقى فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله فيصلصل فيصوت، قال فهو قول الله تبارك وتعالى «من صلصل كالفخار». قال ثم يدخل من فيه ويخرج من دبره ويدخل في دبره ويخرج من فيه ثم يقول: لست شيئاً للصلصة ولشيء ما خلقت، ولئن سلطت عليك لأهلكتك ولئن سلطت علي لأعصينك. فلما نفخ الله الروح ودخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح رجله عجلان إلى ثمار الجنة، فذلك حين يقول: «خلق الانسان من عجل» فلما تمت النفخة في جسده عطس فقال: الحمد لله رب العالمين بالهام الله فقال يرحك الله يا آدم.

(٢٦) أما النباتات فلم تعرض على آدم لهوان شأنها عند اليهود.

ولاحظ الله أن آدم وحيد فريد يفتقر الى امرأة توفر له أنسه وتحفظ عليه جنسه فعقبت العزم على أن يطرفه بما يشتهي، غير انه، ولا ندري لماذا، لم يخلق المرأة من العدم الأصلي الذي خلق منه الكون أو التراب الذي خلق آدم، بل أوقع على الرجل سباتاً وانتزع ضلعاً من ضلوعه<sup>(٢٧)</sup> صاغ منها امرأة فارهة<sup>(٢٨)</sup> زفها إليه وبلغها أنه أباح لها كل شيء ما عدا شيئاً واحداً نهاهما أن يقرباه وكان من الطبيعي أن يقربا هذا الشيء المدفوع عنه وان يدوقا الفاكهة المحرمة<sup>(٢٩)</sup>.

ولسنا ندري ما هذه الشجرة العجيبة ذات القوى السحرية، شجرة معرفة الخير والشر؟ ولم أنبت الله هذه الشجرة في وسط الجنة ولم يجعلها في مكان ناء قصي؟ ولم ينهى عن الأكل من ثمرها وعد تمييز الإنسان بين الخير والشر عملاً عادئياً نحوه<sup>(٣٠)</sup>؟.

ان تمييز الانسان بين الخير والشر هو بدء ادراكه الخلقى ومستهل مقدرته على توجيه مصيره، وهو ارتقاء لا انحطاط، فلم وجد يهوه في أكل الانسان من ثمر هذه الشجرة كارثة حلت بشخصه؟ ولم ترتب على أكل الإنسان منها اقصاؤه عن الجنة. « قال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً للخير والشر. والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا الى الأبد ». (تكوين ٣: ٢٢).

ومن هم أولاء الذين أشار الله إليهم بقوله « كواحد منا؟ هل هم آلهة آخرون؟ وما تلك الشجرة الأخرى ذات القوة السحرية التي تورث ثمارها الأكلين خلود الأبد؟ ولم ينكر يهوه على الإنسان أن يخلد على حين أنه لم ينكر ذلك على الكائنات الأخرى التي عناها بقوله: « كواحد منا؟ » وقد امتثلت حواء لأمر يهوه ردحاً من الدهر، ثم دلفت إلى الجنة حية<sup>(٣١)</sup> لا ندري من أي

---

(٢٧) كان المسيحيون الأوائل يعتقدون أن عدد ضلوع الرجل يقل ضلعاً عن عددها عند المرأة.

(٢٨) الفارة: المليح النشط الحاذق.

(٢٩) ولسنا ندري أية فاكهة تلك. لقد ذكر الشاعر ملتن في « الفردوس المفقود » أنها تفاحة، وكذلك جعلها بيرون في « دون جوان »، ويرى آخرون أنها كانت شيئاً مثل جوزة الطيب مما يتعاطاه الناس طلباً لإذكاء القوة الجنسية. وذكر بعض الشراح المسلمين أنها البر أي القمح، ولكن يلاحظ أن البر ليس بشجر وليس شيئاً للنظر ولا جيداً للأكل إلا بعد أن يطحن ويعجن ويجبز.

نقل الطبري عن عن... عن ابن عباس أنه قال: كانت الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته السنبلة، فلما أكلتا منها بدت لهما سواتهما.

(٣٠) لعل هذا هو السبب في معاداة رجال الكهنوت للعلم.

(٣١) يزعم بعضهم أن الحية في هذه القصة انما هي رمز يشار به الى الشهوة الجنسية وان المقصود بالقصة كلها هو الابانة عن أن الشهوة الجنسية والمعرفة تقضيان على الطهر وتبددان السعادة وتبدلان بالخير شراً، وان المرأة هي مطية الشيطان واحبولة لايقاع الانسان في حبال الشرور.

أرض اقبلت ولا نعرف كيف تسنى لها أن تلج الجنة ولكننا نعرف انها. « أحيى جميع حيوانات البرية التي عملها الرب ». (تكوين ٣: ١).

ولبثت الحية ترصد حواء حتى ألفتها على مبعدة من آدم وعلى مقربة من شجرة معرفة الخير والشر فترأت لها وتحدثت إليها ولا ندري متى حذقت هذه الحية اللغة العبرية؟ ولا كيف ظلت حواء ساكنة لا يبدو عليها شيء من الدهش وهي ترى حية عجباء تطارحها الحديث؟ وزينت لها الحية أن تذوق هذه الفاكهة ذاكرة أنها تؤتي آكلها الحكمة والسداد.

كان الله قد حذر آدم وحواء من ثمر هذه الشجرة قائلاً: « لا تأكلا منه ولا تمسها لئلا تموتا، فقالت الحية للمرأة لن تموتا ». (تكوين ٣: ٣-٤).

ولكنهما أكلا ولم يموتا بل امتد العمر بآدم ٩٣٠ سنة<sup>(٣٢)</sup>. « فكانت كل أيام آدم التي عاشها تسع مئة وثلاثين سنة ومات ». (تكوين ٥: ٥).

وليس في قصة ما يدل على انه كان قبل مخلداً لا يموت كما تقول المسيحية<sup>(٣٣)</sup> ولكن فيها ما يدل على أنه طرد من الجنة<sup>(٣٤)</sup> حتى لا... « يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد ». (تكوين ٣: ٢٢).

(٣٢) روى الطبري عن عن... عن ابن عباس انه قال لما نزلت آية الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أول من جحد آدم عليه السلام ثلاث مرات، وان الله تبارك وتعالى لما خلقه مسح ظهره فأخرج منه ما هو ذار إلى يوم القيامة فجعل يعرضهم على آدم فرأى فيهم رجلا يزهر (أي يتلألأ) فقال أي رب أي نبي هذا؟ قال هذا ابنك داود. قال أي رب كم عمره؟ قال ستون سنة. قال أي رب زده في عمره قال لا إلا أن تزيد أنت من عمرك. وكان عمر آدم ألف سنة فوهب له من عمره أربعين عاماً فكتب الله عليه بذلك كتاباً وأشهد عليه الملائكة، فلما احتضر آدم أنه الملائكة لتقبض روحه قال إنه بقي من عمري أربعون سنة، قالوا انك قد وهبتها لابنك داود. قال ما فعلت ولا وهبت له شيئاً، فأنزل الله عليه الكتاب وأقام عليه الملائكة شهوداً فأكمل لآدم ألف سنة وأكمل لداود مائة سنة. وقد عمر داود سبعين سنة. وكان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك وملك أربعين سنة. (٢ صموئيل ٥: ٤).

(٣٣) « من أجل ذلك كأنما بانسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت. هكذا اجتاز الموت الى جميع الناس إذ أخطأ الجميع ». (رومية ٥: ١٢).

« فإنه إذ الموت بانسان بانسان أيضاً قيامه الأموات. لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع ». (١ كورنثوس ١٥: ٢١-٢٢).

ولكن الموت كان فاشياً في الأرض قبل أن ينشأ الجنس البشري بمحب طويلة، ومن ذلك أن الحيوانات المفترسة كانت تقضي على فرائسها من أكلات العشب.

(٣٤) نقل الطبري انه: تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الله عز وجل خلق آدم عليه السلام يوم الجمعة وأنه أخرجه فيه من الجنة وأهبته إلى الأرض فيه وأنه فيه تاب عليه وفيه قبضة.

وعن ابن عباس: أهبط آدم بالهند وحواء بمجدة فجاء في طلبها حتى اجتمعا فازدلفت (أي قربت) إليه حواء فلذلك سميت المزدلفة (هي موضع بين عرفات ومنى) وتعارفا بعرفات فلذلك سميت، واجتمعا بمجمع فلذلك سميت جمعا. قال واهبط آدم على جبل بالهند يقال له بوذ.

وهكذا لم يقع لآدم وحواء ما اندرهما به يهوه من حلول الموت الزؤام به ولكن حدث ما انبأتهما به الحية من أنه. « يوم تأكلان منه تنفتح اعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر ». (تكوين ٣: ٥).

فقد انتفتحت أعينها حقاً فعلم أنها عاريان. « فانفتحت أعينها وعلم أنها عريانان... ». (تكوين ٣: ٧).

ولولا أنها عصيا أمر يهوه لكننا نحن أيضاً ما نزال إلى اليوم عراة لا يستر سواتنا حجاب.

وقال آخرون: بل أهبط بسرنديب (جزيرة سيلان) على جبل يدعى بوذ وحواء مجدة من أرض مكة وإبليس بميسان والحية بأصبهان.

وعن عطاء بن رباح قال: لما أهبط الله عز وجل آدم من الجنة كان رجلاه في الأرض ورأسه في السماء يسمع كلام أهل السماء ودعاهم، يأنس إليهم (أي يالفهم ولا ينفّر منهم) فهابته الملائكة حتى شكت إلى الله تعالى في دعائها وفي صلاته.

فخفض إلى الأرض فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش حتى شكا ذلك إلى الله عز وجل في دعائه صلاته فوجه إلى مكة فصار موضع قدمه قرية وخطوته مغارة حتى انتهى إلى مكة وأنزل الله تعالى ياقوته من ياقوت الجنة فكانت على موضع البيت الآن فلم يزل يطوف، « حتى أنزل الله الطوفان » فرفعت تلك الياقوتة حتى بعث الله تعالى إبراهيم الخليل عليه السلام فبناه فذلك قوله تعالى: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت﴾.

وعن ابن عباس قال: نزل آدم عليه السلام المند ومعه ريح الجنة فعلق بشجرها وأوديتها وامتلاً ما هنالك طيباً، فمن ثم يؤتى بالطيب من ريح الجنة.

وقالوا: أنزل معه الحجر الأسود وكان أشد بياضاً من الثلج وعصا موسى وكانت من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى ومر ولبان. وكان آدم حين هبط يمسح رأسه السماء فمن ثم صلح وأورث ولده الصلح، ونفرت من طولها دواب البر فصارت وحشاً من يومئذ. وكان آدم عليه السلام وهو على ذلك قائم يسمع أصوات الملائكة ويجد ريح الجنة فحط من طولها ذلك إلى ستين ذراعاً فكان ذلك إلى أن مات. ولم يجمع حسن آدم عليه السلام لأحد من ولده إلا ليوسف عليه السلام.

وقيل: إن من الثمار التي زود الله عز وجل آدم عليه السلام حين أهبط إلى الأرض ثلاثين نوعاً، عشرة منها في القشور وعشرة لها نوى وعشرة لا قشور لها ولا نوى، فاما التي في القشور منها فالجوز واللوز والفسق والبندق والخشخاش والبلوط والشاهبلوط والرانج والرمسان والموز، وأما التي لها نوى منها فالخوخ والشمش والإجاص والرطب والغبيراء والنبق والزهور والعناب والمقل والشاهلوج، وأما التي لا قشور لها ولا نوى فالتفاح والسرجل والكمثرى والعنب والتوت والتين واللاترج والخرنوب والخيار والبطيخ.

وقيل: كان ما أخرج آدم معه من الجنة صرة من حنطة، وقيل إن الحنطة إنما جاء جبرائيل عليه السلام بعد أن جاع آدم واستعظم ربه فبعث الله مع جبرائيل عليه السلام سبع حبات من حنطة فوضعهما في يد آدم عليه السلام. فقال آدم لجبرائيل ما هذه فقال له جبرائيل: هذا الذي أخرجك من الجنة، وكان وزن الحبة منها مائة ألف درهم وثمانمائة درهم فقال آدم ما أصنع بهذه فقال انثره في الأرض ففعل فأنبت الله عز وجل من ساعته فجرت سنة في ولده البذر في الأرض، ثم أمره فحصدته ثم أمره فجمعهم وفركه بيده ثم أمره أن يذريه ثم أتاه بمجربين فوضع أحدهما على الآخر فطحنه ثم أمره أن يمجته ثم أمره أن يخبزه ملة (في التراب الحار) وجمع له جبريل عليه السلام الحجر والحديد ففدحه فخرجت منه النار، فهو أول من خبز الملة، أه إلى آخر هذا المراء.

... فحاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر<sup>(٣٥)</sup>». (تكوين ٣: ٧).

ولسنا نعلم متى تعلماً الخياطة ولا من أين أتيا بالمخيط.

ومع أن الله موجود في كل مكان فرضا فقد قدم إلى الجنة من خارجها، ومع أنه ليس بذي رجلين فقد سمع الزوجان العاصيان خفق<sup>(٣٦)</sup> نعليه. «وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار». (تكوين ٣: ٨).

فتواريا وسط شجر الجنة من الإله الذي هو في كل مكان والذي هو عالم بكل شيء.

وبدأ يهوه يستوجب المتهمين، فألقى البطل التبعة على زوجته وألقتهما هي على الحية. «فقال آدم. المرأة التي جعلتها معي هي اعطتني من الشجرة فأكلت<sup>(٣٧)</sup>. فقال الرب الإله للمرأة. ما هذا الذي فعلت؟ فقالت المرأة الحية غرتني فأكلت». (تكوين ٣: ١٢-١٣).

وتم الاستجواب ونطق يهوه بالحكم وهو يقضي على الحية الجارمة وعلى جميع الحيات غير المجرمات وعلى ذراريها من بعدها بأن يكون سعيها في الأرض زحفاً على البطن وأن يكون غذاؤها التراب وأن إتجد نفسها إلى الأبد عرضة لسحق رؤوسها. «فقال الرب الإله للحية. لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين وتراباً تأكلين كل أيام حياتك<sup>(٣٨)</sup>. وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه». (تكوين ٣: ١٤-١٥).

ويفهم من ذلك:

- ١ - أن الحيات كانت، قبل أن تجرم احداها هذا الذنب في الجنة، تمشي منتصبة.
- ٢ - وانها كانت تتغذى بغذاء كالذي يتغذى به غيرها من ضروب الحيوان.
- ٣ - وانها غدت الآن تستف التراب.

---

(٣٥) ربما كان الصواب «مزرين» بصيغة المثني.

(٣٦) خفقت النعل: صوت. يقال سمعت جفقت نعالهم.

(٣٧) تذكرنا هذه الاجابة بما أجاب به هرون شقيقه موسى عندما سأله عن صنعه العجل الذهب ودعوته قومه الى عبادته، فقد أنكر أنه أراد أن يصنع عجلاً وقال إنه إنما جمع ما لدى القوم من ذهب وأوقد تحته النار فإذا صار عجلاً جسداً يكاد يسمع له خوار. «فقلت لهم من له ذهب فليزعه ويعطيني فطرحت في النار فخرج هذا العجل». (خروج ٣٢: ٢٤).

(٣٨) زعم أشعيا أن الحيات سوف تأكل التراب تواضعا وتعففاً في وقت يظل السلام فيه الأرض وتنغير طبائع الحيوانات وخصائص أسنانها ومعدها. «الذئب والحمل برعيان معا والأسد يأكل التبن كالبقرة. أما الحية فالتراب طعامها». (أشعيا ٦: ٢٥).



٤ - وان التراب، وهو خليط من مواد غير عضوية، يصلح أن يتخذ غذاء للحيوان يتمثله الجسم الحيواني.

لقد خلق الله آدم بعيداً عن الكمال وما انفك يراقبه حتى وقع في المصيدة، ثم أوقع العقاب بالكائنات طراً فلعن الحيات كلها من جريرة تلك الحية التي كان قد فسح لها مكاناً في جنته ثم لعن النساء جميعاً في شخص أمهن حواء<sup>(٣٩)</sup>. « تكثيراً أكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولاداً وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك. » (تكوين ٣: ١٦).

فأما أوجاع الحمل والولادة فهي من معقبات المدنية والترف، ويزداد شعور الناس بها على قدر ازدياد حظهم من رفاة العيش ورفاهة الشعور، على حين لا يشعر بها المتوحشون إلا هونا ما. ويلاحظ مثل هذا التباين بين الحيوانات الوحشية والمستأنسة. أما سيادة الذكر على الأنثى فهي القانون الساري في عالم الحيوان باستثناء أنواع قليلة مثل النحل. وقد لعن الله الأرض التي

(٣٩) سرد الطبري قصة خطيئة الجنس البشري على النحو الآتي:

عن ... عن محمد بن قيس قال: فجاء الشيطان فدخل في جوف الحية فكم حواء ووسوس الى آدم فقال: « ما ناكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمها اني لكما لمن الناصحين. » قال: فقطعت حواء الشجرة فدميت الشجرة وسقط عنها رباشها الذي كان عليها « وطفقا يصفان عليها من ورق الجنة » وعن ... عن ابن زيد.

ووسوس الشيطان إلى حواء في الشجرة حتى أتى بها إليها ثم حسنها في عين آدم. قال فدهاها لحاجته قالت لا الا أن تأتي ها هنا، فلما أتى قالت لا الا أن تأكل من هذه الشجرة، قال فأكلا منها فبدت لها سواتها. قال وذهب آدم هارباً في الجنة فناده ربه يا آدم أمني تفر؟ قال لا يا رب ولكن حياتي منك قال يا آدم اني أوتيت؟ قال من قبل حواء يا رب. قال الله عز وجل فان لما علي أن أدميها في كل شهر مرة كما أدميت هذه الشجرة وان أجعلها سفية وقد كنت خلقتها حليلة وان أجعلها تحمل كرها وقد كنت جعلتها تحمل يسرا وتضع يسرا.

وعن ... عن وهب بن منبه، قال: لما أسكن الله تعالى آدم وزوجته الجنة ونهاه عن الشجرة، وكانت شجرة غصونها متشعب بعضها في بعض، وكان لها ثمر تأكله الملائكة يجلدهم وهي النمرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته، فلما أزد ابليس أن يستزلها دخل في جوف الحية وكان للحية أربع قوائم فلما دخلت الجنة خرج من جوفها ابليس فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته فجاء بها الى حواء فقال أنظري الى هذه النمرة ما أطيب ريحها وطعمها وأحسن لونها، فأخذت حواء فأكلت منها ثم ذهبت بها إلى آدم فأكل منها آدم فبدت لها سواتها فدخل آدم في جوف الشجرة فناده ربه يا آدم أين أنت؟ قال أنا هنا يا رب قال ألا تخرج قال استحي منك يا رب. قال ألا تخرج قال استحي منك يا رب. قال ملعونة الأرض التي خلقت منها لعنة حتى تتحول ثمارها شوكاً. ثم قال يا حواء أنت التي غررت عبيدي فانك لا تحمليين حلا إلا حلتها كرها فإذا أردت أن تضيي ما في بطنك أشرفت على الموت مراراً. وقال للحية أنت التي دخل الملعون في بطنك حتى غر عبيدي، ملعونة أنت لعنة حتى تتحول قوائمك في بطنك ولا يكن لك رزق إلا في التراب. أنت عدوة بني آدم وهم أعدائك، حيث لقيت أحداً منهم أخذت بعقبه وحيث لقيك شدخ رأسك.

جبل منها آدم من جراء ما أناه فوق ظهر أرض الجنة. « ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ». (تكوين ٣: ١٧).

وهكذا أصبح الجنس البشري كله آثماً باثم آدم وحواء، وحقت عليه كله اللعنة من أجل ثمرة واحدة من ثمار الفاكهة أكلت وكان آكلها على غير خبر بالخير والشر، فإلى فضولها مرد الخطيئة الأولى في العالم<sup>(٤٠)</sup>. لقد أودى بنا نحن المساكين العائري الجد تشهي حواء للفاكهة. هي أكلتها ونحن أصبنا بالآلام المعدة، وسيظل ألوف الملايين من البشر يتلوون من الألم جيلاً إثر جيل لأن حواء ذاقت ثمرة من ثمار تلك الشجرة.

وقد جوزي آدم وحواء على أكلتها هذه باخراجها من الجنة ولو أن آدم لم يستجب لدعوة زوجه لطردت هي وحدها وبقي هو في الجنة فرداً عزيزاً لا أنيس له ولما كان ثم سبيل إلى مجيئنا نحن إلى هذا العالم غير التلقيح الصناعي.

وخشي يهوه أن يعود آدم إلى الجنة ويأكل من ثمار شجرة الحياة فيخلد، فأقام على باب الجنة سرية من الملائكة يذودون عنه ذلك المتطفل ان طوعت له نفسه أن يرجع، ونصب عند الباب سيفاً ينفث ناراً ولا يني يضرب في الهواء عن اليمين وعن الشمال ويغير اتجاهاته من تلقاء نفسه ليقطع خط الرجعة على آدم إذ كان من الجنة غير بعيد. « أقام شرقي جنة عدن الكرويم وهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة ». (تكوين ٣: ٢٤).

وليته كان قد اتخذ هذه الحيلة لمنع تسلل الحية إلى الجنة بدلاً من ايصاده باب الاصطبل بعد فرار الحصان. ولسنا ندري ماذا كان من أمر السيف المتأجج المتوهج؟ فلعلّ مياه الطوفان أخذت لهيبه.

ولسنا ندري ما الذي آل إليه أمر الحية؟ هل طردت هي الأخرى من الجنة أو هي ما تزال فيها؟ هناك من يزعم أن الحية لم تكن هي نفسها التي أغرت حواء بل كان الشيطان هو الذي فعل ذلك متقمصاً إياها، فإذا كان ذلك كذلك فلم لعن الله الحيات وجعلها تستف التراب؟ هذا، ويبدو أن الرب لم يرقه المتزران اللذان خاطها آدم وحواء لنفسيهما من ورق التين، ولذا « صنع الرب الإله لآدم وامرأته اقمصة من جلد وألبسها ». (تكوين ٣: ٢١).

فمن أين جاء بالجلد الذي صنع منه الأقمصة؟ هل عمد إلى بعض حيوان الجنة فذبحه وسلخه

---

(٤٠) وقد أسست المسيحية كلها على هذه الحكاية ففي انكارها انكار للمسيحية من ألفها إلى يائها. ومن جحد الخطيئة فقد أنكر الغداء ومن رفض آدم كان عسيراً عليه أن يقبل يسوع ومن رفض سفر التكوين وجب عليه أن يرفض الأنجيل و« أعمال الرسل ». ان المهدين القدم والجديد مترابطان أوثق الترابط فمن نبذ احدهما فقد نبذ الآخر معه. وقصة الخلق هي أساس الكنيسة فإذا كان الأساس موهونا انهار البناء كله. (رومية ٥: ١٨).

ودبغ جلده، ثم خاطه؟ وهل كان، جل جلاله، جزاراً وسلاحاً (بشكيرجي) ودباغاً وخياطاً؟  
لقد ضن يهوه على الإنسان الأول بثمره من شجرة، فلما أكلها ضاعف للنساء آلام الحمل  
والولادة وقسر الحيوان على سف التراب واغرق العالم كله بالطوفان ثم انتحر صالباً نفسه على  
فلقة من خشب.

يتضح مما تقدم أن هذه الاقاصيص:

١ - قصة خلق الكون في ٦ أيام.

٢ - قصة الرجل الطين والمرأة الضلع.

٣ - قصة خطيئة الإنسان ونفيه من الجنة.

هذه الأقاصيص جميعاً.

١ - منتحلة من أساطير عالمية أقدم من التوراة عهدا.

٢ - ليست مطردة النسق بل هي تناقض نفسها في مواطن شتى.

٣ - ليست مطابقة للحقائق العلمية المعروفة بل هي تصطدم بها.

ولهذا عمد الذين نشروا «الكتاب المقدس للأحداث» في الولايات الأمريكية المتحدة إلى  
حذف هذه الأقاصيص منه. وقد التمس المفسرون منجاة من الحرج بتحميل ألفاظ الكتاب من  
المعاني ما لا تحتل.

١ - فرعموا أن الأيام الستة التي خلق الله فيها خليقته ليست كهذه الأيام ذات الساعات  
الأربع والعشرين بل ان كلا منها دهر طويل يقاس بألوف السنين وانه لزعم سقيم لا يتفق  
وقوله: «وكان مساء وكان صباح» (تكوين ١: ٥+٨+١٣+١٩+٢٣+٣١).

ولا سيما فيما يتصل بما بعد خلق الشمس في اليوم الرابع.

وإذا صدق تأويلهم هذا فماذا من أمر اليوم السابع؟ وهل يبقى بعد ذلك مبرر لتقديس يوم  
السبت؟ ثم ماذا عسى أن تكون جدوى الأعشاب والأشجار التي برأها الله في اليوم الثالث؟  
«فاخرجت الأرض عشباً وبقلاً وبزرا كجنسه وشجراً يعمل ثمراً بزره فيه كجنسه. ورأى الله  
ذلك انه حسن وكان مساء وكان صباح يوماً ثالثاً». (تكوين ١: ١٢-١٣).

ولم يكن في تلك النباتات غناء لأحد، وهو لم يكن قد اعتزم ان يخلق البهائم وما إليها إلا في  
اليوم الخامس أي بعد ألوف السنين.

وكيف قضى آدم في عزوبته ألوف السنين التي مرت بين اليوم الثالث الذي برأه الله فيه ثم  
أسكنه الجنة حسباً ورد في القصة الثانية. (تكوين ١٢: ١٥).

واليوم السادس الذي خلق فيه حواء من إحدى ضلوعه؟ (تكوين ٢: ٢١-٢٢).

هل كان خلال تلك الحقب الطويلة يداعب الحيوانات ولا يصنع شيئاً آخر؟  
ثم كيف يكون آدم قد عاش تلك الألوف من السنين على حين أنه « كانت كل أيام آدم التي عاشها تسع مئة وثلاثين سنة ومات ». (تكوين ٥: ٥).

٢ - وقالوا إن الجلد المذكور في قوله: « فعمل الله الجلد ونصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد وكانت كذلك. ودعا الله الجلد سماء ». (تكوين ١: ٧-٨).

والسماء هي الفضاء الواسع الذي يحيط بالأرض فكيف يفصل بين مياه فوقه ومياه تحته؟  
٣ - وقالوا ان قوله: « خلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم ». (تكوين ٦: ٢٧).

يفيد أنه خلقه على صورته في الطهر، وهو تفسير داحض يبطله أن آدم وحواء لم يكونا طاهرين، فإن الجنس البشري كله ما يزال يزرع تحت وقر خطيئتهما وأن أبناءهما كذلك لم يكونوا اطهاراً فقد فتك احدهم بأخيه وهو أشد ما يكون حاجة إلى عونته في تلك الوحدة التي تبعث الرهبة في النفس، كما أن حفدتها الادنين بلغوا من الفساد مبلغاً جعل الله يندم على أن يراهم. « فحزن الرب انه عمل الانسان في الأرض. وتأسف في قلبه ». (تكوين ٦: ٦).

ولم يجد وسيلة يستدرك بها خطأه هذا غير اغراق الأرض بما عليها.  
٤ - وقالوا أن الله حين قال: « هوذا الانسان قد صار كواحد منا عارفاً للخير والشر ». (تكوين ٣: ٢٢).

انما كان يتحدث عن الاقنومين الآخرين من أقانيم الثالوث، وهو تأويل واضح البطلان.  
٥ - وقالوا أن المعنيين بأبناء الله الذين افتتنوا ببنات الناس وتزوجوا منهن. « وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً... ». (تكوين ٦: ٤).

ليسوا سوى أبناء شيث بن آدم وأما بنات الناس فما هن سوى بنات قاين قاتل أخيه هابيل.  
وهنالك كثير من هذه التفسيرات المضللة لا تتصل بهذا المبحث، منها.

١ - ان مصارعة يعقوب لله في فنيثيل (تلك المصارعة التي انتهت بمخلع حق فخذ يعقوب والتي كوفىء يعقوب على فوزه بتغيير اسمه وجعله اسراييل) هي مصارعة في الصلاة.

٢ - ان القطعة الخليعة المعروفة باسم نشيد الانشاد انما تصف الحب المتبادل بين المسيح وكنيسته، وان ما ورد فيها عن ثديي المرأة وفخذها وبطنها انما هي رموز لاتحاد يهوه والسيناجوح.

# قصة الطوفان

عرض القرآن الكريم لطوفان نوح غير مرة، فعندما استغلظ امر المشركين ولقى الرسول منهم عنقا فادحا نزلت آيات من القرآن تترى تذرهم بوخامة عاقبتهم وتبصرهم بما حل بأقوام قبلهم بغوا على أنبيائهم فأهلكهم الله بوسائل شتى. «أما نوح فأهلكوا بالطاغية. وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية». (الحاقة ٥-٦).

وأما قوم نوح فأهلكوا بالطوفان (الزاريات ٤١-٤٦) وليست قصة قوم نوح في القرآن بمختلفة في الأهمية كثيراً عن قصص عاد وثمود وغيرهم بل هم سواء. ﴿ألم يأتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا اانا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب﴾. (ابراهيم ٩).

ويلاحظ أن مسرح الأحداث في كل قصة لم يكن يتجاوز قرية واحدة أو بضع قرى متجاورات. وليس يشذ الأمر عن ذلك فيما يتصل بقوم نوح، فقد أهلك الله قريتهم بالطوفان أي فيضان عارم من دجلة والفرات كان عنيفاً مخيفاً كذلك الذين دهم أهل العراق في نيسان (ابريل) من سنة ١٨٣٩م، إذ طمت أمواه الرافدين فطغت في شوارع بغداد وما إليها حتى ناهزت مترين وركبت البلاد حتى كانت السفن تمخر فيها، وكان المرء لا يبصر اينما ضرب ببصره غير لجة لا يدرك الطرف مداها ولا يبرز منها غير ذرى المآذن وشطب النخيل (وهو سعتها الأخضر).

وإذا كان أبرام وصحبه مؤسسو فلسطين من تلك النواحي فمن الممكن القول بأن مخيلتهم كان قد انطبع فيها ذكرى فيضان من هذا القبيل.

ولكن صناع التوراة لم يرقهم أن يكون شأن نبيهم العبري نوح هيناً كشأن النبي العربي صالح، ولم يرضهم أن ينحصر طوفان نبيهم وراء حدوده المحلية، ولم يقتنعوا بأقل من اغراق الكوكب الأرضي من أكنافه الأربعة، ورأوا ألا تكون قصة الطوفان قصة مستقلة قائمة بنفسها فوصلوها بغيرها ليجعلوا منها فصلاً هاماً في ملحمة صهيونية يهودية طويلة مفادها أن الله هختبر عباده فأبدى بنو آدم من بادىء الأمر كثيراً من سوء السيرة وخبث السريرة، وما فتئت

ذرية آدم تزداد على الزمن ارتداغاً في الأوحال وايغالباً في الآثام حتى أصبحت لا تطاق فلم يجد خالق الأرض مندوحة عن اغراقها: ما عليها ومن عليها، لم يستحي من بني آدم كلهم غير نوح وبني نوح وزوجاتهم، فجماع البشرية في الوقت الحاضر هم بنو نوح كما أنهم بنو آدم.

على أن الطوفان الذي أغرق الناس لم يغرق الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس، ومن ثم لم يبرح الناس سادرين في مهاوي الغواية لا يبنو عنهم في ذلك سوى بني اسرائيل فاتخذهم الله شعباً مختاراً له وارتضى لهم الصهيونية شعاراً وابداء جيرانهم العرب مذهباً، وواتقهم على أن يقطعهم أخصب الأودية المعروفة في ذلك الزمان وسائر البقعة الوسيطة من الأرض المترامية بين النيل والفرات. « في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقاً قائلاً لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات ». (تكوين ٢٥: ١٨).

وقد أراد كتاب التوراة أن يسوغوا اعتداء الاسرائيليين على البلاد التي يغزونها فادعوا أهل تلك البلاد قد منوا بلعنة من البطارقة الكبار أمثال نوح و ابرام واسحق وأن الله فضل بني اسرائيل على كل من عذاهم وأحل لهم - من ثم - سفك دماء سائر الناس واستلاب أموالهم والاحجاف بمقوقهم. ولما كلت قرائتهم البليدة عن تبيان ما اختص إله اليهود به شعبه المختار من عظيم الخلال وما أتاه هذا الشعب من مجيد المكرمات التي تسبغ عليهم الفضل المزعوم، لجأوا إلى محاولة اسقاط مروءة الشعوب المعروفة لهم فألصقوا بها وبزعمائتها من المخازي ما يسف بهم إلى دركات احط من درك اليهود، وأقاموا في سفر التكوين سلسلة من المصافي تحجر كل مصفاة منها شعباً من الشعوب بعد أن يحمله الأحبار المؤلفون من ضخام الأوزار ما تضيق ازاءه ثقب المصفاة عن امراره.

٢ - وكان الطوفان نوح هو المصفاة الأولى وقد سدت الطريق في وجوه بني آدم ليقصر المرور على بني نوح وهم طلائع بني اسرائيل.

٢ - وقد اسهبت التوراة في وصف رحلة نوح على متن سفينته، ثم افتنت في تبيان ألوان الأطعمة التي قربها نوح على مذبح إله بعد انحسار الطوفان ثم سكتت فلم تذكر من أمره بعد ذلك سوى حادثة واحدة بادية التفاهة كانت هي المصفاة الثانية التي ضاقت ثقبها عن أن تسمح بمرور حام بن نوح، فاقصته هو وابنه كنعان من زمرة الأخيار الذين بارك فيهم آباؤهم، وبذلك لم يظفر بالمرور من الاخوة الثلاثة سوى سام مؤسس الجنس السامي الذي ينتمي إليه بنو اسرائيل. فقد ذكرت أن نوحاً أخذ إلى حياة الأسرة وعاش زوجاً ورب بيت يجمع حوله أولاده وحفدته. وشرع وهو في مستهل القرن السابع من عمره يفرس بستاناً من الكروم حتى إذا ما أነع العنب عصره خمرأ وشرب منها وافرط في الشرب فغاب عن وعيه وانكشفت سواته. « فأبصر

حام أبو كنعان عورة أبيه وأخير أخويه خارجاً... فلما استيقظ نوح من خره علم ما فعل به ابنه الصغير فقال ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لاختوته. وقال مبارك الرب إله سام. وليكن كنعان عبداً لهم. ليفتح الله ليافتح فيسكن في مساكن سام. وليكن كنعان عبداً لهم». (تكوين ٩: ٢٢-٢٧).

وانا لا نرى في وقوع نظر حام على عورة أبيه وتحديثه في ذلك الى اخوته ما يستتبع تلك النتائج الخطيرة التي ترتبت على وشاية اخويه به إذ صب أبوه الموحى إليه لعنته على كنعان بن حام ولسنا ندري لم تخطى نوح بلعنته المستجابة حاماً إلى كنعان ابنه، الا أن تكون القصة كلها قد وضعت لتبرير المذايح البشعة التي أحدثها الاسرائيليون في فلسطين وما زالوا يحدثونها هناك ولتسويغ سفك دماء العرب الكنعانيين التي ضرجوا بها ثرى تلك البلاد.

أجل، لقد استطاع كاتبو التوراة بهذه الفرية أن يضربوا بحجر واحد عصافيرين معاً:

أ - حث اليهود على استعباد شعوب وادي النيل من مصريين وسودانيين وحشب بزعم أن جددهم حاماً باء بلعنة من أبيه نوح.

ب - تحريضهم على اصطلام العرب أصحاب فلسطين بزعم أن جددهم كنعان باء بلعنة من جده نوح، وهؤلاء العرب الكنعانيون هم الذين نافحوا عن الوطن الفلسطيني ما يربى على أربعة قرون واستعصى على اليهود تدويجهم حتى زمن الملك داود.

٣ - ولما استتب الأمر للساميين بدت الحاجة ماسة إلى مصفاة ثالثة لتنحية لوط عن منافسة عمه ابرام، فذكروا أن لوطاً استطاب المقام في ربوع سودوم وعمورة، ذلك الماخور الذي تمارس فيه متعة الجنس في مختلف ألوانها، ثم انتهى به الأمر إلى أن نزا وهو مخور على ابنتيه فافترعها في ليلتين متتاليتين وأولد احدهما ولدأ أسماه موآب وأولد الأخرى ولدأ أسماه بن عمي، وبذلك لوثوا شرف الموابيين والعمونيين - ألد خصوم الاسرائيليين وأشد محاربيهم صلابة وشجاعة - وزعموا أن يجيئهم إلى العالم كان وليد عمل من أعمال العهر والفجور فهم أولاد زنية وتلك أكبر مثلبة يرمى بها امرؤ في ذلك العصر.

٤ - وهكذا خلا الجور لابرام أبي اليهود وأبي الأنبياء. وقد رزقه إلهه ولدين فوجب أن تكون هناك مصفاة ثمر احدهما وتحول دون مرور الآخر.

وقد فصلت التوراة قصتها فذكرت ان ساراي امرأة ابرام، وكانت عجوزاً عقياً، اشفتت أن يموت زوجها غير معقب وتلك سبة عند العبريين، فاقترحت عليه أن يدخل بجاريتها المصرية هاجر فيكون له منها ولد. وبني ابرام بهاجر فولدت له اسماعيل، ثم وفد عليه نفر من الملائكة وأصابوا عنده من الطعام الذي جهزته امرأته ساراي ما طابت به أنفسهم فبشروها بأنها ستحمل

وتلد، وتحققت البشرية فولدت له اسحق وهو عبري خالص غير مهجن وبذلك لم يبق من حاجة إلى الأمة وابن الأمة، فطردت سارة جارتها هاجر وابنها اسماعيل وأصبح اسحق هو الذبيح الذي فداه الله بذبح عظيم..

٥ - ورزق اسحق ولدين توأمين كان أولهما ابصاراً للنور هو عيسو وتلاه يعقوب، فوجب اقضاء احدهما من الميدان، ومن الطبيعي أن يقضي عيسو (العيس) وان يستبقي يعقوب لأن يعقوب هو اسرائيل أبو بني اسرائيل رؤساء الأسباط (أي القبائل) اليهودية. وقد كتب الفوز لاسرائيل على أخيه عيسو بفضل مكيدة حاكتها أمه إذ ألبسته ثياب أخيه في غيبته ومضت به إلى أبيه الكليل الطرف وقدمت له طعاماً طيباً زعمت أنه من صيد ابنه عيسو فخدع الرجل بابنه الأصغر يعقوب فباركه وهو يحسب أنه الابن البكر عيسو. « فشم رائحة ثيابه وباركه وقال... ليستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل. كن سيداً لاختوك وليسجد لك بنو أمك. ليكن لاعنوك ملعونين وباركوك مباركين ». (تكوين ٢٧: ٢٧-٢٩).

ويلاحظ أن إسحق لم يذكر في مباركته هذه اسم ابنه الذي فاضت عليه بركته ولا اسم ابنه الآخر الذي حلت عليه لعنته، على نحو ما فعل نوح حين قال: « ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لإخوته. وقال مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبداً لهم ». (تكوين ٩: ٢٥-٢٦). فقد كان الحديث كله مفصلاً على قد الغرض النهائي الذي يسمى إليه أبحار اليهود وهو اصدار مرسوم (فرمان) يخول بني اسرائيل الحق في أن ينهبوا العالم طرا.

وقد عاش نوح بعد الحقبة التي ذكرنا اخباره فيها ثلاثمئة وخسين سنة طواه فيها النسيان، إذ أن كتاب التوراة اغفلوا أمره فيها كما اغفلوا قبل ذلك ما كان من أمر آدم وحواء بعد طردهما من الجنة فلم نعرف كيف عاشا فوق ظهر الأرض ولا أين طواهما بطنها.

وإنما اغفل كتاب التوراة بقية سيرة نوح لأن الافاضة فيها لا ينال بها الغرض الوحيد الذي وضعوه نصب أعينهم وهم يحبرونها ألا وهو الدعاوة الصهيونية ودعوة بني قومهم إلى الاغارة على البلاد العربية المجاورة ذات الخصب والثراء، وحثهم على اجتثاث أهلها والحلول محلهم في مراعهم واستعباد من بقي منهم في قيد الحياة واستدلالهم وممارسة النخاسة فيهم.

وفي سبيل هذه الغاية لم يبالي صناع التوراة أن يفسدوا قصة الطوفان افساداً شاملاً، وقد أسهبوا في تفصيل ما تسرد من أحداث وتحديد ما تبين من أوصاف وغلوا في تضخيم ما تشتمل عليه من احصاء، فإذا تلك الأحداث ليست مستحيلة الحدوث فحسب بل هي كذلك تستعصي على التصور. لقد خيل إليهم خباياهم انه بما أن الله قادر على كل شيء فمن الميسور أن يعزى إليه فعل أي شيء وان تكن فيه لسنن الطبيعة مجافاة ولأحكام العقل والمنطق منافية، ولمكارم



الأخلاق بجانبه، ومن الميسور أن يزعموا أن صدره قد وغر عليه من جراء مسلك اناس نكرات في ركن قرية نائية فما عم ان عمر بالطوفان وجه البسيطة فإذا الكرة الأرضية قد استحالت كرة مائية ولم يبق ثم غير خضم لجب لا شاطيء له، تطفو فوق صفحته المتلاطمة جثث الخلائق الأبرياء ومن بينها جثث الذين عاونوا نوحاً في بناء سفينته .

يا لهول الآلام المروعة التي عاناها أولئك المساكين وهم يشهدون المياه المتفجرة من أسفل تعلق حثاثاً وتبتلعهم فريقاً اثر فريق فيهرولون إلى التلال ويصعدون في الجبال في عجلة محومة عليها أن تعصمهم من الكارثة، وقد مد الفتيان أيدي المعونة إلى الفتيات واحتضنت الأمهات أولادهن ليدرأن عنهم غائلة الردى، ولكن ما جدوى ان يرحم الهالكون بعضهم بعضاً وقد طردهم الرحمن الرحيم جميعاً من واسع رحمته؟ وما لبث المتسلقون ان تهاووا بين اللجج وما أبطأ السابجون أن خذلتهم سواعدهم فأخرست الصرخات اللاهفة وأطبق على العالم صمت الموت الرهيب، حتى إذا ما انحسر الطوفان بعد عام وبعض عام برز سطح الأرض أجرد من النبات لا يكسوه إلا جثث المفرقين.

ان اللغة التي كتبت بها هذه القصة في التوراة لا تدع مجالاً للشك في أنها تتحدث عن طوفان عالمي غمر الأرض من أقصاها إلى أقصاها، فقد برح الأسى بالرب لأنه برأ الجنس البشري، فحزم أمره على أن يزهق نفوس الناس جميعاً ويأتي على جميع مظاهر الحياة في الأرض، وانفذ مشيئته. « فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء. خمس عشرة ذراعاً في الارتفاع تعاطمت المياه. فتغطت الجبال. فمات كل ذي جسد كان يدب على الأرض. » (تكوين ٧: ١٩-٢١).

وفي هذه القصة من الشطط ما جعل بعض المبرزين من كتاب المسيحية يتخرجون من اقرارها ويلتصون المهرب من ذلك في الزعم بأنها انما تصف طوفاناً بحرياً محلياً. اقتصر اذاه على تلك البقعة من الشرق الأوسط. بيد أن سهل العراق ليس بالذي يلائم حدوث طوفان بحري فيغمر رقعته، فهو يرتفع عن سطح البحر في الشمال قرابة مئة وثمانين متراً ويهبط تدريجاً في اتجاه الجنوب على امتداد خمسمئة كيلو متراً أو ستمئة كيلو متر حتى يدرك البحر.

ولو أن الطوفان كان مقصوراً على المنطقة الممتدة الى جبال أراط لبرز لنا سؤال محير هو كيف يمكن أن ينتصب جدار من الماء يربى سمكه على أربعة كيلو مترات وأن يظل سنة كاملة متماسكاً دون أن ينهار فيغمر الماء الأراضي المتاخمة.

لقد غالى كتاب التوراة في تضخيم طوفان نبيهم حتى أصبح يصطدم مع كل معلوماتنا الحديثة

ومع تفكيرنا المنطقي الشديد، فإذا قرأ المرء هذه القصة في صورتها اليهودية دارت بباله طائفة من الأسئلة:

١ - لماذا خلق الله آدم ثم أباد بني آدم كلهم باستثناء نوح وبنيه وزوجاتهم؟ لماذا لم يوفر على الناس ما جشمهم من عناء وعنت، بأن خلق نوحاً وزوجته بادية بدء تاركاً آدم وحواء وأبناءهما طي التراب الذي جبل منه آدم؟ ما جدوى تلك التجربة المخففة التي دامت ١٦٥٦ سنة وقد كان جل جلاله في غنى عنها لسابق علمه بالنتيجة التي ستنتهي إليها؟

٢ - لماذا ندم الرب على انه برأ الحيوان « فقال الرب امحو عن وجه الأرض الانسان الذي خلقتة. الانسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأني حزنت اني عملتهم ». (تكوين ٦: ٧).

مع أن الحيوان لم يأكل من الفاكهة المحرمة ولم يطمح ببصره إلى أن يطعم من شجرة الحياة؟  
٣ - ولماذا اقحم تلك الحيوانات الطاهرة البريئة في تلك المحنة المروعة وحلها تلك الآلام الوبيلة؟

في هذه القصة، كما هو الشأن في سائر قصص « العهد القديم » يشاطر الحيوان الانسان حظه، فقد جرى بنو اسرائيل على أن يقتلوا كل من يلقونه - في البلاد التي يغزونها - من الرجال والنساء والأطفال ومن الحيوان كذلك.

ومن المعقول أن تكون هذه هي عدالة بني اسرائيل ولكن من غير المعقول ومن غير المقبول أن تكون هي عدالة الله.

٤ - كيف وصلت الحيوانات التي اقلتها سفينة نوح إليها وأكثرها يقم في اصقاع نازحة، فالكنجرو - مثلاً - يعيش في أستراليا دون غيرها، والحيوان الكسلان لا يعيش خارج أميركا الجنوبية، والزرافة لا تستوطن الا افريقيا، وقرود الاورانج اوتان (انسان الغاب) لا يسكن في غير جزيرتي بورنيو وسومطرة؟

هل طاف نوح بسفينته على القارات الست في غضون المدة التي أمهله اياها يهوه لإدخال الحيوانات في السفينة وقدرها أسبوع واحد، أو كانت الحيوانات هي التي قدمت بنفسها إلى السفينة؟

وكيف قفزت الحيوانات التي لا تحسن السباحة من قارة إلى أخرى، وكيف كانت تلك الحيوانات تحصل على قوتها في الطريق؟

وكم سنة امضاها الحيوان الكسلان في مسيرة ما يربى على عشرة آلاف كيلومتر من أميركا الجنوبية الى العراق وهو لا يستطيع أن يقطع أكثر من خمسة عشر متراً في اليوم؟

وكيف تسنى لنوح أن يودع السفينة كل هذا الحشد الضخم من الحيوانات في أسبوع واحد؟

٥ - ما عدد الحيوانات التي استصحبها نوح من كل نوع حتى يحتفظ بمختلف الأنواع؟ أم ٢ أم ٧ أم ١٤؟

إننا نجد باديء الرأي أمراً صريحاً الى نوح بأن يسلك السفينة من كل زوجين اثنين. « من كل ذي جسد اثنين. من كل تدخل الى الفلك لاستبقائها معك. تكون ذكراً وأنثى. (تكوين ٦: ١٩).

ثم نجد بعد ذلك أمراً مخالفاً لما تقدم يقول: « من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً وأنثى. ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين ذكراً وأنثى. ومن طيور السماء أيضاً سبعة سبعة ذكراً وأنثى. (تكوين ٧: ٢-٣).

إذا أخذنا بالنص القائل بأن نوحاً حل معه ١٤ نموذجاً من كل نوع من أنواع البهائم والطيور ألفينا أن ذلك يزيد في عدد الحيوانات التي أقلتها السفينة بحيث يجعلها بحاجة إلى سفينة مترامية الأطراف تبدو إزاءها سفينة نوح بابعادها المعروفة أشبه شيء بقوارب النجاة، وإذا قبلنا النص القائل بأنه لم يأخذ معه سوى زوجين (أي اثنين) من كل نوع ارتطمنا في المحذور عندما يصعد نوح محرقاته عقب انحسار الطوفان. « وبنى نوح مذبحاً للرب. وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة واصعد محرقات على المذبح فتنسم الرب رائحة الرضا. (تكوين ٨: ٢٠-٢١).

٦ - كم يوماً لبث تدفق الطوفان؟ « كان المطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة. (تكوين ٧: ١٢).

ولم تزل المياه المنهمرة تطمو حتى غمرت الأرض كلها واحجبت قنة افرست الشاهقة بجبال هيمالايا (ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر ثمانية أمتار فارز ثماني مئة وأربعين، وكانت المياه تعلو بمعدل متنين وخمسة وعشرين متراً في اليوم أي ما يذرف على عشرة أمتار في الساعة.

لقد خلق الله الكون كله في ستة أيام ولكنه استنفذ في اغراق الكوكب الأرضي وحده أربعين يوماً.

وبقيت المياه محتفظة بمنسوبها المرتفع زمناً غير قليل « وبعد مئة وخسين يوماً نقصت المياه. (تكوين ٨: ٣).

وهذا يفيد أن الطوفان انتهى بعد خمسة أشهر، وانها لفترة كافية لاستئصال شأفة الجنس البشري وشأفة سائر الحيوان، بيد أننا نجد عند متابعتنا القراءة أن الكارثة دامت ثلاث مئة وسبعة وثلاثين يوماً وان لم نتبين وجه الحكمة في اطالة هذا المشهد الفاجع.

٧ - كيف استطاعت هذه السفينة الساذجة البناء المحدودة السعة أن تضم جميع النماذج الحيوانية

المتكررة مع عظم عددها؟ ان ما نعرفه من أنواع الحشرات وحدها يربى على نصف مليون نوع،  
وبين الحيوانات المنقرضة ما كان يتسم بضخامة الجرم.

وعلى أي أساس انتخب نوح النموذجين أو النماذج المتعددة للأنواع الحيوانية التي أقلتها  
سفينة؟ هل اختار أقوى الحيوانات أو أجملها أو هو التقطها كيفما اتفق؟ وهل كان ثم  
حيوانات أخرى لم يقع عليها الاختيار في تلك المباراة للجمال وكمال الأجسام؟  
وهل عادت تلك الحيوانات الى أوطانها في مختلف الأصقاع القطبية والاستوائية وما بينها أو  
هي هلكت بالطوفان؟

وهل قدر نوح أن تكون الاناث غير حوامل حتى لا تورثه دوارا وتسبب لسفينة متاعب هي  
في غنى عنها؟

وكيف استطاع، ولم يكن مجهزاً بمجهر، ان يميز بين الذكر والأنثى من الحشرات وما في  
حكمها؟

٨ - لئن كانت السفينة لا تتسع لمئات الألوف من الحيوانات انها لأخرى ألا تتسع لما يكفيها  
من طعام وشراب طوال مكثها فيها، وان الحيوان ليحتاج من العلف والماء في العام إلى ما يزن  
أكثر من عشرة أمثاله.

وجدير بنا أن نلاحظ فوق ذلك تعدد ألوان العلوفة اللازمة لمختلف الحيوانات، فالعواشب  
تتقوت بالعشب. واللواحم من السباع تفترس آكلات العشب. ومن الطيور الجارحة ما يأكل  
البغاث وما إليه من صغار الطير، ومن الطير ما يلتهم السمك والديدان والحشرات وما إلى ذلك،  
والحرباء تأكل الذباب، وأسد النمل يزدرد النمل، والنحلة تتغذى برحيق الأزهار، أما الزواحف  
العملاقة فقد كانت تستنفد في غذائها غابات بأكملها.

٩ - لقد حمل نوح معه نماذج حيوانية ولكنه نسي أن يحمل معه نماذج نباتية فكيف وجدت  
الحيوانات بعد انحسار الطوفان ما تقناته وقد أهلك الطوفان نبات الأرض وحيوانها؟ وهل كان  
من الممكن أن تبقى الأشجار متصلة في مغارسها وقد أذاب الماء الثرى من حول جذورها؟  
وهل كان من الممكن أن تحتل الأشجار وقر كيلو مترات من الماء لا يقل ضغطها عن ثمانية  
آلاف طن على كل متر مربع؟

لسنا ندري كيف ثابت الحياة الى عالم النبات، ولكننا نفرض أن الأمر استلزم سنة حتى تنبت  
الأرض ما يكفي لعلف آكلات العشب من حيوانات السفينة، ومعنى ذلك أنه كان على نوح أن  
يحمل مع تلك الحيوانات ما يقوم بأودها سنتين لا سنة واحدة، وهذا يعدل وزنها عشرين مرة أو  
ثلاثين.

إنا لنزني لنوح وأولاده وزوجاتهم فقد كان عليهم أن يقوموا بأعمال سواس للدواب ومروضين للوحوش وحواة للشعابين وأن يؤلفوا بين الحيوانات المتعادية بفطرتها (كالدئب والكلب)، وكان عليهم أن يكسحوا أرواح الحيوانات وأبوالها ويلقوا بها من النافذة الضيقة التي ليس ثم غيرها في السفينة ذات الطبقات الثلاث. ولا ريب أن الروائح الخبيثة كانت تنبعث بقوة في ذلك الأصطبل الطافي فوق العباب فتزكم أناف نوح وعترته. ولعله كان عليهم أيضاً أن يقوموا بتكييف الهواء على نحو ما ليهيئوا لمختلف الحيوانات ما يلائمها من الأجواء.

١٠ - ما الذي كان من أمر الحيوانات التي لا تطول آجالها أكثر من بضعة أسابيع أو بضعة أيام؟ ان الذباب يعيش في طور الحشرة الكاملة أقل من شهر وتستغرق دورته الكاملة ما دون الشهرين، فهل ماتت الذبابتان اللتان اصطفاهما نوح قبل أن تريا البر؟ وهل انتجتا قبل موتها خمسمئة ذبابة جديدة تبيض كل منهما فيها من الاناث خمسمئة بويضة تخرج منها خمسمئة ذبابة أخرى وهكذا دواليك فلا ينتهي الطوفان بعد سنة وبضعة أيام حتى تكون السفينة قد أصبحت تعج بالذباب.

١١ - ما الذي صار إليه أمر السمك والحيوانات البحرية التي تعيش في الماء العذب الفرات وتلك التي تعيش في الماء المالح الأجاج بعد أن امتزجت مياه البحار بثنائية امثالها من مياه الأمطار لكي تحجب قطن الجبال؟ اغلب الظن أن كثرة من ذلك السمك قد هلكت وهلكت معها سائر الحيوانات البحرية بعد أن أصبحت المياه التي تحتويها غير ملائمة لحياتها.

١٢ - من أين انسابت كل تلك المياه التي غمرت الكوكب الأرضي والتي بلغ سمكها تسعة كيلو مترات. «انفجرت كل ينابيع الغمر وانفتحت طاقات السماء». (تكوين ٧: ١١).

تُرى أين هذه الينابيع؟

يتوهم الكاتب الموحى إليه أن في قيعان البحار ينابيع في طاقتها أن تفيض بمقادير غير محدودة من الماء مدخرة في مستودع مركزي بباطن الأرض. ولكن كيف تنبثق المياه من الينابيع إلى الأعلى؟ ان العلم ينكر هذه الينابيع ويقول بأنه إذا صح أن في باطن الأرض مستودعاً مركزياً لمادة ما، فإنما تفعمه النار السائلة لا المياه.

ويتوهم الكاتب الموحى إليه كذلك ان ثم مقادير هائلة من الماء مودعة فوق ذلك الجسم الصلب الذي يدعونه الجلد يعنون به قبة السماء. «وقال الله ليكن جلد في وسط المياه وليكن فاصلاً بين مياه ومياه. فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد. وكان كذلك ودعا الله الجلد سماء». (تكوين ١: ٦-٨).

وهذه المياه العليا هي التي تهطل عندما يمطر الناس، فإذا رضي الله عن عباده الصالحين تفرج

لهم عن قدر من هذه المياه تروي غلتهم وتنمي غلتهم.

ولما حزم الله رأيه على اغراق الأرض فتح النوافذ التي في الجلد على مصاريعها فانثعب الماء منها بقوة عارمة وارتفعت مياه البحر حتى طمت على كل طود عظيم.

اننا نعلم اليوم أن الأمطار انما يسحبها السحاب وان السحاب إن هو إلا بخار المياه المتصاعد من متون البحار، فإذا ما مطرت السماء ارتدت المياه الى البحار ثم تكرر صعود البخار وهطول الأمطار دون أن يرفع ذلك من مستوى سطح البحر قلامه ظفر، وهو أمر كان الشاعر العربي على بصر به حيث قال:

كالبحر يطره السحاب وما له فضل عليه لأنه من مائه

ولكن كتاب التوراة كانوا يجهلون قوانين التبخر.

١٣ - ومهما يكن من أمر المنبع الذي مج تلك الأمطار الدافقة فأين ترى تسربت تلك المقادير الهائلة من المياه عندما انحسر الطوفان عن اليابسة؟ ان تصوب تلك المياه أي نزولها من عل أمر يمكن للعقل تصوره وان كان العلم ينكره، أما تصعدها إلى عل فأمر يجلب عن التصور.

١٤ - وقد هامت السفينة على وجه الماء شهوراً طوالاً ثم غاص الماء واستقرت السفينة على جبال أراراط بأرمينيا (على مقربة من حيث ينبع الفرات).

ولم يتبين نوح أحسر الماء عن اليابسة أم هو ما فتىء يغمرها، ولهذا أطلق بعض الطيور تستجلي له ذلك، بادئاً بالغراب النوحى « وعاد فأرسل الحمامة من الفلك فأتت إليه الحمامة عند المساء وإذا ورقة زيتون خضراء في فمها. فعلم نوح أن المياه قد قلت عن الأرض فلبث أيضاً سبعة أيام آخر وأرسل الحمامة فلم تعد ترجع إليه أيضاً ». (تكوين ٨: ١٠-١٢).

وشجرة الزيتون التي أتت الحمامة نوحاً بورقة منها، كيف تأتي لها أن تبقى سليمة وقد ظلت أكثر من سنة تحت مياه سمكها كيلو مترات تضغطها ضغطاً ماحقاً مع ما نعرفه من رقة شجر الزيتون تحمله؟

١٥ - كيف رجعت الحيوانات من جبال أراراط المجللة بالثلوج (لأنها فوق خط الثلج الدائم إذ انها تعلو مستوى سطح البحر بأكثر من أربعة كيلو مترات) إلى مواطنها الأول في متباين القارات؟ وكيف اهتدت إلى تلك المواطن حيث كانت تعيش بنات أجناسها؟ وم سنة استغرقتها الحيوانات الوئيدة السير في مآبها آلاف الكيلو مترات والباقي من عمرها لا يفني بذلك؟

★ ★ ★

من العسير أن يجيب المرء عن أي من هذه الأسئلة باجابة مقنعة، فقصة الطوفان اليهودية لا تقبل دفاعاً ولا يسلم بصحتها في الوقت الحاضر الا رجل يفكر في القرن العشرين بعد الميلاد تفكير الذين كانوا يعيشون في القرن العشرين قبل الميلاد، رجل يتمتع بعقل كعقول الأطفال وتصديق ساذج كتصديق العجائز .

# برج بابل

كان الناس، والبشرية في طفولتها، يشعرون بتقاصر أنفسهم بين أيدي الآلهة وتحاقرها إليهم، وقد عبروا عن تلك المشاعر في مواطن شتى بأساطير مختلفة تقصص أبناء جبابرة عصاة طمحووا إلى مشاركة الآلهة في السماء أو نفيهم منها فابتلى الآلهة أولئك الجبابرة التاعسين ببليلة ألستهم عقاباً لهم على ما اجترعوا من اثم، ومن ذلك ما يرويه أهل المكسيك نقلاً عن أسلافهم الأقدمين من أن أحد الذين نجوا من غائلة الطوفان بنى هرمًا ليلبغ به أسباب السماء فأوغرت جراته صدور الآلهة فرموا البناء بشعلة من نار فأتت النار عليه وأصبحت كل أسرة من بناء الهرم تنطق لساناً خاصاً بها<sup>(١)</sup>.

وليست أسطورة برج بابل التي يتناقلها اليهود في هذا المعنى بعبرية الأصل، بل هي - كالكثير من أساطير التوراة - مستعارة بجذافيرها من الكلدانيين، فقد روى الكاهن الكلداني بروزس أن الرعيل الأول ممن عمروا الأرض، وقد كانوا ضخام الأجسام موثقي القوة، حقروا الآلهة واستسخروا منهم وأقاموا برجاً يبلغ رأسه عنان السماء، وما عتمت الرياح أن ساعفت الآلهة فأطاحت بالبرج<sup>(٢)</sup>. واحداث الآلهة ببليلة في السنة الناس وكانوا قبل يتكلمون لساناً واحداً. ومن المحتمل أن تكون هذه القصة مما كان الكلدانيون يتذكرونه عن معبد بلوس الشهر الذي لم يتم بناؤه وهو من روائع العمارة.

يذكر الكتاب المقدس أن ذرية نوح كلها، وقد كثر عددها بعد الطوفان، ارتحلت ميممة صوب المشرق إلى أن حطت رحالها في أرض شنعار أي في بابل فأقاموا بها بعض الوقت ثم «قال بعضهم لبعض هلم نصنع لبناً ونشوه شياً. فكان لهم اللبن مكان الحجر. وكان لهم الحمر مكان الطين». (تكوين ١١: ٣).

---

(١) وما يسترعي انتباه أن الهرم المكسيكي المدرج يشبه معبد بلوس الكلدوني شها كبيراً. لقد كان المكسيكيون يعبدون الأجرام السماوية فلا غرو ان نجد مشابه بينهم وبين غيرهم من الشعوب التي كانت تعبد تلك الأجرام. ومن ذلك أن هرم أتهم يتكون من سبع طبقات (مصاطب) وأن في هرم الجيزة الأكبر سبع غرف هي أيضاً رمز لعبادة الكواكب.

(٢) ليس لهذا البرج أثر في الوقت الحاضر.



ويؤخذ من ذلك أن أولئك القوم توصلوا الى اختراع الآجر دفعة واحدة دون أن يتدرجوا في صناعة مواد البناء فيبدأوا بصنع اللبن المجفف في أوار الشمس ويشيدوا به منازلهم ردحا من الدهر ثم ينتقلوا خطوة تالية فيشووه في النار .

ثم تجاذبوا أطراف الحديث و« قالوا هلم نبين لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه بالسماه ونصنع لأنفسنا اسماً لئلا نتبدد على وجه كل الأرض » . (تكوين ١١ : ٤) .

فكيف جال بأذهانهم أن يقوموا بالدعاوة لأنفسهم في عالم ليس فيه غيرهم وأن يكونوا. فيه معلمين؟ وكيف يحول اشتهار اسمهم وذيوع صيتهم دون تشتتهم في مختلف أقطار المعمورة؟ وكيف دار في اخلادهم أن يبنوا مدينة وهم لم يروا مدينة من قبل؟ ان المدن تبنى في قرون، والمثل الانجليزي يقول إن روما لم تبن في يوم واحد .

ولسنا ندري ما الذي آلت إليه فكرة بناء المدينة ولهذا نقتصر على قصة البرج .  
زعم حاخامو اليهود أن ذلك البرج جاوز في ارتفاعه مئة كيلو متر ومن السهل بناء القصور في الهواء ، أما نحن فلا يخالجننا شك في انه ، على فرض صحة القصة ، كان دون مئة متر .

وقد عزا المؤرخ اليهودي يوسفس بناء البرج الى أن «نمرود» بن كوش بن حام بن نوح . (تكوين ١٠ : ٨-١٠) أعلن قومه بأنه سيقنص من الله اذا بدا له أن يفرق العالم مرة أخرى ، وأنهى إليهم أنه سيبني برجاً لا ترقى الي ذروته المياه يسر له أن يثار من الله لأجداده المغرقين .

ويستفاد من هذه القصة أن القوم لم يثقوا بما عاهدهم الله عليه هم والبهايم حين «كلم الله نوحا وبنيه معه قائلاً . وها أنا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم ، ومع كل ذوات الأنفس الحية التي معكم . الطيور والبهايم وكل وحوش الأرض التي معكم من جميع الخارجين من الفلك حتى كل حيوان الأرض . أقيم ميثاقي معكم فلا ينقرض كل ذي جسد أيضاً بمياه الطوفان . ولا يكون أيضاً طوفان ليخرب الأرض » . (تكوين ٩ : ٨-١١) .

كان بناء البرج يلمون بأن يعتلوا متن القبة الزرقاء وكانوا يخالونها جسماً صلباً ألصقت بباطنه الشمس والقمر والنجوم ويحسبونها لا تعلو كثيراً على مستوى السحب .

ان الذين أوتوا حظاً من العلم يضحكون من هذا الحلم لأنهم يعلمون أن بناء برج يصل الي القمر ، وهو أقرب الأجرام السماوية منا وتعد الشقة بيننا وبينه كقفرة البرغوت بالقياس إلى ما بيننا وبين الأجرام السماوية الأخرى ، يقتضى أن تنبسط قاعدة هذا البرج حتى تغطي وجه الكرة الأرضية كله وان تستعمل في بنائه مواد تماثل المواد التي في كتلة الكرة الأرضية خسين ضعفاً .

لقد كشف الذين دونوا هذه القصة عن جهالة عمياء ، وحاشا لله جل جلاله أن يكون على غرارهم في الجهالة فيذعره ما اجمع القوم عليه من غزوة في علياء سمائه حتى انه لم يلبث ان «نزل

الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنيونها». (تكوين ١١: ٥).  
من أين نزل؟ أليس هو في كل مكان؟ وفيه نزوله؟ هل كان كليل الطرف وكان يعوزه  
منظر مقرب فلم تتسن له الرؤية من بعد؟

وهل اعتقد أن القوم قادرون حقاً على امضاء ما بيتوا النية عليه؟ «وقال الرب هوذا شعب  
واحد ولسان واحد. لجميعهم وهذا ابتداءهم بالفعل. والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن  
يعلموه. هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض». (تكوين ١١: ٦-٨).

لقد عنى نفسه عناء ما كان اغناه عنه، فهل نسي قانون الجاذبية؟ هل جهل مهندس الكون  
قواعد البناء؟ هل غاب عن وعيه أن بناء قاعدته ذات سطح معين لا يمكن أن يعلو فوق ارتفاع  
معين؟ إلا أنه لو ترك القوم يتأدون في البناء لانقلب (البناء) على رؤوسهم، فما باله سبحانه قد  
اضطرب وعظم بلباله؟  
السبب هو أن هذا الرب لم يكن إلا يهوه، إله قبيلة من الهمج لا يعلم أكثر مما يعلم عابده.

★ ★ ★

وقد أدلى الكتاب المقدس في هذه القصة بسبب اختلاف اللغات وتعدد اللهجات على وجه  
المعمورة، لا يرى فيه علم الموازنة بين اللغات إلا أوهاماً لا تمت الى الحقيقة بنسب، فقد زعم:  
١ - أن الجنس البشري كان الى ما بعد الطوفان بفترة من الزمن والى قبيل مولد ابراهيم  
ينطق كله لساناً واحداً.

٢ - وأن الحال كانت على أن تظل كذلك لولا تلك المحاولة لبناء البرج.

٣ - وان جميع لغات الأرض ولدت في بابل من اللغة الأم - وهي العبرية - ولادة خارقة  
للعادة بمعجزة.

٤ - وانه ليس بين لغات الأرض جميعاً لغة تبلغ من العمر خمسة آلاف سنة غير اللغة العبرية.  
وليست هذه المزاعم بعجيبة من قوم يجهلون سنن التطور وينكرون نظرية النشوء والارتقاء،  
وانها لتجافي الحقائق العلمية المسلمة، ومنها أن لغات أميركا الأصلية، على ما بين احداها  
والأخرى من وثوق أواصر القربى، مبتوتة الصلة بلغات العالم القديم، وليس ثم ما يدل على أنها  
موروثه عن العبريين أو الفينيقيين أو الكلتيين أو غيرهم.

ليست اللغة شيئاً تصنعه الآلهة وتبثه في أذهان الناس، وإنما هي تنشأ وترتقي تدريجياً في بطء  
خلال أزمنة طويلة، فإن القبائل والشعوب قد عضتها خطوب وحكتها محن وتجارب مختلفة  
وشعرت باحتياجات متباينة واكتفتها بيئات غير متماثلة وعلقت بأذهانها انطباعات مما رأت

وسمعت وشمّت وذاقّت. ولمست، ومن ثمّ اختلفت لغاتها وتباينت تصوراتها الدينية ونظمها السياسية وعاداتها الاجتماعية وتتركب لغات الممج من أصوات قليلة لا يستطاع التعبير بها عن شيء غير أفكار أو حالات عقلية محدودة كالحب والأشتهاء والخوف والكره والازدراء، أما اللغات التي تصلح للافصاح عن أفكار مركبة فلا بد لنموها من قرون كثيرة.

وقد جاء في الإصحاح الثاني من سفر التكوين أن الله عرض جميع أنواع الحيوان بين يدي آدم وأن آدم جعل يطلق على كل منها اسماً من عنده، فمن أين جاء آدم بهذه الأسماء وهو ما يزال حديث العهد بالخروج من التراب غرا خلوا من التجارب والانطباعات؟

وكيف حدث أن أصبح هو وحواء والحية يتكلمون لساناً واحداً؟ لقد زعموا أن آدم كان يتكلم العبرية في جنة عدن. «ودعا آدم اسم امرأته حواء لأنها أم كل حي». (تكوين ٣: ٢٠).

وان حواء تكلمت بها بعد خروجها من الجنة. «وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قايين وقالت: اقتنيت رجلاً من عند الرب». (تكوين ٤: ١).

«وعرف آدم امرأته أيضاً، فولدت ابناً ودعت اسمه شيثا، قائلة لأن الله قد وضع لي نسلًا آخر عوضها عن هابيل<sup>(٢)</sup>». (تكوين ٤: ٣٥).

وان لامك بن متوشالغ تكلم بها قبل الطوفان بستة قرون. «ودعا اسمه نوحا، قائلاً هذا يعزينا عن عملنا وتعب أيدينا من قبل الأرض التي لعنها الرب». (تكوين ٥: ٢٩).

وكانت أسماء البطارقة العشرة السابقين للطوفان كلها عبرية من الخطل أن يأخذ المرء بما يفهم ضمناً من الكتاب المقدس من أن اللغة العبرية هي لغة العالم الأصلية إذ انها ليست سوى لهجة من اللهجات السامية شأنها في ذلك شأن اللغة العربية واللغة الآرامية. وليس ثمة وشيجة قريى تربط اللغات السامية باللغات الآرية. «هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض». (تكوين ١١: ٧).

ولكن كيف بلبل الله ألسنتهم وشوش لغاتهم؟ هي أفقدهم حافظتهم؟ هل شل جزءاً من أمخاخهم؟ هل ضرب على أعضاء النطق عندهم حتى لا تؤدي النبرات والأصوات التي في اللغة القديمة؟

ولم أفضى تبلبل ألسنتهم إلى أن «بدهم الرب من هناك على وجه كل الأرض فكفوا عن بنيان المدينة»<sup>٣</sup>. (تكوين ١١: ٨).

ولماذا لم يتلبثوا إلى أن يفهم بعضهم بعضاً بوسيلة من الوسائل؟ ان ما كانوا عليه من الضعف

(٢) أي أن اسم شيث يعني عوض الله.

والعجز قمين أن يجعل كلا منهم يحس الحاجة إلى عون أخيه، وكان الاستمرار في بناء البرج  
أيسر من الهجرة إلى غير غاية. « لذلك دعي اسمها بابل لأن الرب هناك بلبل لسان كل  
الأرض ». (تكوين ١١: ٩).

فيا له من تخريج عجيب!

إن كلمة « بابل » لا تتصل البتة بكلمة « بلال » العبرية التي تعني شوش أو خلط<sup>(٤)</sup>، وتدل  
الشواهد على أن هذا الاسم أصله « باب إيل » أي باب الرب.  
وكم من أسطورة من أساطير العبريين وغيرهم مبعثها اشتقاق لغوي خاطيء.

---

(٤) نجد في الإنجليزية أن كلمة Babel تعني بابل أو جلبة أو جهوراً من الناس يتكلمون دفعة واحدة، وقد اشتقوا  
منها Babble أي مبلبل أو ذا جلبة وتشوش Babelism ومعناها كلام مشوش أو لفظ Babble ومعناها ثرثر أو هذرم  
وتماثلها في الألمانية Babbeln.

## الأسطورة والوعي

- قابيل وهابيل
- ابراهيم
- لوط
- يوسف
- داود



# قائيل وهايل

﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ \* لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيْ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ \* إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ \*﴾. (المائدة ٢٦ - ٢٩).

ولكن قال بعض العلماء أن ابني آدم ليس معناه إبنيه لصلبه، وإنما هما رجلان من بني إسرائيل وكلنا أولاد آدم. ودليله على ذلك أنه قال عقب هذه القصة.  
من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل الآية ٣٢.

تفسير محمد فريد وجدي

★ ★ ★

دون الكتاب المقدس تاريخ العالم كله من بدء الكون إلى غرق الأرض بالطوفان في خمسة إصحاحات، ودون تاريخ العالم من إنحسار الطوفان إلى هجرة أبراهام في إصحاحين آخرين، ثم أمسك عن مطالعنا بشيء من مدينة ذلك العصر على عراقها إلا حين يتصل الأمر باليهود كما أغفل الحديث عن تلك الشعوب الموغلة في القدم المؤتلة الحضارة التي ازدهرت في الشرق ولم تمتد يدها بالأذى إلى شعوب غربي آسيا.

وقصة قاييل وهايل تفسر لنا مبعث ذلك الإغفال، بأن لعنة الله على قاييل قد تحت امتيازها بحق البكرية فانقطع حداثته وهم شعوب الشرق عن أن تنتظمهم سلسلة التاريخ واتصل الخيط في سفر التكوين من بدء الخليفة مباشرة إلى شعب الله المختار.

والآن نلقي نظرة على قصة قاييل وهايل:  
ذراً الله الإنسان على مثاله.

فخلق الله الإنسان على صورته. (تكوين ١ : ٢٧).

١ - فإذا المرأة الأولى تغرر ببعلمها وتخدعه عن نفسه.

٢ - وإذا الرجل الأول غر ينخدع بها .  
 ٣ - وإذا إبنها الأول قاتل سفاح لا يتأثم عن سفك دم أخيه .  
 ومع كل أولئك فقد أعجب الخالق بما خلق .  
 « ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً » (تكوين ١ : ٢١) .  
 وقد دأب الله في خلق الكون ستة أيام كاملة ، وما انتهى من ذلك في مساء اليوم السادس حتى كان قد ران <sup>(١)</sup> عليه اللغب <sup>(٢)</sup> فأخذ إلى الراحة طوال اليوم السابع .  
 « وفرع الله في اليوم السابع <sup>(٣)</sup> من عمله الذي عمل فاستراح الله في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل » (تكوين ٢ : ٢) .

وقد كان الرجل والمرأة آخر ما برأ الله من مخلوقاته فهما حثالة <sup>(٤)</sup> البرية ، وكأنا برأهما الله وقد أضناه التعب ولهذا جاء ملهوجين <sup>(٥)</sup> ، ولو أنه كان قد نال قسطه من الراحة في اليوم السادس ثم برأهما في اليوم السابع لما تسنى للشيطان أن يوقع بهما .

★

وأخذ آدم وحواء يستكثران من النسل دون أن يدور بخلدهما ما تفتق عنه ذهن إبنهما « مالتوس » من أن الناس سيكثرون حتى يوشكوا ألا يجدوا ما يقيم الأود <sup>(٦)</sup> ويمسك الرمق <sup>(٧)</sup> .  
 ولما ولدت حواء إبنها البكر قالت :  
 « اقتنيت رجلا من عند الرب » (تكوين ٤ : ١) .

فهو في نظرها مجرد قنية ، ولهذا أسمته قايين . ويتصل هذا الاسم بفعل عبري معناه « يضرب » أو « يطعن » ، فهو ينطوي في تضاعيفه على معنى العنف أو القتل كما ينم على إسم جد مخترع الآلات الحديدية وأسلحة الدمار كما سزى . ولم يعلق آدم على هذه التسمية بشيء .

(١) ران هواه على قلبه : غلب عليه ﴿ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ أي غلب عليهم حب المعاصي .  
 (٢) لغب الرجل : تعب وأعبأ أشد الإعياء ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب ﴾ ق ٢٨

(٣) يعني في نهاية اليوم السادس .  
 (٤) الحثالة : ما يسقط من قشر الشعير والأرز والتمر وكل ذي قشارة إذا نفى و - سفلة الناس تقول : ما بقي من الناس إلا حثالة وهو من حثالة الناس أي من رذالتهم .  
 (٥) لهوج الأمر . لم يحكمه ولم يبرمه و - الشواء . لم ينعم شيه فهو شواء ملهوج . حديث ملهوج ورأى ملهوج : غير محكم .

(٦) الأود : الأعوجاج .

(٧) الرمق : بقية الحياة .



أما الإبن الثاني. فقد دعى «آبل»<sup>(٨)</sup> وهو لفظ عبرى زعم يوسفس أنه «حزن» أو «حسرة» بيد أن العلماء المحدثين يفسرونه بمعنى «عدم» أو «وهن» أو «باطل» وهي تسمية تلقي ظلال الشك على القصة كلها.

كان على كل من قابيل وهاييل أن يكسب عيشه بالجد في إنتاج مواد الطعام، فأتجه قابيل إلى تربية حيوانات اللحوم ونزع هاييل إلى زراعة الخضر والبقول، فكانا إذا ما جلسا يطعمان تضلع<sup>(٩)</sup> أحدهما من اللحم وتبلغ<sup>(١٠)</sup> الآخر بالخضر والبقول. أو لعل الأخوين كليهما كانا نباتيين، وأنها إنما أقبلت على تربية ذلك القطيع الصغير من الخراف طلباً لأصوافها، ولعلها كان يعبان بين آن وآن من البان النعاج، فاللبن وإن يكن نتاجاً حيوانياً يستدره المرء في سهولة ويسر دون أن يزهد في سبيله روح الحيوان. ومع ذلك فقد كانت الحيوانات تقتل ليضحى بها على مذابح الآلهة كي يجزلوا الخيرات للانسان فما ضر لو ذبحت ليأكلها الإنسان. وقد انتهت تقسيم العمل على هذا النحو بين الأخوين الشقيقين إلى كارثة لم تكن في الحسبان، ذلك أن يهوه، وهو من أكلة اللحوم، التهم شواء هاييل في إلتذاذ وطوى أنفه اللدني عن الكراث والبصل والثوم وما إليها من ألوان الخضر التي غدت فيما بعد أثيرة لدى شعبه لمختار<sup>(١١)</sup>.

ولم توضح لنا القصة لم أعرض يهوه عن قربان قابيل واقتحتمه عينه؟

« فنظر الرب إلى هاييل وقربانه ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر » (تكوين ٤ : ٤).

أكان ذلك لأنه، كما يزعم التلمود، لم يقدم خير ما أنتجه حقله، أم لأنه كان يغار من أخيه إذا أن عمله في رعي الغنم عمل هين يسير وهو مع ذلك يفيء عليه رزقاً وافراً؟ ليس يلوح أن السبب شيء من هذا أو ذاك، فقد كانت تربية الأغنام تتطلب حمايتها من عدوان السباع الضارية والطيور الكاسرة ولم تكن الزراعة قد عرفت بعد. وقصارى القول أن للرب أن يفعل ما يشاء بغير حساب دون أن يسأل عن الأسباب.

ملك الملوك إذا وهب لا تسألن عن السبب

(٨) وقد عرب الأسان « كايين » و « آبل » فأصبحا « قابيل وهاييل » وهو تعريب روعي فيه السجع والازدواج كما روعي في « موسى وعيسى » (يسوع) و « ظللوت وجالوت » (شاول وجليات) و « هاروت وماروت » و « ياجوج و ماجوج ». وقد ارتضى مترجو سفر التكوين إلى العربية هذا التعريب في إسم آبل ولم يرتضوه في إسم شقيقة قايين.

(٩) ضلع: امتلاً شعباً، وقيل ريا حتى بلغ الماء أضلاعه. تضلع الرجل: امتلاً شعباً ورياً « كان يتضلع من زمزم ».

(١٠) تبلغ بكذا: أكتفى به.

(١١) « وقد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجانا والقناء والبطيخ والكراث والبصل والثوم ».

« يعطى من يشاء » فقصف على حدد الأدب  
فهو يحبو بحبه من يشاء ويحل مقته بمن يشاء وهو يمنح من يشاء ويمنع عن يشاء .  
يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرماً لكنها خطرت من وساوسه  
لقد أحب يعقوب (إسرائيل) وآثره على أخيه عيسو لغير ما سبب معلوم « كما هو  
مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو » (رومية ٩ : ١٣) .

وها هو ذا هنا يجب ها بيل ويعرض عن قابيل .  
وإن علم الأساطير ليجلي لنا ما غمض من هذا الأمر ، فقد كان مبدأ التضحية من المعالم  
البارزة في ديانة اليهود وليس ثم غفران للآثم بلا سفح دم .

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم  
فعلى اليهود أن يقدموا الأضاحي بين الحين والحين . وفي ناموس موسى الخاص بالللاوين  
أن أهم واجبات أولئك الكهنة هو إحراق ما يقربه أفراد الشعب من تقدمات الإثم ، ومن ثم لم  
يكن عسيرا علينا أن ندرك كيف عمد اليهود الذين كتبوا التوراة أو الذين نقحوها بعد السبي  
البابلي إلى إسباغ هذا اللون الدموي على قصة التكوين تبريراً للتضحية بالحيوان .

وقد جرى اليهود على أن ينظروا إلى مهنة رعي الغنم نظرة الإعظام وعلى أن يرفعوا من  
شأن الحياة الرعوية وينتقصوا من قدر حياة الزراعة<sup>(١٢)</sup> فكان من الطبيعي أن يضفي المؤرخون  
العبرانيون على تلك الحياة قدسية ويحيطوها ببركة الله<sup>(١٣)</sup> ولم يكن غريباً أن يزعموا أن الزراعة  
قد فرضت على بني آدم عقاباً لهم على ما اقترفه آدم من خطيئة .  
« بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك » (تكوين ٣ : ١٧) .

وقد بقى اليهود محتفظين بنظرتهم هذه إلى ما بعد إنتقالهم إلى فلسطين ، ومن ثم كان  
الرجال البارزون في أساطيرهم وفي تاريخهم يظهر من بين رعاة الأغنام ولا يتخلون عن  
قطعانهم بعد تسنمهم العروش .

١ - فقد كان أبراهام صاحب قطعان من الأبقار والأغنام حباه بها فرعون عندما شد  
رحاله إليه . مصطحباً أمراته الجميلة سارة .

« ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون فأخذت المرأة إلى بيت فرعون . فصنع

---

(١٢) وعلى العكس من ذلك كانت ديانة الفرس تؤثر حياة الزراعة وترى فيها نوعاً من الخدمة الالهية ، أما  
البرهمية والبوذية فقد سارتا شوطاً أبعد إذ حرمتا ذبح الحيوان تحريماً باتاً .

(١٣) يقال إن هناك حديثاً يقول :

« ما من نبي إلا وقد رعى الغنم »

إلى أبرام خيراً بسببها. وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماه وأتن وجمال (١٤).

(تكوين ١٢ : ١٥ - ١٦).

ثم ضاعف قطعانه بعد عشرين عاماً إذ شد رحاله هو وزوجته الجميلة إلى أبيالك ملك جرار.

« فأخذ أبيالك غنماً وبقرأً وعبيداً وإماءً وأعطاهم لإبراهيم » (تكوين ٢٠ : ١٤).

وقد طالعنا هذه الحادثة مرة أخرى معزوة إلى إسحق فقد قصد إلى أبيالك ملك جرار مستصحباً أمراًته الجميلة رفقة (١٥).

« وسأله أهل المكان عن أمراًته. فقال هي أختي لأنه خاف أن يقول أمراًتي لعل أهل المكان يقتلونني من أجل رفقة لأنها كانت حسنة المنظر » (تكوين ٢٦ : ٧).

وأقطعه الملك أرضاً

« وزرع إسحق في تلك الأرض فأصاب في تلك السنة مئة ضعف وباركه الرب، فتعاضم الرجل وكان يتزايد في التعاضم حتى صار عظيماً جداً. فكان له مواشي من الغنم ومواشي من البقر وعبيد كثيرون. فحسدوه الفلسطينيون » (تكوين ٢٦ : ١٢ - ١٤).

٢ - ورعى يعقوب غنم خاله وحميه لابان الأرامي.

« فكان لما أبصر راحيل بنت لابان خاله وغنم لابان خاله تقدم ودحرج الحجر عن فم البئر وسقى غنم لابان خاله... وأحب يعقوب راحيل فقال أخدمك سبع سنين براحيل إبتنتك الصغرى » (تكوين ٢٩ : ١٠ - ١٨).

٣ - وكان موسى يرعى غنم حميه كاهن يثرون عندما ظهر له الرب في شجيرة نارية لا تفتأ ألسنة اللهب تندلع منها.

« وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون كاهن مديان. فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب. وظهر له ملاك الرب بلهب نار من وسط عليقة. فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق. فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم. لماذا لا تحترق العليقة فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى. فقال هأنذا. فقال لا تقترب إلى ههنا. إخلع حذاءك من رجلك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة » (خروج ٣ : ١ - ٥).

(١٤) لاحظ ذكر العبيد والإماء بين الحمير والأتن.

(١٥) وهي في اللغات الافرنجية «ربكا»

٤ وكان داود، بطل اليهود القومي، الذي أختاره الله بحسب قلبه، يرعى غنم أبيه

« يسي ».

« وقال صموئيل ليسى هل كملوا <sup>(١٦)</sup> الغلمان. فقال بقى بعد الصغير وهوذا يرعى الغنم.. فأرسل وأتى به.. فقال الرب قم أمسحه لأن هذا هو - فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط إخوته. وتحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً » (١ صموئيل ١٦ : ١١ - ١٣).

٥ - وكان عاموس النبي كذلك راعياً للغنم.

« فأجاب عاموس <sup>(١٧)</sup> وقال لأمصيا. لست أنا نبياً ولا أنا ابن نبي بل أنا راع وجاني

ججيز » (عاموس ٧ : ١٤).

٦ - وهنا كذلك كان هايبيل الذي نال الحظوة لدى ربه راعياً للغنم على حين كان قابيل

الذي أعرض الرب عن قربانه أكارا يعمل في الأرض.

ولم تظهرنا القصة على العلامات التي استبان بها كل من الأخوين مصير قربانه، وهي كذلك لم نتجربنا بفحوى الحديث الذي دار بين الأخوين، ولكن يبدو من السياق أن أحدها نقض التعايش السلمي بينه وبين أخيه وأنه استفزه بذلك الحديث الذي أعقبه مصرعه.

« وكلم قايين أخاه وحدث إذ كانا في الحقل أن قايين قام على هايبيل أخيه وقتله <sup>(١٨)</sup> »

(تكوين ٤ : ٨).

وقد حاول التلمود (وهو موضوع في القرون الخمسة الأولى بعد الميلاد) أن يبتكر تعليلاً

لما غمض من حوادث القصة، فجعل يرمي قابيل بمختلف المثالب زاعماً أنه كان بخيلاً لثماً ينفس على شقيقه ما حباه الله به من زوجة جميلة، وأنه لما رأى الله قد أنزل من السماء ناراً التهمت القربان الدموي وتجافت عن الفاكهة والأزهار التي قربها هو نقم على الله تحيزه وإيثاره أخاه عليه.

ومن هذا نرى أول نزاع مصطنع بالدماء اشتجر في العالم كان نزاعاً دينياً. اختلف

الأخوان على الطريقة التي يجب أن يعبد بها الله فصرع أقواهما الأضعف.

---

(١٦) هنا أسند الفعل إلى واو الجماعة مع أن الفاعل متأخر وظاهر وهو لغية ضعيفة يمثلون لها بالجملة

المعروفة (أكلوني البُراغيت).

(١٧) عاش عاموس في منتصف القرن الثامن ق. م وأمصيا هو كبير الكهنة.

(١٨) وحدث بعد ذلك بنحو عشرين قرناً أن دب النزاع بين الأخوين التوأمين عيسو ويعقوب عندما كنت

عينا أبيهما إسحق فزعم يعقوب أنه عيسو وخذع أباه من نفسه وجعله يمنحه بركته التي كان قد اهتمز أن يمنحها لابنه البكر عيسو، فلما علم عيسو أن أخاه سرق بركته أوشك أن يقتله لولا حصافة أمها رفقاً.

وزار الرب قابيل بعدما قتل أخاه واستخبره عن مكانه فأجابه اجابة من لا يعتقد أن الله علم بكل شيء وقال مستنكراً السؤال إن حراسة أخيه غير منوطة به فقال الله .

«صوت دم أخيك. صارخ إلي من الأرض»<sup>(١٩)</sup> فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاما لتقبل دم أخيك من يدك. متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها. تائهاً وهارباً تكون في الأرض. فقال قاين للرب ذنبي<sup>(٢٠)</sup> أعظم من أن يحتمل. إنك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض ومن وجهك أختفي وأكون تائهاً وهارباً في الأرض. فيكون كل من وجدني يقتلني. فقال له الرب لذلك كل من قتل قاين فسبعة أضعاف ينتقم منه. وجعل الرب لقاين علامة لكي لا يقتله كل من وجده فخرج قاين من لدن الرب وسكن في أرض نود شرق عدن» .  
(تكوين ٤ : ١٠ - ١٦).

وهكذا أسبغ يهوه حمايته على القاتل وكان الخير أن يستنقذ ذاك الذي سفك دمه في سبيله.

والآن، فلنرجع البصر كرة في هذه النبذة فإن فيها أشياء كثيرة تسترعي النظر:

- ١ - لم كان هذا الجزع<sup>(٢١)</sup> ومم كان الفزع؟ وكيف يقتله الذين يرونه وقد أقوت<sup>(٢٢)</sup> المعمورة بمقتل أخيه من ساكنيها فلم يبق بها غيره هو ووالده؟
- ٢ - كيف تجنبه العلامة المميزة شر القتل في يومه الحاضر أو في غده؟ وما جدواها عليه وهو في غنية عن العلامات لأنه أول من ولد على ظهر الأرض من البشر قاطبة ومن البديه أن يصبح معروفاً لمن يجيئون بعده.

(٢٩) هذا القول يراد به معناه الحرفي، فقد كان العبريون يعتقدون ان دم القتل لا يزال يضح ويصرخ ولا يفتأ يتعقب القاتل حتى يوجه رسمه. ولهذا كان مقاتلو اليهود اذا عادوا من حومة الرغى عاشوا في معزل عن مدتهم اياماً يطهرون فيها بالاغتسال وغسل ثيابهم حتى لا ينقلوا دم العدو إلى ديارهم فيتاح لها الاقتصاص منهم. وشبه بهذا ما كانت تذهب اليه جاهلية العرب من أن هناك طائراً يخلق من رأس المقتول يألف المقابر في الليل ولا يزال يصيح قائلاً اسقوني اسقوني ولا يكف عن المطالبة بالاقتصاص للقتيل الذي ظل دمه حتى يقتل قاتله. ولذلك كانوا يطلقون على هذا الطائر اسم الصدى او الهامة. قال الشاعر الاصم العدواني:

« اضربك حيث تقول الهامة اسقوني » اي قتلك ضرباً

(٢٠) هنا خطأ جسيم في الترجمة وتصويبه ان تستبدل بكلمة «ذنبي» كلمة «عقابي» والمعنى أن هذا العقاب الذي سيحل به تلبية لهذه اللعنة والتي تجعله يظل يسرب في الأرض شريداً طريداً (كاليهودي التائه) أعظم واقسى من أن يحتمله هو .

(٢١) جزع عليه: أشفق، ومنه قوله «لا جزع اليوم على قرب الأجل» .

(٢٢) أقوت الدار: خلت من ساكنيها

أقوت وطال عليها سالف الأبد

« يا دار مية بالعليا. فالسند

٣ - كيف « جرح قايين من لدن الرب » والرب في كل مكان؟

إن هذا يذكرنا بما فعله يونان (يونس) من محاولته الهرب من وجه الرب تخلصاً مما كلفه آياه من المضي إلى نينوى وإبلاغهم الرسالة هناك .

« فقام يونان ليهرب إلى ترشيش من وجه الرب فنزل إلى يافا ووجد سفينة ذاهبة الى ترشيش فدفع أجرتها ونزل فيها ليذهب معهم إلى ترشيش من وجه الرب » (يونان ١ : ٣) .

ومن ذلك نرى أن يهوه ليس هو الروح اللانهائية للكون بل هو إله محلي منظور تراه العيون (٢٣) .

٤ - ثم أين هي أرض نود هذه؟ يقول سفر التكوين إنها « شرقي عدن . ولكن أين عدن نفسها؟ إذن فقصارى القول أن أرض نود تقع إلى الشرق من مكان ما . وبعد ، فقد هام قابيل على وجهه في أرض غربته بنود .

« وعرف قايين امرأته فحبلت وولدت حنوك (٢٤) . وكان بيني مدينة . فدعا اسم المدينة كإسم ابنه حنوك » (تكوين ٤ : ١٧) .

٥ - ومن يا ترى امرأة قابيل هذه؟ أترأه لقيها في نود أم تراه جاء بها من حيث أتى؟ ولمن جعل بيني المدينة؟ وكيف يتفق هذا الاستقرار في المدينة واللعنة الإلهية التي فرضت عليه أن يظل تائهاً وهارباً في الأرض؟ أم كان يتحدى مشيئة ربه .

٦ - والآن وقد غدا آدم وحواء وحيدين في موطنها الذي عاشا فيه عقب طردهما من الجنة ، وبعد مقتل أحد ابنهما وفرار الآخر ، كان عليهما أن ينسلا ولداً جديداً نقى السلالة لينحدر منه اليهود شعب الله المختار ، وقد أقدم آدم على ذلك . « وولد ولداً على شبهه كصورته ودعا اسمه شيثا » (تكوين ٥ : ٣) .

فلا بد أن شيثا قد جاء على صورة الله ، ومنه انحدر البطارقة إلى نوح ومن نوح انحدر إبراهيم منشأ الجنس اليهودي ، ومن ثم فإن كل يهودي ذي أنف من الطراز المعروف هو على صورة يهوه .

---

(٢٣) وهذا كانت عبادته لا تجوز إلا فوق ثرى بلاده .

(٢٤) إسم حنوك يقابله في الإنجليزية « إنوك » وهو الاسم الذي ترجموه في (تكوين ٥ : ٢١) باسم أخنوخ ، وأخنوخ هو المعروف عند العرب باسم إدريس وهو الجيل السادس من حفدة آدم وفي التوراة أن الله رفعه إلى السماء حياً .

٧ - فلم لم ينسل آدم قابيل على هذا الغرار (٢٥) حتى لا يتضرع وجه البسيطة بدم شقيقه المسفوح؟

هذا، ولم تدل الينا التوراة بما كان من أمر قابيل بعد أن حلت عليه اللعنة. أما شيث فهو حلقة في سلسلة من البطارقة تضم عشر حلقات أولها آدم وعاشرها نوح. وهذا العدد « ١٠ » يسترعي الانتباه قليلاً (٢٦).

ومن البدهي أن ذرية قابيل لقوا منيتهم مع ذرية شيث إبان جاجة الطوفان، ولكننا إذا وازنا بين الفريقين ألفينا أن ذرية قابيل هي التي وضعت أساس المدينة إذ شيدت إحدى المدن، وابتدع أحدهم مهنة رعي الغنم وأخترع شقيقه الآلات الموسيقية واحترف أخوه غير الشقيق مهنة الحدادة (٢٧)، وذلك على حين أن ذرية شيث لم يكونوا يفعلون شيئاً غير الإيمان بالله، ولم يكونوا على حظ من مكارم الأخلاق حتى إنه لما جاء الطوفان لم يكن بينهم من يستحق الإنقاذ من الهلكة سوى ثمانية هم نوح وأولاده الثلاثة وزوجاتهم الأربع وهؤلاء الأولاد الثلاثة سرعان ما فعل أحدهم ما استوجب صب اللعنة على ذريته إذ حدق إلى أبيه المخمور والتمس التفككة بالسخرية من عورته العارية.

---

(٢٥) الغرار: المثال الذي تضرب عليه. النصال: تصلح.

(٢٦) يؤمن الهندوك بمقدم ١٠ قديسين كبار متسلسلين من « مانو » وعندهم أن الإله « فشنو » قد تجسد في ١٠ شخصيات مختلفة. وقد كان للمصريين القدماء ١٠ أبطال أقوياء، وكان للكلدانيين ١٠ ملوك قبل الطوفان، وكان للأشوريين ١٠ ملوك من حام إلى نينياس ومثلها من يافت إلى أبرام. وعند اليونانيين القدماء ان أفلاطون هو الجيل العاشر لإله البحر « نبتن ».

(٢٧) « واتخذ لامك لنفسه امرأتين... فولدت هادة يابال. الذي كان أبا لساكني الخيام ورعاة المواشي. واسم أخيه يوبال. الذي كان أبا لكل ضارب بالعود والمزمار. وصلة أيضاً ولدت توبال قاين الضارب. كل آلة من نحاس

« حديد » تكوين ٤ : ١٩ - ٢٢

# ابراهيم

حظيت شخصية إبراهيم لدى المتدينين بالأديان السامية بمكانة لم يسم اليها غيره من الأنبياء .

فهو عند اليهود :

١ - الرجل الذي ظعن من موطنه الأول في أور الكلدان إلى فلسطين حيث أسس الإسرائيليون فيما بعد دولة لهم .

٢ - الرجل الذي تراءى الله له وتحدث اليه وأعطاه موثقاً أن يمكن لذريته في الأرض ويقطعهم ما بين النيل والفرات . ( تكوين ١٥ : ١٨ ) .

٣ - الرجل الذي أنشأ منسك الختان وعاهد الله على أن تستمسك به ذريته أبد الدهر 'باء ما مَنَّ المولى به عليهم من عطاء جزيل وما وعدهم به من ملك عريض . ( تكوين ١٧ : ١٠ - ١٤ ، ١٧ : ٢٣ - ٢٦ ) .

وهو عند المسيحيين :

٤ - الأب الأعلى للرب يسوع المسيح :

« كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم » . ( متى ١ : ١ ) .

وهو عند المسلمين :

٥ - مؤسس الإسلام ، فالإسلام هو ملة إبراهيم :

﴿ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ﴾ . ( آل عمران ٦٧ ) .

٦ - باني الكعبة :

﴿ وإذا بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين ولاة ائمين والركع والسجود ﴾ . ( الحج ٢٦ ) .

﴿ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع والسجود ..



وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴿١﴾ .  
(البقرة ١٢٥ - ١٢٧).

٧ - جد محمد بن عبدالله :

« إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار من خيار »<sup>(١)</sup>. (حديث شريف).

٨ - وينطق المسلم اسم ابراهيم مرتين عند التشهد في كل صلاة من صلواته اليومية الخمس .

وقد ذكر القرآن إبراهيم ٦٩ مرة .

وأنعم الله على إبراهيم بلقب لم يجب به سواه، الا وهو لقب « خليل الله » .  
« فأمن إبراهيم بالله فحسب له برا ودعى خليل الله » (يعقوب ٢ : ٢٣) .

« وأما أنت يا إسرائيل عبدي، يا يعقوب الذي اخترته نسل إبراهيم خليلي » (أشعيا ٤١ : ٨) .

« أأنت إلهنا الذي طردت سكان هذه الأرض من أمام شعبك إسرائيل وأعطيتهما

لنسل إبراهيم خليلك إلى الأبد » . (٢ أخبار ٢٠ : ٧) .

﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾ (النساء ١٢٥) .

وقد برهن جميع خلان الله على تحليهم بخصائص وصفات لا يجعل بخلان الإنسان أن

يتصفوا بها، وهو ما يتجلى في رحلات إبراهيم وامراته الفاتنة إلى قصور الملوك في الأقطار المجاورة .

هذا، ويؤخذ من « العهد الجديد » أن إبراهيم قد أستقر في السماء (أي في الجنة) منذ

---

(١) أغلب الظن أن هذا الحديث مكذوب به على النبي، إذ أن الشبه وثيق بينه وبين حديث الملك داود الذي

أدلى به عندما أراد أن ينص ابنه سليمان بولاية العهد، فقد رزق داود ابنه سليمان في كهولته من السيدة الحسنة بتشيع التي اغتصبها عندما كان زوجها أوريا الحثي يذود عن حى الدين والدولة في حومة الرغى، حتى إذا ما حملت منه سفاحاً استدعى زوجها وحله رسالة إلى قائد الجيش يأمره فيها باغتياله، فلهاذا أنفذ فيه القائد أمر مليكه ضم الملك المرأة إلى حريمه وأقام على حبها مؤثراً إياها على سائر نساته ولبى رغبتهما فأعلن أن سليمان هو الذي سيخلفه على الملك دون أخيه الأكبر أدونيا، الذي بطش به سليمان عقب إعتلائه العرش. قال داود بحسم المسألة :

« وقد اختارني الرب إله إسرائيل من كل بيت أبي لأكون ملكاً على إسرائيل إلى الأبد لأنه إنما اختار يهوذا

رئيساً ومن بيت يهوذا بيت أبي . ومن بني أبي سر بي ليملكني على كل إسرائيل . ومن كل بني - لأن الرب أعطاني بنين كثيراً - إنما اختار سليمان إبنى ليجلس على كرسي مملكة الرب على إسرائيل » . (١ أخبار ٢٨ : ٤ - ٥

زمن سابق زمن المسيح بقرون وأنه أستقر في حضنه رجل يدعى لعازر لا يعرف له مآثره سوى أنه كان في دنياه رجلاً مسكيناً مريضاً بالقروح يتخذ محله المختار في فناء<sup>(٢)</sup> دار لواحد من الأغنياء ويقعد فيه فتتوافد الكلاب عليه لتعلق قروحه .

وما دامت شدة العذاب في الدنيا تكفي لأن تدفع بالمرء في الآخرة إلى حضن إبراهيم فلا ريب أن هناك عدداً جماً من النساء سيرتمن في أحضانه يوم القيامة إلا أن ساره ستطوح بهم بعيداً عنه كما فعلت بجاريتهما هاجر .

أما ذلك الغني الذي لم تحص القصة من سيئاته أكثر من أنه كان موسراً .  
« يليس الأزجوان والبز وهو يتنعم كل يوم مترفهاً » . (لوقا ١٦ : ١٩) .

فقد ساق إليه جده العاشر لعازر هذا ليجلس عند بابه فتبدو في نظر الديان صورة جليلة للتناقض البالغ بين أغنى الغنى وأفقر الفقر .

لقد كفل له ماله النعم في حياته فلما أنتهت حياته أنتهى نعيمه وألقى به إلى الجحيم ، فقد كانت أمه هاوية<sup>(٣)</sup> .

« فرفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب ورأى إبراهيم من بعيد ولعازر في حضنه . فنادى وقال يا أبي أرحمني وأرسل لعازر ليبل طريف إصبعه بماء ويرد لساني لأني معذب في هذا اللهب . فقال إبراهيم يا ابني أذكر أنك أستوفيت خيراتك في حياتك وكذلك لعازر البلايا . والآن هو يتعزى وأنت تتعذب » . (لوقا ١٦ : ٢٢ - ٢٥) .

فتخلى ذلك الغني المهذب عن مطلبه فيما يتصل بلعق الماء واجترأ بأن يسأل إبراهيم أن يبعث بواحد من الأموات ليطوف بإخواته فيبصرهم بالمصير الذي سيؤولون اليه عليهم يتوبون عن غوايتهم . فهو يرى أنه .

« إذا مضى إليهم واحد من الأموات يتوبون . فقال لها إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون<sup>(٤)</sup> » . (لوقا ٣٠ - ٣١) .

★

(٢) الفناء (بالكسر) : الوصيد وهو ساحة أمام البيت ، وقيل هو ما امتد من جوانبه .

(٣) الهاوية من أساء جهنم ، ومن ذلك قوله :

﴿ وأما من خفت موازينه . فأما هاوية ﴾ القارعة ٨ - ٩

أي فأواه النار .

(٤) ﴿ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا ﴾ الأنعام

فهل كان إبراهيم هذا امرأة تاريخياً عاش حقاً في الزمن الذي ينسبون إليه أنه عاش فيه أي نحو القرن العشرين ق. م أي قبيل العهد الذي كانت فيه مصر محكومة بالرعاة أو هو مجرد شخصية أسطورية اختلقتها الوسوس والأوهام في عصور الظلام؟

الواقع أن علم التاريخ لا يعرف من أمر هذا الرجل شيئاً، فإن سيرة اليهود تبدأ بشاول أول من ملك على العبريين، وقد دام ملكه عليهم ١٥ عاماً بين سنتي ١٠٢٥ ق. م و ١٠١٠ ق. م وخلفه على كرسي العرش داود بن يسي، وكان في أول أمره يعمل في خدمة الملك يدق له «الزار» لتسكين جاش العفاريت التي ركبته<sup>(٥)</sup>.

١ - وقصارى القول أن جميع قصص البطارقة والأنبياء الذين عاشوا بين أظهر العبريين قبل شاول وداود، وفي جملتها قصص إبراهيم ولوط وإسماعيل ويعقوب ويوسف وموسى، هي - فيما يرى علماء التاريخ - لا تعدو أن تكون أساطير لا تمت إلى علم التاريخ.

٢ - وبين الباحثين من يعتقد أن البطارقة الثلاثة: أبرام وإسحق ويعقوب ليسوا أناسي من البشر بل هم آلهة ساميون قدامي. وعندهم أن إسحق هو إله الشمس.

٣ - وما من سبيل إلى الكشف عن عناصر الصدق فيما نسب إلى هؤلاء البطارقة من رحلات، ويرى بعضهم أن ما يروى في هذا الباب مستقى من القصص الشعبية الكنعانية التي كان يتناقلها الأهلون في بلاد كنعان بعد أن وطئها بنو إسرائيل.

٤ - وزعم بعض المتدينين الأحامس أن أمراة الملك شنعار، الذي ينبئنا الإصحاح الرابع عشر من سفر التكوين بأن حرباً قد نشبت بينه هو وحلفاؤه وبين ملكي سدوم وعمورة وحلفائهما، وهو (حموراي) الكبير الذي كان يملك على بابل في منتصف القرن العشرين ق. م<sup>(٦)</sup>، وأن الأسماء التي ذكرت معه هي التي ورد ذكرها في المتون المكتوبة بالخط

---

(٥) فقد ألقى الكهنة وعملاؤهم من حاشية القصر في روع شاول أنه أضع ما كان له من حظوة عند الرب وأن الرب سلط عليه روحاً شريرة توشك أن توبقه.

«وذهب روح الرب من عند شاول وبغته روح ردي. من قبل الرب. فقال عبيد شاول له هوذا روح ردي. من قبل الله يبغتك فليأمر سيدنا عبيده قدامه أن يفتشوا على رجل يحسن الضرب بالعمود ويكون إذا كان عليك الروح الردي. من قبل الله أنه يضرب فتطيب فقال شاول نعبده إنظروا لي رجلا يحسن الضرب وأتوا به إلي. فأجاب واحد من الغلمان وقال هو ذا قد رأيت ابناً ليسى البتلحمي يحسن الضرب وهو جبار بأس ورجل حرب وفصيح ورجل جميل والرب معه. فأرسل شاول إلى يسي يقول أرسل إلى داود ابنك الذي مع الغنم. فأخذ يسي حاراً حاملاً خبزاً وزق خر وجدي معزى وأرسلها بيد داود ابنه إلى شاول.. وكان عندما جاء الروح من قبل الله على شاول أن داود أخذ العمود وضرب بيده فكان يرتاح شاول ويطيب ويذهب عنه الروح الردي. ١٠ صموئيل ١٦: ١٤ - ٢٣

(٦) وم من يعتقد أن ذلك كان نحو سنة ١٧٠٠ ق. م.

المساري<sup>(٧)</sup>، وهو رأي يقوم على الحدس ولا يستند إلى دليل. يضاف إلى ذلك أن بعض الباحثين يرون أن ذلك الإصحاح ليس وثيقاً في عبريته وأنه قد يكون منقولاً عن البابلية. وعند المؤرخ سايس وغيره أن قصة اشتراك أبرام فيما شب من حروب بين ملوك فلسطين على عهد حورايي إن هو إلا لغو يلغى.

٥ - وهناك رأي يقول بأن «أبرام» فلسطين هو «براما» الهند.

وقد كان اسم «أبرام» واسع الذبوع في بلاد فارس كما كان ذاتاً في بلاد يهوذا. وبما أن العبريين في ذلك الوقت لم يعدوا أن يكونوا جماعات متبربرة تكتنفهم ممالك معرقة في الحضارة فقد تطرقت اليهم من تلك الممالك أساطير تأقلمت على مر الزمن فبتنوها وأدعوها وزعموا في غمار ذلك أنهم من ولد أرام، تلك الشخصية التي تكن لها الشعوب الآسيوية المجاورة كل تبحيل وتعظيم.

٦ - وإن إسم «أبرام» نفسه ليشير بعض الشك في تاريخية الرجل فهو يتكون من لفظين عبريين هما «أب» بمعناها في العربية و«رام» أي الأعلى. وإنما سمي الرجل باسم «الأب الأعلى» لأنه المؤسس لأسرة تنتظم كبار أنبياء الأديان السامية (السماوية) الثلاثة الذين تعاقبوا على صولجان النبوة زهاء ٢٦ قرناً بدءاً بإبراهيم وختاماً بمحمد، فقد خلف إبراهيم اسحق وتلاه يعقوب (إسرائيل) ومن سلالته جاء الملك داود، وداود هو الوالد في الجسد ليسوع المسيح ويرجع كثير من نسابة العرب بنسب نبيهم إلى اسماعيل بن إبراهيم.

وقد شط بعض المستشرقين الأوربيين فزعموا أن حفاوة القرآن الكريم بإبراهيم هي رجع ورد فعل لما لم يتحقق للنبي من التوفيق إلى تألف اليهود في يثرب<sup>(٨)</sup>.

(٧) يرجع الفضل في ابتداء الخط المساري إلى السومريين، أولئك الذين ازدهرت حضارتهم جنوبي العراق قبل المسيح بنحو ٣٥ قرناً وهو ملائم للكتابة على الألواح الطينية التي كانوا يصنعونها لهذا الغرض. وقد انتهى عهد السومريين مع نهضة حورايي وتأسيس بابل.

(٨) ومن ذلك ما يقوله دكتور فلهم رودلف أستاذ اللاهوت بجامعة تينجن بألمانيا في كتابه «صلة القرآن باليهودية والمسيحية»:

كان محمد في بادي أمره يعتقد أنه إنما يدعو إلى ما دعا موسى إليه اليهود ودعا عيسى إليه المسيحيين، فلما أقام بالمدينة ولبس «أهل الكتاب» وخيب أمهه فيهم أنهم لم يؤمنوا برسالته كان عليه لكي يواجه معارضتهم له أن يعيد تشييد دينه على دعائم جديدة. وقد وجد العون على ذلك في شخصية إبراهيم الذي يقره اليهود والمسيحيون على السواء والذي لا يعد خاصاً بهؤلاء، أو أولئك إذ أنه كان يعيش قبل تنزيل التوراة والإنجيل.

«يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده. أفلا تعقلون». «آل عمران

وبما أنه لم يكن عنده في تلك الأيام ما يأخذه على اليهود والمسيحيين فقد أسمى الإسلام «ملة إبراهيم».

وجملة القول أنه مهما يكن من ضؤولة المعلومات التاريخية التي تتصل بحياة إبراهيم فإن وجوده يعد من الوجهة الدينية أمراً مقطوعاً به، ولهذا فإننا سنفحص عن أمر هذا الرجل بحسبانه شخصاً تاريخياً عاش حقاً في الزمان والمكان المذكورين المعينين في التوراة.

★

هبط نوح البر عندما انحسر الطوفان، وهبطت معه زوجته وأولاده الثلاثة سام وحام وياث وزوجاتهم، وتناسل حفدة نوح وكثر عديدهم فارتحلوا مولين وجوههم صوب المشرق إلى أن حطوا رحالهم في أرض شنعار حيث شرعوا في بناء برج بابل دون أن يكملوه إذ تبلبلت ألسنتهم وتفرقوا في مختلف أرجاء العالم شيعاً ولكل جمع منهم لسان من تلك الألسن التي نشأت في ظل ذلك البرج اللغوي. ونجا الكثير من أخلاف سام من محنة تبلبل الألسن فلبثوا يتكلمون العبرية (٩)

١ - وقد أقام تارح (١٠) أبو إبراهيم في بلاد وصفها «العهد القديم» بكلمة «عبر النهر». «آباؤكم سكنوا في عبر النهر منذ الدهر. تارح أبو إبراهيم وأبو ناحور عبدوا آلهة أخرى». (يشوع ٢٤: ٢).

٢ - واستقر القوم في أور الكلدان (١١) على الشاطيء الغربي للفرات حيث ولد أبرام وناحور وهاران، بيد أن هاران والد لوط لم يمتد به العمر فمات قبل أبيه تارح. وتزوج إبراهيم أخته لأبيه (١٢) ساراي.

«قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قياً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين». «الأنعام ١٦١»  
ثم زعم أن الكعبة في مكة إنما بناها إبراهيم وابنه اساعيل - أنه إلى آخر تلك الآراء التي تصدر عن قصور في الإلام بخصوص البيئة العربية وعن قياس سير الأمور في الجزيرة العربية - تبعاً لذلك - على مثيلتها في البلاد الأوروبية.

(٩) كان أهل بابل فيما غير من الزمان يتكلمون الأكدي، وكان أهل الجليل يتكلمون العبرية، والعرب الشاليون يتكلمون الآرامية، وكانت الآرامية في سورية وفلسطين سابقة لكل من اللسانين الكنعاني والعبري.  
(١٠) جاء في القرآن الكريم أن أبا إبراهيم يدعى آزر.

«وإذا قال إبراهيم لأبيه آزر اتخذ أصناماً إني أراك وقومك في ضلال مبين».

(١١) كان اسم كلدانيا فيما مضى يطلق على أقصى القسم الجنوبي من وادي دجلة والفرات، وكان يتسع أحياناً فيشمل بابل وبذلك يضم كل جنوب أرض الرافدين.

(١٢) تكوين ٢٠: ١٢

ومن ذلك قصة اغتصاب أمنون بن داود لأخته غير الشقيقة تامار وقولها له «والآن كلم الملك لأنه لا ينبغي منك. فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها». ٢ صموئيل ١٣: ١٣ - ١٤  
يبدو أن الأخت غير الشقيقة كان ينظر إليها على أنها غير مكتملة الأخوة فلا على أخيها حرج أن يتخذها حليلة ويبي بها.

٣ - وشد تارح أبو أبرام وجد لوط، هو وعشيرته رحلهم من أور إلى حاران وهي أقل منها مدنية وحضارة وأقاموا بها لا يرحلون بها إلى أن مات تارح.

٤ - وارتحل القوم بعد ذلك إلى كنعان، ووعده ربه أن يسكنه هو وذريته بلاد كنعان أبد الأبد.

٥ - ولكنه لم يبد ثقة بذلك الوعد، ولم تطب له الإقامة في أرض الميعاد التي طالما وصفها يهوه بأنها تفيض لبناً وعسلاً، وأشفق أن تجهده فيها المخصصة فأستقر رأيه بعد إمعان الذهن وإنعام النظر على الهرب من شظف العيش إلى حيث الشبع والراحة.

والعيش خير في ظلال الـ نوك ممن عاش كدًا  
وإن لدى إبراهيم من الوسائل الناجعة ما يجعله حرياً ببلوغ الثراء من أقصر الطرق إليه، ولهذا أمتطى راحلته النجبية واحتقب امرأته الحبيبة وانحدر إلى مصر الزاهرة بالزرع الزاخرة بالضرع الملامى بالنضار واللجين.

وأقر في أذن زوجته الحساء، وهو في طريقه إلى مصر، أن تخفي زوجيتها له:  
« قولي إنك أختي. ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك ». (تكوين ١٢: ١٣).

لقد كان على بصر بأن امرأته لا ضريب لها في ملاحظتها، فهي أعز من أن يضرب دونها حجاب أو يوحد في وجهها باب. وقد صدق حدسه.

« فأخذت المرأة إلى بيت فرعون فصنع إلى أبرام خيراً بسببها. وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال<sup>(١٣)</sup> ». (تكوين ٢: ١٥ - ١٦).

وقد قرت عينه بما أفاءت عليه الرحلة الميمونة، ولهذا ثنى برحلة أخرى ماثلة في ملابسات ماثلة، إذ انحدر بامرأته صوب الجنوب حتى حطا رحالهما في مملكة جرار.  
« وقال إبراهيم عن سارة امرأته هي أختي. فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة<sup>(١٤)</sup> ». (تكوين ٢٠: ٢).

ويبدو أن ذلك كان هو المسلك الطبيعي في تلك الأيام.  
« فأخذ أبيمالك غنماً وبقرًا وعبيداً وإماء وأعطاهما لإبراهيم ». (تكوين ٢٠: ١٤).

---

(١٣) لاحظ كيف أن الكاتب الإنساني وضع العبيد والإماء بين الحمير والآتن.  
(١٤) وقد استن تلك السنة النبوية الكريمة، إذ نزلت بالبلاد في عهده جماعة فلم يتوان أن اصطحب امرأته الجميلة رفقة (ربكا) إلى جرار ونزلا في رحاب ملكها أبيمالك فأجزل الملك عطاءه.  
« فتعاطم الرجل وكان يتزايد في التعاطم حتى صار عظيماً جداً. فكان له مواشي من الغنم ومواشي من البقر وعبيد كثيرون ». تكوين ٢٦: ١٢ - ١٤

وقد أغفل كتاب سفر التكوين أن يبينوا لنا كم كان عمر تلك الغادة التي أذهلت بجمالها الأخاذ ملوك الشرق الأدنى فبدلوا لزوجها ما جعله يغدو من ذوي الثراء ويرتدي الطيلسان<sup>(١٥)</sup> الأرجواني<sup>(١٦)</sup>. بيد أنا نستطيع أن نستنبط ذلك من الأرقام المبعثرة التي وردت عرضاً في سياق القصة.

١ - رزق تارح عندما أتى لتارح من العمر ٧٠ عاماً رزق بابنه إبراهيم.

« وعاش تارح سبعين سنة وولد أبرام وناحور وهاران ». (تكوين ١١ : ٢٦).

بيد أن هاران والد لوط لم يتراخ به العمر فقضى قبل أبيه تارح. وتزوج أبرام أخته ساراى كما أسلفنا.

٢ - ثم أنتقل تارح وأبرام ومن إليهم إلى حاران وأبلدوا بها إلى أن لفظ تارح أنفاسه وقد ناهز من العمر ٢٠٥ سنة.

« كانت أيام تارح مئتين وخمس سنين ومات تارح في حاران ». (تكوين ١١ : ٣٣).

٣ - ويؤخذ من ذلك أن أبرام عاش في كنف أبيه ببلدة حاران ٢٠٥ - ٧٠ = ١٣٥ سنة.

٤ - ثم خرج القوم من حاران إلى كنعان، وإذن فإبراهيم كان قد ناهز من العمر ١٣٥ سنة عندما خرج من حاران، لولا أن التوراة عادت فاخترلت هذا الرقم وأكدت أنه لم يكن عندئذ قد تجاوز ٧٥ ربيعاً.

« كان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران » (تكوين ١٢ : ٤).

فليكن الأمر كذلك.

٥ - فلما استشرت المجاعة بعد بضعة أعوام في تلك الأنحاء وهبط أبرام مصر كان قد ذرف على ٨٠ عاماً.

٦ - وعندما أوفى على المئة من عمره بشره الرب بأنه سيرزق ابنه إسحق.

« فسقط إبراهيم على وجهه وضحك. وقال في قلبه هل يولد لابن مئة سنة وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة ». (تكوين ١٧ : ١٧).

٧ - وبما أن سارة تصغر إبراهيم بعشر سنوات فقد كانت تناهز السبعين من عمرها

---

(١٥) الطيلسان: كساء مدور أخضر يلبسه العلماء والمشايخ وهو من لباس المعجم.

(١٦) الأرجوان: معربة عن الفارسية: صبغ أحمر وثياب حر. كان حلة الالقاب وذوي النيجان من أشرف

أوروبا في القرون الوسطى يرتدون الطيلسان الأرجواني في الحملات الرسمية.

عندما افتتن بها فرعون مصر وكانت في التسعين من عمرها عندما تولع بها ملك جرار لما أخذها إليه زوجها. وقد ألفنا أن نرى النساء في هذه السن شيخات طواعن في السن وسمهن حدثان (١٧) الزمان بالعضون والتجاعيد ، فكيف تدله بسارة أولئك الملوك العظماء الذين تتهالك عند أقدامهم العذارى من حرائر وإماء ؟

من الواضح أن ذلك لم يكن وليد خلل في عقول الرجال أو فساد في أمزجهم ولكنه كان وليد اضطراب في كيان القصة .

٨ - لقد كان إبراهيم غير محق في ضحكه عندما سمع البشارة، فإن امرأته لم تلبث أن جاءت في شيخوخته بولد يدعى اسحق، وعندما فصلت الأم ولدها عن الرضاع كان ذلك بفصلها اسماعيل وأمه عن البلاد .

وكبر اسماعيل فزوجته أمه المصرية زوجة من أرض مصر، وكذلك كبر اسحق فغدا غلاماً يفعاً .

كانت عبادة الأصنام فاشية في تلك الأيام. وكان ثم عديد من الآلهة يقرب الناس لها قرابين شيطانية وسواء كانت الأصنام مجسدة أو مجردة فقد كان الناس لا يضمنون عليها بالأضحيات الحيوانية والبشرية .

---

(١٧) حدثان الدهر (بكر فسكون) وحدثانه (بفتح تين): نوابه، قال:

لا يبعد الله إخواننا لنا ذهبوا أفناهم حدثان الدهر والأبد



# لوط

في جنوب فلسطين بحيرة من نوع غير مألوف غامضة الأصل يذرف طولها على ٦٠ كيلو متراً، يغذوها نهر الأردن بما يفيض من مائه، بيد أن أوار الشمس يعمل من الجهة الأخرى على تجفيفها بما يبخره من مائها. وماؤها صاف غير أنه كثيراً ما يطفو على متنه الأسفلت أو الحمر (وهو ضرب من القار المعدني) فيخلع عليها منظراً جهماً كثيباً. ولا تنبعث من هذا الماء رائحة ما، ومع ذلك فهو كريبه كأنه محلول الشب (أحد أملاح الألومنيوم)، وهو مشبع بالملح ومشوب بحامضي الكلورودريك والكبريتيك، فإذا سقط فيه إنسان أو ابتل به أصابت جلده حكة موجعة، فإن كانت يجسده جروح أو قروح نجمت عنها آلام مبرحة. وهذه البحيرة بطبيعة الحال غير عامرة بالسماك، وثم من يغالون فيزعمون أن الطيور التي تحلق فوق صفحتها لا تلبث أن تهاوى صرعى لا حياة فيها، ولذلك كانت هذه البحيرة جديرة بأسمها المعروف: البحر الميت. وتكتنف هذه البحيرة سهول مجللة بملح نترات البوتاسيوم، تتخللها بلاد قليلة جرداء ضيئلة العمران. وقد انتصبت على تل سدوم أعمدة من الملح وافرة العدد، طالما سبح فيها خيال الناس فخالوها أناسي متحجرة.

والجانب الشمالي من البحيرة بعيد الغور على حين أن جنوبيها بالغ الضحالة، ويتكون قاعها من رقعتين يتباينان في درجة الإرتفاع ولهذا جمع الخيال ببعضهم فأنشأوا يقولون إن الرقعة الوطيئة هي القاع الأصلي للبحيرة أما الرقعة المرتفعة فيرجع إرتفاعها إلى ما تراكم فوق قاعها الأصلي من أنقاض مدينتي سدوم وعمورة المدينتين اللتين كانتا هناك ثم طمس عليهما ماء البحيرة، وهي دعوى ظاهرة البطلان.

وقد شاعت حول هذا الإقليم حكايات طريفة، وزعم بعض الكاتبين الأقدمين من إسرائيليين وغير إسرائيليين أن الحيز الذي تغطيه البحيرة في الوقت الراهن كان يشغله فيما مضى إقليم به مدن شتى منها اثنتان تدعيان سدوم وعمورة، إلا أن هذا الإقليم ما نشب أن دمرته الزلازل وحرقته نيران مندلعة من باطن الأرض. وفي الحق أن ما في البحيرة وما هو على مقربة منها من مقادير القار العظيمة لدليل على ما لهذا الإقليم من طبيعة بركانية وأثر من آثارها.

يرعرض بعض العلماء أن البحيرات الثلاث ميروم وطيريا وأسفلتيت ونهر الأردن هي بقايا خليج كبير كان يتصل بالبحر الأحمر قبل أن ترتفع الأرض في تلك الأرجاء بانقلاب جيولوجي فتقوم برزخا بينها وبين البحر، ومن ثم كان النشاط البركاني هو علة الظاهرة التي تسترعي النظر في ذلك الإقليم. أما قصة مدن السهل فما هي إلا أسطورة من الأساطير التي كان الأقدمون يتناقلونها عندما يرون مشهداً مؤثراً.

وكثرة الحمر في تلك الأصقاع. وهو يشتمل على النفط، يجعل هذه الظاهرة محتملة التصديق. وليس من اليسير محو أثر التخريب الخطير الذي لحق هذا الإقليم من ثورة الطبيعة العارمة. وبما لا ريب فيه أن تدمير سدوم وعمورة إنما كان نتيجة دمار القشرة الأرضية التي بنيتا عليها والتي كانت تفصلها عن بحيرة من الكبريت السائل وهو ما يطابق معلوماتنا عن البلاد ذات البراكين والحمر.

وقد نجت من هذا المصير القاسي شقة من الأرض كانت تقوم عليها المدينة الصغيرة « صوغر » إذ أن هذه الشقة كانت نشازاً (أي مرتفعة ناتئة) فهي أشبه شيء بهضبة تعلو على ما يجاورها، فإذا ما اندلعت ألسنة اللهب في الوادي أو غمرته لجج البحر المتلاطمة ظلت هذه الهضبة بمنجاة من النار وعصمة من الماء.

ولكن القوم في ذلك الزمن الغابر لم يكونوا ينتهجون في تفكيرهم هذا المنهج بل كانوا يتمثلون في كل ما تحدته يد الطبيعة العاتية من تخريب وتدمير وما تنزله ببني البشر من كوارث ونوائب يد الإله المنتقم يؤدب عبده في هذه الحياة، وكانوا لا يعلمون ما الحياة الأخرى، ولذلك وجدوا في مشهد الثورة الطبيعية التي دكت قرى قوم لوط وأحالتها خراباً يباباً - غذاء كافياً للتخيل، ورأوا في نجاة صوغر آية عناية إلهية.

وكان من الطبيعي أن يتساءل الناس: لم أخرب الله هذين البلدين ونكل بأهلها.  
وكان من الطبيعي أيضاً أن يكون جواب تساؤلهم أن هذا النكال كان عقاباً لهم على اقترفوا من معاص.

فيعود الناس يتساءلون: وما عسى أن تكون تلك المعاصي الجسام التي أستوجبت ذلك الانتقام؟

والجواب هو أن أوحم المعاصي جميعاً هو الزنا.  
ويستأنف القوم تساؤلهم: ولكن الزنا متفشي بكل مكان، فلم لم تلاق مدينة أخرى مثل هذه العقبي؟

والجواب هو أن الزنا هنا يبذ ضروب الزنا في سائر الأمصار قباحة وبشاعة، فقد تفاقم

الشدوذ وغلب اللواط والسحاق على النكاح المشروع<sup>(١)</sup>.

★

وبعد فلنلق نظرة على قصة تينكم المدينتين كما روتها التوراة:

مات هاران والد لوط في مسقط رأسه بأور الكلدانيين قبل أن يموت « تارح » والد هاران أي جد لوط، ففصل تارح من أور الكلدانيين مستصحباً:

ابنه أبراهام.

وكنته ساراي.

وحفيده لوطا بن هاران.

وحط الجميع رحالهم في أرض كنعان، حيث شيدت مدينة حاران التي سميت باسم

هاران.

وقحط الموطن الجديد وأجدبت العشيّة فالتحدروا إلى مصر يسترفدون<sup>(٢)</sup> فرعون.

وخلا أبراهام في الطريق بامرأته ساراي وأقر في أذنها قوله:

« قولي إنك أختي<sup>(٣)</sup> ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك.

فحدث لما دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً. ورآها رؤساء

فرعون ومدحوها لدى فرعون، فأخذت المرأة إلى بيت فرعون فصنع إلى إبرام خيراً بسببها.

وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء<sup>(٤)</sup> وأتن وجمال» (تكوين ١٢: ١١ - ١٩).

ورجع أبو المؤمنين إلى فلسطين سالماً غانماً، عظمت خيامه وكثرت أغنامه، وكذلك ظفر

ابن أخيه لوط بأغنام وخيام، وغير اليسار من علاقة العم بابن الأخ فتولدت بينهما الإحن

---

(١) يرى بعض الشراح في تفسير الآية:

« فلما جاء أمرنا جملنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود». هود ٨٢

أن أهل سدوم وعمورة قد أهلكوا بكسارة من القرميد مشوية في جهنم، كل كسرة منها تحمل اسم الشخص الذي يهلك بها، حتى إن أبناء سدوم الذين كانوا إبان الكارثة قد خرجوا إلى الريف على مبعدة من المدينة ضربوا هم أيضاً على رؤوسهم. وذكروا أن أحد السدوميين هرب إلى معبد كان قد بناه إبراهيم وأقام به أربعين يوماً في أمن وطأنينه، فلما هم بالخروج لم يكذب يبرز رأسه حتى دمه الحجر المعد له فأرداه قتيلًا.

(٢) استرفده: استعطاه.

(٣) « وبالْحَقِيقَةُ أَيضاً هِيَ أُخْتِي ابْنَةُ أَبِي غَيْرِهَا لَيْسَتْ مِنْ أُمِّي ». تكوين ٢٠: ١٢.

وقد عد موسى مثل هذا الزواج عملاً من أهمال الخنا.

« وإذا أخذ رجل أخته بنت أبيه أو بنت أمه ورأى عورتها ورأت هي عورته فذلك عار. يقطعان أمام أعين

بني شعبها. قد كشف عورة أخته. يحمل ذنبه. لاويون ٢٠: ١٧

(٤) لاحظ أنه ذكر العبيد والإماء بين الحمير واللاتن.

وتعددت لمشادات وتطور الاحتكاك وطال بين عملها الاحتكاك فأدى بهم إلى المشاغبات. لقد  
تسعت أملاك الرجلين فضاك كل منها بأخيه.

« ولم تحتلها الأرض أن يسكننا معاً. إذ كانت أملاكها كثيرة. فلم يقدر أن يسكننا  
معاً » (تكوين ١٣ : ٦).

فدعا أبراهام لوط إلى أن يفاصله<sup>(٥)</sup>، وقال له :

« اعتزل عني. إن ذهبت شمالاً فأنا يميناً وإن يميناً فأنا شمالاً ». (تكوين ١٣ : ٩).

وتعازل القريبان. فوصل أبراهام إلى أرض كنعان وقصد لوط إلى الأردن واختار أن  
يضرب أطنابه<sup>(٦)</sup> في تلك البلدة التي استحالت ماخوراً للزنا ومبأة<sup>(٧)</sup> للخنأ، والتي أوغلت في  
التهتك وأبعدت في الانحراف.

ونشبت حرب بين ملوك تلك البقاع حى وطيسها بين ٤ متحالفين منهم<sup>(٨)</sup> ٥ من  
خصومهم، وباء بالهزيمة ملكاً سدوم وعمورة ومن إليهما فأخرب المنتصرون ما في بلادها من  
عقار ومقتنيات وغنموا ما وصلت إليه أيديهم من فئء<sup>(٩)</sup> واحتازوا الجم الفقير من الأسراء  
والسبايا<sup>(١٠)</sup> بينهم لوط وأهل بيته. وتناهى الخبر إلى أبرام فما ونى أن جهز غلمانه المدربين على  
الغازي، واستطاع بهم، وهم لا يعدون ثلثائة ونيفاً، أن يمني قوى الملوك المتحدين المظفرة  
بهزيمة منكرة، وأن يستعيد ابن أخيه ويعيد إليه ما كان قد سلبه من مقتنيات ونساء، فعاد إلى  
بلدته الأثيرة سدوم وأوطن بها من جديد.

ودبت الحياة في سدوم وعمورة فاستأنفتا ما كانتا تعجان به من عربدة وفجور وتعال  
فضائحها الصاخبة إلى عنان<sup>(١١)</sup> السماء، فرأى الرب لزماً عليه أن ينزل إليهما ليخبر بنفسه  
حالتها ويطلع على سير الأمور فيها.

« وقال الرب إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جداً. أنزل وأرى

(٥) فاصل شريكه: يائنه وفض ما بينها من شركة.

(٦) الطنب: جبل طويل يشد به سرادق البيت أو الودت. خباء: مظنّب أي مشدود بالأطناب.

(٧) البيئة والمبأة: المنزل.

(٨) نذكر في مقدمتهم أمرافل ملك شععار الذي يذهب بعضهم إلى أنه هو حورابي الكبير ملك بابل وذلك

حدس لا دليل عليه.

(٩) الفئء: الغنيمة.

(١٠) يغلب أن يختص « الأسر » بالرجال وه السبي « بالنساء » وعلى ذلك قول الشاعر.

فعادوا بالفنائم حافلات وعدننا بالأسارى والسبايا

(١١) العنان: السحاب. وعنان السماء: ما بدا لك منها إذا نظرت، وما علا منها وارتفع.

هل فعلوا بالتام حسب صراخها الآتي إلي وإلا فأعلم». (تكوين ١٨ : ٢٠ - ٢١).

١ - فما حاجته بهذه الرحلة الاستطلاعية وهو العليم الذي ليس لمعرفته حد ؟

٢ - ولم النزول إلى المدينتين وهو فيها من أول الأمر ؟

٣ - وفيم يسائل نفسه :

« هل أخفى عن ابراهيم ما أنا فاعله ». (تكوين ١٨ : ١٧).

وهو قد اختار كل شيء واستقر رأيه على كل أمر ؟

٤ - ولما أُنذر بشن الخراب في تلك الأرجاء وتدمير مدينتي الفسق والفجور أنكر خليله منه ما اقتضته مشيئته وسأله معاتباً .

« أديان كل الأرض لا يفعل عدلاً ». (تكوين ١٨ : ٢٥).

وخامر أبرام القلق على مصير ابن أخيه فطفق يستحث ربه على حقن دم الأهلين في تلك

الأثناء من أجل من فيها من البررة الصالحين ولعل عدتهم تبلغ الخمسين، ثم لم ينفك يماكسه (١٢) بتلك البراعة التي أورثها أخلافه بني إسرائيل حتى هبط بعدد البررة الذين يساوم بهم على إنقاذ المدينتين فإذا هو ١٠. وأقر يهوه هذه المساومة وهو مستيقن أن تلك الأثناء المغتصبة بالمواخير لا تضم من الأخيار الصالحين غير لوط وإبنتيه وهم غير كفاة لإعفاء المدينتين الطالختين من مصيرهما المحتوم.

٥ - « وذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم ورجع إبراهيم إلى مكانه ».

(تكوين ١٨ : ٣٣).

٦ - وعدل يهوه عما كان قد عقد العزم عليه من النزول إلى مباءة الفسق والفجور،

واكتفى بأن أرسل إليها اثنين من ملائكته فبلغاها وقد أذنت الشمس بالمغيب :

« فجاء الملاكان إلى سدوم مساء ». (تكوين ١٩ : ١).

٧ - وهش لها لوط وخف لاستقبالها مرحباً ودعاها في أريحية محمودة الى الثواء عنده،

فأبدى في أول الأمر شيئاً من التأني مما ينبىء بأنها قرأ كتاباً في آداب السلوك، حتى إذا ما ألحف عليها في ذلك أستجابا لدعوته مغضيين :

« فقلا بل في الساحة نبئت. فألح عليها جداً فهالا إليه ودخلا بيته. فصنع لها ضيافة

وخبز فطيراً فأكلا ». (تكوين ١٩ : ٢ - ٣).

١٢) ماكسه في البيع : شاحه واستحطه الثمن واستنقصه إياه.

لقد كانت معدتهاها مكتظتين بما أفعمها به إبراهيم في الإصحاح السابق من المغلطات (١٣) ولهذا طابت نفسها هذه المرة بتلك العجالة (١٤) الخفيفة التي قراها بها نبي الله.

٨ - وجاش جأش الشعب الذي يحكمه يهوه وأستبد به الشبق فجعلوا يتنادون ويتناقلون النبا المثر ثم انثالوا على بيت لوط وهم يتنفظون من الشهوة العارمة التي تعتمل بين جوائنهم، وكأنا صح في وهمهم أنهم يستطيعون أن يستمتعوا جميعاً بتداول الضيفين الوسيمين، فأنشأوا يبدون من الرغبات ويثيرون من المشاغبات ما لا نشهد له في هذا العصر نظيراً بين الشعوب التي يحكمها أناس من بني الإنسان ويا له من مسلك يثير الدهش ويبعث على الاشمئزاز. وقد نادوا لوطاً وأفصحوا له عن بغيتهم قبل أن يدلف إليهم.

« فخرج إليهم لوط إلى الباب وأغلق الباب وراءه. وقال لا تفعلوا شراً يا اخوتي. هوذا لي ابنتان لم تعرفا (١٥) رجلا. أخرجها إليكم فافعلوا بها كما يحسن في عيونكم. وأما هذان الرجلان فلا تفعلوا بها شيئاً لأنهما قد دخلا تحت ظل سقفي». (تكوين ١٩ : ٦ - ٨).

لقد آثر الرجل الكريم أن يفرط في شرف كريمته على أن يخجل بكرم الضيافة وبذلك حافظ على قانون الضيافة المقدس بتدنيس قانون آخر أكثر منه قدسية هو قانون المحافظة على العرض، ولا غرو في ذلك فإن المرأة، في نظر أولئك الهمج، لم تكن تعدو أن تكون آلة لإنتاج الولد. ومن الجلي أنه حين عرض على الجمهور المغتلم أن يفترع إبنتيه لم يكن يتحدث عن زواج شرعي بل عن قضاء ليلة حراء صاخبة غايتها اللهو والمجون. هذا واضح من سياق الكلام، وهو أكثر وضوحاً في حادثة مماثلة حدثت بعد ذلك بسبعة قرون أو ثمانية (١٦).

(١٣) « ثم أخذ زبدا ولبنا والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم. وإذا كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا». تكوين ١٨ : ٨

(١٤) العجالة: ما حضر من الطعام - ما يعجل للضيف منه و - ما تزوده الراكب مما لا يتعبه أكله كالتمر والسويق، ومنه المثل «التمر عجالة الراكب».

(١٥) جرى الكتاب المقدس على استعمال كلمة المعرفة بمعنى المضاجعة، ومن ذلك قوله.

« وعرف قايين امرأته فجلت وولدت حنوك » تكوين ٤ : ١٧

وفي معجم أقرب الموارد تعارف الزوجان: تجامعا.

هذا وليس غريباً أن تنضج الفتاتان وتمتلآن أنوثته وهما مع ذلك لم تعرفا أحداً من الرجال لأن الرجال هناك يعزفون عن الإناث.

(١٦) ذلك أن رجلاً من اللاويين كان متغرباً في عقاب جبل إفرام سافر إلى بيت لحم يهوذا ليحضر سرية (أي جارية مملوكة) له من بيت أبيها هناك، فلما كانا في طريق العودة أدركهما الليل وهما في مدينة جبعة التي لبنيامين. وضيّفها شيخ من أهل المدينة فالأى إلى بيته، وعندئذ حدث هناك ما حدث قبل ذلك في سدوم.

« وفي تلك الأيام حين لم يكن ملك في إسرائيل ». (قصة ١٩ : ١).

ولم يبق في قوس الصبر الملائكي منزع<sup>(١٧)</sup>، فمد الملكان أيديهما واجتذبا لوطا إلى جو<sup>(١٨)</sup> البيت وأقفلا الباب من داخل وضربا الجمهور الذي يحاول اقتحام البيت بالعسى فتعذر عليه الأهداء إلى الباب<sup>(١٩)</sup> وأنذر لوطا بأن المنطقة كلها وشيكة الدمار وحثاه على النجاء بنفسه وتدارك أهله إذ كان حقاً عليها استنقاذ الأسرة النبوية الكريمة كما أنجيا أسرة نوح من غائلة الطوفان.

« فخرج لوط وكلم أصهاره الآخذين بناته وقال قوموا أخرجوا من هذا المكان لأن الرب مهلك المدينة. فكان كمازح في أعين أصهاره ». (تكوين ١٩ : ١٤).

ويفهم من ذلك أن لوطا كانت له بنات كثيرات وأنهن كن ذوات أزواج، ولكنه وصف

في سدوم	في جبعة
سفر التكوين إصحاح ١٩	سفر القضاة إصحاح ٩
٤ - قبلها اضطجعا أحاط بالبيت رجال المدينة رجال سدوم.	٢٢ - وفيما هم يطيبون قلوبهم إذا برجال المدينة رجال بني بليعال أحاطوا بالبيت.
٥ - فنادوا لوطا وقالوا له اين الرجلان اللذان دخلا إليك الليلة. أخرجها البنا لتعرفها	قارعين الباب وكلموا الرجل صاحب البيت الشيخ قائلين أخرج الرجل الذي دخل بيتك فنعرفه.
٦ - فخرج إليهم لوط وأقفل الباب وراءه.	٢٣ - فخرج إليهم الرجل صاحب البيت. وقال لهم لا يا إخوتي لا تفعلوا شراً.
٧ - وقال لا تفعلوا شرا يا إخوتي.	٢٤ - هوذا ابنتي العذراء وسريتها دعوتي أخرجها فأذلوها وافعلوا بها ما يحسن في أعينكم
٨ - هوذا لي ابنتان لم تعرفا رجلا. أخرجها اليكم فافعلوا بها كما يحسن في عيونكم. وأما هذان الرجلان فلا تفعلوا بها شيئاً لأنهم قد دخلا تحت ظل سقفي.	بقية ٢٣ - بعدما دخل هذا الرجل بيتي لا تفعلوا هذه القباحة.

ولم يكن مصير تلك السرية هينا لينا كمصير ابنتي لوط، فقد تناسى سيدها أنه هو الذي دفع بها مكرهة إلى

الفسق.

« ودخل بيته وأخذ السكين وأمسك سريره وقطعها مع عظامها إلى اثنتي عشرة قطعة... قضاء ١٩ : ٢٩

(١٧) المنزع: السهم الذي ينزع به.

(١٨) جو كل شيء: بطنه ودخله.

(١٩) عن ابن مسعود عن ناس من أصحاب النبي ﷺ لما قال لوط ﴿لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن

شديد﴾ هود ٨٠.

حينئذ بسط جبرائيل جناحه وفقاً أعينهم وخرجوا يدوس بعضهم في آثار بعض عمياناً يقولون النجاء النجاء

فإن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض، فلذلك قوله تعالى:

﴿ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر﴾ القمر ٣٧.

اثنين من بناته بأبناهما « لم تعرفا رجلا » فإذا أردنا التوفيق بين القولين وجب أن نعتقد أن ابنتيه هاتين تزوجتا حقاً ولكن زوجيهما لم يبنيا بهما فبقينا عذراوين وساق الملكان لوطا وأسرته إلى خارج المدينة:

« ١٦ - ولما توانى أمسك الرجلان بيده وبيد امرأته ربيد ابنتيه لشفقة الرب عليه وأخرجاه ووضعاه خارج المدينة.

١٧ - وكان لما أخرجاهم إلى خارج أنه قال أهرب لحياتك. لا تنتظر إلى ورائك ولا تقف في كل الدائرة أهرب إلى الجبل لئلا تهلك.

١٨ - فقال لهما لوطا لا يا سيد (٢٠).

١٩ - هوذا عبدك قد وجد نعمة في عينيك.. وأنا لا أقدر أن أهرب إلى الجبل..

(تكوين ١٩ : ١٦ - ١٩).

وآثر الرجل أن يلوذ بمدينة بالع الصغيرة التي سميت باسم صوغر (٢١).

ووافق الملكان، أو بالأحرى الرب المختفي فيهما، على ذلك وأملاه حتى فصل هو

وأسرته إلى صوغر، ثم أدار يهوه جهاز إنزال المطر فشرع يعمل بكامل قوته:

« فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونارا من عند الرب من السماء » (٢٢) (تكوين

١٩ : ٢٤).

أو لعلها كانت تنبجس من جوف الأرض بقوة منطلقة إلى عنان السماء :

« وإذا دخان الأرض يصعد كدخان الأتون ». (تكوين ١٩ : ٢٨).

أو لعلها كانت تتهاطل من السماء وتتفجر كذلك من جوف الأرض حمماً وكبريتاً

منصهراً. وقد رأينا في قصة الطوفان أن المياه التي أغرقت الأرض كانت لا تفتأ تأتيها من كل

جانب، تنصب من علو وتنبثق من سفلى في وقت معاً (٢٣).

---

(٢٠) إننا نلمس في مساق الكلام هنا بعض الاضطراب. فمن ذا الذي أنذر لوطاً بأن « قال اهرب إلى الجبل

لئلا تهلك، والذي رد لوط عليه بقوله « لا يا سيد. هوذا عبدك... الخ؟ Oh, not so, my Lord: Behold now, thy sight المفروض أنه يهوه، وهذا يقتضينا تصويب جملة « لشفقة الرب عليه » بجعلها « وكان الله به شقيقاً ».

(٢١) « .. وملك بالعب التي هي صوغر » تكوين ١٤

(٢٢) يفهم المسيحيون من كلمة « السماء » (ويقابلها في الإنجليزية Heaven) ما نفهمه نحن من كلمة « الجنة »

والمفروض أن النار أسقطت من جهنم « وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل » الحجر ٧٤.

« وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود » هود ٨٢

(٢٣) « انفجرت كل ينابيع الغمر وانفتحت طاقات السماء » تكوين ١٧ : ١١.



« وقلب<sup>(٢٤)</sup> تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن ونبات الأرض » (تكوين ١٩ : ٢٥).

وقد نجا لوط وامرأته وابنتاه اللتان « لم تعرفا رجلا » من ذلك المصير المروع الذي أوقعه بسدوم وعمورة في نوبة من نوبات غضبه، فكان عدد الناجين من الاحتراق بالنيران ٤ أي نصف عدد الذين نجوا من الموت غرقا بالطوفان. غير أن أولئك الأربعة لم يلبثوا أن نقص عديدهم فصاروا ٣.

ذلك أن لوطا شخص هو وامرأته وابنتاه إلى صوغر، مخلفين البلدة من ورائها تعج بالانفجارات والانبيارات وتندلع من مبانيها ومغانيها السنة النيران. وبدرت من امرأة لوط لفتة إلى ذلك المشهد الفريد فأسخطت هذه الحركة الطبيعية يهوه فسخط<sup>(٢٥)</sup> المرأة.

« فصارت عمود ملح ». (تكوين ١٩ : ٢٦).

ومعنى ذلك في لغة العلم أن اللحم والدم استحالا كلوريد الصوديوم<sup>(٢٦)</sup>.  
الكلام هنا واضح لا يحتمل تحمل المتحملين ولا تأول المتأولين ممن يقولون إنها اختنقت

---

(٢٤) ولذلك تسمى قرى لوط بالمؤتفكات أي المنقلبات. يقال اتفكت البلدة بأهلها: انقلبت.

وقد رووا عن وهب بن منبه أنه قال

... فأدخل ميكائيل وهو صاحب العذاب جناحه حتى بلغ أسفل الأرضين فقلبها.

وعن السدي، قال:

« لما أصبح قوم لوط يهزل جبرائيل عليه السلام واقطلع الأرض من سبع أرضين فحملها حتى بلغ بها السماء الدنيا حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم وأصوات ديوكهم ثم قلبها فقتلهم، فذلك حين يقول « والمؤتفكة أهوى ».

وعن قتادة قال:

« بلغنا أن جبرائيل عليه السلام أخذ بعروة القرية الوسطى ثم ألوى بها إلى السماء حتى سمع أهل السماء ضواغي كلابهم (أي نباحها) ثم دمر بعضها على بعض فجعل عاليها سافلها ثم أتبعهم الحجارة.

قال قتادة:

« وبلغنا أنهم كانوا أربعة آلاف ألف ».

ويلاحظ أن كلمة « السماء » في الروايتين تستعمل بمعنى الجنة مما يومي بمصدر القصة.

(٢٥) سخطه و- عليه: غضب ولم يرض.

(٢٦) كان الناس في عصر هوميروس ما يزالون يشاهدون Niobe التمثال الذي صارت إليه « نيوب » عندما

شاهدت أبولو وأخاه أرميس يذبحان أبناءها الاثني عشر. لأنها كانت تباهي امها لايتو زوجة زيوس بكثرة بنيتها.

وقد لبثت تبكي حتى استحالت تمثالا من الحجر كان هو أيضاً تنهمر منه الدموع. وكان الناس في القرن الأول من

الميلاد. ما يزالون يشهدون عمود الملح الذي صارت إليه امرأة لوط، فقد كتب المؤرخ الشهير يوسفس يقول: « لقد

استحالت عمودا من الملح، لا يزال باقيا حتى اليوم وقد رأيتة ». ومع ذلك. لم يحظر ببال أحد من أمراء أوروبا أو

أمراء الكنيسة فيها أن يرسل بعثة لاكتشاف هذا الأثر الخالد.

بالدخان والأبخرة الكبريتية لتباطؤها في مغادرة المدينة ومن يرون أن التعليل الوحيد المقبول لمثل عمود من الملح ذي شبه بالإنسان هو أن جسد امرأة لوط قد تحملته العناصر الملحية التي كان الهواء مشبعاً بها، ومن يدلون بمثل ذلك من التفسيرات التي هي وليدة إفراط في الذكاء وتفريط في الضمير.

★

هذا ختام قصة تلك العشيرة التي جمحت بها شهواتها فتنكرت لربها ولجت في غيها فعاقبتها الله على العصيان نكال الآخرة والأولى. وهي قصة محبوكة فحواها أنه لا ينبغي للمرء أن ينقاد لشهواته أو يجحد عن الطريق السوي وأن رأس الحكمة مخافة الله، وهو فحوى مقبول لما فيه من حض على مكارم الأخلاق، فإن قصص الأنبياء لا تحكى للتسلية والسمر بل لتكون عبرة لمن يعتبر، وهي تبرز صور الأنبياء في خير حالاتهم لتكون قدوة للمقتدين.

ولهذا وجب أن تكون هذه القصص:

١ - خلوا من حقائق يدحضها العلم.

٢ - براء من حوادث ينكرها التاريخ.

٣ - تصونها عما تنبو عنه الفضيلة وما يجافي أدب السلوك.

٤ - ترفعها عما فيه شناعة وفضح سمعة.

ولا مجال في قصص الأنبياء لسياقة الخرافات والترهات ولا لتفصيل الأوضاع الشاذة وتصوير الأحوال الموصومة بالجنوح والانحراف. ولكن القصة التي بين أيدينا لم تقنع بأن تكون قصة كاملة ذات رأس ورجلين وأصرت على أن يكون لها ذيل ولو أبطل هذا الذيل قيمتها وأفقدتها مغزاها وجعلها إلى البهيمية أدنى فأصبحت غير قيمينة بأن يطالعها الأحداث وبخاصة لأن المؤرخ المقدس أسهب في تفصيل حوادثها المأجنة دون أن يعلق عليها بكلمة استنكار.

رأينا أصحاب لوط وقد لفظوا أنفاسهم في حمام كبريتي ساخن ولحقت به امرأته فماتت وملحت، وخلص هو وابنتاه إلى صوغر. ولأمر ما لم تطب لهم الإقامة فيها بين أطهر الناس فاعتزلوهم وصعدوا في الجبل فاتخذوا لهم مقاماً في كهف قصي. ولوط هو الذي قال منذ أيام خلت.

« أنا لا أقدر أن أهرب إلى الجبل لعل الشر يدركني فأموت ». (تكوين ١٩ : ١٩).

ومما لا ريب فيه أنه كانت على مقربة منهم بلاد مأهولة، ولكن الفتاتين اللعوبين آثرتا القعود عن المسير إليها شقة لا تزيد على بضعة كيلومترات وأبتا أن تترينا في إجراء نكاحهما حتى تهدأ الطبيعة الغضبي وتستقر الأمور في نصابها، ووجدتا في الوحدة العارضة وخلو الجبل

من الرجال وفي دعوى الإذعان لسنة الله في الذين خلوا من قبل والحفاظ على تقاليد أهل الأرض في حفظ النوع تعلقة كافية للاقدام على ما بيتا النية عليه. وما أسهل العثور على التعلات لمن يعتزم ارتكاب الإثم. وما لها لا تلتسان عند أبيهما إطفاء غليلهما الجنسي وقد سمعته يساوم شباب البلدة على جسديهما الغضين ويبيحهم مفاتنها الحسنى:

«وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هلم نسقي أبانا خراً ونضطجع معه فنحي من أبنينا نسلاً. فسقتنا أباهما خراً في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيهما. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي. نسقيه خراً الليلة فادخلي اضطجعي معه. فنحي من أبنينا نسلاً فسقتنا أباهما خراً في تلك الليلة أيضاً. وقامت الصغيرة واضطجعت معه. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما» (٢٧) (تكوين ١٩ : ٣١ - ٣٦).

وكانت تلك معجزة لوط الكبرى. لقد جعل كلا من ابنتيه أما لأخيها على حين أصبح هو جد ابنيه ووالد حفيديه. أما سائر أولاده فقد أهلكوا بالنار والكبريت، فيا لها من أسرة ناعسة.

لئن كانت المدينة التي اتخذها لوط مقاماً لسكناه جديدة حقاً بأن تصبح مضرب المثل في الفجور والعهر، إن ذلك لم يكن لما أتاه أهلها الأصلاء ولكن لما أتاه لوط نفسه من ملامسته لابنتيه.

وبيت القصيد فيما تبسطه القصة المقدسة أن هذا الزنا أثمر ولدين نغلين أسس كل منهما شعباً قوياً.

«فولدت البكر ابناً ودعت اسمه موآب. وهو أبو الموابيين إلى اليوم. والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمى وهو أبو بني عمون إلى اليوم» (تكوين ١٩ : ٣٧ - ٣٨).

وجلية الأمر أن هذين الشعبين القويين، بني موآب وبني عمون لبثا إلى زمن إدراج هذه القصة في التوراة يناصبان اليهود العداة ويكيلان لهم الضربة تلو الضربة، ولم يجد اليهود مثلبة ينتقصون بها من مروءتهم أعظم من رميها بأنهما ولدا لزنوية (٢٨).

---

(٢٧) إشارة إلى الآية وما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له. التي تقول في رغبة النبي في تزوج زينب بنت جحش «سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدوراً» الاحزاب ٣٨.

(٢٨) وهذا يذكرنا بمشهد في مسرحية مكبث لشكسبير ترى فيه بوابا يقهقه ساخراً من قصة كان يستمع إليها وهي قصة رجل هرم افترع وهو مخور عذراوين فأولد كلا منهما طفلاً، وجعلت المرأتان تفاخر كل منها الأخرى بابنها النغل دون أن يتابها شعور بالحنجل مما وقع لها.

# يوسف

تتماز قصة يوسف بن يعقوب من سائر القصص التي تنتظمها التوراة بأنها قصة المنامات والرؤى، فهي قصة في ٦ أحلام: جلهان ليوسف. «لساقي فرعون وخبازه.» «لفرعون نفسه.» وتزعم القصة أن هذه الأحلام قد تحققت جميعاً.

وإننا ليعصمنا العلم في هذا العصر من أن نعير الأحلام ما كان لها من مفهوم قديم، فلسنا نرى فيها وسيلة للكشف عن الغيب بل تعبيراً رمزياً عن رغبات مكبوتة. وقد جرى العامة من المصريين والمحدثين على استعمال كلمة «الحلم» نقيضاً لكلمة «العلم» فيقولون «حلم هذا أم علم». أما القدامى فكان لهم في ذلك رأى آخر، فالأحلام عندهم رسائل إلهية منزلتة من السماء. ولا غرو أن تعزى ظاهرة الحلم الغامضة إلى الآلهة فقد كانت الرهبة المنبعثة من مواجهة الأمور الغامضة من أكبر مولدات الأوهام والتخيلات الدينية عند القدماء. وقد دججت براعة الكاتب الروماني الفذ شيشرون<sup>(١)</sup> نبذة بسط فيها رأيه ورأى معاصريه في الأحلام، قال:

«إن ما يقع للرائي أو العراف خلال يقظته يقع مثله لعامة الناس في أثناء نومهم، فعندما يبلغ الإعياء بالجسم أن يكون أدنى إلى الموت تنتبه الروح وتتحرر من سلطان الحواس ومن العناية بشتى الأمور. وبما أن الروح كائنة منذ الأزل وبما أنها على اتصال وثيق بجسد لا يحصى من الأرواح فإنها، ما لم يكدر صفوها الإفراط في الطعام والشراب، تظل قادرة على الاستمرار في يقظتها حين تأخذ الجسم سنة أو يملك العين نوم، فتطلع على طبائع الأشياء وبذلك يؤتى الحالم مقدرة على قراءة الغيب.»

---

(١) شيشرون (١٠٦ - ٤٣ ق.م) خطيب وكاتب ومحام وسياسي روماني لج في معارضة أنطونيوس وألقى في مناوآته خطباً كان جزاؤه عليها إنفاذ الحكم بالقتل فيه في ديسمبر سنة ٤٣ ق.م.

وليس تفسير الأحلام موهبة بل هو أمر اكتسابي. وبما أن الحلم والتفوه بالوحي oracle والتنبؤ بالغيب predictions ينطوي على الكثير من الأمور الغامضة فإننا نجد في ذلك مفتاحاً لتفسير الأحلام» أهـ.

هذه آراء فيلسوف لا محل في رأسه للعقيدة غير المفكرة. بيد أن جمهرة الناس لم يكونوا يفكرون في الأزمان الغابرة على هذا النحو من ترتيب النتائج على المقدمات، بل كانوا مؤمنين لا يخامرهم ريب في أن مشيئة الله قد اقتضته أن يكشف لعبيده الحجب عن المستقبل وفي أنه جعل الأحلام من وسائله إلى ذلك، شأنها في شأن تنبؤ vision الأنبياء وتفوه الكهنة بالوحي.

ومما يدعو إلى العجب، في هذا العصر الذي ينكسر على الأحلام ما كان يعزوه إليها القدماء من جليل الخطر، أن نجد بين الناس من يصدق قصة كهذه قائمة من ألفها إلى يائها على الأحلام وما لها من تأويل.

والمفروض أن هذه القصة قد جرت وقائعها في القرن الثامن عشر ق. م. أي قبل أن يوحى بها إلى موسى بـ ٣ أو ٤ قرون، ولكن في القصة ما ينم على أنها لم توضع إلا بعد أن قضى موسى بزمان غير قصير، ومن ذلك أن يوسف يحدث ساقى فرعون حديث موطنه كنعان فيسميه أرض العبرانيين.

«لأني قد سرقت من أرض العبرانيين». (تكوين ٤٠ : ١٥).

وهي تسمية كانت إذ ذاك سابقة لأوانها إذ أن العبرانيين - فيما تقول التوراة - لبشوا تائهيين في صحبة موسى ٤٠ عاماً في صحراء سينا ولم يبدأوا في غزو كنعان إلا في عهد يشوع بن نون (الخضر) وهو الذي كان خادماً لموسى فلما مات موسى خلفه هو على زعامة اليهود.

«وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً. موسى عبدي قد مات. فالآن قم أعبّر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم أي لبني إسرائيل».

ودامت الحرب بينهم وبين الكنعانيين أصحاب البلاد زهاء ٤ قرون ودانت البلاد للعبرانيين في عهد الملك داود.

وقد حرص واضعو قصة يوسف على أن يكفلوا لها الذبوع وبعد الصيت، ولذا جعلوها تنطوي على غرام عارم وعواطف جياشة وتنخللها دسائس ومغامرات وتترأى على مسرحها عادة فتانة هي امرأة فوطيفار.

كان يوسف أحب بنى إسرائيل إلى أبيهم، ولم يكن إيثار والده له على سائر إخوته لمأثرة أو مزية فيه، بل لسبب صادر عن الأنانية هو أنه ابن شيخوخته وأنه ابنه من زوجته الأثيرة

راحيل<sup>(٢)</sup>، تلك التي لم يقبض لها أن تنعم بالعيش معه طويلاً إذ فاضت نفسها عقب ولادتها بنيامين شقيق يوسف على قارعة الطريق.

كان يوسف يحظى من والده بالإعزاز والإكرام ويستأثر منه بالعطايا والمنح، وقد جابه والده بقميص متعدد الألوان لا ندري كيف وقع له في تلك الأرض القاحلة الوحيدة اللون، وكان هذا الإيثار خطأً تربوياً أعقب النتيجة التي بنت عليها القصة.

١ - فقد بعث في يوسف الغرور والاستعلاء حتى جعل يحلم في يقظته وفي منامه أحلاماً يرى فيها إخوته يعفرون جباههم بالثرى عند قدميه، ولم يتخرج عن مصارحتهم بذلك. « وحلم يوسف حلماً وأخبر إخوته فازدادوا أيضاً بغضاً له. فقال لهم اسمعوا هذا الحلم الذي حلمت. فيها نحن حازمون حزماً في الحقل وإذا حزمتي قامت وانتصبت فاحتاطت حزمكم وسجدت لحزمتي<sup>(٣)</sup> فقال له إخوته ألعلك تملك علينا ملكاً أم تتسلط علينا تسلطاً. (تكوين ٣٧ : ٥ - ٨).

« فقال إني قد حلمت أيضاً وإذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً<sup>(٤)</sup> ساجدة لي. وقصه على أبيه وعلى إخوته فانتهدز أبوه وقال له ما هذا الحلم الذي حلمت. هل نأتي أنا وأملك وإخوتك لنسجد لك إلى الأرض. (تكوين ٣٧ : ٩ - ١٠).

وعلم هذا الإيثار يوسف الكيد لإخوته وتجسس أخبارهم وإفشاء هنتامهم ومخازيهم إلى أبيه. « وأتى يوسف بنميمتهم الرديئة إلى أبيه » (تكوين ٣٧ : ٢).

٢ - وأوغر صدور إخوته عليه وأذكى في نفوسهم مشاعر الحقد والحسد اللذين فطر عليهما يهود العهد القديم وأثار فيهم غريزة النفار والمشاكسة اللتين هم نزاعون اليهما. وقد تفاقم النزاع المشتجر بينه وبينهم فلم يترددوا في مكاشفته بنقمتهم عليه. « ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام. (تكوين ٣٧ : ٤).

---

(٢) وهي صغرى الشقيقتين ابنتي خال يعقوب المدعو لابان الأرامي (أي الشامي) وقد جمع يعقوب بينها بالزواج في أسبوع واحد كما هو مذكور في قصة (سفر التكوين الإصحاح التاسع والعشرون) وقد لبثت راحيل في بادئ الأمر عقياً سنين عددا ثم من الله عليها فحملت بيوسف بعد لأي.

(٣) يفهم من ذلك أن هؤلاء الإخوة كانوا يجتفون الزراعة ولكننا سنرى قريباً أنهم كانوا من رعيان الضأن.

(٤) الكلمة التي تقابل كلمة «كوكب» في الترجمة الإنجليزية هي star أي نجم. والكواكب planets هي

الأجرام السماوية التي تدور في تلك النجم ويسمى النجم بالنسبة إليها شمساً. قال النايفة الذبياني.

كأنك شمس والمسلوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

غير أن العرب لم يكونوا يميزون بين الكلمتين بل يستعملونها بمعنى واحد ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني

رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ يوسف ٤.

وشخص الغلام اليهم مرة في كل مكان قصي كانوا يرعون فيه غم أبيهم فطرات على أذهانهم فكرة إزاحته من طريقهم بقتله حتى لا يستمر حائلا دون أن يحفظوا بعطف أبيهم.

« فلما أبصروه من بعيد قبلما اقترب اليهم احتالوا له ليميتوه. فقال بعضهم لبعض هوذا هذا صاحب الأحلام قادم. فالآن هلم نقتله ونطرحه في إحدى الآبار<sup>(٥)</sup> ونقول وحش رديء أكله فزى ماذا تكون أحلامه. فسمع رأوبين وأنقذه من أيديهم. وقال لا نقتله. وقال لهم رأوبين لا تسفكوا دماً<sup>(٦)</sup> أطرحوه في هذه البئر التي في البرية ولا تمدوا إليه يداً. لكي ينقذه من أيديهم ليرده إلى أبيه ». (تكوين ٣٧ : ١٨ - ٢٢).

وألقوه في غيابة جب قيل ان ماؤه كان غوراً وقيل بل كان به ماء ولكن يوسف التمس النجاة من منيته بالجلوس على صخرة فيه. ولم ينس هؤلاء الإخوة أن ينضوا عن يوسف قميصه الذي كان يزهو به عليهم ليضرجوه بدم تيس من تيروس معزاهم فيزعموا لأبيهم أن هذا القميص هو كل ما بقي من ابنه الأثير لديه بعد أن افترسه سبع من وحش الفلا رديء الخلق شكس الطباع:

« فأخذوا قميص يوسف وذبحوا تيساً من المعزى وغمسوا القميص في الدم. وأرسلوا القميص الملون وأحضره إلى أبيهم وقالوا وجدنا هذا. تحقق أقميص ابنك هو أم لا ». (تكوين ٣٧ : ٣١ - ٣٢)

وجازت هذه الحيلة الرخيصة على النبي الموحى إليه، ولم يفطن الوالد الثاقل إلى خلو القميص من الآثار التي تحدثها أنياب الوحوش وأظفارها ولم يميز بين دم التيوس ودم بني اسرائيل، ولم يفكر في إحصاء تيوسه ليتبين نقصان واحد منها مع فقدان ابنه يوسف، كما أن إله الذي طالما أخبره مقدماً بما سيكون لم يترأه له في يقظة أو منام ليقص عليه ما كان.

وفيما كان الأحد عشر كوكبا قعوداً يصييون طعاهم عن كتب من مسرح الجريمة إذ مرت بهم قافلة بتجارة، وسرعان ما أجمع بنو إسرائيل رأيهم - بما عرف عن جنسهم من المهارة في

(٥) يبدو من ذلك أنه كانت في تلك المنطقة المقفرة آبار جمة.

(٦) في هذا الحديث دلالة على إيمان أولئك العبريين بالمذهب الحيوي وخوفهم من انتهاك تابو الدم، فالدّم عندهم ينطوي على مادة الحياة (تنبيه ١٢ : ٢٣) (ومزامير ٥١ : ١٤) فإذا ما سفك الدم خرجت معه روح القتيل وأنشأت تقتص من سفك دمه.

وفي نهاية القصة دلالة أخرى على تغلغل هذه العقيدة في نفوسهم، فعندما هتف يوسف في مصر بإخوته - وهم لا يعرفونه - تذكروا ما فعلوه بأخيهم الذي فقدوه قبيل ١٣ سنة خلت.

« فأجابهم رأوبين قائلاً أم أكلكمم قائلاً لا تأثموا بالولد وأنتم لم تسمعوا فهذا دمه يطلب ». (تكوين ٤٢ : ٢٢)

هذه الشؤون - على أن يخرجوا من المأساة بصفقة راجحة، وذلك بأن يبيعوا أخاهم البالغ ١٧ عاماً ولو بقدر زهيد من المال.

« وإذا قافلة إسماعيليين مقبلة من جلعاد وجاهلم حاملة كثيراً وبلساناً ولادنا ذاهبين لينزلوا بها إلى مصر. فقال يهوذا<sup>(٧)</sup> لإخوته ما الفائدة أن نقتل أخانا ونخفي دمه. تعالوا فنبيعه للإسماعيليين ولا تكن أيدينا عليه لأنه أخونا ولحمنا. فسمع له إخوته. واجتاز رجال مديانينون تجار فسحبوا يوسف وأصعدوه من البئر وباعوا يوسف للإسماعيليين بعشرين من الفضة<sup>(٨)</sup>. فأتوا بيوسف إلى مصر. ورجع رأوبين إلى البئر وإذا يوسف ليس في البئر فمزق ثيابه ثم رجع إلى إخوته وقال الولد ليس موجوداً. وأنا إلى أين أذهب ». (تكوين ٣٧ : ٢٥ - ٣٠).

يا لها من أحجية! بينما تقول التوراة إن الإخوة الأحد عشر قد صح منهم العزم على أن يحقنوا دم أخيهم إذا هي تقتضب حديثهم فجأة، وإذا رجال مديانينون يحضرون من حيث لا ندري فينتشلون الغلام من البئر ويبيعونه هم للإسماعيليين، فما دخل المديانينون في الأمر إذن؟ وما جدوى الحوار المستفيض بين الإخوة وهو لا ينتهي إلى شيء؟

وبيع يوسف في مصر لفوطيفار، فمن هم الذين باعوه؟ أهم المديانينون؟ نعم:

« وأما المديانينون فباعوه في مصر لفوطيفار خصي فرعون رئيس الشرط ».

(تكوين ٣٨ : ٣٦).

أهم الإسماعيليين؟

نعم أيضاً:

« وأما يوسف فأنزل إلى مصر واشتراه فوطيفار خصي فرعون رئيس الشرط رجل

مصري من يد الإسماعيليين الذين أنزلوه إلى هناك ». (تكوين ٣٩ : ١).

لقد شاع الاضطراب في هذه القصة التي يتوقف على تصديقها خلاص الملايين من الناس والتي أهرقت في الخلاف على تفسيرها بجار من الدماء، ومرد ذلك إلى أنها - كالكثير من قصص الكتاب المقدس - مؤلفة من قصتين متباينتين مزجت كل منهما بالأخرى دون لباقة ولا انسجام

(٧) نجد في سفر التكوين كيف أن يهوذا بن يعقوب هذا خدعته عن نفسه أرملة ابنه المدعوة تامارا فنزا عليها وحملت منه بعد أن عز عليها أن تحمل من ولده إذ كان هذا يكره أن يرزق منها ولدا ينسب إلى أخيه المتوفى وقد كان زوجاً لما قبله.

« فكان إذ دخل على امرأة أخيه أنه أفسد على الأرض لكيلا يعطى نسلًا لأخيه » تكوين ٣٨ : ٩

(٨) هذا هو الثمن الذي حددته له التوراة التي بين أيدينا، على حين أن النسخة اللاتينية المعروفة باسم Vulgate

تقول بأن الثمن كان ثلاثين وزنة من الفضة.

وتقول الترجمة السبعينية إنه كان عشرين قطعة من الذهب.



فكانت عقبي ذلك شيوع التكرار فيما يتصل ببعض أجزاء القصة وشيوع التناقض في أجزاء منها .  
١ - فقد ذكرت إحدى القصتين أن إخوة يوسف هم الذين باعوه للإسماعيليين فباعه الإسماعيليون في مصر لفوطيفار .

وذهبت القصة الأخرى إلى أن المدينين هم الذي انتشلوه من الجب وباعوه في مصر ، وهذا يعلل قوله إنه سرق من أرض العبرانيين .

٢ - وألقت به إحدى القصتين في السجن من جراء شكوى امرأة فوطيفار إياه .  
« فكان لما سمع سيده كلام امرأته الذي كلمته به قائلة بحسب هذا الكلام صنع بي عبدك أن غضبه حمى ، فأخذ يوسف سيده ووضعه في بيت السجن المكان الذي كان أسرى الملك محبوسين فيه . وكان هناك في بيت السجن » . ( تكوين ٣٩ : ١٩ - ٢٠ ) .

وذهبت به القصة الأخرى إلى السجن سجاناً لا سجيناً ، إذ وقع عليه اختيار سيده رئيس الشرط ليكون ضابطاً في السجن يصرف أمور السجناء فيه .

« فدفع رئيس بيت السجن إلى يد يوسف جميع الأسرى الذين في بيت السجن . وكل ما كانوا يعملون هناك كان هو العامل » ( تكوين ٣٩ : ٢٢ ) .

وقد أنتج هذا التلفيق بين المتنين المتباينين قصة مفككة غير متزنة تورث القارئ بلبلة وحريرة .

وقد استرعى ذلك انتباه طبيب فرنسي في القرن الماضي فلفت الأنظار إلى الأمر ، وأقبل الدارسون على متابعة البحث والتنقيب في ضوء هذه الملاحظة فطفروا بنتائج جليلة القيمة .

ومها يكن من أمر فقد بيع يوسف لفوطيفار رئيس الشرط وهو رجل مصري ظل محتفظاً برجولته كاملة حتى وقع في أيدي المترجمين الذين نقلوا هذا السفر إلى العربية ف ( طوشوه ) وجعلوا منه خصياً . وقد وصفته الترجمة الإنجليزية بأنه ضابط ومن كبار رجال الحرس الفرعوني ولم يرد فيها ما يومية إلى أنه خصي ، وكان جديراً بالسادة الذين نقلوا هذا السفر إلى العربية ، قبل أن يشوهه بفقدانهم الأمانة في الترجمة أن يفتنوا إلى :

١ - أن الخصيان كانوا يتخذون عادة من أهل السودان والحبشة لا من المصريين الأقباح .

٢ - انه ليس من المقبول أن يكون رئيس الشرط من الخصيان .

٣ - انه ليس من طبائع الأمور أن يتزوج الخصي .

٤ - فإذا تزوج كان على زوجته أن تحجم عن ملاحقة الشبان ودعوتهم إلى مضاجعتها

حتى لا تفتضح اذا علقت من أحدهم بطفل لا يتسنى أن تنسبه إلى زوجها الخصي .

هذا، وقد ترك السيد فوطيفار ليوسف تصريح شؤون داره، وكانت عقبي ذلك: « أن الرب بارك بيت المصري بسبب يوسف ». (تكوين ٣٩ : ٥).

فلنفحص إذن عن آثار تلك البركة التي حلت ببيت السيد المصري من جراء العبد العبراني. وهنا تبرز فجأة صفة من صفات يوسف لم يرد لها ذكر من قبل، هي أنه كان جيلاً مفرطاً في الجمال، بيد أن هذا الجمال لم يكن ذا بال في مقت إخوته إياه ولا في تقدير المال الذي أدى ثمناً له، كما أنه لم يسترع انتباه الخصي الذي اشتراه وتركه في خلوة بامرأته المكبوتة. فلندع فتى أو فتاة من ابنائنا يتل علينا ما وقع بين العبد وسيدته.

« وحدث بعد هذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينها إلى يوسف وقالت اضطجع معي فأبى... وكان إذ كلمت يوسف يوماً فيوماً أنه لم يسمع لها أن يضطجع بجانبها ليكون معها ». (تكوين ٣٩ : ٧ - ١٠).

يا للخلق الحميد الذي استعصى على الإغراء المتصل ولم تؤثر فيه العينان المتقدتان شبقاً ولم ينفذ إليه الصوت المرتعش جوى وإلتياعا ولم يلين فؤاده النداء الممتلئ لطفة وتضرعاً « اضطجع معي ».

« ثم حدث نحو هذا الوقت أنه دخل البيت ليعمل عمله ولم يكن إنسان من أهل البيت هناك في البيت. فأمسكته بثوبه قائلة اضطجع معي. فترك ثوبه في يدها وهرب وخرج إلى خارج. وكان لما رأت أنه ترك ثوبه في يدها وهرب إلى خارج أنها نادت أهل بيتها وكلمتهم قائلة أنظروا. قد جاء الينا برجل عبراني ليداعبنا. دخل ليضطجع معي فصرخت بصوت عظيم. وكان لما سمع أنني رفعت صوتي وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبني وهرب وخرج إلى خارج ». (تكوين ٣٩ : ١١ - ١٥).

لقد لبثت تراوده عن نفسه والبيت خلو من أهله فلما امتنع عليها أطلقت صيحة فإذا أهل البيت جميعاً حاضرون.

وتنتهي القصة الأبدية المثلثة الأشخاص، قصة الزوج والزوجة والعشيق، بأن يصدق فوطيفار زوجته ويؤمن بخيانة العبد الذي كان قد « رأى سيده ان الرب معه » (تكوين ٣٩ : ٣). وأبدت امرأة فوطيفار رغبتها في سجن يوسف لتظهر مظهر من صدفت عن رؤيته، ودخل قمر كنعان سجنه كما يدخل قمر السماء - في اعتقاد أولئك القوم - عندما يصير محاقاً. وقد كان فوطيفار عاجزاً عن إشباع رغبة حليلته في الناحية الجنسية ولكنه استطاع أن يرضي رغبتها في حبس عشيقها القاسي الفؤاد الذي تعفف عن تذوق ما أدنت منه جناه وأصم أذنيه عن دعوتها إياه إلى قطافه.

وأمضى يوسف في السجن ١٢ أو ١٣ سنة

« ولكن الرب كان مع يوسف » (تكوين ٣٩ : ٢١).

فأرسل إليه بساقي فرعون وخبازه ليخبرا مقدرته على تأويل الأحلام فيخبر أحدهما فرعون بذلك بعد سنتين .

وحلم كل من الخادمين الخصبين <sup>(٩)</sup> حلماً .

« وحلما كلاهما حلماً في ليلة واحدة كل واحد حلمه كل واحد بحسب تعبيره حلمه . ساقى ملك مصر وخبازه المحبوسان في بيت السجن . فدخل يوسف إليها في الصباح ونظرهما وإذا هما مغتمان . فسأل خصي فرعون اللذين معه في حبس بيت سيده قائلاً لماذا رجهاكما مكدان اليوم فقالا له حلمنا حلماً وليس من يعبره فقال لهما يوسف أليست لله التعاير قصاً عليّ فقص رئيس السقاة حلمه على يوسف وقال له كنت في حلمي وإذا كرمة أمامي وفي الكرمة ثلاثة قصبان . وهي إذ فرعون واعطيت الكأس في يد فرعون . فقال له يوسف هذا تعبيره . الثلاثة القصبان هي ثلاثة أيام . في ثلاثة أيام أيضاً يرفع فرعون رأسك ويردك إلى مقامك . فتعطي كأس فرعون في يده كالعادة الأولى حين كنت ساقيه . وإنما إذا ذكرتني عندك حينما يصير لك خير نصنع إلي إحساناً وتذكرني لفرعون وتخرجني من هذا البيت . لأنني قد سرقت من أرض العبرانيين . وهنا أيضاً لم أفعل شيئاً حتى وضعوني في السجن » . (تكوين ٤٠ : ٥ - ١٥) .

وروى رئيس الخبازين أيضاً حلمه ليوسف ، فعبره له بأن فرعون سيأمر بقتله وينفذ فيه الحكم قبل انصرام ثلاثة أيام . وتحقق الحلمان في اليوم الثالث حقاً ، ثم انطوى الموضوع في زوايا النسيان .

« وحدث من بعد سنتين من الزمان أن فرعون رأى حلماً . وإذا هو واقف عند النهر . وهوذا سبع بقرات طالعة من النهر حسنة المنظر وسمينه اللحم » . (تكوين ٤١ : ١ - ٨) .

هنا فقط برزت صورة يوسف في ذهن رئيس السقاة من زوايا النسيان فأفضى إلى فرعون بما أوتى يوسف من المقدرة في هذا الباب واستدعى فرعون يوسف وقص عليه رؤياه فأنبأه يوسف بتأويلها .

« هو ذا سبع سنين قادمة شعباً عظيماً في كل أرض مصر . ثم تقوم بعدها سبع سنين جوعاً » . (تكوين ٤١ : ٢٩ - ٣٠) .

ونصح يوسف إلى فرعون بأن يضاعف خراج الأرض من القمح حتى يتاح له أن يدخر

<sup>(٩)</sup> ليس في الترجمة الإنجليزية ما يشير إلى أنها خصبان .

في سني الشبع ما يهون به من شرة المجاعة في سني الجذب فأعجب فرعون بيوسف ونقله من السجن الى رياسة الوزارة وجعله الرجل الثاني في الدولة.

« وخلق فرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف وألبسه ثياب بوص ووضع طوق ذهب في عنقه. وأركبه في مركبته الثانية ونادوا أمامه أركعوا ». (تكوين ٤٢ : ٤٣).

ولم يجد بني الله غضاضة في أن يركع الخلق بين يديه.

كان هذا العبد العبري فيما سبق يصف سيده رئيس الشرط قائلاً.

« هو ذا سيدي لا يعرف معي ما في البيت وكل ماله قد دفعه إلى يدي ». (تكوين ٣٩ : ٨).

فأصبح يتفوه بمثل ذلك في مكانه من فرعون، زاعماً أن الله :

« قد جعلني أبا لفرعون وسيداً لكل بيته ومتسلطاً على كل أرض مصر ». (تكوين ٤٥ : ٨).

ودأب الصدر الأعظم يستولي على غلال الزرع :

« وخزن يوسف قمحاً كرمل البحر كثيراً جداً حتى ترك العدد إذ لم يكن له عدد ».

(تكوين ٤١ : ٤٩).

بيد أنه كان أمكر من أن يطلعهم على الباعث له على هذا السلوك. لقد اشترى منهم

الحنطة بالثمن البخس ليحبسها ردحاً من الدهر ثم يبيعهم إياها بافدح الأثمان فكان بذلك

regator على حد الاصطلاح الإنجليزي أو cornerer على حد الاصطلاح الأمريكي أي محتكراً

يجمع الحبوب من منتجها ويحبسها عنهم ردحاً من الوقت ثم يبيعهم إياها عند احتياجهم اليها فيما

بعد بأثمان أزمته المجاعة، وهو عمل يعد في الوقت الراهن خروجاً على القوانين في البلاد التي

يعد فيها يوسف رجلاً باراً.

« ثم كملت سبع سني الشبع الذي كان في أرض مصر. وابتدأت سبع سني الجوع تأتي كما

قال يوسف ». (تكوين ٤١ : ٥٣ - ٥٤).

واستشرت المجاعة فلم يبق أمام أهل مصر الا أن يشتروا القمح من يوسف بالثمن الذي

يفرضه عليهم. وسرعان ما استصفى يوسف كل ما كان القوم يمتلكون من أراض زراعية إلا

أراضي الكهنة فقد كف عنها يده.

« الا أن أراضي الكهنة لم يشترها » (تكوين ٤٧ : ٢٢).

لقد كان يعرف أن اولئك الكهنة هم سدنة بيوت الأصنام فهم مشركون بالله ويعرف

إلى جانب ذلك أنهم يملكون جانباً ضخماً من الرقعة الزراعية في البلاد، ولكنه كان يعرف قبل

ذلك أنهم حكام البلاد الفعليون.

وازدادت الحال تدهوراً فاشترى يوسف من الناس أنفسهم ففقدوا حريتهم وأصبحوا أقتاناً يسامون الخسف .

« فقال يوسف للشعب إني قد اشتريتكم اليوم وأرضكم لفرعون » . (تكوين ٤٧ : ٢٣) .

اهتبل الرقيق العبري جوعاً الناس فجعل منهم عبداناً على حين أصبح هو طليقاً من العبودية حظياً من فرعون بالرضا السامي عليه وعلى أسرته النبوية التي تتصور جوعاً في كنعان، على إسرائيل وبني إسرائيل وقد اقتضت حبكة القصة :

١ - أن تمتد المجاعة حتى تظل كنعان حيث يقيم إخوة يوسف وأن ينشب السغب فيها أظفاره سنة إثر سنة حتى لا يجد إخوة يوسف مفيضاً إلا أن ينتجعوا مصر مرة وثانية وثالثة .

٢ - أن يرسل يعقوب إلى مصر بعشرة من أولاده الأحد عشر كوكباً دفعة واحدة وكان في استطاعته أن يكتفي بإرسال بعضهم على رأس ثلثة من الأجراء .

٣ - ألا يجدوا سبيلاً إلى شراء بضعة الأرادب التي يفتقرون إليها إلا بأخذها من رئيس الوزراء بشخصه، وكان مصر قد دخلت من التجار ومن موظفي الدولة فلا مندوحة للمحتكر الأكبر صديق الله (وقد طالما كان كبار المحتكرين من أصدقاء الله) عن أن ينزل بنفسه إلى السوق ويتولى أعمال البيع جميعاً فيسجد له أهل الشرق الأدنى جميعاً .

« فأتى بنو إسرائيل ليشتروا بين الذين أتوا لأن الجوع كان في أرض كنعان . وكان يوسف هو المسلط على الأرض وهو البائع لكل شعب الأرض . فأتى إخوة يوسف وسجدوا له بوجوههم إلى الأرض .. وعرف يوسف إخوته . وأما هم فلم يعرفوه » (تكوين ٤٢ : ٥ - ٨) .

وشاهده إخوته بعد أن غاب عنهم ما يربى على ٢٠ عاماً<sup>(١٠)</sup> فلم يعرفوه مع ما يمتاز به من جمال فضاح وسحنة عبرية ومع ذبوع قصته واشتهار أنه أجنبي المنبت، وقد عرفهم هو وتذكروهم بعد نسيان وحمد الله على أنه أنساه إياهم فأسمى ابنه منسى .

« ودعا يوسف اسم البكر منسى قائلاً لأن الله أنساني كل تعبي وكل بيت أبي ودعا اسم الثاني إفرام قائلاً لأن الله جعلني مشمراً في أرض مذلتي » . (تكوين ٤١ : ٥١ - ٥٢) .

وهو لا يقصد بأرض مذلته موطنه الأصلي حيث أنكره إخوته وأتمروا به ليقتلوه الخ الخ بل موطنه الثاني حيث تربع فوق كرسي الوزارة وأصبح ثاني اثنين في البلاد، تلك البلاد التي أذل شعبها جميعاً وفرض عليهم العبودية فكان في كرهه للمصريين وحقده عليهم قدوة لخلفه موسى حين غادر قصر فرعون ليقتل مصرياً شجراً بينه وبين أحد العبريين نزاع .

(١٠) فقد كان في السابعة عشرة من سنه عندما بيع في كنعان وكان يناهز الثلاثين عندما مثل بين فرعون، ثم مرت السنوات السبع التي انقضى الغلة وردفتها السنوات العجاف .

عرف يوسف إخوته ولكنه لم يكشف لهم عن جلية أمره وكان مسلكه بإزائهم صبيانياً وفيه خديعة لا تليق بصادق كريم فاتهمهم بالتجسس وأودعهم السجن ثم اقترح عليهم أن يطلقوا واحداً منهم ليقفل إلى بلادهم فيأتي بالأخ الأصغر بنيامين الذي قالوا إنهم تركوه هناك، زاعماً أنه يرى في حضور هذا الأخ ما يبرئهم من تهمة التجسس، ثم عاد اليهم في يوم تال وقد عدل مقترحه مجتزئاً باستبقاء واحد منهم في السجن رهينة وإطلاق الباقيين ليؤوبوا إلى بلادهم ويحضروا الأخ المنشود.

«أنا خائف الله. إن كنتم أمناء فليحبس أخ واحد منكم في بيت حبسكم وانطلقوا أنتم وخذوا قمحاً لمجاعة بيوتكم. وأحضروا أخاكم الصغير إليّ فيتحقق كلامكم ولا تموتوا...» (تكوين ٤٢: ١٨ - ٢٠).

ولم يدهش الإخوة لسماع رجل مصري يتحدث عن «الله» ولم يدر بأخلادهم أنهم بين يدي مواطن عبراني. وأبدى الرجل ارتياحه في حديثهم، فذكرهم هذا المأزق بجنايتهم على أخيهم، تلك الجناية التي كانوا قد نسوها وخلوها سقطت بمضي المدة فلم تمثل في أذهانهم الا عندما ألم بهم الضيق، وجعلوا يستعيدون، في حضرة يوسف، تفصيلات مؤامرتهم القديمة. «وهم لم يعلموا أن يوسف فاهم. لأن الترجمان كان بينهم» (تكوين ٤٢: ٢٣). أي لأنه كان قد جاذبهم قبل اطراف الحديث بوساطة أحد المترجمين مما ألقى في روعهم أنه لا يعرف لغتهم.

وأطلق يوسف إخوته بعد أن.

«أخذ منهم شمعون وقيده أمام عيونهم» (تكوين ٤٢: ٢٤).

وباعهم حل حبرهم قمحاً وأخذ منهم ثمن القمح سبائك من فضة، بيد أنه ما لبث أن أمر في السر بأن.

«ترد فضة كل واحد منهم إلى عدله»<sup>(١١)</sup>. (تكوين ٤٢: ٢٥).

وهو مسلك معيب فإن هذه الفضة لم تكن ملكاً له بل هي ملك الدولة المصرية.

وعاد بنو إسرائيل إلى أبيهم عابرين صحراء سيناء في أيام معدودات. وهي التي تاه فيها حفيدهم موسى ٤٠ عاماً، ووصلوا إلى أبيهم بعد أن أكلت الحمير في الطريق جانباً من حولتها. فلما وصلوا إلى أبيهم قصوا عليه قصتهم..

«فقال لهم يعقوب أعدمتموني الأولاد يوسف مفقود وشمعون مفقود وبنيامين تأخذونه. صار كل هذا عليّ. وكلم رأوبين أباه قائلاً اقتل ابني إن لم أجيء به اليك. سلمه بيدي وأنا

(١١) العدل: نصف الحمل يكون على أحد جنبي البعير - الجوارق.

أرده اليك. فقال لا ينزل ابني معكم. لأن أخاه قد مات وهو وحده باق. فإن أصابته أذية في الطريق التي تذهبون فيها تنزلون شيبتي بجزن الى الهاوية» (تكوين ٤٢ : ٣٦ - ٣٨).

ونفذ القمح الذي جلبه بنو إسرائيل، على الأيام، وبقي شمعون يرسف في قيوده داخل السجن، اليوسفي، ولم تنته المجاعة. وأرغمت المغبة بني الله على الإذعان لملك القمح فأرسل اليه بنيه جميعاً وفيهم بنيامين المحبوب، وأرسل معهم في ذلك القحط طرفة من البلسان والعسل والكثيراء واللادن والفسق واللوز، ومثلوا بين يدي أخيه، وقد أسماه فرعون باسم «صفنات فعنيح، وقدموا له ما يحملون من الطرف فضلا عن سبائك الفضة التي هي ثمن القمح المشتري. وعندئذ أمر يوسف بإدخالهم في بيته.

« فخاف الرجال إذ أدخلوا إلى بيت يوسف. وقالوا لسبب الفضة التي رجعت أولاً في عدلنا نحن قد أدخلنا ليهجم علينا ويقع بنا ويأخذنا عبيداً وحميرنا» (تكوين ٤٣ : ١٨).

ولكن رئيس الخدم طأنهم، ثم أمر يوسف بإحضار الطعام وجعل يأكل هو وحده. « لأن المصريين لا يقدرّون أن يأكلوا طعاماً مع العبرانيين لأنه رجس عند المصريين» (تكوين ٤٣ : ٣٢).

وقد أورث إخوته بسوء لقائه إياهم مرة بعد أخرى ضيقاً وعتناً إذ أنه:  
١ - أتهمهم بالتجسس:

« فتنكر لهم وتكلم معهم بجفاء.. وقال لهم جواسيس أنتم لتروا عورة الأرض جثم». (تكوين ٤٢ : ٧ - ٩).

وأودعهم غياهب السجن بهذه التهمة المزرية التي يعاقب مقترفها بالقتل.  
٢ - دس فضتهم التي اشتروا بها القمح في أعدالهم دون أن يعلمهم بذلك، فلما الفوها في أعدالهم صارت قلوبهم شتاتاً وأحسوا أنهم قد أهدقت بهم تهمة جديدة ذات عقوبة شديدة.  
« فطارت قلوبهم وارتعدوا بعضهم في بعض». (تكوين ٤٢ : ٢٨).

٣ - أرغمهم على أن يحضروا معهم أخاهم الأصغر مخلّفين أباهم الشيخ وحيداً يقضي ليليه في قلق ولوعة.

٤ - وضع طاس الفضة في عدل شقيقه بنيامين ثم أرسل من ضبطه. وأخبر إخوته أن بنيامين سيسام العبودية طول حياته جزاء جريمته النكراء، وذعر الإخوة لهذه المحن الشعواء التي تصب عليهم من عدو خفي.

« فمزقوا ثيابهم وحمل كل واحد على حماره ورجعوا إلى المدينة. فدخل يهوذا وإخوته إلى بيت يوسف وهو بعد هناك. ووقعوا أمامه على الأرض. فقال لهم يوسف ما هذا الذي

فعلتم. ألم تعلموا أن رجلاً مثلي يتفاهل». (تكوين ٤٤ : ١٣ - ١٥).

فعل يوسف كل ذلك في غضون بضعة أشهر دون أن يظفر له هذب أو يحف منه قلب ولبث يسر عنهم كنه أمره وكل همه أن يعد لهم المفاجأة المثيرة حين ظهر على حقيقته واستغنى عن ترجمان يترجم بينه وبينهم.  
وسألهم عن أبيه.

«أحي هو بعد فقالوا عبدك أبونا سالم» (تكوين ٤٣ : ٢٧ - ٢٨).

وأدرك من إجابته أن جده إسحق قد مات، وذلك مع تجنبه وتجنبهم ذكر كلمة الموت توفياً لما يعتقدون أنها تحدثه من سحر عاطفي.

وأرسل يوسف يستدعي أباه وإخوته ومن إليهم ليشاطروه ما يرفل فيه من بلهنية ورخاء.  
«أسرعوا واصعدوا إلى أبي وقلوا له هكذا يقول ابنك يوسف. قد جعلني الله سيداً لكل مصر. أنزل إلي لا تقف فتسكن في أرض جاسان وتكون قريباً مني أنت وبنوك وبنو بنوك وغنمك وبقرك وكل مالك. وأعولك هناك لأنه يكون أيضاً خمس سنين جوعاً».

(تكوين ٤٥ : ٩ - ١١).

وتناهى الخبر السعيد إلى فرعون فهزته الأريحية أن يشمل بيره أهل يوسف وأمر بأن تكون رحلتهم من كنعان إلى مصر على نفقته الخاصة وأقطعهم أرض جاسان<sup>(١٢)</sup>.

«فأسكن يوسف أباه وإخوته وأعطاهم ملكاً في أرض مصر في أفضل الأرض رعسيس كما أمر فرعون. وعال يوسف أباه وإخوته وكل بيت أبيه بطعام على حسب الأولاد».

(تكوين ٤٧ : ١١ - ١٢).

وهكذا فقد المصريون أراضيهم وأقطع إسرائيل وبنوه أراضي لم يؤدوا لها ثمناً.  
لقد أنعم الفراعنة بالثراء العريض على كل من إبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف وإخوته. وجعل بنو إسرائيل يرتعون ويتناسلون وسرعان ما ناهز عددهم ٣,٠٠٠,٠٠٠ ومات في خلال ذلك إسرائيل وقد صرم من العمر ١٤٧ عاماً<sup>(١٣)</sup>.

«وبكى عليه المصريون سبعين يوماً». (تكوين ٥٠ : ٣).

ولا نعرف وجهاً لبكائهم على هذا الشيخ الهرم وهو لا يمت إليهم بأصرة من أواصر

(١٢) وهي تقع إلى الشمال من بلبس كما هو واضح في أطلس محمد رفعت.

(١٣) فقد تناقصت الأعمار بعد الطوفان فأصبحت قلما تتجاوز المئة من السنين وكانت قبل ذلك كثيراً ما



الجنس والدين واللسان.. ومات كذلك يوسف وقد صرم من العمر ١١٠ سنين قضى منها ٨٠ سنة على دست الوزارة.

وكذلك قضى فرعون الذي أغفلت القصة ذكر اسمه والذي كان يجزل العطاء للاسرائيليين، ودار الزمن فاعتلى العرش فرعون آخر لا نعرف اسمه أيضاً ولكننا نعرف انه لم يكن يأنس بالاسرائيليين ومن ثم وجب التنكيل به وبشعبه معه لأن إله العهد القديم شديد الانتقام وتلك هي المهمة التي أسندها إلى موسى<sup>(١٤)</sup> وأخيه هارون وأفردوا لها كتابة التوراة سفر الخروج.

---

(١٤) راجع موسى وفرعون بين الأسطورية والتاريخية لنفس المؤلف، وقد صدر عن دار العالم الجديد

# داود

يطالعنا سفرا صموئيل<sup>(١)</sup> والإصحاحات التي ابتدأ بها سفر الملوك الأول بأبناء حقبة هامة من تاريخ اليهود، تتخللها مأساة عنيفة، الشخصية الرئيسية فيها مسيح الرب الملك داود، ذاك الذي نادى به اليهود مقدماً أباً لمسيحهم المنتظر وهو من ناطوا به أملهم في انتشالهم من وهدة الذل والهوان<sup>(٢)</sup>.

والملك داود من أبعد شخوص الكتاب المقدس صيتاً وأعظمهم ظفراً بتمجيد الناس له في البلدان التي تدين بالمسيحية. وقصته - كسائر قصص العهد القديم - تتحدث عن التقتيل والتدمير والتحريق في سهولة تجعل أذهان القارئ تتبدل فيما يتصل بقيمة الحياة البشرية، وهي زاخرة بأخبار أعمال ذميمة أتاها داود فبسط عليه يهوه جناح حمايته ولم يكفه عن معاودتها.

يشترط الرقيب الحكومي للسماح بتمثيل أية مسرحية أو سينمائية أن تكون عاقبتها عظة خلقية، فأما القصص التي تنطوي عليها سيرة داود وزوجاته وبنيه:

١ - داود - أبيجابيل.

٢ - داود - بتشبع.

٣ - أمنون - ثامار.

فهي لا تقتصر على أنها ذات خواتم منافية لمكارم الأخلاق، بل هي فوق ذلك تصدم العرف العام في آداب السلوك، ومع ذلك فإن القساوسة والوعاظ يجأرون بالدعاء الى الله أن يمن على البشرية برجل آخر من طراز داود.

هذا، ويشرك داود في أداء أدوار المسرحية:

١ - شاول: البطل المقهور.

---

(١) ظهر هذان السفران في الترجمتين اليونانية واللاتينية بحسبانها سفري الملوك الأول والثاني. أما سفرا الملوك الحاليان فكان رقمهما الثالث والرابع، ولا يزال ذلك هو المأخوذ به في الترجمة التي تبنتها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية وهي الترجمة المعروفة باسم *Vulgate*.

(٢) وهي أبوة لم ينكرها اليهود الجدد بل رأوا فيها مجدداً يسوع على الرب ابن الإله.

« كتاب ميلاد المسيح ابن داود ابن ابراهيم » متى ١ : ١

٢ - صموئيل: الكاهن الماكر الذي يذود عن حمى الرجعية ونفر من الممثلين الثانويين على رأسهم.

٣ - يونانان: الصديق المثالي.

٤ - ميكال: الزوجة الوفية.

٥ - أبيجابيل: الزوجة التي خالفت أمر زوجها.

٦ - نابال: الزوج المخدوع.

٧ - بتشع: الزوجة الأثيرة القوية النفوذ.

٨ - أوريا: الجندي المستمسك بالتقاليد.

٩ - يوآب: القائد المظفر الذي يستبيح دماء الناس.

١٠ - أبشالوم: الأمير الجميل.

١١ - شمعى: سليل بيت شاول الشامت بداود.

١٢ - أدونيا: الوريث الشرعي للعرش.

١٣ - سليمان: قاتل أخيه.

١٤ - أبيشح: حاضنة الملك.

ولفيف جم من البطانة (الكمرس) يشمل كهنة وجنوداً وفلاحين وسراري. يضاف إلى هؤلاء جميعاً الممثل القدير يهوه الذي طالما أودع قلوب النظارة السرور وأمدهم بأسباب التسلية، فبينما هو يقدم على المسرح في هيئة صنم وفي صورة ربح عاصف اذا هو قد احتجب هنيهة ثم جرى به فوق منصة المسرح ممدداً في تابوت.

وإن هذه المسرحية لتشوق النظارة بما تعرض من مشاهد مثيرة تلهب مشاعرهم، ففيها ساحرة تستحضر أرواح الموتى لتستنبتها ما كان وما سيكون، وفيها أسد ودب يرديهما غلام من الرعيان بيدين عزلاوين. وما ننس لا ننس مشهد المركبات الحربية الفخمة تجرها الجياد المطهمة. وقد استكمل واضعو المسرحية عناصر الإغراب فيها بإحضارهم «جليات» ونفراً من العمالقة لأحدهم ست أصابع في كل من يديه وقدميه، مما يحدث في مخيلات سامعي قصتهم من الأطفال وأشباه الأطفال أثراً كالذي يحدثه فيها قميص يوسف المتعدد الألوان.

★

يعزو الكهنة الإصحاحات الأربعة والعشرين التي يبدأ بها السفر الأول إلى صموئيل نفسه، أما بقية هذا السفر وكذلك السفر الثاني كله فيزعمون أنها من وضع ناثان وجاد أوحى لهما بها. وهم يستندون في هذا الزعم إلى الآية:

« وأمر الملك داود الأولى والأخيرة هي مكتوبة في أخبار صموئيل الرائي وأخبار ناثان النبي وأخبار جاد الرائي ». ( ١ أخبار ٢٩ : ٢٩ ) .

وجمل القول أن الذين كتبوا السفرين هم نفر من الكهنة، حشوهاا تمجيد للرب أي لأنفسهم وادعوهما من الترهات وأوجبوا فيها من الفرائض<sup>(٣)</sup> ما يكفل لطائفهم موفور الرزق وعظيم السلطان، ثم فطنوا هم ومن تلاهم على الأيام إلى مزايم ومطالب كانت غاربة عن ذكائهم فلم يتخرجوا عن اضافتها إلى المتن، وقد فعلوا ذلك كرة بعد كرة فكان نصيب السفرين من التحريف كبيراً أكبر الغنائم التي يشرهون إليها. وليس بين أسفار العهد القديم في الوقت الراهن يصل إلى مستوى هذين السفرين فيما يتصل بتباين المحتويات وتعدد المصادر، فهما ينطويان على عناصر: منها جانب قديم يظهرنا على صورة صادقة للمعتقدات الدينية القديمة ويكشف لنا عن نماذج من الأحداث التي كانت تتجاربها تلك الأزمنة والأمكنة، ومنها جانب لا يفصح عن شيء غير ما لكتابها من آراء ومعتقدات. ويتضمن هذان السفران فيما يتضمنان أقوالاً شعرية مقتبسة من أحد المصادر العبرية القديمة التي كانت ذائعة في بلاد المشرق وموجزاً لنشيد القوس وقد كان مثبتاً بجذافيره في سفر ياشر المضاع.

وسنلمس ونحن نطالع هذين السفرين طريقة الجمع والتأليف التي عهدناها في سفر التكوين وغيره من أسفار الكتاب المقدس، فقد سرد الكثير من حوادثها مرتين متتاليتين على نحوين متباينين وعمد إلى كل قصتين تحكيان حادثاً واحداً فربط بينهما وألصق إحداها بالأخرى في سداجة دون أن يلقي بالا إلى ما بينها من تفاوت، ومن دب التشوش والخلل في مواطن شتى من هذين السفرين من كتاب الله.

وحاول مخرجو النسخة الرومانية الكاثوليكية تدارك هذا الخلل بحذف بعض الفقر فلم يغن ذلك عنهم شيئاً.

★

تقع الحوادث المثبوتة في هذين السفرين في القرن الحادي عشر ق. م أي في العهد الذي بدأ فيه انفصال تاريخ اليهود عن الأساطير والأقاصيص<sup>(٤)</sup> الشعبية. وكانت ممارسة النبوة قد انقطعت فترة غير يسيرة بعد أن أصبح فريق من الناس يتلقونها بالنظرات الفاحصة.

« وكانت كلمة الرب عزيزة في تلك الأيام. لم تكن رؤيا كثيرة ». ( ١ صموئيل ٣ : ١ ) .

---

(٣) الفريضة: ما فرض في السائمة من الصدقة، يقال « ما لكم لا تؤدون فرائض إيلكم » وهي حقوق الزكاة و- الحصة المفروضة. وأصحاب الفرائض: هم الورثة الذين لهم سهام مقدرة كالنصف والثلث.

(٤) جمع قصة لا أقصوصة.

وبرز صموئيل ليكون له في بني إسرائيل شأن يؤثر، وتلكم قصته:

كان الرب في تابوته وكان التابوت في هيكل الرب ببلدة « شيلوه » يميم شطره النساء العواقر واللواتي في أزواجهن عقم ليفرج عنهن كربتهن، وكثيراً ما كانت تحدث المعجزة فيرجعن حبالى تحتلج الأجنة في أحشائهم.

وانتظم الحجيج يوماً امرأة اسمها حنة.

« نذرت نذراً وقالت يا رب الجنود إن نظرت نظراً إلى مذلة أمتك وذكرتي ولم تنس أمتك بل أعطيت أمتك زرع بشر فاني أعطيه للرب كل أيام حياته ولا يعلو رأسه موسى ». ( ١ صموئيل ١ : ١١ ).

فراق دعاؤها « على » سادن<sup>(٥)</sup> الهيكل ورق لها فؤاده فدعا الرب أن يمن عليها بالولد، واستجاب له الرب فما عتمت حنة أن:

« حبلت وولدت ابناً ودعت اسمه صموئيل قائلة لأني من الرب سألته ». ( ١ صموئيل ١ : ٢٠ ). ولما فطمته ذهبت به إلى « على » لينشئه عنده ويتخذ منه معاوناً له في سدانة الهيكل، فتقبله على بقبول حسن وكلف به وآثره على ولديه الفاسقين كاهني الرب « حفنى » و« فينحاس » ورشحه ليخلفه على سدانة الهيكل. وترعرع الصبي.

« وكان صموئيل يخدم أمام الرب وهو صبي متمنطق بأفود من كتان، وعملت له أمه جبة صغيرة... وكبر الصبي صموئيل عند الرب ». ( ١ صموئيل ٢ : ١٨ - ٢١ ).

وطمح صموئيل ببصره إلى ما لم يدركه « على » فأعلن أن الرب يزوره ويتحدث إليه كشأنه مع كبار الأنبياء.

« فجاء الرب ووقف ودعا كالمرات السابقة صموئيل صموئيل » ( ١ صموئيل ٣ : ١٠ ). وهبَّ أهل فلسطين يذودون الغزاة الإسرائيليين عن بلادهم، وتقاعس حليف إسرائيل عن أن يحبوا بالنصر شعبه المختار، فلم يجد الكهنة ما يقوون به عزيمة المقاتلين خيراً من أن يجيئوا بتابوت المهبم فيضعوه بينهم، بيد أن ذلك لم يجدهم فتيلاً.

« وانكسر إسرائيل وهربوا كل واحد إلى خيمته. وكانت الضربة عظيمة جداً وسقط من إسرائيل ثلاثون ألف راجل. وأخذ تابوت الله ومات ابنا على حفنى و فينحاس ». ( ١ صموئيل ٤ : ١٠ - ١١ ).

وعلم الشيخ على بما حدث فنال منه الجزع وما ونى أن لحق بولديه، فخلفه على سدانة

(٥) سدن الرجل: خدم الكعبة أو بيت الصنم.

الهيكل صموئيل بن حنة، وطفق يقرع بني إسرائيل وينحى عليهم باللوم والتثريب لأنهم ما زالوا يلجون في المعاصي حتى غضب الرب منهم فبطش بهم جاعلاً عقابه لهم بأيدي الفلسطينيين.

★ ★ ★

وانصرفت بعد ذلك عشرون عاماً كان الفلسطينيون أهل البلاد لا ينفكون خلالها يشددون على الغزاة اليهود مما ألقى الرعب في قلوبهم وجعل نفوسهم تتفرق شعاعاً، ولم يجدوا موثلاً يلوذون به غير كليم الله صموئيل.

« وقال بنو إسرائيل لصموئيل لا تكف عن الصراخ من أجلنا إلى الرب الهنا فيخلصنا من يد الفلسطينيين، فأخذ صموئيل حملاً رضيعاً وأصعده محرقة بتامه للرب. وصرخ صموئيل إلى الرب من أجل إسرائيل فاستجاب له الرب. وبينما كان صموئيل يصعد المحرقة تقدم الفلسطينيون لمحاربة إسرائيل فأرعد الرب بصوت عظيم في ذلك اليوم على الفلسطينيين وأزعجهم فانكسروا أمام إسرائيل». (١ صموئيل ٧ : ٨ - ١٠).

وهكذا لم يذهب الحمل الرضيع سدى.

كان يهوه يوحى بمشيئته اللدنية إلى صموئيل ساعة فساعة فيتولى صموئيل إنفاذها، ولم يزل صموئيل يصرف أمور قومه إلى أن بلغ أرذل العمر.

« وقضى صموئيل لإسرائيل كل أيام حياته ». (١ صموئيل ٧ : ١٥).

ثم استقضى ولديه على بني جلدته فتنكب الولدان عن جادة العدل وكانا شرا من ولدي أستاذه على.

« وكان لما شاخ صموئيل أنه جعل بنيه قضاة<sup>(٦)</sup> لإسرائيل... ولم يسلك ابناه في طريقه بل مالا وراء المكسب وأخذوا رشوة ووعوجاً القضاء ». (١ صموئيل ٨ : ١ - ٣).

وهكذا أرهق هذان الفاسدان، اللذان خرجا من ظهر ذلك العالم، جبهة الناس وأوقرا ظهورهم، وأيدهما أبوهما بسلطانه الديني فضاقت القوم بالحكومة الدينية وبرموا بالآعيب الكهنة وانبروا يناهضونهم، وجعلوا يتنادون بإحلال الحكم المدني محل الحكم الديني، ثم حزموا أمرهم وأجمعوا رأيهم أن يجبهوا صموئيل بما قر عليه قرارهم.

« فاجتمع كل شيوخ إسرائيل وجاءوا إلى صموئيل وقالوا له هوذا أنت قد شخت وابناك لم يسيرا في طريقك. فالآن اجعل لنا ملكاً يقضي لنا كسائر الشعوب ». (١ صموئيل ٨ : ٤ - ٥).

(٦) الصواب أنه جعل ابنه قاضين بصيغة المنثى وهي صيغة لا وجود لها في اللغات التي نقل عنها الكتاب

لقد نقتم الرعية من راعيها ما يكتنف حكمه فساد وإفساد، وهال القوم أن يؤول أمرهم إلى أحد ولديه الفاسقين. وإذا كان الحكم الديني يورث فالحكم الملكي أحق أن يتبع. بيد أن صموئيل لم تطاوعه نفسه على التسليم بأسباب نقمة القوم فادعى أنهم إنما نزعوا إلى الحكم الملكي طلباً للقوة العسكرية، وزعم أن مطالبتهم بتغيير نظام الحكم إثم كبير لأنه لا ملك إلا يهوه (٧).

« ولما رأيتم ناحاش ملك بني عمون آتياً عليكم قلت لا بل يملك علينا ملك. والرب الهكم ملككم » (١ صموئيل ١٢: ١٣).

وأفتى بأن يهوه هو وحده صاحب الحق في امتلاك أزمة أمورهم واليه وحده توجيههم الوجهة التي يرضاها، وقرر أن يهوه يوحى إليه بمشيئته فيقوم هو بإبلاغهم إياها. وانفجر يلقي من فيه الشتائم والأسباب ينتقص قدر الرعية ويقرفها (٨) بالاعتداء على حقوق الله، غافلاً عن أن الاعتداء على الحقوق إنما يبلغ درك الشناعة عندما يقع على حقوق الضعفاء الذين لا ناصر لهم ولا معين.

وما فتئ صموئيل يجأ بالشكوى، أما يهوه فقد استسلم للقنوط ولم يجد ما يواجه به شكاية صموئيل الا شكاية مثلها.

« فقال الرب لصموئيل اسمع لصوت الشعب في كل ما يقولون لك، لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياي رفضوا حتى لا أملك عليهم ». (١ صموئيل ٨: ٧).

وبذل صموئيل جهده في إرهاب الشعب ليثنيه عن اطراح الحكومة الدينية والاستعاضة منها بالحكم الملكي.

« فكلم صموئيل الشعب الذين طلبوا منه ملكاً بجميع كلام الرب. وقال هذا يكون قضاء الملك الذي يملك عليكم. يأخذ بنينكم ويجعلهم لنفسه لمراكبه وفرسانه فيركضون أمام مراكبه. ويجعل لنفسه رؤساء ألوف ورؤساء خاسين فيحربون حراثته ويحصدون حصاده ويعملون عدة حربيه وأدوات مراكبه ويأخذ بناتكم عطارات (٩) وطباخات وخبازات. ويأخذ حقولكم وكرومكم وزيتونكم أجودها ويعطيها لعبيده ويعشر زروعكم وكرومكم ويعطى لخصيانه

---

(٧) جاء في النهج أن علياً، كرم الله وجهه، لما سمع قول الخوارج إنه لا حكم الا لله قال:

كلمة حق يراد بها باطل. نعم لا حكم الا لله، ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة الا لله. وإنه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر، يعمل في إمرة المؤمن ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل ويجمع به الفئ، ويقا تل به العدو وتؤمن به السبل ويؤخذ للضعيف من القوي حتى يستريح بر ويستراح من فاجر.

(٨) قرف فلانا بكذا: عابه أو أتهمه.

(٩) والصواب: صناعات حلواء. confectionaries

وعبيده. ويأخذ عبيدكم وجواريتكم وشبانكم الحسان وحيركم ويستعملهم لشغله. ويعشر غنمكم وأنتم تكونون له عبيداً. فتصرخون في ذلك اليوم من وجه ملككم الذي اخترتموه لأنفسكم فلا يستجيب لكم الرب في ذلك اليوم». (١ صموئيل ٨ : ١٠ - ١٨).

ولكن القوم صمموا في خطتهم وأصرروا على مطلبهم.

« فأبى الشعب أن يسمعوا الصوت صموئيل وقالوا لا بل يكون علينا ملك ». (١ صموئيل

٨ : ١٩).

ويوماً رعد السحاب وهطل المطر مدراراً في موسم الحصاد فزعم صموئيل أن يهوه فعل

ذلك تلبية لدعائه هو.

« أما هو حصاد الحنطة اليوم. فأبى أَدْعُو الرب فيعطى رعوذاً ومطراً فتعلمون وترون أنه عظيم شركم الذي عملتموه في عيني الرب فأعطى رعوذاً ومطراً في ذلك اليوم. وخاف جميع الشعب الرب وصموئيل جدّاً ». (١ صموئيل ١٢ : ١٧ : ١٨).

ولكن القوم لم يَأْبَهُوا لهذه الترهات واستمسكوا بمطلبهم فلم يسع صموئيل إلا الإذعان، بيد أنه رأى أنه إذا لم يكن مناص من قيام الحكم الملكي فليكن الملك المختار سهل القيادة يتخذ هو منه دمية يحركها بحسب أهوائه. لقد خوله قانون الملوك الذي حشره الكهنة في سفر التثنية، حقاً لا يمارى في اختيار شخص الملك حين يكون قيام الحكم الملكي أمراً محتوماً.

« متى أتيت إلى الأرض التي يعطيك الرب الهك وامتلكتها وسكنت فيها فإن قلت أجعل

علي ملكاً كجميع الأمم الذين حولي فإنك تجعل عليك ملكاً الذي يختاره الرب الهك ».

(تثنية ١٧ : ١٤ - ١٥).

أي الذي يختاره رجال الكهنوت.

★

واتفق في تلك الأيام أن خرج من يدعى شاول بن قيس من سبط بنيامين يطلب أتنا له شردت وضلت الطريق، فجاوز في البحث عنها حتى عثرت، ولم يزل يضرب في الأرض هو وخادم له حتى وطئا أرض صوف حيث عنَّ لها أن يقصدا إلى الرائي الذي هناك أي نبي القوم، فقد كانت السيرة.

« سابقاً في إسرائيل هكذا كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله. هلم نذهب إلى

الرائي. لأن النبي اليوم كان يدعي سابقاً الرائي ». (١ صموئيل ٩ : ٩).

وقد بذل شاول لذلك الرائي ربع شاقل ليرشده إلى ضالته المنشودة. ولئن كان الرائي قد

عجز عن ان يقعه فوق متن أتاناه لقد بواه مقعد الملك، فقد كان شاول وسباً فارع الطول.



« شاب وحسن ولم يكن رجل في بني إسرائيل أحسن منه. من كتفه فما فوق كان أطول من كل الشعب ». ( ١ صموئيل ٩ : ٢ ) .

فاجتهره <sup>(١٠)</sup> صموئيل فوقع شاول من نفسه موقعاً حسناً فأشار إلى شاول أن يصرف غلامه، وما هو إلا أن أتى بقارورة زيت صبها على أم رأسه ومسحه بالزيت ونصبه ملكاً على بني إسرائيل .

« فأخذ صموئيل قنينة الدهن <sup>(١١)</sup> وصب على رأسه وقبله . وقال أليس لأن الرب قد مسحك على ميراثه رئيساً ». ( ١ صموئيل ١٠ : ١ ) .

ويتضح من ذلك أن اختيار شاول للملك قد تم بمحض إرادة صموئيل <sup>(١٢)</sup> وكان ذلك بعد خروج بني إسرائيل من مصر بـ ٥١١ سنة <sup>(١٣)</sup> .

وأعز صموئيل إلى شاول أن يشخص إلى جبعة، وهي بلدة زاخرة بأنصاب الفلسطينيين .

« ولما جاءوا إلى هناك إلى جبعة إذا بزمرة من الأنبياء لقيته فحل عليه روح الله فتنبأ في وسطهم . ولما رآه جميع الذين عرفوه منذ أمس وما قبله أنه يتنبأ مع الأنبياء قال الشعب الواحد لصاحبه ماذا صار لابن قيس . أشاول أيضاً بين الأنبياء . فأجاب رجل من هناك وقال ومن هو

(١٠) اجتهره: نظر اليه وعظم في عينيه وراعه جماله وهيبته .

(١١) يقابل هذا اللفظ في الترجمة الإنجليزية oil فهو زيت لادهن .

(١٢) غير أن هنالك رواية أخرى تعزو انتخابه ملكاً إلى فوزه في قرعة متعددة الدرجات أجراها صموئيل على الملأ من قومه .

« فقدم صموئيل جميع أسباط إسرائيل فأخذ سبط بنيامين . ثم قدم سبط بنيامين حسب عشائره فأخذت عشيرة مطري وأخذ شاول بن قيس . ففتشوا عليه فلم يوجد . فسألوا أيضاً من الرب هل يأتي الرجل أيضاً إلى هنا . فقال الرب هوذا قد اختبأ بين الأمتعة . فركضوا وأخذوه من هناك فوقف بين الشعب فكان أطول من كل الشعب من كتفه فما فوق ». ١ صموئيل ١٠ : ٢٠ - ٢٤

(١٣) هذا إذا صح الحساب الذي يطالنا به أعمال الرسل، وهو :

« ونحو مدة أربعين سنة احتمل عواندهم في البرية... وبعد ذلك في نحو أربعمئة وخسين سنة أعطاهم قضاة حتى صموئيل . ومن ثم طلبوا ملكاً فاعطاهم الله شاول بن قيس رجلاً من سبط بنيامين أربعين سنة » أعمال ١٣ : ١٨ - ٢١  
٤٠ + ٤٥٠ + ٢١ = ٥١١

وبمقتضى هذا الحساب يؤرخ بناء سليمان هيكله بـ ٥٩٥ بعد خروج بني إسرائيل من مصر ٥١١ + ٤٠ شاول + ٤٠ داود + ٤ من حكم سليمان وهذا الحساب يخالف ما ذكر من أنه: « كان في سنة الأربعمئة والثمانين لخروج بني إسرائيل من أرض مصر في السنة الرابعة للملك سليمان على إسرائيل في شهر زيور وهو الشهر الثاني أنه بني البيت للرب ». ١ ملوك ٦ : ١

أبوهم. ولذلك ذهب مثلاً أشاول أيضاً بين الأنبياء<sup>(١٤)</sup>. (١ صموئيل ١٠ : ١٠ - ١٢).  
وزحف ناحاش ملك بني عمون على يابيش جلعاد يريد أن يستأسر أهلها، فأرسلوا إلى شاول يستنجدون به.

« فحل روح الله على شاول عندما سمع هذا الكلام وحمى غضبه جدا » (١ صموئيل ١١ : ٦).  
وأعلن شاول النفير العام وحشد جيشاً كبيراً دحر به العمونيين، فازداد الشعب تعلقاً به وأقبلوا يجددون له البيعة. على أن هذا النصر المؤزر لم يأخذ بلب صموئيل ولم يصرفه عن اللهج بما أولع به من حديث الملك الذي خلع منه يهوه.

« قلم لي لا بل يملك علينا ملك. والرب الهكم ملككم ». (١ صموئيل ١٢ : ١٣).  
فمضى يبذر بذور الفتنة ويوحى إلى الناس أنهم يجنوحهم إلى النظام الملكي قد أتوا إحدى الكبر.

« وقال جميع الشعب لصموئيل صل عن عبيدك إلى الرب الهك حتى لا نموت. لأننا قد أضفنا إلى جميع خطايانا شراً بطلبنا لأنفسنا ملكاً ». (١ صموئيل ١٢ : ١٩).

وأذنت الحرب بالنشوب مرة أخرى، واحتشد الفلسطينيون في « مخماس » فدب الرعب في أوصال الإسرائيليين، واستنفر شاول قومه فاجتمع حوله لفيف منهم، وأرسل يدعو صموئيل إلى القيام بالمناسك التي لا يجوز إنشأب الحرب قبل القيام بها، ولكن صموئيل تناقل عن الأمر غير عابئ بمصير عشيرته ومآل عقيدته، صارفاً همه كله إلى سلطانه المخلوع وامتيازاته الملقاة. وانصرم أسبوع كامل ولما يلب الدعوة.

وأحدث هذا التقصير أثراً وخيماً في حالتهم إذ أخذ من حاستهم وفل من عزيمتهم فشرعوا يتسللون من الصفوف وينفضون من حول قائدهم.

« ولما رأى رجال إسرائيل أنهم في ضنك لأن الشعب تضايق، اختبأ الشعب في المغاير والغياض والصخور والصروح والآبار. وبعض العبرانيين عبروا الأردن إلى أرض جاد وجليعاد ». (١ صموئيل ١٣ : ٦ - ٧).

(١٤) ولكن هناك رواية أخرى تسرد لنا قصة تنبؤ شاول على نحو مغاير يصور لنا شاول في صورة لا تنبغي له وهي تقول إن شاول أرسل جنوده ليقبضوا على داود.

« فأرسل شاول رسلاً لأخذ داود ولما رأوا جماعة الأنبياء يتنبأون وصموئيل واقفاً رئيساً عليهم كان روح الله على رسل شاول فتنبأوا هم أيضاً. فذهب هو أيضاً إلى الرامة وجاء إلى البئر العظيمة التي عند سيخو وسأل وقال ابن صموئيل وداود فقيل لهما في نايوت في الرامة. فذهب إلى هناك إلى نايوت في الرامة. فخلع هو أيضاً ثيابه وتبأ هو أيضاً أمام صموئيل وأنطرح عرباناً ذلك النهار كله وكل الليل. لذلك يقولون أشاول أيضاً بين الأنبياء. » (١ صموئيل

واستبطأ شاول وسموئيل وضاق بتلبثه ذرعاً. لقد كان يتلهب حماسة ويتحرق توقفاً إلى اقتحام حومة الوغى، وها هو ذا يرى رجل الدين يوشك أن يفسد عليه حملته على أعداء الدين. ولم يجد مسيح الله ندحة عن أن يقوم بنفسه بالمنسك الديني، فأحرق الحيوانات التي يضحى بها ليشم الرب ريحها، وذلك ما كان يتوقعه منه سموئيل.

« وكان لما انتهى من إصعاد المحرقة اذا سموئيل مقبل فخرج شاول للقاءه ليباركه، فقال سموئيل ماذا فعلت. فقال شاول لأني رأيت أن الشعب قد تفرق عني وأنت لم تأت في أيام الميعاد والفلسطينيون متجمعون في مخماس. فقلت الآن ينزل الفلسطينيون إلى الجلجال ولم أتضرع إلى وجه الرب فتجلدت وأصعدت المحرقة فقال سموئيل لشاول قد انعمت بم تحفظ وصية الرب إلهك التي أمرك بها لأنه الآن كان الرب قد ثبت ملكك على إسرائيل إلى الأبد. وأما الآن فمملكك لا تقوم» (١ سموئيل ١٣ : ١٠ - ١٤).

وطابت نفس يونانان بن شاول للجهد في سبيل ملته، فخرج هو وحامل سلاحه وحدهما يتحسنان العدو، فلما أبصرهما جنود العدو خالوهما طليعة جحفل لب (١٥).

« فصعد يونانان على يديه ورجليه وحامل سلاحه يقتل وراءه» (١ سموئيل ١٤ : ١٣).

وأوقع يونانان في جيش العدو هرجاً ومرجاً فتشجع شاول وحمل على العدو فظفر بالنصر

في ذلك اليوم واليوم الذي يليه.

« وأخذ شاول الملك على إسرائيل، وحارب جميع أعدائه حوالبه موآب وبني عمون

وأدوم وملوك صوبه والفلسطينيين وحيثما توجه غلب. وفعل ببأس وضرب عماليق وأنقذ

إسرائيل من يد ناهبيه» (١ سموئيل ١٤ : ٤٧ - ٤٨).

١ - فهل قرت بهذه الانتصارات الباهرة عينا سموئيل، هل تشفعت هذه البطولة النادرة

إلى كاهن بني إسرائيل في منقذ بني إسرائيل؟

٢ - وهل كانت نفس سموئيل قبل ذلك قد طابت بالتنكيل الذي أوقعه شاول بقبائل

اليهود التي صدفت عن عبادة الإله القدير يهوه إلى عبادة البعل وعشتاروت ومن لف لفها من

الآلهة المحدودي القدرة؟

٣ - وهل كان ذلك الكاهن قد قنع بما أبدى شاول من حمية مغرقة في سحق المشعوذين

والمرجين بالغيب والمتكلمين بما لا يعلمون ومن إليهم من منافسي الكهنة؟

« وكان شاول قد نفى أصحاب الجان والتوابع من الأرض» (١ سموئيل ٢٨ : ٣).

كان شاول قد حنا ظهره للكهنة وتركهم يتخذونه مطية ذلولاً لتبلغهم أهدافهم، ولكنهم

(١٥) لجب الجيش: صاحوا وأجلبوا. جيش لجب: ذو جلبة وكثرة.

لم يقنعوا بهذا القدر من الولاء وطمحو إلى أن يجعلوا الكنيسة فوق الدولة، وذلك على حين كان أهل البلاد ينوطون على شاول أملمهم في الحد من سلطان الكهنة. وقد لمس الرجل ما بين مهنتي الملك والكهانة من تضارب وتضاد، وأنس الكهنة منه تناقضاً في الولاء لهم فوجدوا عليه وعادات سخيمتهم تلظى على هذا الرجل الذي اغتصب منهم السلطان والذي كلما سمت به انتصاراته الحربية إلى منزلة رفيعة انحطت منزلتهم هم في أعين الشعب، وصحت عزيمتهم على أن يبطشوا به لأنه لم يفتن إلى حقيقة منصبه ولم يدرك أنه ليس إلا خادماً ليهوه، يهوه الذي يدي برغبته ويعلن مشيئته بلسان نبيه صموئيل.

« وقال صموئيل لشاول: إياي أرسل الرب لمسحك ملكاً على شعبه إسرائيل. والآن فاسمع صوت كلام الرب. هكذا يقول رب الجنود. إني قد افتقدت<sup>(١٦)</sup> ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر. والآن اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ماله ولا تعف عنهم بل اقتل رجلاً وامرأة طفلاً ورضيعاً. بقرأً وغنماً. جلاً وحماراً.»  
(١ صموئيل ١٥ : ١ - ٣).

يا لهذا الذي يزعم أنه ينطق بصوت سيده من مجرم حرب يأمر بتقتيل الأسرى وغير المحاربين وبإبادة شعب بأكمله وبإهلاك حيواناته معه وإغراق بلاده بطوفان دموي غامر لا ينجو منه إنسان أو حيوان.

وفيم كان ذلك؟ هل اعتدى هذا الشعب على بني إسرائيل؟ كلا، وإنما هو أبى أن يدعهم يعتدون عليه. ومتى كان ذلك؟ في هذا العام؟ في العام الذي سبقه؟ كلا، بل كان ذلك منذ أربعة قرون خلت.

ذلك أن موسى، الذي هو - بشهادة التوراة - صاحب الفضل في ابتداء التاموس القاضي بإبادة الشعوب التي يوقعها جدها العائر في طريق بني إسرائيل<sup>(١٧)</sup>، أراد أن يقتحم بلادهم، وكان بديهاً أن يصون القوم ديارهم ويحموا ذمارهم<sup>(١٨)</sup> فأرسل موسى عليهم جيشاً يقوده خادمه

(١٦) يقابلها في الترجمة الإنجليزية I remember .

(١٧) «حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستبعد لك، وإن لم تسالك بل عملت معك حرباً فحاصرها. وإذا دفعها الرب الهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بجد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في الدنيا كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمه أعدائك التي أعطاك الرب الهك. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا. وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما بل يجرمها تحريماً.» تشية ٢٠ : ١٠ - ١٧

(١٨) الذمار : كل ما يلزمك حفظه وحياطته وحمايته والدفع عنه.

السفاح يشوع، وجلس هو على ربوة يشهد المعركة.

« وكان إذا رفع موسى يده أن إسرائيل يغلب واذا خفض يده أن عماليق يغلب فلما صارت يدا موسى ثقيلتين أخذوا حجراً ووضعاه تحته فجلس عليه. ودعم هرون وهور يديه الواحد من هنا والآخر من هناك. فكانت يداه ثابتتين إلى غروب الشمس. فهزم يشوع عماليق وقومه بجد السيف». (خروج ١٧ : ١١ - ١٣).

وها هوذا صموئيل قد جاء بعد أربعة قرون يبئذ ذرية الذين نجوا من سيف يشوع عقابا لهم على جريرة أسلافهم إذ نافحوا عن وطنهم.

وقد امتثل شاول ما أمره به صموئيل ونصب للعمالقة حرباً عبوساً أبدى فيها شجاعة وبراعة فظهر عليهم واخترمهم. بيد أنه رأى - وأقره عيون القوم على رأيه - أن من الأفن (١٩) أن يهلك جياد الحيوانات المنتوجة من سلالات ممتازة، ثم إنه استعمل حقه بوصفه قائداً وملكاً حقاً عن أجاج ملك عماليق وحقق دمه. ولكن سيول الدماء الجارية من أوداج الشيوخ والنساء والأطفال لم ترو ظمناً صموئيل ولم تشبع بلاؤهم قرمه ولم تطب نفسه بكل ما عم بلاد العمالقة من تدمير وتحريق وتنكيل، فزعم أن يهوه قال له :

« ندمت (٢٠) على أني قد جعلت شاول ملكاً لأنه رجع من ورائي بم يقم كلامي». (١ صموئيل ١٥ : ١٠).

وبكر على شاول يعيبه ويجهه بالتهمة وينذره بسوء المصير.

« لأنك رفضت كلام الرب رفضك من الملك». (١ صموئيل ١٥ : ٢٣).

وكان شاول، كأبناء عصره، يؤمن بترهات الكذبة من الأنبياء وأراجيف المضللين من الكهان، فلما فوجيء بهذه المقالة قدر أن وراءها شراً مستطيراً، فاستبد به الوجمل وحاول أن يستغفر من ذنبه ولكن هيهات ان يغفر رجال الكهنوت لمن انتزع منهم صولجان الملك بعد ان اطبقوا أيديهم عليه مثنين من السنين. لقد ظلت نيران الحقد في صدر صموئيل متأججة لا تخمد حتى بعد ان خدت أنفاسه ووارى التراب جثثانه، فعندما استحضرته ساحرة «عين دور» روحه تلبية لرغبة شاول أخذت روحه تلفظ ألفاظ التقرير وتمج عبارات التهديد وعمد صموئيل إلى ملك عماليق فأرداه بنفسه قتيلاً وبادى (٢١) شاول بالعداوة وجاهره بأن الرب مزعم (٢٢) عزله

(١٩) أفن الرجل وأفن (بالبناء للمجهول) : ضعف رأيه.

(٢٠) وازن بين هذا وبين قوله :

« نصيح إسرائيل لا يكذب ولا يندم لأنه ليس انساناً ليندم».

(٢١) بادى بالعداوة : جاهر بها.

● (٢٢) أزمع الأمر وبه وعليه : أجمع أو ثبت عليه.

عن الملك ليويء العرش رجلاً غيره « قد انتخب الرب لنفسه رجلاً حسب قلبه وأمره الرب أن يتأس على شعبه لأنك لم تحفظ ما أمرك به الرب ». ( ١ صموئيل ١٣ : ١٤ ).

فمن عسى أن يكون هذا الفتى الذي هفا إليه فؤاد الرب أو بالبحري فؤاد صموئيل ؟  
هو غلام يافع وسيم

« اشقر مع حلاوة العينين وحسن المنظر ». ( ١ صموئيل ١٦ : ١٢ ).

ثم هو إلى جانب ذلك شغاب جريء لا يتحرج عن دنية ولا يتصون عن مأثم، هو داود ابن يسي البيتلحمي .

وقد كان بود صموئيل أن يشد رحاله إلى بيت لحم (٢٣) ليمسح داود هناك ملكاً على بني إسرائيل لولا أن الشخصوص إلى هناك في تلك الأحوال والملابسات كان امرأاً قد لا تحمد مغبته ونبي الله رجل فروق (٢٤) . يشفق أن يركب الغر (٢٥) ومن ثم أوحى إليه ربه أن يصطنع الخديعة ويتوسل بالكذب وإنها لشئنة تعرفها من يهوه (٢٦) .

« فقال صموئيل كيف اذهب . إن سمع شاول يقتلني . فقال الرب خذ بيدك عجلة من البقر وقل قد جئت لاذبح للرب ». ( ١ صموئيل ١٦ : ٢ ) .

وسعى نبي الله إلى بيت لحم وإلى بيت داود .

« فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط إخوته . وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً » . ( ١ صموئيل ١٦ : ١٣ ) .

فعل صموئيل فعلته هذه في الخفاء وأبقى الأمر سراً مطويماً، إذ كان يخشى شاول ويمجذره .

وشن رجال الكهنوت على ملكهم وحامي ملتهم حرباً ضروساً (٢٧) غير معلنة نغصته ونهكته، ومكنوا منه عميلهم داود، واوزوا إلى صنائعهم من خدم القصر أن يلقوا في روع مسيح الرب انه أضاع ما كان له من حضوة عند ربه وان الرب قد سلط عليه روحاً شريرة توشك أن توبقه .

(٢٣) معنى الاسم العبري « بيت الخبز » .

(٢٤) الفروق! الشديد الفزع .

(٢٥) الغرر: التمريض للهلكة .

(٢٦) فهو يروي في إلتذاذ واعتباط كيف مكر يعقوب بأبيه إسحق واخلس منه ما كان قد اعده لشقيقه التوأم عيسو من بركة وكيف مكر كذلك بجميه لابان واستولى بمكره على جانب كبير من غنمه . وقد بارك يهوه الثروات التي حصلها يعقوب وأبوه وجده دون نظر إلى الطريقة التي اتبعها كل منهم في جمع ثروته .

(٢٧) الحرب الضروس: المهلكة، على التشبيه بالناقة السيئة الخلق التي تعض حالبها .

« وذهب روح الرب من عند شاول وبغته روح رديء من قبل الرب. فقال عبيد شاول له هوذا روح رديء من قبل الله يبغتك. فليأمر عبيده قدامه ان يفتشوا على رجل يحسن الضرب بالعود ويكون اذا كان عليك الروح الرديء من قبل الله انه يضرب بيده فتطيب فقال شاول لبعيده انظروا لي رجلا يحسن الضرب وأتوا به اليّ. فأجاب واحد من الغلمان وقال هوذا قد رأيت ابناً ليسى البيتلحمي يحسن الضرب وهو جبار بأس ورجل حرب وفصيح ورجل جميل والرب معه. فأرسل شاول إلى يسي يقول ارسل إلي داود ابنك الذي مع الغنم. فأخذ يسي حماراً حاملاً خبزاً وزق خمر وجدي معزى وأرسلها بيد داود ابنة إلى شاول. فجاها داود إلى شاول ووقف امامه فأحبه جداً وكان له حامل سلاح. فأرسل شاول إلى يسي يقول ليقف داود امامي لأنه وجد نعمة في عيني. وكان عندما جاء الروح من قبل الله على شاول ان داود اخذ العود وضرب بيده فكان يرتاح شاول ويطيب ويذهب عنه الروح الرديء » (١ صموئيل ١٦ : ١٤ - ٢٣).

وطابت نفس الملك الموعود أن يعمل في خدمة الملك الموجود، وأقبل مسيح الله الجديد على مسيحه العتيد يرفه عن خناقه ويمكن أيدي الكهنة من مخنقه. ولسنا نعلم ما تلك الأرواح الرديئة التي عند الرب والتي ألقى صموئيل بجمنة منها على شاول، ولكننا نعلم ان داود قد تسنى له أن يدحرها بموسيقاه الهمجية وأنه أصبح بذلك أول (كديّة) يدق (الزار) في التاريخ.

★

استؤنفت الحرب بين الإسرائيليين والفلسطينيين وبرز على رأس الفلسطينيين مقاتل عملاق يتجاوز طوله ثلاثة أمتار وتزن درعه ثمانين رطلا وكانت هيئته تلقي الرعب في قلوب الإسرائيليين.

« فخرج رجل مبارز من جيوش الفلسطينيين اسمه جليات من جت طوله ست أذرع وشبر، وعلى رأسه خوذة من نحاس. وكان لابساً درعاً كرشفياً ووزن الدرع خمسة آلاف شاقل نحاس. وجرموقا نحاس على رجليه ومزراق نحاس بين كتفيه وقناة رحمة كنول النساجين وسانن رحمة ست مئة شاقل حديد وحامل الترس كان يمشي قدامه.. وداود هو ابن ذلك الرجل الإفراقي من بيت لحم يهوذا الذي اسمه يسي وله ثمانية بنين<sup>(٢٨)</sup>... وكان الفلسطيني يتقدم ويقف

---

(٢٨) تقدم بيان ذلك في الإصحاح السابق، ويبدو أن الحوادث المذكورة في الإصحاح الحالي ليست في موضعها الصحيح، ولو أن الإصحاح السابع عشر وضع قبل السادس عشر لكان لهذه الجملة التي تتحدث عن يسي أبي داود وأولاده معنى. وما يبعث على هذا الاعتقاد أن شاول أبدى أنه لم يكن يعرف داود عندما أجهز داود على جليات.

صباحاً ومساءً أربعين يوماً... فقال رجال إسرائيل رأيتم هذا الرجل الصاعد. ليعبر إسرائيل هو صاعد. فيكون أن الرجل الذي يقتله يغنيه الملك غنى جزيلاً ويعطيه بنته (٢٩) ويجعل بيت أبيه حراً في إسرائيل (٣٠)... ومد داود يده إلى الكنف وأخذ منه حجراً ورماه بالمقلاع وضرب الفلسطيني في جبهته فارتز الحجر في جبهته وسقط على وجهه إلى الأرض. فتمكن داود من الفلسطيني بالمقلاع والحجر وضرب الفلسطيني وقتله. ولم يكن سيف بيد داود.. فركض داود ووقف على الفلسطيني وأخذ سيفه وإخترطه من غمده وقتله وقطع به رأسه (٣١)... وأخذ داود

« ولما رأى شاول داود خارجاً للقاء الفلسطيني قال لأبنير رئيس الجيش ابن من هذا الغلام يا أبنير؟ فقال أبنير: وحياتك أيها الملك لست أعلم.. ولما رجع داود من قتل الفلسطيني أخذه أبنير وأحضره أمام شاول ورأس الفلسطيني بيده. فقال له شاول ابن من أنت يا غلام. فقال داود ابن عبدك يسى البيتلحمي» ١ صموئيل ١٧: ٥٥ - ٥٨.

مع أن الاصحاح السادس عشر يذكر أن شاول رآه أول مرة عندما أحضره إليه ليضرب العمود كي يذب عنه الروح الشريرة.

(٢٩) يبدو أن تلك المكافآت الجنسية كانت شائعة بين بني إسرائيل، ومن ذلك أنهم عندما واجهوا قرية دبير (وكان إسمها قبلاً «سفر»).

« فقال كالب. الذي يضرب قرية سفر ويأخذها. أعطيه عكسة ابنتي امرأة. فأخذها عشتييل بن قناز أخو كالب الأصغر منه. فأعطاه عكسة ابنته امرأة». قضاة: ١: ١٢ - ١٣  
وهكذا فاز الغلام الجسور بابنة أخيه وبنى بها.  
(٣٠) وهل كانوا عبيداً؟

(٣١) وثم رواية أخرى عن مصرع هذا العملاق الفلسطيني تقول إن داود لم يقتله في عهد شاول بل قتله الحانان في عهد داود، فهو واحد من أربعة من الجبابرة «أولاد رافا» أقبلوا يبغون بني إسرائيل شراً فظهر عليهم بنو إسرائيل واخذوا أنفسهم..

« ثم كانت أيضاً حرب في جوب مع الفلسطينيين فألحانان بن يعرى أرجم البيتلحمي قتل جلبات الجتي وكانت قناة رمحه كنول النساجين» ٢ صموئيل ٢١: ١٩.

ومن البديهي أن جلبات هذا لم يقتل إلا مرة واحدة. وهذه الرواية الأخرى أجدر بالتصديق من الأولى، ولكن القصص الشعبية جرت على أن تختار أحد الأفضاء وتراكم عليه أكداً من أعمال البطولة وتنسب إليه الوانا من الشجاعة أبداً أبطال أقل شأنًا، فلا عرو أن يعزى عمل الحانان إلى داود، وما سهل هذا التخليط بين الحق والباطل أن القصة كتبت بعد انقضاء زمن بعيد على الزمن الذي وقعت فيه أحداثها.

هذا وقد لاحظ كاتبو سفري أخبار الأيام ما بين الروايتين من تضارب ارادوا أن يتداركوه فقالوا:  
« وكانت أيضاً حرب مع الفلسطينيين فقتل الحانان بن يعورى لحمى أخه جلبات الجتي، وكانت قناة رمحه كنول النساجين» ١٠ أخبار الأيام ٢٠: ٥

وكلمة لحمي تعني البيتلحمي.  
وهذا مثال للطريقة التي كان يلجأ إليها اليهود في القرن الثالث عشر هرباً من الاعتراف بما بين النصوص المختلفة من تناقض صريح.



رأس الفلسطيني وأتى به إلى أورشليم<sup>(٣٢)</sup>. ووضع أدواته في خيمته؟ (١ صموئيل ١٧ : ٥٤).

★

وأحب يونانان داود حباً جماً، وكان يونانان فتى نبيل المشاعر كريم الشائل فلم يطره صدره على حسد لداود بل جعله عدل نفسه.

« وقطع يونانان وداود عهداً لأنه أحبه كنفسه وخلع يونانان الحبة التي عليه وأعطاهم لداود مع ثيابه وسيفه وقوسه ومنطقته ». (١ صموئيل ١٨ : ٣ - ٤).

لقد تبادلوا ثيابهما، ولم يكن هذا التعاهد على الصداقة والإخلاص مألوفاً بين العبرانيين. أما شاول فإننا نرى منه أموراً عجيبة يناقض بعضها بعضاً وليس لها من تعليل إلا أنها رجس<sup>(٣٣)</sup> من عمل الشيطان الذي سلطه الرب عليه :

١ - فهو يوجس خيفة من داود وينفس عليه بما حظى به من ترم فتيات العاصمة باسمه وإشادتهن بالبطولة التي أبداها لما شج رأس العملاق جليات وبطحة<sup>(٣٤)</sup> أرضاً ثم اجهز عليه.  
٢ - وهو يباديه بالعداوة من غير ان نعثر على بيان مفصل الأحداث التي حولت قلبه عنه واوغرت صدره عليه.

٣ - وهو يرشقه بالرمح مرتين فتنبو<sup>(٣٥)</sup> عنه الطعنتان. وقد ذكرت هذه الواقعة في كل من الإصحاحين الثامن عشر والتاسع عشر فأصبح يخيل إلى القارئ ان ثم حادثين من هذا القبيل، واني لهم ان يعلموا ان الإصحاحين المذكورين إن هما الا صورتان لمتن واحد.

---

(٣٢) من المستحيل أن يكون داود قد ذهب برأس جليات إلى أورشليم إذ أن أورشليم كانت في ذلك العهد لا تزال في أيدي أصحابها الكنعانيين. وهذا الخطأ في مراعاة الأزمنة التاريخية للحوادث هو أيضاً وليد تدوين هذه القصة وقد بعد العهد بما كان من أحداثها.

(٣٣) الرجس: القدر و- العمل المؤدي إلى العذاب و- الغضب.

(٣٤) بطحه: ألقاه على وجهه.

(٣٥) نبا بصره: تحافى وتباعد. نبا السهم عن الهدف: قصر ولم يصبه.

الإصحاح ١٩	الآية	الإصحاح ١٨	الآية
وكان الروح الرديء من قبل الرب على شاول وهو جالس في بيته ورمحه بيده وكان داود يضرب باليد .	٩	وكان في الغد أن الروح الرديء من قبل الله أقتحم شاول وجن في وسط البيت وكان داود يضرب بيده كما في يوم فيوم وكان الرمح بيد شاول	١٠
فالتمس شاول أن يطعن داود بالرمح حتى إلى الحائط ففر من أمام شاول فضرب الرمح إلى الحائط	١٠	فأسرع شاول الرمح وقال أضرب داود حتى إلى الحائط فتحول داود من أمامه مرتين	١١

٤ - وهو يدعوه إلى تزوج ابنته الكبرى مرب ثم لا يلبث أن يزفها إلى المدعو عدريثيل المحولى .

٥ - وهو يقصي عنه داود بأن يجعله رئيس الف في جيشه .

« وكان جميع إسرائيل ويهوذا يحبون داود لأنه يخرج ويدخل امامهم » .

( ١ صموئيل ١٨ : ١٦ ) .

ولسنا نفهم ما المقصود من دخوله وخروجه امامهم ولا كيف يتولد من ذلك حب الشعب

إياه؟

٦ - نبيد أن لشاول ابنة أخرى (٣٦) تنقذ القصة من الاقتضاب (٣٧) ومن ثم فإن شاول

يدعو داود إلى تزوج ابنته الصغرى ميكال .

« وقال شاول أعطيه إياها فتكون له شركاً وتكون يد الفلسطينيين عليه . وقال شاول

لداود تصاهرنى اليوم (٣٨) » . ( ١ صموئيل ١٨ : ٢١ ) .

ما أبشع أن يزف المرء ابنته إلى رجل، لا من أجل الحب أو طلباً للمجد أو رغبة في

(٣٦) لولاها لما ظهر يسوع؟

(٣٧) اقتضبه : قطعه ، تقول : كان يحدنا فجاء زيد واقتضب حديثه أي اقتطعه وانتزع .

(٣٨) وصواب الترجمة أنه سيزوجه « إحدى ابنته » فحذفت الترجمة العربية هذه الكلمة .

تكوين أسرة سعيدة، ولكن لكي يجعل من تلك الأبنة شركاً لزوجها.  
٧ - وقد انتهر مسيح الرب هذه المناسبة السعيدة فاحتال هلاك صهره المنتظر إذ فرض عليه أن يمهر ابنته.

« مئة غلغة من الفلسطينيين للانتقام من أعداء الملك ». ( ١ صموئيل ١٨ : ٢٥ ).  
إنه لم يطلب نقوداً أو جلوداً من حيوانات نادرة بل غلفات. وإن صناع الكتاب المقدس هم وحدهم الذين يدور بأخلاقهم ابتداء هذا الصداق العجيب. وأنه لحسن أن الناس لم تنهج هذا النهج فيتسلل كل راغب في الزواج إلى بلد متاخم ليقتل طائفة من سكانه ويعود غانماً غلفات الغلف أو خشفات المختونين.  
ومها يكن من أمر فقد استخف الفرع داود بأن يصهر إلى الملك فأتى بضعفي ما طلب منه أداؤه من القلفات.

٨ - وزف الملك ابنته ميكال إلى داود، وأقسم شاول لابنه يونانان ليحقن دم داود.  
« حي هو الرب لا يتقل ». ( ١ صموئيل ١٩ : ٦ ).  
٩ - بيد أنك تجدد ولما تقرأ غير أربعة أسطر أخرى أن مسيح الرب قد حنث في قسمه.  
« فالتمس شاول أن يطعن داود بالرمح حتى إلى الحائط ففر من أمام شاول فضرب الرمح إلى الحائط ». ( ١ صموئيل ١٩ : ١٠ ).  
وهكذا نجا داود مرة ثالثة.

١٠ - وأمر شاول جنوده أن يكمنوا عند منزل داود يترصدونه حتى إذا ما خرج في الصباح أردوه قتيلاً، غير أن ميكال ابنة شاول أعانت زوجها على الفرار من أبيها، فأخرجته من النافذة وأزقدت في فراشه صنمه المعبود، ويبدو أنه كان يضاهيه في جرمه، ووسدته وسادة من شعر المعزى، موهمة جنود الملك أن زوجها طريح الفراش.  
« فأخذت ميكال الترافيم<sup>(٣٩)</sup> ووضعت في الفراش ووضعت لبدة المعزى تحت رأسه وغطته بثوب ». ( ١ صموئيل ١٩ : ١٣ ).

ولما كشف الجنود خدعة ميكال وما بذلته من معاونة لعدو أبيها الظامع في عرشه عاتبها

---

(٣٩) هي آلة منزلية كانت الأسر تتوقع منها أن تسخ على أبنائها العيش الرخي بأن تزودهم بالطعمة وفق حاجتهم وتقدم بما يكفيهم من مؤونة وتكفل لهم صحة البدن ووفرة العافية، وهي تعد من الاونان.  
« لأن التمرد كخطية العرافة. والعناد كالوثن والترافيم ». ١ صموئيل ١٥ : ٢٣  
فالترافيم هو صنم الإله أو الإله نفسه حالاً بالضم.

ويضح بما تقدم أن داود كان يعبد هذا النوع من الاصنام. وسرى فيما يلي أن ابنه سليمان قد بذه في ذلك فعبد قلة جميع الشعوب المجاورة إرضاء لنسائه المختلفات أجناساً.

ابوها على ما كان منها فاخبرته أنها إنما فعلت ذلك على الرغم منها إذ أن زوجها تهددها بالقتل. وسرى فيما بعد كيف جحد داود صنيع هذه الزوجة الوفية وجزاها به شراً.

١١ - وغادر داود العاصمة ميمماً صوب صموئيل في نايوت من أرباض الرامة، على أننا لا نلبث أن نجد في حاضرة الملك محتفظاً بمنصبه بين حاشية الملك ونجد يونانان على غير بصر بالخطر الذي يتهدد صديقه الحميم، ونجد شاول يسأل عن علة تخلف أكيه داود. عن مؤاكلته، وكأنما لم يكن شيء مما كان.

١٢ - ورغب داود إلى (٤٠) يونانان أن يستبين له نية أبيه من نحوه كأنما كان الأمر لا يزال بحاجة إلى من يستبين. ونقم شاول من ابنه أنه مكن عدوه من أن يفلت من قبضته.

« فحوى غضب شاول على يونانان وقال له يا ابن المتعوجة المتمردة أما علمت أنك اخترت ابن يسي لخزيك وخزي عورة أمك. لأنه ما دام ابن يسي حياً على الأرض لا تثبت أنت ولا مملكتك. والآن أرسل وأت به إلي لأنه ابن الموت هو.» (١ صموئيل ٢٠ : ٣٠ - ٣١).

لقد كان شاول حكماً بعيد النظر ففطن إلى موطن الخطر، ولكن جده العائر جعل ابنه يخالف عن سياسته ويحالف عدوه.

١٣ - وأذن يونانان داود بما يحيق به من الخطر فهرب إلى بلدة نوب حيث قصد إلى الكاهن أخيالك. وأبدى الكاهن دهشة لقدوم داود وحده في غير رفقة من أحد، ولم يصدقه داود الحديث بل كذب عليه قائلاً.

« إن الملك أمرني بشيء وقال لي لا يعلم أحد شيئاً من هذا الأمر.» (١ صموئيل ٢١ : ٢).

ولعل داود رجع إلى يهوه فيما تورط فيه من مازق فأوحى إليه ان يستنجي بالكذب. ولطالما أشار نصيح إسرائيل بهذه الوسيلة التي يتقنها (٤١).

وطلب داود إلى أخيالك أن يعيد سيف جليات، ولسنا نعلم من الذي أودع صومعته هذا السيف وقد كان آخر عهدنا به في خيمة داود (٤٢).

(٤٠) رغب إليه: ابتهل إليه.

(٤١) « فقال الرب من يغوى أخاب فيصعد ويسقط في راموت جلعاد، فقال هذا هكذا وقال ذاك هكذا. ثم خرج الروح ووقف أمام الرب وقال أنا اغويه. وقال له الرب بماذا. فقال أخرج وأكون روح كذب في افواه جميع نبيائه.

فقال إنك تغويه وتقدر. فأخرج وافعل هكذا. ١. ملوك ٢٢ : ٢٠ - ٢٢

(٤٢) « واخذ داود رأس الفلسطيني وأتى به إلى اورشليم ووضع أدواته في خيمته. ١. صموئيل ١٧ : ٥٤

وأحل داود لنفسه ولرجاله أن يأكلوا خبز التقدمة وهو (تابو) محرم على غير الكهنة (٤٣).

وخذع الكاهن بتكاذيب صهر الملك وصاحب سره فكلفه ذلك رأسه ورؤوس العشرات من زملائه والآلاف من أهل بلده.

« فقال الملك لدواغ در أنت وقع بالكهنة. فدار دواغ الأدومي ووقع هو (٤٤) بالكهنة وقتل في ذلك اليوم خمسة وثمانين رجلاً لابسى أفود كتان. وضرب نوب مدينة الكهنة بجد السيف. الرجال والنساء والأطفال والرضعان والثيران والحمير والغنم بجد السيف. فنجأ ولد واحد لأخيالك بن أخطوب اسمه أبياتار وهرب إلى داود ». (١ صموئيل ٢٢ : ١٨ - ٢٠).

١٤ - أما داود فقد هرب من نوب حاملاً سيف العملاق جليات الجتي ولجأ إلى عدو قومه اخيش ملك جت أي ملك جليات الذي صرعه هو، ثم ما عم أن ادرك انه غرر بنفسه، ولم يجد وسيلة يستنقذ بها حياته الا ان يتجنن عليهم (٤٥).

« فغير عقله في اعينهم وتظاهر بالجنون بين ايديهم واخذ يخربش على مصاريع الباب ويسيل ريقه على لحيته ». (١ صموئيل ٢١ : ١٣).

ويبدو ان اخيش هذا كان انساناً لين الجانب فلم ير ان ينتقم لبطله الذي قتل غيلة وخلي سبيل قاتله.

فذهب داود من هناك ونجا إلى مغارة عدلام فلما سمع إخوته وجميع بيت أبيه نزلوا إليه إلى هناك. واجتمع إليه كل رجل متضايق وكل من كان عليه دين وكل رجل مر النفس فكان عليهم رئيساً وكان معه نحو أربع مئة رجل ». (١ صموئيل ٢٢ : ١ - ٢).

مرحى مرحى. ها هو ذا ملك اسرائيل المسوح بالزيت بأمر الرب قد اختزل مكانته وقنع بأن يكون شيخ منسر (٤٦).

---

(٤٣) « فقال لهم المسبح « أما قرأتم قط ما فعله داود حين احتاج وجاع هو والذين معه كيف دخل بيت الله في ايام ابياتار رئيس الكهنة واكل خبز التقدمة الذي لا يحل اكله الا للكهنة واعطى الذين كانوا معه أيضاً ». مرقس ٢ : ٢٦ - ٢٥

على اننا نرى من (١ صموئيل ٢١ : ٦) ان انتهاك داود للتابو على النحو المذكور لم يكن في ايام ابياتار بل في ايام أبيه الكاهن اخيالك.

(٤٤) كلمة « هو » لا محل لها هنا والصواب: ووثب على الكهنة.

(٤٥) تجنن على فلان: ارى من نفسه الجنون.

(٤٦) المنسر ( كمجلس ومنبر) الخيل من الثلاثين إلى المثنتين - قطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير. وفي

الحديث: كلما أظلم عليكم منسر من مناسر أهل الشام أغلق كل رجل منكم بابه.

١٥ - ثم لجأ داود إلى رجل آخر من أعداء ملته هو ملك موآب « وذهب داود من هناك إلى مصفاة موآب وقال للملك موآب ليخرج أبي وأمي اليكم حتى أعلم ماذا يصنع لي الله، فودعها عند ملك موآب فأقاما عنده كل أيام إقامة داود في الحصن ». ( ١ صموئيل ٢٢ : ٣ - ٤ ) .

١٦ - وخرج شاول يطلب حياة داود، بيد أن داود كان هو الذي ظفر بغريمه واقتنص في حبالته ذاك الذي جاء يبغى احتباله، الا أنه تأثم وأبى أن يركب بالأذى مسيح الله. وأشهد داود شاول على بغيه فاستعبر<sup>(٤٧)</sup> شاول وأنحى على نفسه تريباً<sup>(٤٨)</sup> وتقريباً .

ولقد سردت هذه الحادثة مرتين كلتها غير خليقة بالتصديق. ودونك موازنة بين الروايتين .

الإصحاح ٢٦	الآية	الإصحاح ٢٤	الآية
فجاء داود وأبيشاي إلى الشعب ليلاً واذا بشاول مضطجع نائم عند المتراس ورمحه مركز في الأرض .	٧	وكان هناك كهف فدخل شاول لكي يغطي رجله وداود ورجاله كانوا جلوساً في مغابن الكهف .	٣
فقال أبيشاي لداود قد حبس الله اليوم عدوك في يدك . فدعني الآن أضربه بالرمح الى الأرض دفعة واحدة ولا أثنى عليه	٨	فقال رجال داود له هو ذا اليوم الذي قال لك عنه الرب هأنذا أدفع عدوك ليدك .	٤
فقال داود لأبيشاي لا تهلكه فمن الذي يمد يده الى مسيح الرب ويتبرأ	٩	فقال لرجاله حاشا لي من قبل الرب أن أعمل هذا الأمر بسيدي مسيح الرب فأمد يدي اليه لأنه مسيح الرب هو .	٦
فأخذ داود الرمح وكوز الماء من عند رأس شاول وذهب .	١٢	فقام داود وقطع طرف جبة شاول سرّاً .	٤
وعبر داود الى العبر ووقف على رأس الجبل ونادى .	١٣	ثم قام داود بعد ذلك وخرج من الكهف .	٨
	١٤	ونادى وراء شاول .	

(٤٧) استعبر الرجل، جرت عبرته .

(٤٨) ثربه وثرب عليه: قبح عليه فعله، يقال لا تريب عليكم .

٩	وقال داود لشاول لماذا تسمع كلام الناس القائلين هو ذا داود يطلب أذيتك .	١٨	ثم قال لماذا سيدي يسعى وراء عبده لأني ماذا عملت وأي شر بيدي
١١	فأنظر يا أبي انظر أيضاً طرف جبتيك بيدي .	٢٢	هو ذا رمح الملك فليعبّر واحد من الغلمان ويأخذه .
١٤	وراء من خرج ملك إسرائيل . وراء من أنت مطارد . وراء كلب ميت . وراء برغوث واحد .	٢٠	إن ملك إسرائيل قد خرج ليفتش على برغوث واحد .
١٦	قال شاول أهذا صوتك يا ابني داود . ورفع شاول صوته وبكى .	٢١	فقال شاول قد أخطأت ارجع يا ابني داود لأني لا أسيء إليك بعد من أجل أن نفسي كانت كريمة في عينيك . هو ذا قد حققت وضللت كثيراً جدا
٢٢	ثم ذهب شاول إلى بيته وأما داود ورجاله فصعدوا إلى الحصن	٢٥	ثم ذهب داود في طريقه ورجع شاول إلى مكانه

لم يوضح الإصحاح الرابع والعشرون كيف غفل شاول ومعيته فلم ينتبهوا إلى داود حين قد جبة شاول . أما الإصحاح السادس والعشرون فقد فطن إلى هذه النقطة . وكان داود قد طلب إلى أبيشاي بن صروية أخي يوباب أن يلتقط له الكوز والرمح الموكوز<sup>(٤٩)</sup> ولكن سرعان ما رأينا داود يفعل ذلك بنفسه ثم يتسلل هو ورفيقه إلى خارج ولم ينتبه أحد إلى ما كان منها وذلك لمعجزة حدثت .

« لأنهم جميعاً كانوا نياماً لأن سبات الرب وقع عليهم . » (١ صموئيل ٢٦ : ١٢) .

★

أما داود فقد عاش خصياً للقانون يغير بعصابته على الآمنين ويقسرمهم على أداء الإتاوة

له .

(٤٩) وكز الرمح في الأرض : ركزه .

« وكان رجل في معون وأملاكه في الكرمل وكان الرجل عظيماً جدوله ثلاثة آلاف من الغنم وألف من المعز وكان يجز غنمه في الكرمل واسم الرجل نابال واسم امرأته أبيجايل. وكانت المرأة جيدة الفهم وجيالة الصورة. وأما الرجل فكان قاسياً ورديء الأعمال. (١ صموئيل ٢٥: ٢ - ٣).

لم توضح لنا القصة لم وصفت هذا الرجل الـ «عظيم جداً» بأنه «رديء الأعمال» ولم تذكر لنا مثلاً لقسوته ورداءته بل ذكرت أمثلة لقسوة داود ورداءته، ومن الواضح أن الكهنة يمهّدون بهذا الوصف لتسويغ العدوان الذي يبيت له، وقد جعلوا اسم الرجل «نابال» أي الأحق، وهي سنة نعرفها من واضعي هذه القصص الدينية إذ يختارون لأشخاصها من الأسماء ما يناسب الأفعال المعزوة إليهم<sup>(٥٠)</sup>.

أرسل داود نفرًا من غلمانه إلى نابال يطلب إليه أداء الإتاوة. وهذا نص رسالته. «حييت وأنت سالم وبيتك سالم وكل مالك سالم. والآن قد سمعت أن عندك جزازين. حين كان رعائك معنا لم نؤذهم ولم يفقد لهم شيء كل الأيام التي كانوا فيها في الكرمل. أسأل غلمانك فيخبروك. فليجد الغلمان نعمة في عينيك لأننا قد جئنا في يوم طيب. فاعط ما وجدته يدك لعبيدك ولابنك داود». (١ صموئيل ٢٥: ٦ - ٨).

وكان من الطبيعي أن يذود الرجل عن كرامته وعن ثروته التي جمعها بشق النفس فلا يذعن للتهديد ويستنم للابتزاز. إن الدول تنفق ملايين الجنيهات في تقوية دفاعها ولا تدفع ملياً واحداً على سبيل الجزية، وقد رد على «عبيد» داود بسؤال استنكاري بليغ. «من هو داود ومن هو ابن يسى. قد كثر اليوم العبيد الذين يفحصون كل واحد من أمام سيده. آخذ خبزي ومائي وذبيحي الذي ذبحت لجازي وأعطيه لقوم لا أعلم من أين هم». (١ صموئيل ٢٥: ١٠ - ١١).

ورجع الشطار<sup>(٥١)</sup> إلى شيخ المنسر برجع رسالته. «فقال داود لرجاله ليتقلد كل واحد منكم سيفه فتقلد كل واحد سيفه. وتقلد داود أيضاً سيفه وصعد وراء داود نحو أربع مئة رجل ومكث مثنان مع الأمتعة». (١ صموئيل ٢٥: ١٣). مرعى مرعى. لقد ازداد قطاع الطرق الذين يعملون تحت إمرته فأصبحوا ستمئة من

---

(٥٠) فاسم أبرام يعني الأب الأعلى لأن إبراهيم هو الأب لجميع كبار الأنبياء عند اليهود والنصارى والمسلمين، واسم يهوذا الأسخريوطي معناه اليهودي الخائن لأنه أسلم يسوع المسيح إلى أعدائه، واسم حواء معناه أم الأحياء، وهلم جرا.

(٥١) الشاطر من أعبأ أهله خبتاً (وأراه مولداً).



صعاليك<sup>(٥٢)</sup> اليهود وخلصائهم<sup>(٥٣)</sup>. وقد كان داود، كغيره من الأشخاص ذوي البال في الكتاب المقدس، لا يرى الحياة البشرية شيئاً مقدساً، وها هو ذا قد اعتزم قتل الرجل الكريم النفس الذي لم يفل التهديد من عزيمته فأبى أن يدفع الإتاوة صاغراً. وها هي ذي أبيعابل الشابة الجميلة تضيق بالشيخ الذي تزوجته من أجل ماله فتنتقل الى فتى الفتيان مسبوقة بقدر كبير من الزاد تطرفه به، وما إن تمثل بين يديه حتى تنبطح على وجهها وهي لا تفتأ تسب زوجها وتنتقص من مروءته.

« وفيما هي راكبة على الحمار ونازلة في سترة الجبل اذا بداود ورجاله منحدرين لاستقبالها فصادفتهم. وقال داود إنما باطلا حفظت كل ما لهذا في البرية فلم يفقد من كل ماله وشيء فكافأني شراً بدل خير. هكذا يصنع الله لأعداء داود وهكذا يزيد إن أبقيت من كل ماله إلى ضوء الصباح بائلاً بجائط<sup>(٥٤)</sup> ولما رأت أبيعابل داود أسرعرت ونزلت عن الحمار وسقطت على رجليه وقالت علي أنا يا سيدي هذا الذنب ودع أمتك تتكلم في أذنيك واسمع كلام أمتك. لا يضعن سيدي قلبه على الرجل اللئيم هذا على نابال لأن كاسمه هكذا هو. نابال اسمه والحماقة عنده<sup>(٥٥)</sup>... وقد قام رجل ليطاردك ويطلب نفسك ولكن نفس سيدي لتكن محزومة في حزمة الحيوه مع الرب الهك وأما أنفك أعدائك فليرم بها كما في وسط كفة المقلاع. ويكون عندما يصنع الرب لسيدي حسب كل ما تكلم به من الخير ممن أجلك ويقيمنك رئيساً على إسرائيل<sup>(٥٦)</sup>.. واذا أحسن الرب إلى سيدي فأذكر أمتك ». (١ صموئيل ٢٥ : ٢٠ - ٣١).

ويبدو من ختام حديثها أن الرب كان قد مال في إحدى جولاته إلى ضيعتها ليسمر معها ويسر إليها ما اعتزمه في شأن داود. وقد رد داود عليها قائلاً :

« إنك لو لم تبادري وتأتي لاستقبالي لما أبقى لنابال إلى ضوء الصباح بائلاً بجائط ». (١ صموئيل ٢٥ : ٣٤).

(٥٢) الصعلوك : الفقير . صعاليك العرب اذؤبانها أي لصوصها وفقراؤها.

(٥٣) الخنايع : الولد الذي أبوه خلعه وتبرأ منه، وكان في الجاهلية اذا قال قائل قد خلعت لا يؤخذ بعد بغيرته و- التهنك.

(٥٤) يا له من تعبير.

(٥٥) ذلك أن كلمة « نابال » وهي الاسم الذي اختير لبطل القصة معناها الأحمق وهذه التسمية إن دلت على شيء، فأما تدل على أن القصة موضوعة وضماً.

(٥٦) وقد تحقق ما قدرت فنصب الكهنة داود ملكاً على بني إسرائيل، وهذا أيضاً دليل على التلفيق.

إنه يكرر هذا التعبير الأنيق ليرسخه في أذهان النشء<sup>(٥٧)</sup> وهو تعبير يراه المهذبون أغلظ من أن تذكر ألفاظه حتى في معاجم اللغة. ثم يقول داود:

« انظري. قد سمعت لصوتك ورفعت وجهك<sup>(٥٨)</sup> ». (١ صموئيل ٢٥ : ٣٥).

وهكذا أفصح فتى الفتیان عن سروره بشخص المرأة الشابة الحسنة الضيقة بزوجها الشيخ والتي أطرفته بهديتها الغالية. وتم التفاهم بينهما.

« فجاءت أبيجايل إلى نابال واذا وليمة عنده في بيته كوليمة ملك. وكان نابال قد طاب قلبه وكان سكران جداً. فلم تجربه بشيء صغير أو كبير إلى ضوء الصباح. وفي الصباح عند خروج الخمر من نابال أخبرته امرأته بهذا الكلام فمات قلبه داخله وصار كحجر. وبعد نحو عشرة أيام ضرب الرب نابال فمات ». (١ صموئيل ٢٥ : ٣٦ - ٣٨).

وهكذا خدت أنفاس الرجل بين يدي زوجته، فكيف كان مسلك داود بإزاء هذه الفاجعة.

« فلما سمع داود أن نابال قد مات قال مبارك الرب... وأرسل داود وتكلم أبيجايل ليتخذها له امرأة. فجاء عبيد داود إلى أبيجايل إلى الكرمل وكلموها قائلين إن داود قد أرسلنا إليك لكي نتخذك له امرأة. فقامت وسجدت على وجهها إلى الأرض وقالت هوذا أمتك<sup>(٥٩)</sup> حارية لغسل أرجل عبيد سيدي ». (١ صموئيل ٢٥ : ٣٩ - ٤١).

لقد استخفها السرور بزواج فتى أحلامها فنهضت - ولما يطو جثمان زوجها باطن الثرى - ميممة شطر طريد العدالة الخارج على وطنه بجاهرة بأنها قد طابت نفساً بأن تكون أمة له وخادمة لعبدانه. وليس في هذا التعبير من غرابة فإن الزوجات عند داود لسن شريكات له في الحياة وإنما

---

(٥٧) وقد استخدمه من بعده كاتبو سفري الملك.

« واقطع ليربعام كل بائيل مجايط » ١ ملوك ١٤ : ١٠

« ضرب بيت العشا، لم يبق له بائلا مجايط » ١ ملوك ١٦ : ١١

« وأقطع لأخاب كل بائيل مجايط » ١ ملوك ٢٠ : ٢١

وأرسل النبي الشبع غلاماً من بني الأنبياء إلى القائد ياهو يسمح ملكاً على بني اسرائيل ويطلب إليه أن يبني أسرة الملك آخاب فقال له في عرض حديثه:

« استأصل لا آخاب كل بائيل مجايط » ٢ ملوك ٩ : ٨

وفي مثل هذا المقام يقول الغرب مثلاً « ما بالدار نافع ضربة » أي نافع نار أي أحد أو « ما بالدار صافر » أو ديار ومنه « رب لاتذر على الأرض من الكافرين دياراً ».

(٥٨) الترجمة الصائبة للجملة الأخيرة هي:

وتقبلت وشخصك

(٥٩) كل الصواب أن تقول لعبيده الموفدين إليها « أمتكم » بصيغة الجمع.

هن إماء يتلهى بكل منهن حيناً ثم يهملها ويتزوج غيرها كلما طاب له أن يفعل .  
 « ثم بادرت وقامت أبيجايل وركبت الحمار مع خمس فتيات لها ذاهبات وراءها وسارت  
 وراء رسل داود وصارت له امرأة. ثم أخذ اخينوع من يررعيل فكانتا له كلتاهما امرأتين ». .  
 ( ١ صموئيل ٢٥ : ٤٢ - ٤٣ ) .

★

كان داود قد فصل من بلاده وأوطن بأرض الفلسطينيين فأصبح عاجزاً عن أن يعبد إله  
 اسرائيل . لأن الآلهة القوميين لم يكونوا يعبدون في غير مواطن سلطانهم . وقد اعتذر داود إلى  
 شاول من ذلك عندما التقى به بعد ، وشكا اليه قومه بني إسرائيل .  
 « لأنهم قد طردوني اليوم من الانضمام إلى نصيب الرب قائلين اذهب اعبد آلهة أخرى » .  
 ( ١ صموئيل ٢٦ : ١٩ ) .

فأجابه شاول بأنه قد أقال عثرته وأباح له أن يعود بين ظهراني عشيرته ، ولكن داود كان  
 لا يزال يسيء الظن بشاول ومن ثم آثر أن يستنجي من ملكه باللياذ بملك الأعداء .  
 « فقام داود وعبر هو والست مئة رجل الذين معه إلى أخيش في جت هو ورجاله ،  
 كل واحد وبيته داود وامراته اخينوع اليزرعيلية وأبيجايل امرأة نابال الكرملية » .  
 ( ١ صموئيل ٢٧ : ٢ - ٣ ) .

وهكذا استعاد داود بأعداء قومه مصطحباً ثنتين من زوجاته . وقد اطمعت أريحية أخيش  
 ملك جت فرغب اليه أن يقطعه قرية نازحة (٦٠) يقيم فيها هو ورجاله بمنأى عن حاضرة الملك .  
 « فأعطاه أخيش في ذلك اليوم صقلغ . لذلك صارت صقلغ للملك يهوذا إلى اليوم وكان  
 عدد الأيام التي سكن فيها داود في بلاد الفلسطينيين سنة وأربعة أشهر » ( ١ صموئيل ٢٧ : ٦ - ٧ ) .  
 ولبث داود خلال الفترة الطويلة التي قضاها في حامي الملك أخيش يخدم هذا الرجل السمع  
 وينتهك حرمة ضيافته ، فقد جعل من قرية صقلغ دريئة (٦١) يشن منها هو وعصابته الغارات على  
 جيران الملك من الشعوب المتاخمة التي عاهدها أخيش على أن يوفر لها السلام والأمن .

« وصعد داود ورجاله وغزوا الجشوريين والجزريين والعمالقة لأن هؤلاء من قديم سكان  
 الأرض ولم يستبق رجلاً ولا امرأة وأخذ غنماً وبقراً وحميراً وجمالاً وثياباً . ورجع وجاء إلى  
 أخيش . فقال أخيش اذاً لم تغزوا اليوم . فقال داود بلى . على جنوبي يهوذا وجنوبي اليرحمثيليين  
 وجنوبي القينيين . فلم يستبق داود رجلاً ولا امرأة حتى يأتي إلى جت إذ قال لثلاثا يخبروا عنا قائلين

(٦٠) نزع الشيء : بعد ، يقال نزحت الدار .

(٦١) الدريئة هنا : ما يستتر به الصائد ليختل الصيد فإذا أمكنه الرمي رمى .

هكذا يفعل داود. وهكذا عاداته كل أيام إقامته في بلاد الفلسطينيين» (١ صموئيل ٢٧ : ٨ - ١١).  
 لقد أغار فقتل ونهب وسلب، ثم عمد إلى إخفاء جريمته هذه بجريمة شر منها فأباد ثلاثة  
 شعوب كاملة كانت قد رضيت بالتعايش السلمي وركنت إلى الدعة في ظل الأمان الذي عاهدها  
 عليها الملك المتاخم وكان داود يمدح الملك أخيش عن نفسه ويعلل مظاهر النشاط في عصابته بأنه  
 يغير على اليهوديين.



واحتشدت جحافل الفلسطينيين لذود الغزاة من بني إسرائيل عن بلادهم، وتلبد الجو في  
 وجه شاول وأعيت عليه<sup>(٦٢)</sup> دسائس الكهنة وصنائعهم. وأراد أن يستخير<sup>(٦٣)</sup> ربه فإذا هو قد  
 تقاصرت نفسه لفرط ما ألقاه الكهنة في روعه فتجمدت قريحته وتبلدت مخيلته حتى اعتاص عليه  
 أن يرى رؤيا يفسرها بما تشاء له وساوسه وأوهامه فلم يجد بداً من الانصراف إلى الجان عوضاً  
 عن الآلهة واللواذ بالسحرة بدلا من الانبياء، وليس البون بين الفريقين بالبعيد.

« فسأل شاول من الرب فلم يجبه الرب لا بالأحلام ولا بالأوريم ولا بالأنبياء. فقال شاول  
 لعبيده فتشوا لي على امرأة صاحبة جان فأذهب إليها وأسألها فقالوا له هوذا امرأة صاحبة جان  
 في عين دور. فتنكر شاول ولبس ثياباً أخرى وذهب هو ورجلان معه وجاءوا إلى المرأة ليلاً  
 وقال اعرفي لي بالجان واصعدي لي من أقول لك. فقالت له المرأة هوذا أنت تعلم ما فعل شاول  
 كيف قطع أصحاب الجان والتوابع من الأرض». (١ صموئيل ٢٨ : ٦ - ٩).

أجل، كان شاول قد اصطلم<sup>(٦٤)</sup> السحرة ومسخري الجان والتوابع<sup>(٦٥)</sup> فلم يبق منهم - فيما  
 يبدو - غير هذه المرأة لحاجة القصة إليها. وقد غربت عن الساحرة العليمة فطنتها - نزولاً على  
 حكم السياق - فلم تعرف حقيقة شاول في بادئ الأمر، مع أنه.

« من كتفه فما فوق كان أطول من كل الشعب »<sup>(٦٦)</sup>. (١ صموئيل ٩ : ٢).

وطلب إليها شاول أن تستحضر له روح صموئيل، وكان صموئيل قد قضى وخرجت  
 روحه من جسده لتم ما كان هو قد أخذ فيه من العمل للتطويح بالملك الذي كانت بداية حكمه  
 نهاية لحكم الكهنة.

(٦٢) أعيا الماشي: تعيب وكل وهو دون العجز. أعيا الداء الطيب: أعجزه. أعيا على فلان الأسر: أعجزه.

(٦٣) استخار: طلب الخبرة، يقال: استخر الله يخر لك، أي اطلب منه أن يختار لك ما يوافقك.

(٦٤) صلمه: قطعه، وقيل قطع أذنه وأنفه من أصلها. اصطلمه: استاصله اصطلمهم الدهر.

(٦٥) التابع: الجنى يتبع الإنسان حيث ذهب. والتابعة: الجنية.

(٦٦) « قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم ». البقرة ٢٤٧.

وتراءت روح صموئيل للساحرة وكأنها تقول له « هملت. أنا روح أبيبك » فزعقت المرأة.  
وسألها شاول عما ترى.

« فقالت المرأة لشاول رأيت آلهة<sup>(٦٧)</sup> يصعدون من الأرض، فقال لها ما هي صورته. فقالت رجل شيخ صاعد وهو مغطى بجمبة. فعلم شاول أنه صموئيل فخر على وجهه إلى الأرض وسجد. فقال صموئيل، لشاول لماذا أقلقيني بإصعادك إياي. فقال شاول قد ضاق بي الأمر جدا. الفلسطينيون يحاربونني والرب فارقتي ولم يعد يبييني لا بالأنبياء ولا بالأحلام فدعوتك لكي تعلمني ماذا أصنع. فقال صموئيل ولماذا تسألني والرب قد فارقتك وصار عدوك. وقد فعل الرب لنفسه كما تكلم عن يدي وقد شق الرب المملكة من يدك وأعطاهما لقريبك<sup>(٦٨)</sup> داود لأنك لم تسمع لصوت الرب ولم تفعل حو غضبه في عماليق لذلك قد فعل الرب بك هذا الأمر اليوم. ويدفع الرب إسرائيل أيضاً معك ليد الفلسطينيين وغداً أفت وبنوك تكونون معي ويدفع الرب جيش إسرائيل أيضاً ليد الفلسطينيين. فأسرع شاول وسقط على طوله<sup>(٦٩)</sup> إلى الأرض وخاف جداً من كلام صموئيل. (١ صموئيل ٢٨: ١٣ - ٢٠).

ها هي ذي روح صموئيل تقرفه بأنه لم يكن متعظشاً إلى الدماء بالقدر الذي تطيب به نفس يهوه وتذره بأن يهوه قد عاقبه على ذلك بأن قضى بسفك دمه ودماء أولاده وبضياح عرشه وهزيمة جيشه. وهو إنذار خطير معناه أن يهوه المغيار سيقبض من شعبه المختار لما أتاه شاول مسيحه من جريرة الرحمة بأعداء الديار فالقاعدة عند اليهود - وهم على غير بصر بحكاية يوم القيامة - أن العشرة كلها تعاقب مع الآثمين من أبنائها أخذاً بمبدأ التضامن في المسؤولية فيحقيق بهم الجذب أو تفشو بينهم الأوبئة أو تحتاحهم جيوش الأعداء أو ما إلى ذلك من البلايا والويلات.

★

وتأهب الفلسطينيون لاستئناف الجهاد ومطاردة الغزاة. فبادر داود وعصابته إلى مغادرة

---

(٦٧) الكلام واضح الركاكة. ومبعت ذلك سوء الترجمة، فان كلمة رفايم Rephaim العبرية قد ترجمت هنا خطأ بكلمة آلهة على حين أنها تعنى أشباح الموتى.

(٦٨) كلمة قريبك (ويقالها في الإنجليزية thy neighbour أي جارك أو صديقك) يقصد بها أي امرئ من اليهود.

(٦٩) يقصد أنه سقط على الأرض دفعة واحدة دون أن يلتوي أو يلتف حول نفسه على النحو الذي نشهده في الملاحح وكذلك دون أن يتقوس، وهي نقطة رأى الكتاب المقدس ضرورة إيضاحها.

ملجئهم في قرية صقلغ ليقاتلوا في صفوف الفلسطينيين، وأعرب داود للملك أخيش عن شدة توفقه مقاتلة بني إسرائيل.

« وأحارب أعداء سيدي الملك ». ( ١ صموئيل ٢٩ : ٨ ).

لقد أكل اليهودي خبز الوثني، فليضرب إذن بسيفه، ولكن قادة الفلسطينيين لم يرحبوا بهذا العون، أو لعلمهم أشفقوا أن تعرض هؤلاء اللاجئين لفرصة فيقبلوا ظهر المجن<sup>(٧٠)</sup> للذين أطعموهم من جوع وآمنوهم من خوف وينضموا إلى مواطنهم التماساً لاستئناف حسن الصلة بينها، ولذا رد الملك أخيش طلب داود شاكرًا.

ورجع داود إلى صقلغ فإذا العمالقة الذين كان أغار عليهم من هناك واستأصل شأفتهم فلم يستبق منهم رجلاً أو امرأة.

« وصعد داود ورجاله وغزوا الجشوريين والجرزيين والعمالقة.. وضرب داود الأرض ولم يستبق رجلاً ولا امرأة وأخذ غنماً وبقراً وحميراً وجمالاً وثيراباً ورجم وجاء إلى أخيش: ( ١ صموئيل ٢٧ : ٨ - ٩ ).

إذا بهم قد غزوا صقلغ وسبوا نساءها.

« وسبيت امرأتا داود أخينوعم اليزرعيلية وأبجاييل امرأة نابال الكرملية ». ( ١ صموئيل ٣٠ : ٥ ).

وقد برهن العمالقة على نبالة مشاعرهم وطواعية مروءتهم إذ أنهم. « لم يقتلوا أحداً ولا صغيراً ولا كبيراً بل ساقوهم ومضوا في طريقهم ». ( ١ صموئيل ٣٠ : ٢ ).  
فلحق بهم داود وظهر عليهم واسترد الغنائم وأطلق السبايا واستعاد امرأته.

★

ونشبت الحرب عودا على بدء، وحققت الأقدار الساحرة ما تكهنت به العجوز الساحرة، فظفر الفلسطينيون ببني إسرائيل وأصاب شاول سهم عائر<sup>(٧١)</sup> فأثر أن يجهز على نفسه حتى لا يقع بين برائث أعدائه.

« فقال شاول لحامل سلاحه استل سيفك وأطعني به لئلا يأتي هؤلاء الغلف ويطعنوني ويقبحوني. فلم يشأ حامل سلاحه لأنه خاف جداً. فأخذ شاول السيف وسقط عليه<sup>(٧٢)</sup> ولما رأى حامل سلاحه أنه قد مات شاول سقط هو أيضاً على سيفه ومات معه. فهات شاول وبنوه الثلاثة

(٧٠) المجن، الترس، قلب مجنه: أسقط الحياء وفعل ما شاء. قلب له ظهر المجن: تغير عليه وساء رأيه فيه.

(٧١) سهم عائر: لا يدري من رمى به.

(٧٢) سنة اليابانين المعروفة بالهيرا كيري

وحامل سلاحه وجميع رجاله في ذلك اليوم معاً (٧٣). (١ صموئيل ٣١ : ٤ - ٦).

« ورثا داود بهذه المراثاة شاول ويونانان ابنه. وقال أن يتعلم بنو يهوذا نشيد القوس. هوذا ذلك مكتوب في سفر ياشر.

الظهي يا إسرائيل مقتون على شوايخك... يا بنات إسرائيل ابكين شاول الذي ألبسكن قرمزاً بالتنعم... قد تضايقت عليك يا أخي يونانان. كنت حلواً لي جداً. محبتك أعجب من محبة النساء. كيف سقط الجبابرة وبادت آلات الحرب». (٢ صموئيل ١ : ١٧ - ٢٧).

ويموت شاول وثلاثة من بنيه هم يونانان وأبيناداب وملكيشوع أصبح إيشبوست (٧٤) بن شاول ملكاً على عشرة من أسباط إسرائيل الإثني عشر، وأمر إيشبوست على جيشه رجلاً من قرابته اسمه أبنير أما داود فقد شخص إلى حبرون وجعل إقامته فيها.

« وأتى رجال يهوذا ومسحوا هناك داود ملكاً على بيت يهوذا ». (٢ صموئيل ٢ : ٤).

★

وعقد داود لواء جيشه ليوآب بن صروية.

وبدا لداود أن ينال بالخيالة والسؤال ما عجز عن نياله بالاغتصاب والغلب، فعمد إلى مساومة أبنير في الانضمام إليه والإيقاع بملكه وتفتق ذهنه عن علة يعبد بها لأبنير طريق القدم إلى حبرون، هي أن يطالب برد مطلقة ميكال، فيأتي أبنير معها ليحرسها، وكان له في عودة ميكال مأربة أخرى هي اكتساب مبايعين جدد له بالملك من أولئك الذين كانوا ما يزالون يكتنون الولاء لشاول وآل شاول.

كان داود حتى ذلك الوقت قد حظى بسبع زوجات عرفنا منهن ميكال وأبيجايل وأخينوعم، أما الباقيات فقد زج بأسائهن - بلا مناسبة - في قصة الحرب بين بيت شاول وبيت داود.

(٧٣) وهناك رواية أخرى عن كيفية مصرع شاول « فقال داود للغلام الذي أخبره كيف عرفت أنه مات شاول ويونانان ابنه. فقال الغلام الذي أخبره اتفق أني كنت في جبل جلبوع وإذا شاول يتوكأ على رمحه وإذا بالمرقيات والفرسان يشدون وراءه، فالتفت إلى ورائه فرآني ودعاني فقلت هانذا. فقال لي من أنت فقلت له عالياقي أنا. فقال لي قف علي واقطني لأنه قد اعتراني الدوار لأن كل نفسي بعد في. فوقفت عليه وقتلته لاني علمت انه لا يعيش بعد سقوطه وأخذت الإكليل الذي على رأسه والسوار الذي على ذراعه وأتيت بها إلى سيدي هنا. فأمسك داود نياحه ومزقها.. فقال له داود كيف لم تخف أن تمد يدك لتهلك مسيح الرب. ثم دعا داود واحداً من الغلمان وقالوا تقدم أوقع به، فضربه فمات. فقال له داود دمك على رأسك لان فمك شهد عليك قبلما أنا قتلت مسيح الرب ». ٢ صموئيل ١ : ٥ - ١٦

● (٧٤) صواب الاسم إيشبعل.

« وكانت الحرب طويلة بين بيت شاول وبيت داود . وكان داود يذهب يتقوى وبيت شاول يذهب يضعف . وولد لداود بنون في حبرون . وكان بكره أمنون من أخينوعم اليزرعيلية . وثانيه كيبلاب من ابيجايل امرأة نابال الكرملية . والثالث أبشالوم ابن معكة بنت تلباي ملك جشور<sup>(٧٥)</sup> . والرابع أدونيا ابن حجيت . والخامس شفتيا ابن أبيطال . والسادس يثرعام من عجلة امرأة داود . هؤلاء ولدوا لداود في حبرون<sup>(٧٦)</sup> . وكان في وقوع الحرب بين بيت شاول وبيت داود أن أنبیر تشدد لأجل بيت شاول » . ( ٢ صموئيل ٣ : ١ - ٦ ) .

وليس فيما تقدم بيان بالأساليب التي « أخذ » بها داود سائر نسائه . لقد استمتع بكل منهن حيناً من الدهر ، وها هوذا يرغب الآن في تلك التي مهرها بمثتي قلفة فلسطينية . لقد كان والدها شاول قد فسم زواج داود بها عندما هرب هذا منه ، وزفها الى من يدعي فلسطين بن لايش ، وأحبها الرجل حباً جماً ، ولكن داود لم يبال رغبة الرجل والمرأة كليهما وأصر على ان يرد زوجته السابقة اليه فردت إليه وزوجها يذرف الدمع مدراراً . « وكان رجلها يسير معها ويبكي وراءها إلى بحوريم فقال له أنبیر : أذهب . أرجع فرجع » . ( ٢ صموئيل ٣ : ١٦ ) .

لقد زجره القائد العام فانزجر وباعده فتباعده ، وما أيسر ما انحسرت صلة الزوجية بينه وبين حليلته .

وطابت نفس أنبیر بمألة داود ، إذ كان يشبوست قد عنف به لأنه فسق بسريرة من سراري أبيه شاول ، وهو أمر رآه أنبیر تافهاً لا يستحق ما أثير حوله من جلبة وصخب . وتم الاتفاق بين داود وأنبیر ، الا أن أنبیر لم ينعم بثمان الخيانة ، فقد : « مال به يوأب الى وسط الباب ليكلمه سراً وضربه هناك في بطنه فمات ... فقتل يوأب وأبيشاي أخوه أنبیر لأنه قتل عسائيل أخاهما في جبعون في الحرب » ( ٢ صموئيل ٣ : ٢٧ - ٣٠ ) .

---

(٧٥) سبق القول بأن داود كان قد شن الغارة من صقلخ على الجشوريين وأفناهم عن بكرة أبيهم .  
(٧٦) هؤلاء كن زوجاته في حبرون ، فلما انتقل إلى اورشليم عظم شأنه .  
« وكان داود يتزايد متعظاً ، والرب إله الجنود معه . ٢ صموئيل ٥ - ١٠ »  
وقد اقتضاه ذلك أن يستجد من الزوجات والإماء ما يناسب المقام .  
« وأخذ داود أيضاً سراري ونساء من اورشليم بعد مجيئه من حبرون فولد أيضاً لداود بنون وبنات . وهذه أسماء الذين ولدوا له في اورشليم . شموع وشوباب وناتان وسليان وبيجار واليشوع ونافج ويافج واليشمع والبداع واليفلط » .  
٢ صموئيل ٥ : ١٣ - ١٦

إن كلمة « نساء » التي في الآية الكريمة رقم ١٣ تعني غير واحدة . ولنا ندرى هل سليمان المذكور في الآية ١٤ هو سليمان الحكيم أو هو شخص آخر ، فإن داود لم يكن قد تزوج بتسع أم سليمان بعد .



ولما سمع ابن شاول أن أبنيّر قد مات في حبرون ارتخت يده وارتاع جميع إسرائيل. وكان لابن شاول رجلان رئيسا غزاة اسم الواحد بعنة واسم الآخر ركاب أبنا رمو البثيوتي. من بني بنيامين... وسار. ابنا رمو البثيوتي ركاب وبعنة ودخلا عند حر النهار إلى بيت إيشبوست وهو نائم نومة الظهرية. فدخلا إلى وسط البيت ليأخذا حنطة وضرباه في بطنه ثم أفلت ركاب وبعنة أخوه. فعند دخولها البيت كان مضطجعاً على سريره في مخدع نومه فضرباه وقتلاه وقطعا رأسه. وأخذا رأسه وسارا في طريق العربة الليل كله. وأتيا برأس إيشبوست إلى داود إلى حبرون. وقالوا للملك هو ذا رأس إيشبوست بن شاول عدوك الذي كان يطلب نفسك. وقد أعطى الرب لسيدي الملك انتقاماً في هذا اليوم من شاول ومن نسله» (٢ صموئيل ٤ : ١ - ٨).

ها هنا مغامرنا آخران يطلبان ثمن الغدر والخيانة، ولكن داود يأبى هنا أيضاً أن يدفع ثمن البضاعة بعد أن تسلمها وأصبحت في حوزته. وها هي ذي فرصة أخرى تواتيه للظهور في مظهر الكرم النفس الناصع اليدين الذي يشمئز من الدم المسفوك وإن كان قد سفك لمنفعته، ومن ثم.

«أمر داود الغلمان فقتلوهما وقطعوا أيديهما وأرجلها وعلقوهما على البركة في حبرون». (٢ صموئيل ٤ : ١٢).

واستأثر داود بالملك وبايعته أسباط إسرائيل جميعاً.

«وجاء جميع شيوخ إسرائيل إلى الملك إلى حبرون فقطع الملك داود معهم عهداً في حبرون أمام الرب ومسحوا داود ملكاً على إسرائيل وكان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك وملك أربعين سنة في حبرون ملك على يهوذا سبع سنين وستة أشهر. وفي أورشليم ملك ثلاثاً وثلاثين سنة على جميع إسرائيل ويهوذا. وذهب الملك ورجاله إلى أورشليم إلى اليوسيين سكان الأرض. فكلموا داود قائلين لا تدخل إلى هنا... وأخذ داود حصن صهيون. هي مدينة داود... وأقام داود في الحصن وسماه مدينة داود». (٢ صموئيل ٥ : ٣ - ٩).

وانبرى داود يشن الحروب على الشعوب المجاورة، المعادية منها والمسالمة.

«وجاء الفلسطينيون. وانتشروا في وادي الرافائين<sup>(٧٧)</sup>. وسأل داود من الرب قائلًا أأصعد إلى الفلسطينيين. أتدفعهم ليدي. فقال الرب لداود اصعد لأنني دفعتاً<sup>(٧٨)</sup> أدفع الفلسطينيين ليدك». (٢ صموئيل ٥ : ١٨ - ١٩).

وعاد الفلسطينيون بعد هزيمتهم يتأهبون للقتال، وسأل داود ربه فأخبره يهوه أنه سيتمثل

(٧٧) أي في وادي الجبارة.

(٧٨) في الترجمة الإنجليزية «بلا ريب» ويبدو أن المترجمين وجدوا أنها كلمة لا يجهل بالله استخدامها.

له في صورة الريح ورسم له الخطة الحربية التي يجب عليه اتباعها .  
« فقال لا تصعد بل در من ورائهم وهلم عليهم مقابل أشجار البكا<sup>(٧٩)</sup> . وعندما تسمع صوت خطوات في رؤوس اشجار البكا . حينئذ احترص لأنه إذ ذاك يخرج الرب أمامك لضرب محلة الفلسطينيين » . ( ٢ صموئيل ٥ : ٢٤ ) .

★

وعنّ لداود أن يقر تابوت الرب في مدينة داود ، وكان الفلسطينيين - كما أسلفنا - قد غنموه أيام « على » في إحدى حملاتهم المظفرة .

« وسقط من إسرائيل ثلاثون ألف راجل واخذ تابوت الله » ( ١ صموئيل ٤ : ١٠ - ١١ ) .  
ولقى الفلسطينيون يهوه ، الطاعن في السن ، بالتجلة وأنزلوه في هيكل إلههم داجون وهو صنم نصفه الأعلى ني صورة بشرية ونصفه الأسفل مكانه نصف سمكة ، بيد أنه لا يتفق اثنان من مهنة واحدة . وكان يهوه يبدو في النهار كزيم الخلق ولكنه ما يجنه الليل حتى يحمل على داجون ، وهو بلا ساقين يقف بهما ، ويبطحه أرضاً فيسقط داجون على وجهه أمام تابوت الرب .  
« إذا بداجون ساقط على وجهه على الأرض أمام تابوت ورأس داجون ويداه مقطوعة على العتبة . بقي بدن السمكة فقط » . ( ١ صموئيل ٥ : ٤ ) .

ثم يزحف يهوه إلى صندوقه ويخلد فيه إلى الهدوء فإذا جاء القوم في الصباح ألفوا على وجهه ابتسامة الطيبة والظهر وسداجة الأطفال .

ولم يكتف يهوه بذلك بل أتبع هذا الاستهلاك بالأوبئة تفشو بين الفلسطينيين وبالغيران تعيث في زروعهم وضرب أهالي أشدود وجت وعقرون بداء البواسير ، وهي ضربات قدرة تذكرنا بضرباته العشر للمصريين ، فضاق أهل البلاد بالتابوت المشؤوم واحتشد كهنتهم وعرافوهم يتذكرون في الأمر فأجمعوا رأيهم ان يعيدوا التابوت الى اسرائيل مصحوباً بتأثيل ذات قوة سحرية تميظ عنهم تلك الأوبئة فأعادوه محمولاً على مركبة تجرها الثيران ، تحف به .

« خمسة بواسير من ذهب وخسة فيران من ذهب »<sup>(٨٠)</sup> . ( ١ صموئيل ٦ : ٤ ) .

وانطلقت المركبة التي تقل التابوت إلى ربوع بني إسرائيل فاجتازت تخومهم وعرجت على

---

(٧٩) يقصد أشجار التوت .

(٨٠) وبما أن أظهر صفات الله هي أنه غير متغير ، فمن واجب الناس اذا ما أغار الجراد على زروعهم أو

أقبل بمروض الملاريا يلسمهم أو أحاط بهم ذباب مرض النوم أو فشا في رؤوسهم ونياهم القمل حاملا جراثيم التيفوس أن يصنعوا تماثيل ذهبية لهذه الحشرات .

بلدة بيتشمس. واشرب أهل البلدة إلى التابوت مطروفة عيونهم به (٨١) وعج (٨٢) الحصادون وهرعوا إلى المركبة يصلحون من شأنها ويزيلون العراقيل من طريقها. ولم يأبه الإله المستكن في التابوت لما يضمرة له القوم وما يبدو منه نحوه من إخلاص وولاء، بل استولت عليه الكبرياء واشتد به الحق لجراعاتهم عليه وانتهاكهم حرمة فهو محرم لمسه أو رؤيته على الناس قاطبة ما خلا الكهنة من سدنته ومن اليهم، فمن انتهك التابوت الخاص به من غير هؤلاء فقد أتى امرأ نكراً حق عليه الموت الزؤام (٨٣).

وضرب أهل بيتشمس لأنهم نظروا إلى تابوت الرب. وضرب من الشعب خمسين ألف رجل وسبعين رجلاً. ففاح الشعب لأن الرب ضرب الشعب ضربة عظيمة» (١ صموئيل ٦ : ١٩). وكان أهل بيتشمس قد أرسلوا إلى أهل قريته يعاريم.

« فجاء أهل قرية يعاريم وأصعدوا تابوت الرب وأدخلوه إلى بيت ابيناداب في الأكمة وقدسوا العازار ابنه لأجل حراسة تابوت الرب. وكان من يوم جلوس التابوت في قرية يعاريم أن المدة طالت وكانت عشرين سنة. » (١ صموئيل ٧ : ١ - ٢).

وأخذ ساكن التابوت إلى اهدوء طوال تلك المدة حتى خطر أمره ببال داود وعن له أن يأتي بقبض الأسد الجوال هذا إلى مدينة داود، فشخص إلى هناك ومعه نحو ثلاثين ألفاً وأركبوا التابوت مركبة جديدة يسوقها عزه بن أبيناداب.

« ولما انتهوا إلى بيدر ناخون مد عزة يده إلى تابوت الله وأمسكه لأن الثيران انشمصت - فحمت غضب الرب على عزة وضربه الله هناك لأجل غفله فهناك لدى تابوت الله فاغتاظ داود. » (٢ صموئيل ٦ : ٦ - ٨).

وأوقعت هذه الحادثة الرعب في قلب داود فلم يسر بالتابوت إلى مدينته.

« بل مال به إلى بيت عوبيد أدوم الجتي » (١ أخبار الأيام ١٣ : ١٣).

وبذل الجتي ما وسعه من جهد في التنكب عن رؤية التابوت حتى لا يستبين تفاهته ويكتشف تبعاً لذلك خداع الكهنة، وقد سر الكهنة بتجرده من الفضول. ومكث التابوت في بيته ثلاثة أشهر دون أن يمسه هو بأذى، مما جعل الشجاعة تواتي داود، فأقدم على نقل التابوت إلى

(٨١) هو مطروف العين به، لا ينظر إلا إليه.

(٨٢) عج الرجل: صاح ورفع صوته.

(٨٣) الزؤام من الموت: الكريه، وقيل المجهز أي السريع.

حاضرة ملكه يحف به حفل راقص .

« وكان داود يرقص بكل قوته أمام الرب وكان داود متمنطقاً بأفود من كتان » .  
( ٢ صموئيل ١٦ - ١٤ ) .

وأبصرته زوجته ميكال ابنة شاول وهو يرقص وقد نضى عنه <sup>(٨٤)</sup> أكثر ثيابه ، فأنكرت منه ذلك ووبخته على مسلكه وقالت له .

« ما كان أكرم ملك إسرائيل اليوم حيث تكشف <sup>(٨٥)</sup> اليوم في أعين إماء عبده كما يتكشف أحد السفهاء » . ( ٢ صموئيل ٦ : ٢٠ ) .

فردت على امرأته مجدith كحديث المخمورين قال لها فيه إنه يستطيع أن يبعد في النذالة ما شاء ، وليس لكائن كان أن ينكر منه ما يفعل . ثم إنه أوقع بها عقوبة غاية في البشاعة .

« فقال داود لميكال إنما أمام الرب الذي اختارني دون أبيك ودون كل بيته ليقمني رئيساً على شعب الرب إسرائيل . فلعبت أمام الرب ... ولم <sup>(٨٦)</sup> يكن لميكال بنت شاول ولد إلى يوم موتها » . ( ٢ صموئيل ٦ : ٢١ - ٢٣ ) .

وتابع داود غزواته وانتصاراته ، وهي تلك التي يريد الكهنة إبرازها في صورة تذبذبات انتصارات شاول . وكان داود يقترف خلال حروبه من الفظائع ما لم يسمع بمثله .

« وبعد ذلك ضرب داود الفلسطينيين وذلكهم ... وضرب الموابيين وقاسمهم بالحبل . أضجعهم على الأرض فقاس مجبلين للقتل ومجبل كامل للاستحياء . وصار الموابيون عبيداً لداود يقدمون هدايا .

---

(٨٤) نضى ثوبه عنه : خلعه .

(٨٥) كلمة « يتكشف » تفيد معنى « يبدو » ولكن الكلمة الصائبة هنا هي « يتعري » أو يعري جسده وبذلك تكون الترجمة الصحيحة للجملة هي :

وهو يعري اليوم نفسه على أعين خادmates غلمانه كما يعري أحد الأوباش نفسه في غير حياء .  
(٨٦) هنا في الترجمة العربية تحريف خطير تبدو معه الآية الأخيرة مبتوتة الصلة بما قبلها . ويتبين لنا الصواب عندما نراجع الترجمة الإنجليزية وهي تقول ما ترجمته في الجملة الأخيرة :

ولهذا لم يكن لميكال بنت شاول ولد إلى يوم موتها وقد أغفل الذين نقلوا هذا السفر إلى العربية ترجمة الكلمة التي تقابلها « ولهذا » وهي التي تحمل معنى الجملة يبدو واضحاً ، وهو أن سخط داود على امرأته قد ترتب عليه حرمانها الولد إلى غاية العمر ، فقد حكم عليها بالمعمم الأبدي إذ هجرها في المضجع وخلفها منبوذة لا تذوق لذة الزوجية ومتعة الأمومة وقد أخطأ صاحب السفر إذ كتب بعد ذلك :

« وبني ميكال ابنة شاول الخمسة الذين ولدتهم لمدريشيل ابن برزلاي المحولي وسلمهم إلى الجبعونيين فصلبهم على الجبل أمام الرب » . ٢٠ صموئيل ٢١ : ٨ - ٩

وضرب داود هدد عزز بن رحوب ملك صوبة ليرد سلطته عند نهر الفرات (٨٧). فأخذ داود منه ألفاً وسبع مئة فارس وعشرين ألف راجل. وعرقب داود جميع خيل المركبات وأبقى منها مئة مركبة. فجاء أرام دمشق لنجدة هدد عزز ملك صوبة فضرب داود من أرام اثنين وعشرين ألف رجل». (٢ صموئيل ٨: ١ - ٥).

وأرسل داود قائده يوآب على بني عمون (٨٨) فدحروهم وأستولى على حاضرة ملكهم، ثم قدم داود إلى تلك الحاضرة.

«وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج وحديد وفؤوس حديد وأمرهم في أتون الآجر وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون». (٢ صموئيل ١٢: ١٣).

وصعد داود في إحدى الأمسيات إلى سطح قصره وقد صفا باله ورق مزاجه، فجعل يسرح بصره في بيوت الرعية ويضرب بطرفه يمينه ويسرة فأنس عن كذب منه امرأة تغتسل في بيتها، فأحد النظر إليها فإذا هي شابة ممشوقة (٨٩) أسرى منظرها الدم ساخنا في شرايينه فأرسل يستقدم بعض خبرائه ليسألهم: من تكون تلك الغانية؟

«فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد. أليست هذه بتشيع بنت أليعام امرأة أوريا الحثي». (٢ صموئيل ١١: ٣).

لم يضع بني الله لحظة من وقته الثمين في التودد إلى تلك التي شهقت إليها نفسه، ولم ير أن يجلس إليها ساعة في ضوء القمر يبيها لواعج (٩٠) حبه وهيامه، بل بادر بإرسال زبانيته (٩١) يجلبونها إليه كأنما هي بغني محترفة وما لبث أن مال بها إلى مخدعه ليطفئ فيها لظى شبقه، فلما قضى منها وطرا أعادها إلى بيتها في سهولة ويسر.

---

(٨٧) لم نسمع قبل أن سلطان داود امتد إلى ضفاف الفرات، وكل ما في الأمر أن أبرام رأي مرة فيما يراه النائم أن الرب قال له:

«ولنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات». تكوين ١٥: ١٨

(٨٨) طالت مقاومة الموابيين والعمونيين لبني إسرائيل ولذا عمد صاحب سفر التكوين إلى وصم هاتين

القبيلتين بأنهما أولاد زنية.

«فجلت ابنتا لوط من أبيها. فولدت البكر ابناً ودعت اسمه موآب. وهو أبو الموابيين إلى اليوم. والصغيرة

أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمى. وهو أبو بني عمون إلى اليوم تكوين ١٩: ٣٦ - ٣٨

(٨٩) جارية ممشوقة: أي حسنة القوام قليلة اللحم.

(٩٠) لمع الشيء، في الصدر: خلج. لمع الحب والحزن فؤاده: استحر في القلب.

(٩١) زينه: دفعه، الزبانية: عند العرب الشرط وسمى بذلك بعض الملائكة لدفعهم أهل النار إليها واحداها

هـ بنى.

« فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمئتها، ثم رجعت إلى بيتها ». (٢ صموئيل ١١ : ٤).

وقد أعقب هذا النزاء<sup>(٩٢)</sup> حلاً كما هو المؤلف في الاتصالات الجنسية المحرمة. وماذا عسى ان يتوقع داود غير هذا؟ إنه لم يدر بخلده أن يصطنع وسيلة تعصمها من الحمل مثلما صنع أونان<sup>(٩٣)</sup> بن يهوذا بن يعقوب. وألفت المرأة نفسها في حرج لأنها حملت وزوجها بمنأى عنها في حومة القتال، فلاذت بوالد الجنين الذي بدأ يضطرب في أحشائها حتى يتدبر عقبى نزوته. ولم يجد داود في الأمر عوصاً، فأرسل يستدعي الزوج المثلوم العرض من المعركة. حتى اذا ما مثل بين يديه جعل الملك يتحدث إليه في أمور لا طائل تحتها ثم طلب إليه أن يتوجه إلى بيته وأهل بيته.

« وقال داود لأوريا انزل إلى بيتك واغسل رجلك فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصّة من عند الملك<sup>(٩٤)</sup>. ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته. فأخبروا داود قائلين لم ينزل أوريا إلى بيته. فقال داود لأوريا أما جئت من السفر. فلماذا لم تنزل إلى بيتك. فقال أوريا لداود إن الثابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يواب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء وأنا أتى إلى بيتي لأكل وأشرب واضطجع مع امرأتي. وحياتك وحيوة نفسك لا أفعل هذا الأمر »<sup>(٩٥)</sup> (٢ صموئيل ١١ : ٨ - ١١).

لقد عز عليه أن ينعم بالعطلة الممنوحة له وأن يستمتع بمؤانسة زوجته الفاتنة وأبدى من الغيرة على قوميته والحماسة في الדיاد عن عقيدته والاستمسك بشعائر الجندية والوفاء لإخوانه في الكفاح ما يستحق من أجله مدلاة من مدليات الشرف، فما هي المدلاة التي حباه بها النبي الملك؟ إنها الموت. فما أعظم شهامة هذا المسيح الذي « انتخبه الرب لنفسه حسب قلبه ».

« فقال داود لأوريا أقم هنا اليوم أيضاً وغداً أطلقك... ودعاه داود فأكل وشرب

(٩٢) نزا: وثب.

(٩٣) « فقال يهوذا لأونان ادخل على امرأة أخيك وتزوج بها وأقم نسلاً لأخيك. فعمل أونان أن النسل لا يكون له. فكان إذ دخل على امرأة أخيه أنه أفسد على الأرض لكيلا يعطي نسلاً لأخيه » تكوين ٣٨ : ٨ - ٩.

(٩٤) حصّة من ماذا؟ في الاصل أنها حصّة من اللحم لعل الملك كان يسخر من الزوج المثلوم العرض بإرسالها إليه.

(٩٥) كان العبريون - كما كان غيرهم من الشعوب البدائية القديمة وكما هي حال بعض الشعوب البدائية في الوقت الراهن - يعتقدون أنه اذا باضع الرجل امرأته والحرب ناشبة زابته المقدرة على الظفر بعدوه، فإذا أصيب هو بجرح أودى الجرح بحياته، ومن ثم أصبحت زوجات المحاربين « تابو » بجرم على بعولتهن معاشرتهن قبل أن تنطفئ نائرة الحرب. وهذا التابو هو الذي عصم أوريا من امتثال ما رسمه له داود من غشيان أهله.

وأسكره... وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى يوبأ وأرسله بيد أوريا. وكتب في المكتوب يقول اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت».

(٢ صموئيل ١١ : ١٤ - ١٥).

هل سمعت بمثل هذا؟ لقد كان في وسع داود أن يبرد (٩٦) بريده إلى يوبأ مع من شاء من عماله، ولكن نفسه لم تطب بأن تدع أحداً يحمل أمر القتل غير المحكوم عليه بالقتل نفسه. لقد لذ له أن يعبث بفريسته ويسخر من الرجل هذه السخرية الرهيب قبل أن يفتك به كما يضع القط بالفأر، فجعله أكيهه ونديمه في الليل وأطاح برأسه في الصباح.

« فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها نذبت بعلمها. ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابناً» . (٢ صموئيل ١١ : ٢٦ - ٢٧).

لقد سلك داود هذه المرة مسلك المهذبين فصبر على حبيته حتى قامت بمراسم النوح على بعلمها ثم أدرجها في «الحريم»، ولعل هذه الأناة إنما ترجع إلى أنه كان قد خبر فنونها وتذوق مفاتها قبل، أو لعل الفضل عائد إلى المرأة نفسها إذ كان لديها من الحكمة والرزانة ما يوقها أن تتعجل الأمور وتضرب بالتقاليد عرض الحائط كما فعلت أيبجليل، فأرجأت الزواج بمفتال زوجها بعض الوقت حتى يبرد دمه ومهما يكن من أمر فقد سارت الأمور على هوى بتشيع وظفرت الأرملة الطروب بتحقيق ما تهوى.

★

وجاء ناثان الكاهن إلى داود بإذن الله، تحفزه على الارجح أحقاد خاصة ورغبته في بسط سلطان رجال الكهنوت على الملك. وقص عليه قصة رمزية قال فيها.

« كان رجلان في مدينة واحدة واحد منها غني والآخر فقير. وكان للغني غنم وبقرة كثيرة جداً. وأما الفقير فلم يكن له شيء الا نعجة واحدة صغيرة قد اقتناها ورباها وكبرت معه ومع بنيه جميعاً. تأكل من لقمته وتشرب من كأسه وتنام في حضنه وكانت له كابنة. فجاء ضيف إلى الرجل الغني فعفا أن يأخذ من غنمه ومن بقره ليهيء للضيف الذي جاء إليه فأخذ نعجة الرجل الفقير وهياً للرجل الذي جاء إليه. فحمى غضب داود على الرجل جداً وقال لناثان حي هو الرب إنه يقتل الرجل الفاعل ذلك ويرد النعجة أربعة أضعاف لأنه فعل هذا الأمر ولأنه لم يشفق فقال ناثان لداود أنت هو الرجل. هكذا قال الرب إله إسرائيل. أنا مسحك ملكاً على إسرائيل وأنقذتك من يد شاول وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك في حضنك وأعطيتك بيت

(٩٦) أبرد إليه البريد: أرسله.

إسرائيل ويهوذا وإن كان ذلك قليلاً كنت أزيد لك كذا وكذا. لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر في عينيه قد قتلت أوريا الحثي بالسيف وأخذت امرأته لك امرأة وإياه قتلت بسيف بني عمون.. هكذا قال الرب هانذا أقيم عليك الشر من بيتك وأخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس. لأنك أنت فعلت بالسر وأفعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس». (٢ صموئيل ١٢: ١-١٢).

لقد استخفت القصة الرمزية داود ففضى بقتل الحثاني، فلما علم بأن «الحثاني» إنما يرمز به إليه هو نكص على عقبه كما فعل يهوذا بن يعقوب إذ حكم بحرق أرملة ابنه لأنها حملت من سفاح، حتى إذا ما علم أنه هو الذي فعل بها ذلك نقض حكمه (٩٧).

هذا ويلاحظ:

١ - أن هذا النبي الجديد يرى النساء يتشابهن جميعاً كما تتشابه النعاج، وأنه لم يزر على الملك اغتصابه زوجة الرجل الذي يقاتل في سبيل وطنه واقترافه بذلك خطيئة الزنا وانتهاكه حرمة الوصية السابعة من الوصايا العشر، بل نعى عليه استهتاره باغتصاب النساء حتى إنه لم يعف عن الزوجة الوحيدة التي لأوريا على وفرة ما في حوزته هو منهن، ولو أنه كان عزباً أو ذا زوجة واحدة لانتهى الذنب أو هان ولما كان لهذه القصة الرمزية معنى على الإطلاق.

٢ - أن كلمة «كذا وكذا» لا يمكن أن تكون هي مقول القول ولكنها إشارة موجزة إلى ما يمكن أن يكون قد قيل في هذا المقام.

٣ - أن داود لم يصنع بزوجات نابال وأوريا ومن على شاكلتها في السر بل على مرأى ومسمع من كثيرين.

٤ - أن الآية الحادية عشرة تهدد داود بالانتقام منه في شخص نساء الأسرة - وهن بريئات - فهي تقضي بأن ينكبن في أعراضهن ويسمن أبشع الإذلال في رائحة النهار، وكأنه لا وزن لأشخاصهن ولا عبرة بالأمهن.

٥ - وقد اعترف داود لثانان بإثمه كما يعترف الكاثوليكي للقس وغفر ثانان لداود ذنبه كما يغفر القس للكاثوليكي.

« فقال داود لثانان قد أخطأت إلى الرب. فقال ثانان لداود. الرب أيضاً قد نقل عنك خطيتك. لا تموت. غير أنه من أجل أنك قد جعلت بهذا الأمر أعداء الرب يشمتون فالأبن المولود لك يموت». (٢ صموئيل ١٢: ١٣-١٤).

اعتراف ملكي موجز وغفران نبوي سهل وإنذار منتهك للعدالة يطمئن داود على حياته



ولا يفجعه في شيء من ذات نفسه كتنحيته عن سرير الملك أو سلبه ثوب الصحة والعافية، ولكنه يتصل بالنساء والأطفال، وما أحقر النساء وأكثر الأطفال في ذلك الزمان والمكان وأنفذ يهوه عقابه الفريد .

١ - فألمات ابن داود وثمرة نزوته حتى لا يكون هو سليمان الحكيم الذي يرث منه عرش المملكة ويبني بيت الله ويصبح جداً ليسوع المسيح .

« فقال داود لعبيده هل مات الولد . فقالوا مات » ( ٢ صموئيل ١٢ : ٩ ) .

لم يقتل الله الجاني بل قتل المجني عليه، تلك هي سنة الكتاب المقدس . لقد عوقب داود في شخص ابنه الوليد كما عوقب حام في شخص ابنه البريء كنعان<sup>(٩٨)</sup> وكما عوقب سليمان في شخص ولده<sup>(٩٩)</sup> .

« وعزى داود بتثبغ امرأته ودخل إليها واضطجع معها فولدت ابناً فدعا اسمه سليمان والرب أحبه<sup>(١٠٠)</sup> . وأرسل بيد ناثان النبي ودعا اسمه يديديا من أجل الرب »

( ٢ صموئيل ١٢ : ٢٤ - ٢٥ ) .

وتجملت تامار ابنة داود بالخزي والشار .

فلقد رزق داود من امرأته معكة بنت تلهاي ملك جشور بفتى ذي بهاء ودهاء لم يشهد بنو إسرائيل من يعدله ملاحه وجه وجمال شعر، أسماه أبشالوم .

« ولم يكن في كل إسرائيل رجل جميل ومدوح جداً كأبشالوم من باطن قدمه حتى هامته لم يكن فيه عيب » ( ٢ صموئيل ١٤ : ٢٥ ) .

كما رزق منها بابنة حسناء تبذ شقيقها جلالاً وفتنة، أسماها تامار . وكان له ابن من زوجة أخرى اسمه أمنون . وجعل أمنون يطيل النظر إلى أخته مأخوذاً ببهاؤها فاشتهاها وود أن يقضي

---

(٩٨) فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً... فلما استيقظ نوح من خره وعلم ما فعل به ابنه الصغير، فقال ملعون كنعان . عبد العبيد يكون لإخوته . تكوين ٩ : ٢٢ - ٢٥

(٩٩) وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحنثيات . من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء أهنتهم . فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة . وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري فأمالت نساؤه قلبه... حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموابيين على الجبل الذي تجاه أورشليم ولمولك رجس بني عمون... فقال الرب لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فإني أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك . إلا أني لا أفعل ذلك في أيامك من أجل داود أبيك بل من يد ابنتك أمزقها ١ ملوك ١١ : ١٢ - ١١

(١٠٠) أحبه الرب لأنه بنى له (أي للكهنة) بيتاً . وبميلاد سليمان أصبحت بتثبغ جدة ليسوع المسيح .

منها وطرا، ولكن ذهنه الكليل لم يساعفه بخطه تنيله مآربه فأسقمته الحيرة واشتد به التردد، فرسم له أحد أصدقائه خطة مآكرة يتحيل بها.

« فقال يوناداب اضطجع على سريرك وتمارض. واذا جاء أبوك ليرآك فقل له دع ثامار أختي فتآتي وتطعمني خبزآ وتعمل أمامي الطعام لأرى فأكل من يدها» (٢ صموئيل ١٣: ٣ - ٥). ذلك هو ما أشار به ابن العم الموفور الحكمة، وهو نموذج لما تتحلى به الأسرة كلها من مكارم الأخلاق. وقد اتبع ابن الملك هذه النصيحة الحصيفة فأوبقته.

من الناس من يبذل حياته في حآية أخته، ومنهم من يرعوى عن التغيرير بإخوات غيره حين يتذكر أن له أختآ لا يرضى لها يفرر بها ولكن ابن داود جاء على غرار أبيه، متى احتدمت الشهوة بين جوانحه تخطى إلى اشباعها جميع العراقيل ضاربآ بجميع الحوائل عرض الحائط ولم يكن لشيء عنده حرمة لا تنتهك.

« وقال أمنون أخرجوا كل إنسان عني. فخرج كل إنسان عنه. ثم قال أمنون لثامار إيتي بالطعام إلى المخدع فأكل من يدك. فأخذت ثامار الكعك الذي عملته وأتت به أمنون أخوها إلى المخدع. وقدمت له ليأكل فأمسكها وقال لها تعآلي اضطجعي معي يا أختي. فقالت له لا يا أخي لا تذلي لأنه لا يفعل هكذا في إسرائيل لا تعمل هذه القباحة. أما أنا فأين أذهب بعاري، وأما أنت فتكون كواحد من السفهاء في إسرائيل. والآن كلم الملك لأنه لا يميني منك (١٠١) فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها (١٠٢)» (٢ صموئيل ١٣: ٩ - ١٤). لقد أنكر حرمة الأخوة وسلك مع أخته - بمرآى من خادمه - مسلكآ ما كان يستطيع أن يسلك شرا منه. وقد فقدت هي أخاها حين جعل من نفسه عشيقآ لها ترق في حضنه، ثم ما لبثت ان رزئت بفقد العشيق أيضاً، فإنه ما كآد ينال منها غآيته حتى برم بها ومجتها نفسه.

---

(١٠١) كان يهوه فيما مضى يميز أن يتزوج الأخ أخته التي ليست بشقيقته. وقد تزوج إبراهيم أخته (أو - إن شئت - نصف أخته) سارة.

« وبالحقيقة أيضاً هي أختي ابنة أبي. غير أنها ليست ابنة امي. فصارت لي زوجة». تكوين ٢٠: ١٢  
ولكن موسى حظر مثل هذه الزوجية في بيان مفصل لا يمتثل لبسآ.  
« عورة أختك بنت أبيك المولودة في البيت أو المولودة خارجآ لا تكشف عورتها... عورة بنت أمرك المولودة من أبيك لا تكشف عورتها. إنها أختك.. كل من عمل شيئآ من جميع هذه الرجسات تقطع الأنفس التي تعملها من شعبها» لاويون ١٨: ٩ - ٢٩.

ثم أعاد ذلك مؤكداً ومشدداً في العقوبة.  
« وإذا أخذ رجل أخته بنت أبيه أو بنت أمه ورآى عورتها ورآت هي عورته فذلك عار. يقطعان أمام أعين بني شعبها. قد كشف عورة أخته، يحمل ذنبه». لاويون ٢٠: ١٧  
(١٠٢) الترجمة الصآبة هي: وبما أنه كان أقوى منها فقد قهرها واضطجع معها.

« ثم أبغضها أمنون بغضة شديدة جداً حتى إن البغضة التي أبغضها إياها كانت أشد من المحبة التي أحبها إياها. وقال لها أمنون قومي انطلقيني. فقالت له لا سبب. هذا الشر بطردك إياي هو أعظم من الآخر. الذي عملته بي. فلم يشأ أن يسمع لها بل دعا غلامه الذي كان يخدمه وقال له أطرده هذه (١٠٣) عني خارجاً وأقفل الباب وراءها. وكان عليها ثوب ملون لأن بنات الملك العذارى كن يلبسن جعبات مثل هذه. فأخرجها خادمه إلى الخارج وأقفل الباب وراءها. فجعلت تامار رماداً على رأسها ومزقت الثوب الملون الذي عليها ووضعت يدها على رأسها وكانت تذهب صارخة. فقال لها أبشالوم أخوها. هل كان أمنون أخوك معك. فالآن يا أختي أسكتي. أخوك هو. لا تضعي قلبك على هذا الأمر. فأقامت تامار مستوحشة في بيت أبشالوم أخيه. ولما سمع الملك داود بجميع هذه الأمور اغتاض جداً. ولم يكلم أبشالوم أمنون. بشر ولا بخير لأن أبشالوم أبغض أمنون من أجل أنه أذل تامار أخته. » (٢ صموئيل ١٣ : ١٥ - ٢٢).

وأنصرت بعد هذه الفضيحة المدوية سنتان نسي الواتر فيها جريمته ولكن الموتور لم ينسى ثاره. ودعا أبشالوم لفيثاً من إخوته وأقربائه إلى مأدبة أقامها لهم في إحدى ضياعه، وذهب إليه أمنون فيمن ذهب، غير متعظ بما أصاب آل شكيم (١٠٤) من أجداده بني إسرائيل (١٠٥)، فوثب عليه غلمان أخيه وفتكوا به.

« فقام جميع بني الملك وركبوا كل واحد على بغلة وهربوا... ورفعوا أصواتهم وبكوا وكذلك بكى الملك وعبده بكاء عظيماً جداً. فهرب أبشالوم وذهب إلى تلماي بن عميهود ملك

---

(١٠٣) الترجمة الصحيحة لهذه الجملة هي: والآن هلم نح (أومط) عني هذه المرأة.

(١٠٤) هي الرقعة التي فيها الآن مدينة نابلس.

(١٠٥) كان يعقوب (إسرائيل) قد قدم من فدان أرام وحط رحاله أمام مدينة شكيم في أرض كنعان وابتاع حقلاً هناك. وشاهد شكيم بن حور الحوى رئيس الأرض دينة ابنة يعقوب من لينة فأحبها ونال منها بغيته، ثم ذهب أبوه إلى يعقوب يخطبها له، فوافق يعقوب وبنوه على أن يزفوها إلى الغلام بشرط أن يحتتن هو وأهل البلدة جميعاً.

« ولم يتأخر الغلام أن يفعل الأمر لأنه كان مسروراً بابنة يعقوب. » تكوين ٣٤ : ١٩

واختن أهل المدينة كذلك وصفت قلوبهم من ناحية بني إسرائيل الذين حلوا بساحتهم، وطابت نفوسهم أن يندمج القوم فيهم.

« فحدث في اليوم الثالث... أن ابني يعقوب شمعون ولاوي أخوي دينة أخذ كل واحد سيفه وأتيا على المدينة بأمن وقتلا كل ذكر. وقتلا حور وشكيم ابنة بجد السيف. وأخذوا دينة من بيت شكيم وخرجوا. ثم أتى بنو يعقوب على القتل ونهبوا المدينة لأنهم نجسوا أخوتهم. غنمهم وبقرةم وحيرهم وكل ما في المدينة وما في الحقل أخذه، وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونسائهم وكل ما في البيوت. » تكوين ٣٤ : ٢٥ - ٢٩

● ثم ذهب إسرائيل وبنو إسرائيل بغيرتهم إلى بيت إيل وأقاموا بها مذبحاً لله.

جشور . وناح داود على أبنه الأيام كلها . وهرب أبشالوم وذهب إلى جشور وكان هناك ثلاث سنين .» ( ٢ صموئيل ١٣ : ٢٩ - ٣٨ ) .

ولما سكت الغضب عن داود تشفع يوبآب إليه في أبشالوم ، فعفا عنه الملك وفسح له في القدوم إلى حاضرة الملك ، بيد أنه أبقى أن يستقبله طوال سنتين ، وشق ذلك على أبشالوم وداخلته الريبة بيوبآب وهمس في صدره أنه هو الذي يحول بينه وبين وجه أبيه ، فأمر بعض عبداً أن يحرقوا حقل شعير ليوبآب .

وفصل أبشالوم إلى حبرون وأوطن بها وجعل يتألف الناس هناك ويؤلبهم على أبيه ، فائتلفوا حوله ومالئوه عليه ، ولا غرو في ذلك فقد كان أبشالوم جميلاً مفرط الجمال يزدان رأسه بشعر غزير مرسل يزن ستة أرتال ونصف رطل .

« ولم يكن في كل إسرائيل رجل جميل ممدوح جداً كأبشالوم ومن باطن قدمه حتى هامته لم يكن فيه عيب . وعند حلقه رأسه إذ كان يحلقه في آخر كل سنة لأنه كان يثقل عليه فيحلقه كان يزن شعر رأسه مثني شاقل بوزن الملك » ( ٢ صموئيل ١٤ : ٢٥ - ٢٦ ) .

لقد كان الجمال سبيل شاول إلى العرش وكان من وسائل داود إلى انتزاع صولجان الملك من يد شاول . وقد بذها أبشالوم في مضمار الجمال فهفت إليه أفئدة القوم ولم يتوانوا عن مبايعته على الملك مكان أبيه .

وتناهت أخبار الفتنة إلى مسيح الرب وعرف أنه لا قبل له بالمتذمرين منه والمتمردين عليه ، وسرى الرعب في أوصاله عندما تذكر ما كان يمارسه هو من أعمال القساوة والضراوة وما يأتيه من ضروب التنكيل بالمهزومين من خصومه وأعدائه ، وعلم أن ابنه ناهج نهجه ولن يكون أعف منه ، فأيقن ان السلامة في الهرب .

« فقال داود لجميع عبيده الذين معه في أورشليم قوموا بنا نهرب لأنه ليس لنا نجاة من وجه أبشالوم . أسرعوا للذهاب لئلا يبادر ويدركنا وينزل بنا الشر ويضرب المدينة بحد السيف » ( ٢ صموئيل ١٤ : ١٤ ) .

« وأما داود فصعد في مصعد جبل الزيتون . كان يصعد باكياً ورأسه مغطى ويمشي حافياً وجميع الشعب الذين معه غطوا كل واحد رأسه وكانوا يصعدون وهم يبكون . » ( ٢ صموئيل ١٥ : ٣٠ ) .

وهم صادوق وأبياتا الكاهنان وحوشاي الأركي بالانضمام إلى ركبته لولا أنه أوعز إليهم أن يعودوا إلى جوار أبشالوم ليفسدوا عليه رأيه ويبطلوا مشورة أصحابه .

ونصح أختوفل لأبشالوم أن يصطنع الخزم ويبدى قوة العزم ويسلك مسلكاً يقنع

الخائفين والمتردددين بأنه قد أحرق سفنه وراءه وقطع كل صلة له بأبيه، واختار له أختيئوفل أن يدخل على سراري أبيه ويستبيحهن لنفسه في وضح النهار.

« فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح ودخل أبشالوم إلى سراري أبيه أمام جميع إسرائيل<sup>(١٠٦)</sup>. (٢ صموئيل ١٦ : ٢٢).

ونصح أختيئوفل لأبشالوم أن يرسل في إثر أبيه جيشاً يساوره<sup>(١٠٧)</sup> وهو متعب وينحي عليه بضربه قاصمة وبرد من تحت إمرته إلى أبشالوم، فانبرى حوشاي الأركي يسفه هذا الرأي وفتن أبشالوم عنه وزين له أن يرجيء مطاردة أبيه حتى يؤلب هو حوله كل من يستطيع تأليبهم ثم يشد عليه شدة صادقة لا يستطيع لها دفاعاً، وأخذ الملك وحاشيته برأي حوشاي الأركي.

« فإن الرب أمر بإبطال مشورة أختيئوفل الصالحة لكي ينزل الرب الشر بأبشالوم ». (٢ صموئيل ١٧ : ١٤).

وأرسل حوشاي إلى داود من يعلمه بما كان وينذره بما سيكون.

« فقام داود وجميع الشعب الذي معه وعبروا الأردن وعند ضوء الصباح لم يبق أحد لم يعبر الأردن. وأما أختيئوفل فلما رأى أن مشورته لم يعمل بها شد على الحمار وقام وانطلق إلى بيته إلى مدينه وأوصى لبيته وخنق نفسه ومات ودفن في قبر أبيه » (٢ صموئيل ١٧ : ٢٢ - ٢٣).

وأحصى داود أتباعه تاهباً للموقعة الفاصلة، وشبت الحرب بين الجمعين في وعر إفرام.

« فانكسر هناك شعب إسرائيل أمام عبيد داود وكانت هناك مقتلة عظيمة في ذلك اليوم. قتل عشرون ألفاً ». (٢ صموئيل ١٨ : ٧).

وركن أبشالوم إلى الفرار على ظهر بغل، فأقحمه البغل بين أغصان شجرة فينانة فنشبت الأغصان في شعره الأثيث<sup>(١٠٨)</sup> ولم يكن معه من يقص شعره.

« وعلق بين السماء والأرض والبغل الذي تحت مر ». (٢ صموئيل ١٨ : ٩).

وتناهى خبره إلى يوباب، وكان داود قد أوصاه أن يرفق بولده، وهو الذي عقه وأثار الفتنة بين الشعب، ولكن يوباب لم يحفل بهذه الوصية.

---

(١٠٦) وقد جنى عليهن بذلك جناية كبيرة، فقد باعهن داود عند رجوعه إلى أورشليم وحبسهن حتى المات.

« وأخذ الملك النساء والسراي العشر اللواتي تركهن لحفظ البيت وجعلهن تحت حجز وكان يعملن ولكن لم يدخل إليهن بل كن محبوسات إلى يوم موتهن في عيشة العزوبة ». ٢ صموئيل ٢٠ : ٣

(١٠٧) ساوره: أخذ برأسه و- وانبه. ساورتي المهموم. وثبت على.

(١٠٨) أث النبات: كثر والتف، ومنه نبت أثيث وشعر أثيث أي كثير عظيم. ومنه قول امرئ القيس.

وفرع يغشى المتن أسود فاحم أثيث كقنور النخلة المتعكل

أي: أن شعرها طويل يغطي ظهرها غزير كمدق النخلة الكثير الشاربخ.

« فأخذ ثلاثة سهام بيده ونشبهها في قلب أبشالوم وهو بعد حي في قلب البطمة. وأحاط به عشرة غلمان حاملو سلاح يوأب وضربوا أبشالوم وأماتوه. » ( ٢ صموئيل ١٨ : ١٤ ).  
وعدا بعض المنافقين إلى داود يتنافسون في تبشيره بمهلك عدوه، ولكن الرجل تلقى الخبر كما يتلقاه أب لا كما يتلقاه قائد جيش.

« فانزعج الملك وصعد إلى عليّة الباب وكان يبكي ويقول هكذا وهو يتمشى يا أبنّي أبشالوم يا أبنّي يا أبنّي أبشالوم يا ليتني مت عوضاً عنك يا أبشالوم ابني يا أبنّي. »  
( ٢ صموئيل ١٨ : ٣٣ ).

« وستر الملك وجهه وصرخ الملك بصوت عظيم يا أبنّي أبشالوم يا أبنّي يا أبنّي. »  
( ٢ صموئيل ١٩ : ٤ ).

وبما أن الناس على دين ملوكهم فقد بدأ الشعب أيضاً يندب ذلك المفتون، وقد احق ذلك يوأب الذي اردى أبشالوم بسهامه فانطلق إلى الملك منكرأ عليه مسلكه.

« فدخل يوأب إلى الملك إلى البيت وقال قد أخزيت اليوم وجوه جميع عبيدك منقذي نفسك اليوم وأنفس بنيك وبناتك وأنفس نساءك وأنفس سراريك بمحبتك لمبغضيك وبغضك لمحبيك لأنك أظهرت اليوم أنه ليس لك رؤساء ولا عبيد لأنني علمت اليوم أنه لو كان أبشالوم حياً وكلنا اليوم موتى لحسن حينئذ الأمر في عينيك. » ( ٢ صموئيل ١٩ : ٥ - ٦ ).

وبعث داود إلى أولئك الذين كانوا قد التفوا حول ابنه وجعل يتألفهم ووعد قائدهم عما سأ أن يؤمره على الجيش بدلا من يوأب، وعفا عن شمعي بن جيرا، وهو من ذوي قرابة شاول، وكان قد سبه وشمت به لما رآه مقصي عن الملك، بيد أن يوأب لم يمهله طويلا بل قضى عليه غيلة.

« فقال يوأب لعماسا أسلم أنت يا أخي. وأمسكت يد يوأب اليمنى بلحية عماسا ليقبله. وأما عماسا فلم يحترز من السيف الذي بيد يوأب فضره به في بطنه فدلق أمعاه إلى الأرض ولم يش عليه فمات » ( ٢ صموئيل ٢٠ : ٩ - ١٠ ).

وكانت قبة يوأب هذه نموذجا سابقا لقبلة يهوذا الإسخربوطي الذي خنق نفسه كمثل ما فعل أخيتوفل.

وأرث رجل من سبط بنيامين يدعى شع بن بكرى فتنة نعر فيها رجال إسرائيل وتخلف عنها رجال يهوذا، وامتنع مثير الفتنة ببلدة تدعى آبل (أي هابيل) فأطاح أهلها برأسه.

★

وقد أعقبت هذه الحروب والفتن والمؤامرات والمغامرات فوضى شاملة واستغلظت في

البلاد مجاعة عاتية تلاها وباء فاتك، فأما المجاعة، فقد دامت ثلاث سنوات، وعللها رجال الدين، كدأهم، بأنها عقاب من الله لشعبه على إثم سلف من بعض افراده، ووضع داود النقط على الحروف فزعم أنه استعلم ربه ذلك الإثم ما هو؟ فأعلمه أنه مقتل شاول لجبعونيين.

« وكان جوع في أيام داود ثلاث سنين سنة بعد سنة فطلب داود وجه الرب. فقال الرب هو لأجل شاول ولأجل بيت الدماء لأنه قتل الجبعونيين. فدعا الملك الجبعونيين وقال لهم. والجبعونيين ليسوا من بني إسرائيل بل من بقايا الأموريين وقد حلف لهم بنو إسرائيل وطلب شاول أن يقتلهم لأجل غيرته على بني إسرائيل ويهوذا. وقال داود للجبعونيين ماذا أفعل لكم وبماذا أكفر فتباركوا نصيب الرب... فقالوا للملك الرجل الذي أفنانا والذي تأمر علينا لبيدنا لكي لا نقيم في كل تخوم إسرائيل. فلنعت سبعة رجال من بنيه فنصلبهم للرب في جعبة شاول مختار الرب. فقال الملك أنا أعطى». (٢ صموئيل ٢١: ١ - ٦).

لقد أصطلم شاول أولئك القوم استرضاء للكهنة، وعد موطنوه في ذلك الحين تلك المجزرة مآثره من مآثره ثم غيرت الرياح اتجاهها فأصبحت تلك الغيرة الدينية التي أبداهها شاول سببا في غضب الرب على بني إسرائيل جميعاً، وقد احتج داود بهذه الحادثة القديمة لاستئصال أبناء شاول حتى فلا يدع منهم منافساً لذريته ولم يتورع عن قتلهم بالحبال.

« فأخذ الملك ابني رصفة ابنة أية اللذين ولدتها لشاول أرموني ومفبوشت وبنى ميكال<sup>(١٠٩)</sup> ابنة شاول الخمسة الذين ولدتهم لعديريثيل ابن برزلاي المحولى، وسلمهم إلى يد الجبعونيين فصلبهم على الجبال أمام الرب فسقط السبعة معاً وقتلوا في أيام الحصاد في أولها في ابتداء حصاد الشعير». (٢ صموئيل ٢١: ٨ - ٩).

وأما الوباء فقد لبث ثلاثة أيام اجتاح فيها سبعين ألف رجل، ودع عنك النساء فلا وزن لهن.

« فجعل الرب وبأ في إسرائيل من الصباح إلى الميعاد فمات من الشعب من دان إلى بئر سبع سبعون<sup>(١١٠)</sup> ألف رجل». (٢ صموئيل ٢٤: ١٥).

وقد تفتشى الوباء وبالقوم عقب إحصاء عام أجراه داود في البلاد، ولم يكن الشيطان هو الذي زين لداود إجراء هذا الإحصاء، فليس للشيطان مكان في ديانة اليهود، ولكنه كان يهوه نفسه.

---

(١٠٩) ورد هنا اسم ميكال خطأ بدلا من اسم مرب أختها الكبرى، التي تزوجها عدريثيل المحولى بعد أن عدل والدها شاول عن أن يزفها إلى داود. أما ميكال فقد هجرها داود في المضجع ليدعها تموت بلا عقب كما ذكرنا.

(١١٠) عدد ٧ ومضاعفاتها من الأعداد المحبوبة التي يتكرر ورودها في الكتاب المقدس.

« وعاد فحمى غضب الرب على إسرائيل فأهاج عليهم داود قائلاً امض واحص إسرائيل ويهوذا ». ( ٢ صموئيل ٢٤ : ١ ) .

وقد أنفذ داود مشيئة الرب ثم استبان له أنه أتى أمراً إدا .

« وضرب داود قلبه بعدما عد الشعب . فقال داود للرب لقد أخطأت جداً في ما فعلت

والآن يا رب أزل إثم عبدك لأني انحمت جداً » . ( ٢ صموئيل ٢٤ : ١٠ ) .

وما هو وجه الخطأ في إجراء الإحصاء ؟

وجه الخطأ هو أن في ذلك انتهاكاً للتابو الذي يحظر على اليهودي أن يعد ما عنده من

أناس أو حيوان لأن عددها يعرضها للاشتهاء المذكور في الوصية العاشرة أي للحسد . والحسد مرتعه وخيم .

★

ولم يزل داود يسير هذه السيرة حتى بلغ أرذل العمر فوهن عظمه ووهت قواه وأمسى

يحمس برودة في أطرافه ، ولم تغن عنه وفرة الأغطية شيئاً .

« وشاخ الملك داود . تقدم في الأيام . وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ . فقال له عبيده

ليفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء فلتقف أمام الملك ولتكن له حاضنة ولتضطجع في حضنك

فيدفأ سيدنا الملك <sup>(١١١)</sup> . ( ١ ملوك ١ : ١ - ٢ ) .

لقد فقد نساؤه وسراريه ما كان لهن عنده من فتنة وجاذبية فازدهدن وأمسى ينشد

خريدة <sup>(١١٢)</sup> غضة الإهاب <sup>(١١٣)</sup> تذكى في جوانحه <sup>(١١٤)</sup> . ما خبا من طاقة لعله يقوى على

الافتراع مرة أخيرة قبل أن يوارى في رمسه . وقد أرسل بعثة تجوس خلال المملكة تستعرض

عذارها استعراض الإماء لنتخب من بينهن (دينامو) التدفئة . ولسنا نعلم كيف وقفت بنات

إسرائيل في هذه البعثة ؟ هل تكالبن عليها أم صدون عنها ؟

« ففتشوا على فتاة جميلة في جميع تخوم إسرائيل فوجدوا أبيض الشونمية فجاءوا بها إلى

الملك . وكانت الفتاة جميلة جداً فكانت حاضنة الملك وكادت تخدمه ولكن الملك لم

يعرفها <sup>(١١٥)</sup> . ( ١ ملوك ١ : ٣ - ٤ ) .

(١١١) ويتندر العامة في مثل هذه الحالة بالمثل : التدفئة باللحم لا بالفحم .

(١١٢) الخريدة : اللؤلؤة لم تنقب . وكل عذراء خريدة .

(١١٣) الإهاب الجلد أو ما لم يدبغ منه ، يقال : وكاد يخرج من إهابه في عدوه .

(١١٤) الجوانح : الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر كالضلع مما يلي الظهر .

(١١٥) يعني أنه لم يضاجمها .



لقد كانت تحضنه وتجرب معه شتى أساليب الإثارة الجنسية وتحاول ان تنفث فيه من حرارة شبابها ما يذهب ببرودة ريح الموت التي بدأت تهب عليه ولما قعد المرض بداود عن تدبير شؤون مملكته الصغيرة نشط القادة والكهنة في حيك الدسائس، فأنحاز يوأب القائد وأبياتار الكاهن إلى أدونيا، ودلف ناثان النبي إلى بتشع يغيريها بأن تستخدم ما لها من دالة على داود في حمله على أن يستخلف ابنها سليمان حارماً أدونيا حقه الشرعي في وراثة التاج. ولم يخيب الملك طلبة آثر نسائه عنده.

« فنزل صادوق الكاهن <sup>(١١٦)</sup> وناثان النبي وبنايا هو بن يهوياذاع والجلادون والسعاة وأركبوا سليمان على بغلة الملك داود وذهبوا به إلى جيحون. فأخذ صادوق الكاهن قرن الدهن من الخيمة ومسح سليمان وضربوا بالبوق وقال جميع الشعب ليحيي الملك سليمان. »  
(١ ملوك ١ : ٣٨ - ٣٩).

ولما تناهي الخبر إلى أدونيا ملكه الرعب وانفض من حوله من كانوا يتوقعون له أن يحل محل أبيه.

ولما حضر الموت داود نادى سليمان وأوصاه بأن يقسو على أعدائه ولا يرحم منهم أحداً، وأمره بأن يقتل قائده المظفر يوأب، ويوأب هو - فيما علمنا.

١ - الذي فتك بأبشالوم الابن العاق لداود.

٢ - الذي أنفذ أمر داود بقتل أوريا الحثي الزوج الأول لامرأته بتشع.

٣ - الذي صرع أبنير عندما ذهب إلى حبرون ليتمكن داود من ملكه إيشبوست بن

شاول.

٤ - الذي صرع عماساً القائد السابق لجيش أبشالوم، وكان داود قد مناه بأن يعقد له

لواء الجيش بدلا من يوأب.

٥ - الذي أيد أدونيا على سليمان عندما تنازعا تاج الملك.

وأمر داود سليمان بأن يقتل كذلك شمعى وكان قد أظهر الشهامة بداود يوم فر هارباً من وجه ابنة أبشالوم ثم أعطى له داود موثقاً ألا ينتقم منه على ذلك، وهو ميثاق يقيدته دون ولده سليمان.

« وهو لعني لعنة شديدة.. فحلفت له بالرب قائلاً إني لا أمينك بالسيف. والآن فلا تبرره لأنك أنت رجل حكيم فأعلم ما تفعل به واحذر شيبته بالدم إلى الهاوية. واضطجع داود

❶ (١١٦) واليه ينسب حزب الصدوقيين الذي ظل يغم ذريته حتى عهد المسيح.

مع آباؤه ودفن في مدينة داود... وجلس سليمان على كرسي داود أبيه وتثبت ملكه جداً». (١ ملوك ٢: ٨ - ١٢).

وهكذا دان الملك بالسيف لسليمان.

وذهب أدونيا الأحق بوارثة العرش، إلى بتشبع أم سليمان يستشفع بها عند أخيه الملك في أن يأذن له في تزوج أبيشع الشونمية، وكان الموت رد سؤاله.

« فأرسل الملك سليمان بيد بنيياهو بن يهوئاداع فبطش به فمات ». (١ ملوك ٢: ٢٥).

وعلم يوأب أنه قد حان حينه فتحرم بخيمة الرب.

« فهرب يوأب إلى خيمة الرب وتمسك بقرون المذبح ». (١ صموئيل ٢: ٢٨).

ولكن ذلك لم يغن عنه شيئاً فقد أمر سليمان بإنتهاك حرمة الخيمة وسفك دمه.

« فصعد بنيياهو بن يهوئاداع وبطش به وقتله فدفن في بيته في البرية. وجعل الملك

بنيياهو بن يهوئاداع مكانه على الجيش وجعل الملك صادوق الكاهن مكان أياثار ».

(١ ملوك ٢: ٣٤ - ٣٥).

ونفى شمعى إلى اورشليم وحظر عليه أن ييرحها، فلما مضت له فيها ثلاث سنوات

أبق<sup>(١١٧)</sup> عبدان من عبيده إلى جت فانطلق وراءهما وأتى بهما، وبذلك وقع المحذور كان قد خلف أمر الملك بنفيه.

« وأمر الملك بنيياهو بن يهوئاداع فخرج وبطش به فمات. وتثبت الملك بيد سليمان ».

(١ ملوك ٢: ٤٦).

وموجز القول أن داود.

١ - عاش فترة من حياته يقطع الطرق على السابلة ويفرض الأتاوى على الأهلين ليكيف

عنهم أذاه.

٢ - وكان رجلاً مزواجاً تعددت زوجاته وسراريه، ولم يكن يتعفف عن إغواء النساء

واغتصابهن، وإذ حملت منه إحداهن لم يتأثم أن يقتل زوجها.

٣ - وكان من أظهر صفاته أنه كذاب مخادع لا يتحرج عن الحنث في أيمانه.

(١ ملوك ٢: ٨ - ٩).

٤ - وقد دأب بكيد للميكة النبي (شاول) ولم يزل يطارده حتى لقي الملك الشهيد منيته،

فلم يكتف بذلك بل أهلك أبناءه أيضاً.

(١١٧) أبق: هرب من سيده، ومنه في رقايم الرباق ومن شأنهم الإباق.

٥ - وحرّم ابنه الأكبر ولاية العهد وجعل وراثته التاج لابنه من المرأة التي اختطفها والتي عرفت كيف تحتفظ بمحظوتها عنده.

٦٠ - وقد أغضى الطرف عن الكهنة وتركهم يدعمون صروح الضلال في البلاد.

٧ - وقد طالما أغار على البلاد المتاخمة يعمل فيها يد السلب والنهب، وذيق الذين سقطوا بين براثنه من بني الإنسان والحيوان ألواناً همجية من العذاب فقد قتل الأسرى بالنوارج والمناشير وعرقب الخيل وأباد سائر أهل البلاد المهزومة رجالاً ونساء وأطفالاً مصطنعاً في ذلك أساليب مقبوحة مستبشعة.

أما ابنه سليمان فهو، كما رأينا، قد.

١ - ارتقى سرير الملك بانقلاب جرى في القصر.

٢ - ووطد ملكه بالإسراف في القتل.

٣ - وسار سيرة غيره من طغاة الشرق<sup>(١١٨)</sup>، واستخدم السخرة<sup>(١١٩)</sup>. في بناء قصره وهيكله.

٤ - ولم تكن مملكته مستقلة استقلالاً تاماً، ومع أنه لم يوسع رقعتها فهو في حساب اليهود ملك عظيم رفع من شأنهم في نظر جيرانهم.

٥ - ومن الطبيعي في شعب تحكمه طائفة ذات بال من رجال الكهنوت أن تشب منزلة ذلك الذي بنى أول هيكل لتمجيد يهوه فازداد بفضله دخل الكهنة، ومن الطبيعي كذلك أن يتقاضى المؤرخون من رجال الكهنوت عن التسميع بما أتى من شوائب الأعمال، وأن يراكموا حول اسمه - على نقيض ذلك - كل ما وسعته جمعيتهم من قصص الحكمة ودقة الفهم وقوة السطوة واتساع السلطان.

« وأعطى الله سليمان حكمة وفهماً كثيراً جداً... وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بني المشرق وكل حكمة مصر... وتكلم بثلاثة آلاف مثل وكانت نشأته ألفاً وخمساً. وتكلم عن الأشجار... وتكلم عن البهائم وعن الطير وعن الدبيب وعن السمك. وكانوا يأتون من جميع

---

(١١٨) وما يدل على ذلك أن شيوخ إسرائيل مضوا إلى رحبعام بن سليمان الذي خلف أباه على عرش إسرائيل (دون يهوذا).

« وكلموا رحبعام قائلين. إن أباك قسى نيرنا فالآن خفف من عبودية أبيك القاسية ومن نيره الثقيل الذي جعله علينا فنخدمك » أخبار ٢: ١٠ - ٤.

وقد رد عليهم الملك الجديد في غلظة.

« قائلًا. أبي نقل نيركم وأنا أزيد عليه. أبي أدبكم بالسياط وأما أنا فبالعقارب » أخبار ١٠: ١٤.

(١١٩) السخرة: من يتسخره من قهره و- ما سخرت من خادم ودابة بلا أجر ولا ثمن.

الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته».

(١ ملوك ٤ : ٢٩ - ٣٤).

ولقد فهم بعضهم من الآيات الأخيرة انه كان يفهم حديث الشجر ويعلم منطق الحيوان، فسمت مكانته في الشرق وكثر ورود اسمه في قصص ألف ليلة وليلة وما على شكالتها على أن له قوة سحرية تيسر المستحيلات.

٦ - وقد اشتهر بالحكمة والرشاد وبلغ الذروة منها في قصة المرأتين الزانبتين اللتين اختصمتا في طفل كل منهما تزعم أنها له أم.

« فقال الملك ايتوني بسيف فأتوا بسيف إلى بين يدي الملك. فقال الملك اضطروا الولد الحي أثنين وأعطوا نصفاً للواحدة ونصفاً للأخرى فتكلمت المرأة التي ابنها الحي إلى الملك. لأن أحشاءها اضطرمت على ابنها وقالت إستمع يا سيدي. أعطوها الولد الحي ولا تميتوه. وأما تلك فقالت لا يكون لي ولا لك اضطروه. فأجاب الملك وقال اعطوها الولد الحي ولا تميتوه فإنها أمه. ولما سمع جميع إسرائيل بالحكم الذي حكم به الملك خافوا الملك لأنهم رأوا حكمة الله فيه لإجراء الحكم». (١ ملوك ٣ : ١٦ - ٢٨).

ولهذه القصة نظير في سيرة بوذا<sup>(١٢٠)</sup> أرق وأرقى من القصة العبرية مفادها أن بوذا أمر المائتين بين يديه أن يرسموا على الثوب خطأ وأن يرقدوا فوقه الطفل وطلب إلى المرأتين المختصمتين أن تقف كل منهما في أحد جانبي الخط وتنزع إليها الطفل من إحدى ذراعيه وإحدى ساقيه فمن انتزعته من الأخرى كان لها. فبادرت تلك التي هي أمه حقاً تعلن نزولها عن حقها في الطفل درءاً له للأذى عنه وحياطة له من المكروه. وعندئذ التفت بوذا إلى من يحفون من حوله يسألهم أي قلوب الناس أحنى على الأطفال وأرفق بهم؟ فأجابوه: إنها قلوب الأمهات أيها البانددت، فأنتى يسألهم فأى الاثنتين هي أم الطفل يا ترى؟ فأجابوه هي هذه التي طابت نفسها بأن تتخلى عنه وقاية له من الأذى فأسلموه إليها وقد ذكروا فيما ذكروا من أخبار سليمان وتدابيراته الحكيمة أن ملكة سبأ تآقت إلى أن تخبر بنفسها حقيقة ما تناهى إليها من ذلك، فشخصت إليه وانبرت تطارحه القول في أشتات الموضوعات فإذا هي ترى من حكمته فوق ما كانت قد سمعت عنه فأقرت بصحة ما كان بلغها من أمره.

« فقالت للملك صحيحاً كان الخبر الذي سمعته في أرضي عن أمورك وعن حكمتك».

(١ ملوك ١٠ : ٦).

(١٢٠) وقد صلب في الهند نحو سنة ٦٠٠ ق م، فهو لاحق في الزمن على سليمان ولكنه سابق لسفر الملوك.

الذي سرد لنا هذه القصة.

وأهدت إليه هدية ثمينة من الذهب والأحجار الكريمة وخشب الصندل والأطياب وما إلى ذلك .

ولهذه القصة مثيل في الأقاليم الشعبية الذائعة في جزائر سلين (باندونيسيا) .  
٦ - بيد أن المتأخرين قليلا من الكهنة لم يفتنوا بما وضع أسلافهم في سيرة سليمان من قصص البطولة والحكمة فأضافوا إلى ذلك ثلاثة أسفار عزوها إليه هي :  
(أ) نشيد الإنشاد ، ومنه .

« ما أجل رجلك بالنعلين يا بنت الكريم . فخذيك مثل الحلى صنعة يدي صناع ، سرتك كأس مدورة لا يعوزها شراب ممزوج بطنك صبرة حنطة مسيجة بالسوسن . ثدياك كخشفتين توأمى طيبة ... ما أجلك وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذات . قامتك هذه شبيهة بالنخلة وثدياك بالعناقيد قلت إني أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها . وتكون ثدياك كعناقيد الكروم ورائحة أنفك كالفتحاح وحنكك كأجود الخمر - لحبيبي السائغة المرققة السائحة على شفاه النائمين . »  
(نشيد ٧ : ١ - ٩) .

ليتك كأخ لي الراضع نديي أمني فأجدك في الخارج ولا يمزوني . وأقودك وأدخل بك بيت امي وهي تعلمني فاسقيك من الخمر المزوجة من سلاف رماني . شماله تحت رأسي ويمينه تعانقني . أحلفكن يا بنات أورشليم ألا تيقظن ولا تبهن الحبيب حتى يشاء . » (نشيد ٨ : ١ - ٤) .  
(ب) الجامعة ، وهو يبدأ هكذا :

« كلام الجامعة ابن داود الملك في أورشليم . باطل الأباطل الكل باطل . ما الفائدة للإنسان من كل تعب الذي يتعبه تحت الشمس . » (الجامعة ١ : ١ - ٣) .

وهي في الترجمة الإنجليزية :  
The words of kohleth, the son of David

هذا ، وبما أنه ليس بين أبناء داود من يعرف باسم « كوملث » فقد استبدلت الترجمة الإنجليزية بهذا الاسم كلمة Preacher أي الواعظ . وابتدع حاخامو اليهود قصة يعللون بها ورود هذا الاسم ، فزعموا أن يهوه ضاق ذات يوم ذرعاً بما داخل سليمان من غرور وخيلاء فأرسله يجوب أقطار العالم واعظاً الناس وداعياً إياهم إلى ما فيه صلاحهم . وأحل محله شيطاناً في صورته تربع فوق عرشه واستمر يحكم الشعب بدلاً منه .

(ج) الأمثال ، وهو مجموعة لا ترابط بينها من الحكم تتضمن كثيراً من أقوال رجل أقدم عهداً من الزمن الذي كتب فيه هذا السفر ، ألا وهو الحكيم أحيقار الذي كان رئيساً لمجلس وزراء أشور في عهد سنحريب وأرسله ملكه إلى مصر حيث أبدى بين يدي فرعون نضج فكره علو كعب في الحكمة .

وقد ورد ذكر أحيقار وأقواله الحكيمة في سفر طوبيث<sup>(١٢١)</sup>. هذا وقد اكتشف المنقبون في جزيرة فيلة بأسوان سنة ١٩٠٤ عشر ورقات من ورق البردي أحسن حفظها فلم تمسها يد البلى. وأغلب الظن أنها كتبت قبل المسيح بخمسة قرون لجلالية يهودية كانت تقيم هناك في عهد أحد ملوك الفرس، وجاء في بعض تلك الأوراق:

أقوال الكاتب الحكيم الحاذق المدعو أحيقار وقد لقن ابنه إياها.

وتلك موازنة بين بعض هذه الأقوال وما ورد مشابهاً لها في سفر الأمثال المعزى إلى سليمان.

أقوال أحيقار	سفر الأمثال
<p>إنك إن ضربته بالعصا لم يمت ولكنك إن تركته لهواه أصبح لصاً يساق إلى المشنقة فيموت عليها.</p> <p>أي بني: لقد حملت الحديد والحجر على كاهلي ألا إن ذلك لأهون علي من مساكنة الجهلاء والحمقى.</p> <p>أي بني: لا يأكلنك الحسد إذا ما أصاب عدوك بلهنية عيش ويسر حياة ولا يهتك ما يلزمه من محنة وضيق.</p>	<p>لا تمنع التأديب عن الولد لأنك إن ضربته بالعصا لا يموت.</p> <p>تضربه أنت بعضاً فتنتقذ نفسه من الهاوية.</p> <p>٣٣: ١٣ - ١٤</p> <p>الحجر ثقيل والرمل ثقيل وغضب الجاهل أثقل منها كليهما ٣: ٢٧</p> <p>لا تفرح بسقوط عدوك ولا يبتهج قلبك إذا عثر. ١٧: ٢٤</p>

(١٢١) وهو أحد الأسفار غير الموثوق بها، وهي تلك الأسفار العبرية المقدسة غير الموثوق بها التي كتبت بعد الانتهاء من وضع «العهد القديم» فهي ليست منه، بيد أنها ألحقت به في الترجمة السبعينية.

٣

موسى وفرعون

بين

الأسطورية والتاريخية





## توراة موسى

ليست التوراة التي بين أيدينا إلا كتاباً للدعاوة الصهيونية حَبَّره أحبار اليهود لحث قومهم على اغتصاب فلسطين من أيدي أصحابها العرب، وقد صَوَّرَ الأحبار لهم هذا الأمر على أنه فرض عليهم مقدس، إن أدوه جزاهم ربهم خيراً في دنياهم وإن تقاعسوا عن تأديته ضرب عليهم في هذه الحياة الذلَّة والمسكنة.

وفي هذه التوراة ما يدحض مزاعم القائلين بأنها كتاب منزل أوحى به الى موسى ويقطع بأنها وضعت بعد موسى بقرون، فهو يتحدث فيها بصيغة الماضي في أمور وقعت بعد مواراته في ثرى رسمه بزمن مديد وفي أشياء ليس من الطبيعي أن يعمل فيها فكره وهو تائه في صحراء سيناء. وأدل من كل أولئك على أن التوراة قد وضعت بعد موسى أن فيها وصفاً لجنازته لا يتأتى أن يكون هو كاتبه أو الموحى اليه به<sup>(١)</sup>.

---

(١) وقد فصلنا ذلك في باب «شواهد التزوير» في كتابنا «محنة التوراة على أيدي اليهود» المطبوع سنة ١٩٦٥ مطبعة الرسالة وتوزعه مكتبة الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر - القاهرة.

## بين الأسطورية والتاريخية

لم يكن أسلاف اليهود لثلاثين قرناً ونيّف خلت غير ألفاف من الرعاة ينتجعون الكلاً في الفيافي المترامية على مشارف بابل ويتخذون منها منطلقاً ينتزون<sup>(١)</sup> منه بين الفينة والفينة على البلاد المجاورة ذات الخصب والثراء فيظفرون طوراً بالغنيمة ويؤون تارة بالهزيمة.

وقد طالما كشف عبريو العهد القديم عن الحسد الذي ينتزي في صدورهم ويتلظى بين جوانحهم نحو الشعوب المتاخة التي تنعم دونهم بالظلال الوارفة والخيرات الوافرة، وأعربوا عن ظمئهم الى الولوغ في دماء الأمم الآمنة التي أباحت لهم أن يعيشوا في كنفها. وبارك «العهد القديم» مجازر أولئك السفاحين في القبائل التي تكتنفهم ووصفها بأنها: فريضة الشريعة التي أمر بها الرب موسى.

وإذا كان أولئك القوم لا ترقى همهم في غالب الأحيان الى تحقيق أمانهم في واقع الحال فقد اجتزأوا بأن يحققوها في منفسح الخيال، وما أيسر ما أفشى كتبة التوراة وسائر أسفار «العهد القديم» صنوف القتل في بلاد أعدائهم، فبدأوا بمصر وثنوا ببابل ثم انثنوا الى آرام (الشام)، ثم شدوا على فلسطين وهي بلاد كانت تنعم بوفرة الغلات وجودة المصنوعات وبأنها في وضع وسيط بين أوروبا وآسيا، فازدهرت تجارتها ومضت قوافلها وسفنها تجوب البر والبحر. وهيات لهم أوهاهمهم أنهم أبادوا العمالقة عن بكرة أبيهم، فقد أمر النبي صموئيل مليكه شاول قائلاً:

«فالآن اذهب واضرب عماليق وحرماوا<sup>(٢)</sup> كل ماله ولا تعف عنهم. بل اقتلوا رجلاً وامرأة طفلاً ورضيعاً بقراً وغنماً جلاً وحراراً<sup>(٣)</sup>. (١ صموئيل ١٥: ٣).

وأثلج صدور اليهود ما زعمه أحبارهم من أنهم وضعوا السيف في رقاب خصومهم بفارس وكان ذلك في تضاعيف قصة أسندوا بطولتها الى فتاة يهودية لعوب يقال لها إستير<sup>(٤)</sup> استطاعت

(١) انتزى على الشيء: وثب عليه، يقال انتزى على أرض فأخذها.

(٢) يستعمل «العهد القديم» كلمة «التحريم» بمعنى التقتيل دون تمييز والإبادة التامة والتحريق والتدمير الشاملين.

(٣) ومع ذلك كان العمالقة بعد ما أبيدوا بسنين ما فتثوا أحياء أقوياء، فغزوا بلدة صقلع وحرقوها وسبوا نساءها

ومن بينهن اثنتان من زوجات داود، وهو يومئذ أفاق قاطع طريق وحليف للفلسطينيين على مواطنيه الاسرائيليين.

(٤) تسمع الاسرائيليون بهذه القصة من البابليين أيام السبي (٥٨٦-٥٣٨ ق.م.) فاقبسوها وصاغوها في شكل

أن تغري الملك إكزرسيس بوزير له أسموه هامان كان معروفاً بمناوآته لليهود، فأمر به الملك أن يصلب وأبطل ما كان قد أصدر من أوامر باضطهاد اليهود، وما عم اليهود المفعمون حقداً أن انطلقوا يوقعون بأعدائهم وأسرفوا في القتل.

« وقتلوا من مبغضهم خمسة وسبعين ألفاً ». (إستير ٩: ١٦).

ويرى غير قليل من العلماء النابهن أن قصة موسى والضربات التي أهوى بها الى مصر وجيشها لا تعدو أن تكون إحدى تلك القصص التي تحرقها كتاب الأسفار اليهودية المقدسة ومضوا فيها ينكلون بخصوصهم في الخيال بعد ما عزّ عليهم التنكيل بهم بالنعال.

لقد اصطلح علماء التاريخ العبري على أن ذلك التاريخ يبدأ منذ أنشأ اليهود مملكة لهم تبوأ عرشها شاول (طالوت) نحو سنة ١٠٢٥ ق.م. وتلاه عليه سنة ١٠١٠ ق.م. خصمه اللدود داود، وقد أجمعوا على ما يروى من أحداث جرت قبل ذلك هي أمور لا يعي علم التاريخ منها شيئاً، وعلى أن قصص البطارقة الذين عاشوا بين أظهر العبرين قبل عهد الملوكية - وفي جملتها قصص نوح وابراهيم ولوط وإسحق ويعقوب ويوسف وموسى - ليست في نظرهم إلاّ أضغاثاً<sup>(٥)</sup> من أساطير الأولين.

---

عبري وجعلوا لها مضموناً منافياً لمكارم الأخلاق، ولهذا صمت النبيان الاسرائيليان عزراً ونحميا عن الإشارة إليها والى سفر إستير كله وهو سفر يتميّز بأنه لم يذكر فيه اسم الله.

وليست قصة إستير شيئاً غير قصة خيالية، ذلك أن المؤرخ الاغريقي هيرودت كان معاصراً لإكزرسيس (٥٨٦-٤٦٥ ق.م.) - وهم يسمونه في القصة أحشوروش - ودون سيرته مفصلة، وذكر فيها أن اسم الملكة هو أستريس لاوشتي. أما إستير التي تزعم القصة أنها حلّت محل وشتي زوجة للملك فلم يرد لها ذكر في تلك السيرة. ومن الواضح أنها لم يكن لها مقام في حياة الملك إلاّ أن تكون سرية من السراي، وهو ما يجتدش كبرياء اليهودية.

ويلاحظ في أسماء شخوص القصة أن اسم:

(أ) إستير: محرف عن عشتار وهي إلهة سامية قديمة للمحبة والزواج والإخصاب.

(ب) مردخاي (ابن عم إستير ورائدها في الاغراء والتاجن): محرف عن مردك كبير آله الكلدان.

(ج) هامان: اسم لاله عيلامي قدم.

أجل، هي قصة خيالية لا غير، تزئّن لفتيات اليهود أن يجتدين مثال البطلة إستير، فإذا ما حزب الأمر مثلن بين يدي حكام البلاد التي يعشن بها وأبدين لإغرائهم مفاتنهن واستخدمن لإرضائهم أنوتنهن. وهذا ما فعلته بعد ٢٤ قرناً مدام لوبسكو حظية كارول ملك رومانيا قبيل الحرب العالمية الثانية، إذ حبّدت له أن يبدّل سياسته تجاه النازيين فانقلب عليهم وخسر بذلك عرشه. وقد سبقت الى مثل ذلك غايات اليهود إبان الحرب العالمية الأولى في الشام، والوالي عليها من قبل الدولة العثمانية يرمثذ السفاح جمال باشا، الذي فتك بزعماء العرب المتادين بالاستقلال الذاتي، فكان يجب اليهود بمزايا إقتصادية كبيرة مقابل تقديمهم له، فتياتهم الجميلات.

(٥) الضفت: كل ما جمع وقبض عليه جمع الكف ونحوه، ويقال أنانا بأضغاث من أخبار: بفروب مختلطة منها

هلب ألا يكون لها حقيقة.

## استعباد المصريين لبني إسرائيل

أجل، ليست قصص أنبياء التوراة والعهد القديم إلا كُتبات في بناء واحد هو هيكل الصهيونية.

تزعم هذه القصص فيما تزعم أن الإله يهوه ضاق صدره بالذين أنكروا على نوح تنبؤه، فأغرق الكوكب الأرضي كله من أقصاه إلى أقصاه وأباد في غير رحمة من كان يعمره من بني آدم جميعاً، لم يستثن منهم غير نوح وثلاثة بنيه وزوجاتهم، بيد أن نوحاً ما إن صعد إلى البر حتى وغر صدره لسبب تافه على ابنه الصغير حام أبي كنعان.

« فقال ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لإخوته. وقال مبارك الرب إله سام. وليكن كنعان عبداً لهم. (تكوين ٦: ١٥-٣٦).

وبذلك صب زعاف لعنته على الكنعانيين أصحاب فلسطين وعلى المصريين والسودانيين... الخ، وبارك ساماً أب العبرانيين. واجتبي يهوه من سلالة سام إبراهيم فاتخذة خليلاً، ثم قفى على ذلك بأن أبدل اسم يعقوب من اسم إسرائيل<sup>(١)</sup>. وأعلن أنه قد اصطفى بني إسرائيل وفضلهم على سائر العالمين واتخذهم شعباً مختاراً له وأورثهم امبراطورية عريضة تترامى أصقاعها في ما بين النيل والفرات.

وقد أفاض سفر الخروج في تبيان كيفية خروج الاسرائيليين من مصر بقيادة موسى، وقدم سفر التكوين لذلك الخروج بقصة يحكي فيها كيف كان دخول الاسرائيليين إلى مصر بادية بدء، تلك قصة يوسف إذ حسده إخوته لما آثره أبوهم من عطف ومحبة، فبيتوا النية على التخلص منه، وأوشكوا أن يودوا بحياته ثم عدلوا عن ذلك حتى لا ينتهكوا تابوت القتل، وباعوه لقافلة ميممة مصر حيث اشتراه ضابط مصري له زوجة حسناء جعلت تراود يوسف عن نفسه وهو

(١) فقد لقي يعقوب يوماً ربه سائراً في الطريق فصارعه وكان كفواً له حتى إنه أوشك أن يظهر عليه لولا أن يهوه انتهك قواعد المصارعة وضرب يعقوب على حق فخذه. وانتهى الأمر بأن رسم يهوه ليعقوب بأن يغير اسمه فيجعله « إسرائيل » تذكراً بأنه رأى الله وجهاً لوجه وثبت في مواجهته. « فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت ». (تكوين ٣٢: ٢٨).

يتأثم ويتأتى فأحنقها ذلك عليه فرمته بدائها وانسلت فزج به في السجن فمكث فيه ١٣ عاماً .  
وعلم فرعون<sup>(٢)</sup> بمقدرة يوسف على تأويل الأحلام فاستحضره إليه واستوزره، فأرسل يوسف  
يستدعي إليه أباه إسرائيل وإخوته بني إسرائيل فلبوا الدعوة وشخصوا الى مصر هم ومن يلوذ  
بهم وكانت عدتهم ٧٠ .

« جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت الى مصر سبعون »<sup>(٣)</sup> . (تكوين ٤٦ : ٢٧) .  
وأكرمت مصر وفادتهم وأقطعهم فرعون أرض جاسان<sup>(٤)</sup> . وطاب لهم المقام بها إذ استمتعوا  
بمرعى خصيب لم يعرفوا له نظيراً في الفلاة الجذباء التي نبتوا فيها، ونعموا بالأمن ولم يكن لهم به  
عهد وسط عشيرتهم التي تقتنص أسباب المعاش من غنائم قطع الطريق على عابري السبيل  
والإغارة على العشائر المخيمة في البلاد المتاخمة، وظفروا بالعمل الهين الذي يوفر لهم كثيراً من  
أوقات الفراغ وباءوا بالأجر المجزي الذي يسني لهم اقتناء النعم .

أطعمهم المصريون من جوع وآمنوهم من خوف فتناسلوا وتكاثروا فلم يمحض على مقدمهم  
٢٠٠ سنة ونيف حتى ازداد عديدهم من ٧٠ نفساً إلى ٣,٠٠٠,٠٠٠ لديهم مثل عددهم من  
الماشية، وكان بينهم عندما فصلوا عن مصر . « نحو ست مئة ألف ماش<sup>(٥)</sup> من الرجال عدا  
الأولاد . وصعد معهم ليفيف كثير أيضاً . مع غنم وبقر . مواشي وافرة جداً » .  
(خروج ١٢ : ٣٧-٣٨) .

وأجرى بعد ذلك إحصاء لليهود الشرذ في سيناء<sup>(٦)</sup> فأسفر عن أن عدد الأبقار الذكور  
٢٧٣,٢٢٢ .

« فكان جميع الأبقار الذكور بعدد الأسماء من ابن شهر فصاعدا المعدودين منهم اثنين  
وعشرين ألفاً ومئتين وثلاثة وسبعون » . (عدد ٣ : ٤٣) .

---

(٢) لقب ملك مصر في التاريخ القديم وأصله بالمصرية (برعو) بغير نون ومعناه: الرجل الذي يعيش في البيت  
العظيم .

(٣) وفي رواية أخرى أنهم كانوا ٧٥ نفساً . « فأرسل يوسف واستدعى أباه يعقوب وجميع عشيرته خمسة وسبعين  
نفساً » . (أعمال الرسل ٧ : ١٤) .

(٤) وهي تقع شمالي بلبس كما هو واضح في مصور محمد رفعت .

(٥) وفي ترجمة أخرى محدثة أنهم كانوا ٦٠٠,٠٠٠ مقاتل .

(٦) ولم يصابوا - فع ذلك - بما أصيب به قوم داود من الأوبئة الفتاكة عندما أمر موسى باحصائهم . « فجعل  
الرب وبأ في إسرائيل من الصباح الى الميعاد فمات من الشعب من دان الى بئر سبع سبعون ألف رجل » .  
(٢ صموئيل ٢٤ : ١٥) .

ذلك أن موسى لما يكن قد فرض على قومه الضريبة التي يؤدونها للكهنة أبناء أخيه هرون تكفيراً عن إحصاء  
الحكومة لهم ، بزعم أن الإحصاء يمهد السبيل للحسد وهو ما تنهي عنه الوصية العاشرة .

فإذا ضاعفنا هذا الرقم كان عدد الأبقار من الجنسين نحو ٤٥,٠٠٠ فإذا قسمنا عدد اليهود النازحين عن مصر على عدد الأبقار من الجنسين ألفينا أن معدل ما كانت تلده المرأة الاسرائيلية يتجاوز ٦٥ وليداً. وبهذا التخصاب الذي بذت فيه نساء اليهود إناث الأرانب لم يلبث الإسرائيليون الدخلاء أن أرمي<sup>(٧)</sup> عددهم على عدد أهل البلاد الأصلاء، ومن ثم وصفهم المصريون بأنهم: «شعب أكثر وأعظم منا». (خروج ١: ٩).

ثم إنهم لتباين خصائص الشعبين وانفساح الشقة بين حضارة هؤلاء وبدواة أولئك، لم يندمجوا في المصريين ولم يصهروا إليهم، وكذلك لم ينزعوا عن عاداتهم البدائية أو يتخلوا عن تقاليدهم الهمجية، بل جعلوا يعيشون متجمعين بعضهم الى بعض كأنهم دولة داخل الدولة، وتوثقت لهم صلات بأعداء مصر المرابطين على تخومها، وكانوا يتنكرون للبلاد اذا ألمت بها ضائقة أو دهمتها غارة. «فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون الى أعدائنا ويحاربوننا». (خروج ١: ١٠).

يضاف الى ذلك أنهم كانوا يضمون بينهم لفيفاً من المدنسين بالبرص<sup>(٨)</sup>، فبعث ذلك على تقبض<sup>(٩)</sup> المصريين عنهم وشحذ رغبتهم في التخلص منهم. ودار الزمن دورته. «ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف». (خروج ١: ٨).

وقد أغفلت القصة اسم ذلك الملك الذي لم يكن يعرف يوسف كما أغفلت اسم الملك الذي كان يعرفه<sup>(١٠)</sup>. ولو أنها ذكرت أسميها لكان ذلك أبعث على تصديق القصة التي لم ينته شيء منها الى علم التاريخ<sup>(١١)</sup>.

وقد أغفلت القصة أيضاً بيان الأعباء الثقال التي كان ينوء بها العبريون وحدثنا بخلاف ذلك عن أوقات الفراغ التي كانوا يسترخون فيها.

(٧) أرمي الشيء: زاد وكثر، ويقال أرمي على الخمسين من عمره.

(٨) كتب ديودور الصقلي يقول: «أصببت مصر في الزمن العابر ذات مرة بوباء وخيم عزي الى غضب الله لكثرة الأجانب في مصر ممن يصدفون عن أداء مناسك الوطنيين الدينية، ومن ثم طردهم المصريون».

(٩) تقبض عن الشيء: أشأز منه.

(١٠) وكذلك أغفلت التوراة اسم الملك الذي حج ابراهيم إليه محتقبا امرأته الجميلة سارة. «فأخذت المرأة الى بيت فرعون فصنع الى ابرام خبراً بسببها. وصار له غنم وحيير وعبيد وإماء وأتن وجمال». (تكوين ١٢: ١٥-١٦).

(١١) وقد طابق بعض المؤمنين بين قصص التوراة وأحداث التاريخ من حيث الأزمنة التي وقعت فيها هذه وتلك فخرجوا من ذلك بأن العهد الذي وفد فيه إسرائيل وبنوه الى مصر وحظوا بإكرام الدولة لم هو عهد احتلال الملوك الرعاة (الهكسوس) للبلاد. وبأن فرعون مصر الذي عهد الى الاسرائيليين في ضرب اللبن وتشبيد المباني وما الى ذلك هو رمسيس الثاني (١٢٩٢-١٢٢٥ ق.م). أما خروج هؤلاء الدخلاء من مصر فكان في عهد أمنحتب الثاني. ويستنبط العلامة بترى من التوراة أن خروجهم كان قرابة سنة ١٢٢٠ ق.م.

ويستبين لمن يقرأ قصة التوراة أن فرعون موسى كان رجلاً حليماً كريماً عف عن العبريين فأبقى عليهم مع إدراكه جسامه خطرهم على البلاد .

دخل إليه موسى وهرون يتهددان ويتوعدان . لم يحاول موسى ، وهو « ثقيل الفم واللسان » ، (خروج ٤ : ١٠) أن يقنعه بعدالة ما يلتمسه باسم العبرانيين ، ولم يحتج أخوه الفصيح هرون بأية حجة تؤيد حقهم في الإنصاف ، لم يشد أحدهما بالخرية ولم يدل بما يكشف عما في نظام الرق من زراية وهوان ، بل جعلاً ينوهان بالإله يهوه ويتحدثان عن مطالبه ، « فالآن نمضي ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب إلهنا » . (خروج ٣ : ١٨) .

ولم يكن يهوه أكثر من إله من آله القبائل البدائية لا يشذ عن سائرهم في المطالبة بالذبايح والأضحيات والإنذار بما يفضي إليه التقصير في تقرب القرابين من العواقب الوخيمة كالكفهار الجو وكدو<sup>(١٢)</sup> الأرض وأوف الزرع . إنه مجرد إله قبيلة همجية لم يسمع به فرعون من قبل . وكان من البدهي أن يرد فرعون طلب موسى فلا يسلم الى هذا الأجنبي الدخيل مقاد الملايين من رعاياه ليدعه يسرب<sup>(١٣)</sup> بهم في طريق غير مأمون ويفرض عليهم سلطانه ويسلط عليهم كهنته ويهرب معهم جانباً كبيراً من ثروة البلاد .

« وبعد ذلك دخل موسى وهرون وقالوا لفرعون هكذا يقول الرب إله اسرائيل أطلق شعبي ليعبدوا لي في البرية فقال فرعون من هو الرب حتى أسمع قوله فأطلق اسرائيل . لا أعرف الرب وإسرائيل لا أطلقه . (خروج ٥ : ١-٢) .

لقد كان من أيسر الأمور أن يطيح رأس هذا الإسرائيلي كما أطاح هيرودس رأس يوحنا المعمدان أو أن يزهق أنفاسه كما فعل بيلاطس وقيافا بيسوع الذي يدعى المسيح ، ولكن فرعون كان رجلاً مهذباً واسع الصدر لا يستنكف التفاهم بالتي هي أحسن حتى مع دخيل أجنبي توحى حركاته وسكناته بأنه مشعوذ سحار . لقد كان يفتقر الى الصرامة والقسوة اللازمين لتكوين شخصية الطاغية . وقد كلفه ذلك عرشه وحياته . هذا هو فرعون موسى ، فرعون مصر المفترى عليه .

وبودنا أن نترث هنا لحظة لنسائل أنفسنا عن مظاهر استعباد فرعون الجديد هذا لبني إسرائيل :

١ - هل نزرع العبريين من الإقطاعية التي حبا فرعون القديم بها أسلافهم في أرض جاسان ؟

(١٢) كدت الأرض : أبطأ نباتها . كدى الزرع : ساءت نبتته .

(١٣) يسرب : يهيم على وجهه .

لا يبدو أن الأمر كذلك، فقد لبثوا فيها الى اليوم الذي ظعنوا فيه عن مصر مشكورين ■ وآية ذلك أنه حدث في الضربة الموسوية السابعة أن: «ضرب البرد جميع عشب الحقل وكسر جميع شجر الحقل. إلا أراضي جاسان حيث كان بنو إسرائيل فلم يكن فيها برد». (خروج ٩: ٢٥-٢٦).

٢ - هل كان بنو إسرائيل في عهد ذلك الفرعون يشكون العوز والحرمان؟ كلا، فقد خرجوا من مصر وهم يسوقون أمامهم قطعاناً كبيرة كثيرة من الماشية. «وصعد معهم ليف كثير أيضاً، مع غنم وبقر، مواشي وافرة جداً». (خروج ١٢: ٣٨). وقد حملوا معهم من الثياب ما ظلوا يرفلون فيه طوال السنين الأربعين التي لبثوها في صحراء سيناء.

أما عن الطعام الذي كانوا يكظون به كروشهم في مصر فنحن نكتفي في شأنه بشهادتهم هم أنفسهم، فقد ندموا وهم في البرية - ولات ساعة مندم - على تلبيتهم دعوة موسى وهرون للسير نحو الأرض التي زعموا لهم أنها تفيض لبناً وعسلاً.

«وقال لهما بنو إسرائيل ليتنا بيد الرب في أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع». (خروج ١٦: ٣).

وأدركوا أن الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً هي التي خرجوا منها لا التي سيحل بهم الأجل قبل أن تقع عليها أعينهم، فواجهوا موسى يعرّفونه بأنه غرّ بهم وأوردهم موارد التلف.

«أقليل أنك أصعدتنا من أرض تفيض لبناً وعسلاً لثمتنا في البرية». (عدد ١٦: ١٣).

وجعلوا يتحسرون على ما فقدوه «فعاد بنو إسرائيل وبكوا وقالوا من يطعمنا لحماً. وقد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجاناً والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم». (عدد ١١: ٤-٥).

وأما عن الكماليات التي كان ينعم بها أولئك الدخلاء فيكفي أنهم كانوا يتحلون إناناً وذكوراً بجلى من ذهب. «قال لهم هرون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيتكم وبناتكم وأتوني بها». (خروج ٣٢: ٢).

ثم أنهم كانوا يحملون السلاح وكانوا عند خروجهم من مصر متدجين فيه. «وصعد بنو إسرائيل متجهزين من أرض مصر». (خروج ١٣: ١٨).

ولما نادهم موسى لم يخفوا سراعاً الى تلبية ندائه بل صدفوا عنه طويلاً. «فكلم موسى هكذا بني إسرائيل ولكن لم يسمعوا لموسى». (خروج ٦: ٩).



أليس في ذلك ما يُلقى ظلّ الشك على زعم التوراة بأن المصريين كانوا يعنفون بهم ويفرطون عليهم وأنهم أوشكوا أن يوبقوا مواليدهم.

٣ - فكيف كانوا يستعبدون اذن؟

ألا إن في الحديث عن استعباد المصريين لهم لإفراطاً وشططاً.

٤ - وعلى فرض أن ثمة عبودية فمن الذي ضربها على العبريين والمصريين جميعاً؟

إنه دخيل من بني إسرائيل لم يزل يحتال على فرعون حتى ظفر بثقته « فقال فرعون لعبيده هل نجد مثل هذا رجلا فيه روح الله »<sup>(١٤)</sup>. (تكوين ٤١ : ٣٨).

لقد قبض يوسف على أزمة الأمور في مصر وأصبح صاحب الأمر والنهي فيها، ودأب يختزن القمح في أهراء فرعون حتى إذا ما انصرمت سنين<sup>(١٥)</sup> الرخاء وأجذب القوم اهتبل<sup>(١٦)</sup> جوعتهم فاستصفى<sup>(١٧)</sup> ما كانوا يملكون من عقار وما كانوا يدخرون من نقود ثم خيرهم - ولا خيار - بين العيش عبداً أو الموت جيعاً. « فقال يوسف للشعب إني قد اشتريتك اليوم وأرضكم لفرعون ». (تكوين ٤٧ : ٢٣).

٥ - وقد بارك يهوه هذه العبودية زمناً طويلاً ثم تذكر فجأة موثقاً كان قد قطعه على نفسه لإسرائيل وأبي إسرائيل وجد إسرائيل. « فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب ». (خروج ٢ : ٢٤).

فتحرك بعد لأي وآلى على نفسه أن ينقذ العبرانيين ويحررهم من العبودية تاركاً من سواهم من الشعوب والطوائف يرسفون في اغلالها.

فلم هذه التفرقة؟

هل كان الآخرون غير أحرار بالتححرر؟

وهل كان تحرير العبرانيين أهم ما في العالم؟

---

(١٤) إن استعمال كلمة « الله » في حديث فرعون الى حاشيته يدل على أنه هو وقومه كانوا مؤمنين يدينون بالوحدانية قبل موسى بأكثر من قرنين.

(١٥) هنا عاملنا كلمة سنين معاملة جمع التكسير لا معاملة جمع المذكر السالم مما يجعلها « انصرمت سنو الرخاء » وقد روي عن الرسول أنه قال : اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسنين يوسف.

(١٦) اهتبل الصيد : بغاه واحتمل عليه ، وفي الحديث « من اهتبل جوعه مؤمن » أي تحينها واغتتمها .

(١٧) استصفى مال فلان : أخذه كله .

ولم عنى يهوه بتحريرهم من نير المصريين وخدمهم، وسمح بأن يتعبد لهم الآشوريون<sup>(١٨)</sup> والبابليون<sup>(١٩)</sup> والرومان<sup>(٢٠)</sup> وغيرهم بعد ذلك.

---

(١٨) عندما افتتح ملكهم سرجون الثاني مملكة اسرائيل وحاضرتها السامرة - ٧٢٢ ق.م ونفى الألوف من أهلها.

(١٩) عندما افتتح ملكهم نبوخذ نصر مملكة يهوذا وحاضرتها اورشليم - سنة ٥٨٦ ق.م وهدم الهيكل السلطاني وسي الألوف من أهلها.

(٢٠) دوح القائد الروماني بومبي مملكة يهوذا سنة ٦٣ ق.م وكانت الامبراطورية الرومانية في القرن الأول الميلادي تعيش على تسخير العبيد. وفي سنة ٧٠ م اقتحمت جحافل الرومان ربوع اورشليم المتمردة وصيرتها خراباً ياباً وأضرمت النار في الهيكل وأسرت من اليهود جمعاً غفيراً فقتلت من ساعتها فريقاً منهم وأرسلت بفريق آخر ليصطرع في الملاعب تلهية للجماهير العابثة وسالت الباقين الى المناجم والمحاجر يكابدون فيها أشق الأعمال.

## بيت العبودية في مصر

أجل، دار الزمن دورته فقضى يوسف وفرعون يوسف، واقتعد العرش بعده أبناء وحفدة، وآل الأُمز ذات يوم الى فرعون جديد ذي نظر حديد وبأس شديد، فحص عن أمر هؤلاء الدخلاء فلم ترقه أحوالهم، فطوى عنهم كشحه وحرّمهم بعض الامتيازات التي كان قد حباهم بها يوسف وفرعون يوسف، وأوجب عليهم أن يعملوا ليكسبوا قوتهم كادحين لا متطفلين، فأجهدوا ولم يكونوا قد ألفوا أن يبذلوا جهداً، وكان من الطبيعي، وهم جيل من الهمج لم تتصل بهم أسباب الحضارة، أن تناط بهم الأعمال التي تتطلب جهداً بدنياً لا تصحبه بالضرورة خبرة فنية كضرب اللبن وتشيد المباني.

وخف إليهم موسى من مدين وجعل يلوح لهم بعصاه فأخذتهم العزة بالإثم وانتفخت أوداجهم<sup>(١)</sup> كما انتفخت أوداج السوديت<sup>(٢)</sup> عندما تراءى لهم هتلر تهدر شقاشقه<sup>(٣)</sup> بتمجيد « الشعب السيد » فعضوا أيدي المواطنين الأصلاء التي لم تفتأ تحشو بالطعام أفواههم الفاغرة قرناً بعد قرن<sup>(٤)</sup>. وأهوى موسى إلى مصر المضياف بضربات مروعة واحدة إثر الأخرى، فأوبق شعب مصر وفتك بأنعامه واقتل أبكاره ثم أغرق الجيش المصري في قعر البحر. تلك قصة كهنوتية تفصح عن أماني اليهود العدوانية، وهي ليست فوق مستوى الشكوك والريب:

١ - فقد أغفلها كثير من الأنبياء ذوي الخطر مثل عاموس وأشعيا.

٢ - ثم إن كلمة « من بيت العبودية » التي زج بها في الوصية الموسوية الأولى لا وجود لها في أقدم المخطوطات العبرية.

(١) الودج (بفتحين): عرق الأخدع الذي يقطعه الذابح فلا يبقى معه حياة. والودجان ينتفخان عند الغضب.  
(٢) السوديت: هم أنفاس من ألمان الجنوب هاجروا الى تشيكوسلوفاكيا وأوطنوا بها ثم انقلبوا عليها إبان الحرب العالمية الثانية.

(٣) الشقشقة: ماه البعير. وقيل شيء كالرثة يخرجه البعير من فيه إذا هاج. ويقال للفضيح هدرت شقاشقه.

(٤) القرن: أهل زمان واحد و - أمة بعد أمة.

٣ - أما السنة التي سنها اليهود لأنفسهم .

(أ) بأن يأكلوا في عيد الفصح خبزاً فطيراً غير خمير .

(ب) بأن يذبحوا خرافاً للتضحية بها .

فإنها ليست أثراً لتلك الحادثة التي قيل فيها: « فحمل الشعب عجينهم قبل أن يختمر ومعانجهم مصرورة في ثيابهم على أكتافهم » . (خروج ١٢: ٣٤) .

والتي طوعاً لها - تقول الوصية الثانية لكل يهودي: « تحفظ عيد الفطير . سبعة أيام تأكل فطيراً كما أمرتك في وقت شهر أبيب خرجت من مصر » . (خروج ٣٤: ١٨) .

بل إن هذين التقليدين هما عادتان اسرئيليتان في زمن سابق لزمن تلك الحادثة. وما زال أعراب البوادي، وهم أيضاً من الساميين يأكلون الخبز الفطير ويذبحون الخراف في أعيادهم الدينية. وهذا الذبح هو تضحية رمزية بالكائن البشري تهدئة للآلهة الغضاب، وذلك شيء كانت تمارسه قبائل الهمج البدائيين وكانت لا تنفك في رهبة وذعر من غضب الطبيعة.

٤ - وقد اجتمع رأي غير قليل من العلماء المنقطعين لتاريخ مصر وسواهم من المتفرغين لتاريخ العبريين على أن بني إسرائيل لم يقيموا بالديار المصرية خلال تلك الحقبة التي يؤرخها سفر الخروج.

وتم أقوال بعض من يعتد برأيهم من العلماء الأميركيين:

١ - قال جوزف ب. ألكسندر أمين معهد اللاهوت اليهودي في نيويورك: « ليس في خارج الكتاب المقدس من دليل يقطع باعتراب الاسرائيليين في مصر » .

٢ - وقال وليم س. هيز من علماء قسم الفنون المصرية بالمتحف الفني لحاضرة ولاية نيويورك: « وفيما يتصل بتقصي تاريخ مصر من آثارها، ليس ثم برهان تاريخي على أن اليهود عاشوا يوماً في مصر، عبيداً أو غير عبيد » .

٣ - وأعلن دكتور فيليب حتي أستاذ الآداب السامية بجامعة برنستن أنه: « لم يُدون شيء عن استعباد اليهود في مصر غير ما في الكتاب » .

٤ - وذكر جون أ. ولسن مدير المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو « أن عالم العاديات المصرية الذائع الصيت جيمس هنري برستد لم يكن الوحيد الذي أخفق خلال مباحثه طوال أربعين عاماً في العثور على: « دليل نوعي على اضطهاد بني إسرائيل في مصر، بل إنه لم يعثر عالم ما على دليل واضح فيما يتصل بهذا الحادث التاريخي » .

٥ - وصرح دكتور سدني سميث أمين المتحف البريطاني، وهو من أعظم الثقاق في فن العاديات المصرية قائلاً: « لست أعتقد أن ثم برهاناً حاسماً في غير الكتاب المقدس على أن أسباط

بني إسرائيل كانت في مصر قبل أن تغزو فلسطين».

٦ - واعترف أبرام ليون زخار أستاذ في التاريخ الأوروبي بجامعة إلنوي بأنه: «ليس ثم برهان مفحم» على وجود موسى، وبأن «أبرز شخوص التاريخ اليهودي هم وليدو الخيال» وبأن «إيطان اليهود بمصر... ليس عليه برهان يقيني كاف، بل هو مثار شك مريب».

٧ - وذكر الأستاذ الجامعي سالو و. بارون في كتابه «تاريخ اجتماعي وديني لليهود» أنه ليس ثم برهان موثوق به على صحة خروج اليهود من مصر ثم قال: «لو كان شيء من ذلك قد حدث حقاً لكان قد بلغ من ضآلة الشأن ما جعل المصريين يوفرون على أنفسهم مشقة تدوينه».

وقصارى القول أن قصة استعباد المصريين لليهود هي فرية لا حظ لها من الصحة، بيد أنه بذلت في ترويجه دعاوة بلغ من قوتها أن حلت المصريين أنفسهم على استنزال اللعنة على آبائهم العظام والتحزب لمشعوذة بني إسرائيل، أولئك الذين لم يستعبدوا في مصر قط ومع ذلك حفزهم التعصب الأعمى للصهيونية على أن يحشمو أنفسهم عنثاً شديداً ليذكروا حادثة لم تكن. وقد افتروا على أهل مصر الكذب إذ جعلوا يهوه يستهل وصاياها العشر بقوله: «أنا الرب إلهك الذي أخرجك من مصر من بيت العبودية». (خروج ٢٠: ٢).

وهي كلمة لم يكتف بذكرها مرة أو اثنتين بل ردها عشرات المرات. «أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين. وأنا حملتكم على أجنحة النسور<sup>(٥)</sup> وجئت بكم الي». (خروج ١٩: ٤).

«أنا الرب إلهكم الذي أخرجكم من أرض مصر من كونكم عبيداً وقطع قيود نيركم وسيركم قياماً». (لايون ٢٦: ١٣).

«وأذكر أنك كنت عبداً في أرض مصر فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة». (تثنية ٥: ١٥).

«ومتى أتى بك الرب إلهك الى الأرض التي حلف لأبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب أن يعطيك. إلى مدن عظيمة جداً لم تبناها وبيوت مملوءة كل خير لم تملأها وأبار محفورة لم تحفرها وكروم وزيتون لم تغرسها وأكلت وشبعت. فاحترز لثلاث تنسى الرب الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية». (تثنية ٦: ١٠-١٣).

---

(٥) وواقع الحال أنه أضلهم في التيه ٤٠ عاماً طواهم الموت خلالها فلم يصل من الملايين الثلاثة الذين بدأوا النقلة الى أرض الميعاد غير شخصين اثنين لا ثالث لها. «فحمى غضب الرب على اسرائيل في ذلك اليوم وأقسم قائلاً: لن يرى الناس الذين صنعوا من مصر ابن عشرين سنة فصاعداً الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحق ويعقوب لأنهم لم يتبعوني تماماً. ما عدا كالب بن يفنة القنزوي ويشوع بن نون لأنها اتبعا الرب تماماً. فحمى غضب الرب على اسرائيل وأناهم في البرية أربعين سنة حتى فنى كل الجيل الذي فعل الشر في عيني الرب». (عدد ٣١: ١٠-١٣).

« وقال الرب ليشوع اليوم قد دحرجت عنكم عار مصر ، فدعي اسم ذلك المكان الجلجال الى هذا اليوم. » (يشوع ٥ : ٩) .

وهلم جرا .

لو أن امرءاً كائناً من كان وبالغة أعماله من العظم ما بلغت ، لهج بذكر أعماله والإشادة بآثره في مثل هذا الازدهاء لغض ذلك من منزلته وأسقط من مروءته .

ولو أننا وازنا بين ما فعله كل من يهوه وأبراهام لنكلمن في تحرير العبيد لوجدنا :

١ - أن لنكلمن ، وقد حرر بيد الولايات المتحدة جميعاً في سنة ١٨٦٣<sup>(٦)</sup> لم يباه قط بالعمل الجلليل الذي أنجزه ولم ينبس بكلمة تم على عجيب بالنفس ولم يمن على الذين وضع عنهم إصر الرق .

٢ - ومما يضاعف من قيمة العمل الذي أنجزه أنه لم يكن زنجياً يحرق شعبه وإنما كان امرءاً يؤمن بفكرة<sup>(٧)</sup> فبذل في سبيلها وغامر بإشعال الحرب الأهلية .

٣ - وإذا كان هذا الرجل قد استطاع أن يحرق عبيد أميركا أجمعين فلا ريب أنه كان في وسع الإله يهوه أن يحرق عبيد العالم قاطبة .

٤ - ثم إن لنكلمن لم يبح للعبيد الذين رفع نير الرق عن كواهلهم أن يسترقوا لكائن من كان ، أما يهوه فقد حرر بني إسرائيل من تعبد المصريين لهم ولكنه تركهم عبيداً للملوك ، وهذا يتضح من قول الإسرائيليين عندما برز العملاق الفلسطيني جليات (جالوت) يتحداهم أن يرسلوا إليه من يبارزه . « فيكون أن الرجل الذي يقتله يغنيه الملك غنى جزيلاً ويعطيه بنته ويجعل بيت أبيه حراً في إسرائيل. » (١ صموئيل ١٧ : ٢٥) .

كما أنه مستفاد من الشريعة الخاصة بالاسترقاق ومعاملة الأرقاء . « ... إن قال العبد سيدي وامرأتي وأولادي لا أخرج حراً يقدمه سيده الى الله ويقربه الى الباب أو الى القائمة ويشقب سيده أذنه بالمثقاب . فيخدمه الى الأبد. » (خروج ٣١ : ٥-٦) .

وهي تبسح لليهود أن يبيعوا بناتهم فينتظمن في سلك الإمام . « واذا باع رجل ابنته آمة لا تخرج كما يخرج العبيد. » (خروج ٢١ : ٧) .

(٦) ألغت بريطانيا الرق في بلادها سنة ١٨٠٨ م وألغته في مستعمراتها سنة ١٨٣٣ م . وعقدت هي وحكومة الحديوي اساميل معاهدة في ١٤ آب (أغسطس) سنة ١٨٧٧ م ألغت مصر بمقتضاها الرق في بلادها ، فأثار ذلك حفيظة الكثيرين من رجال الدين هبوا ينكرون هذا الإلغاء قائلين : كيف نحرمون ما أحله الله ؟ .

(٧) ويعزو بعضهم تحريره العبيد الى أسباب اقتصادية ويرى غيرهم أن ذلك كان تدبيراً حربياً يتفهي به إضعاف الجنوبيين .

وقصارى القول إن يهوه لا ينكر الاسترقاق في ذاته بل إن كل ما ينكره هو أن يسترق الأجنب أبناء شعبه المختار .

٥ - ثم إنه يحض اليهود على استرقاق من عداهم ويأمرهم بشن حملات من النخاسين يخطفون أبناء الشعوب الأخرى ويبيعونهم أرقاء . « حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك . وإن لم تسالك ... فأضرب جميع ذكورها بحمد السيف . » (تثنية ٢٠: ١٠-١٤) .

٦ - وأباح للملكي الرقاب أن يضربوهم ويشخونهم وإن أفضى بهم ذلك إلى الموت . « إذا ضرب إنسان عبده أو أمته بالعصا فمات تحت يده ينتقم منه . لكن إن بقي يوماً أو يومين لا ينتقم منه لأنه ماله . » (خروج ٢١: ٢٠-٢١) .

٧ - ومهما يكن من أمر ما تزعمه التوراة من استرقاق المصريين للعبريين ، فإن يهوه هو آخر من يحق له الخوض في هذا الموضوع ، فلقد شرع لليهود أن يتخذوا لهم عبيداً من أبناء الشعوب الأخرى الذين يقيمون في ربوع اليهود أو على مقربة منها . « وأما عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم ، منهم تقتنون عبيداً وإماء . وأيضاً من أبناء المستوطنين النازلين عندكم . منهم تقتنون ، ومن عشائهم الذين عندكم الذين يلدونهم في أرضكم ، فيكونون ملكاً لكم وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك . تستعبدونهم إلى الأبد . » (لاويون ٥: ٤٤-٤٦) .

وهل فعل المصريون بالعبريين النازلين عندهم شراً من ذلك ؟

أحرام على بلابله الدوح حلال للطير من كل جنس

أحمد شوقي

## موسى الآخر

يجهل كتاب الأسفار المقدسة ما يعتلج في صدور الشعوب من آلام وما يطوف بأذهانها من آمال، ومن ثم كانوا لا يلقون بالا إلى كفاها الجماعي، فكل ما تم ويتم من منجزات جليلة الشأن إنما قام به - في عرفهم - الرجال الأبطال. وقد جاء «العهد القديم» متأثراً بهذا النهج الأوتوقراطي، فقد جعلوا فيه لكل حقبة من الزمن بطلاً أوحد نخلوه كل ما وقع وما لم يقع في تلك الحقبة من جسام الأعمال وضربوا عرض الحائط بما تتابع آتئذ من أعمال البطولة الصغرى.

١ - فقد نسبوا إلى إبراهيم أنه ظعن بأسرته وبعبيده من أور الكلدان إلى أرض كنعان، وكان الأحجى أن ينسبوا هذه الهجرة إلى عشيرة إبراهيم أو إلى غيرها من أسلاف اليهود، أولئك الذين كانوا يرابطون على مشارف بلاد الكلدان.

٢ - ونسبوا إلى يوسف أنه أدخل بني إسرائيل إلى مصر فما فتئوا يفرخون فيها ويفقسون حتى بلغ عددهم قرابة الثلاثة الملايين.

٣ - ونسبوا إلى موسى أنه أخرج هؤلاء جميعاً من مصر المأهولة إلى صحراء سيناء ومضى بهم إلى تخوم فلسطين، وأنه حباهم في خلال ذلك شريعة «تامة الصنع» وبذلك كان وحده مخلص بني إسرائيل.

٤ - وعزوا إلى يشوع بن نون أنه نهض بالمهمة التي تتلو إخراج بني إسرائيل من مصر وهي إدخالهم فلسطين والفتك بمن يعمرها من أهل البلاد، وقد استغرق ذلك نحو أربعة قرون. وكان رمسيس الثاني قد خضد شوكة<sup>(١)</sup> الكنعانيين من قبل ثم جاء الاسرائيليون فكان قصارى جهدهم أن يتقدموا في البلاد هوناً ما كلما واتتهم فرصة، من هذا الجانب تارة ومن ذلك تارة أخرى، ولئن ألفوا الظفر ميسراً في الجبال لقد دحرتهم عجلات الكنعانيين الحربية في السهول. « وكان

(١) خضد العود: كسره. خضد الشجر: قطع شوكه.



الرب مع يهوذا فملك الجبل ولكن لم يطرد<sup>(٢)</sup> سكان الوادي لأن لهم مركبات من حديد». (قضاة ١: ١٩).

وكان «بيت يوسف» يقاتل في الطليعة تحت إمرة يشوع، وكذلك شاركت سائر الأسباط في القتال على صورة من الصور ونازعت بيت يوسف أسلاب الحرب.

وتناسى كاتبو «العهد القديم» هزائم قومهم المتتالية طوال أربعة قرون من عهد يشوع<sup>(٣)</sup> إلى عهد صموئيل. «فحارب الفلسطينيون وانكسر إسرائيل وهربوا كل واحد إلى خيمته. وكانت الضربة عظيمة جداً. وسقط من إسرائيل ثلاثون ألف راجل. وأخذ تابوت الله ومات إبننا عالي حفي وفينحاص». (صموئيل ٤: ١٠ - ١١).

وضغطوا أحداث تلك القرون واختزلوا تلك الحقبة الطويلة لتستوعبها حياة رجل واحد وجيل واحد من الناس. فلم يبق أمام البطل الشعبي الذي زانوا هامته بهالة من السناء وراكموا حول اسمه قصص البطولة الحربية، مناص من الاستعانة على إنجاز مهمته العويصة باجتراح معجزات باهرة.

وقد لوحظ أنه نحا منحى موسى في معجزاته وتصرفاته.

١ - فلقد عبر موسى وقومه البحر الأحمر (أو إحدى البحيرات أو أحد أفرع النيل) فوق تعره المجفف. «ومد موسى يده على البحر، فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء. فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم». (خروج ١٤: ٢١ - ٢٢).

وعبر يشوع بأبنائهم نهر الأردن على ذلك النحو. «وقفت المياه المنحدرة من فوق... والمنحدرة الى بحر العربة بحر الملح انقطعت تماماً وعبر الشعب مقابل أريحا». (يشوع ٣: ١٧).

٢ - وأقام موسى في سفح جبل سينا اثنا عشر عموداً. «وبكر في الصباح وبني مذبحاً في أسفل الجبل واثني عشر عموداً لأسباط إسرائيل الاثني عشر». (خروج ٢٤: ٤). ونصب يشوع اثني عشر حجراً في الجلجال<sup>(٤)</sup>. «والإثني عشر حجراً التي أخذوها من

(٢) صواب الترجمة هو... ولكنه لم يقف على طرد سكان الوادي...

(٣) وقد بلغ هذا البطل فيما بعد شأواً بعيداً عند السامريين وقد أخرجوا في القرون الوسطى كتاباً غير كنسي ينوه به. والكتاب باللغة العربية ويغلب أن يكون مترجماً عن العبرية.

(٤) كلمة «جلجال» معناها دائرة. وفي فلسطين كثير من هذه الدوائر وهي تشبه الدوائر التي أقيمت في أنحاء شتى من أوروبا في العصرين النيوليثي (المجري الحديث) والبرونزي. «وقال الرب ليشوع» (بعد أن ختن قومه) «اليوم قد دحرجت عنكم عار مصر. فدعى اسم ذلك المكان الجلجال الى هذا اليوم». (يشوع ٥: ٩).

الأردن نصبها يشوع في الجلجال». (يشوع ٤ : ٢٠).

٣ - وأحيا موسى منسك الختان « وقال الرب لموسى وهرون هذه فريضة الفصح. كل ابن غريب لا يأكل منه ولكن كل عبد رجل مبتاع بفضة تختته ثم يأكل منه ». (خروج ١٢ : ٤٣-٤٤).

وكذلك أحياه يشوع. « فصنع يشوع سكاكين من صوان وختن بني إسرائيل في تلك القلف ». (يشوع ٥ : ٣).

٤ - واشترع موسى سنة الاحتفال في عيد الفصح. « ويكون لكم هذا اليوم تذكارة فتعيدونه عيد للرب. في أجيالكم تعيدونه فريضة أبدية. سبعة أيام تأكلون فطيراً... » (خروج ١٢ : ١٤-١٥).

واحتفل له يشوع وقومه. « فحلّ بنو إسرائيل في الجلجال وعملوا الفصح في اليوم الرابع عشر من الشهر مساء في عربات<sup>(٥)</sup> أريحا. وأكلوا من غلة الأرض في الغد بعد الفصح فطيراً وفريكاً في نفس ذلك اليوم ». (يشوع ٥ : ١٠ : ١١).

٥ - وقال الله لموسى « إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى<sup>(٦)</sup> ». فلما رأى الرب أنه مال لينظر نداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى. فقال هأنذا. فقال لا تقرب إلى ههنا. اخلع حذاءك من رجلك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة. (خروج ٣ : ٤-٥).

وكذلك قال ليشوع. « فقال رئيس جند الرب ليشوع إخلع نعلك من رجلك لأن المكان الذي أنت واقف عليه هو مقدس... ». (يشوع ٥ : ١٥).

٦ - ونقش موسى شريعته على لوحين من الحجر<sup>(٧)</sup>. « ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لוחي الشهادة لוחي حجر مكتوبين بإصبع الله ». (خروج ٣١ : ١٨).

وفعل يشوع قبيل موته ما يشبه ذلك. « وكتب يشوع هذا الكلام في سفر شريعة الله. وأخذ حجراً كبيراً ونصبه هناك تحت البلوطة التي عند مقدس الرب. ثم قال يشوع لجميع الشعب. إن

(٥) كلمة « عربات » تعني سهلاً أو بسيطاً من الأرض.

(٦) هذا هو نص الآية ١٢ من سورة طه. وقد اختلف الشراح في مدلول كلمة « طوى » فقال بعضهم إنها اسم الوادي الذي رأى موسى فيه نارا. وقال آخرون طوى بمعنى نبي أي أنه نودي نداه بن « موسى موسى » أو قدس الوادي مرتين.

(٧) مع ملاحظة أنهم في ذلك العهد لم يكونوا قد ابتدعوا الخط العبري بعد.

هذا الحجر يكون شاهداً علينا لأنه قد سمع كل كلام الرب الذي كلمنا به فيكون شاهداً عليكم  
لثلا تجحدوا الحكم». (يشوع ٢٤: ٢٦-٢٧).

★ ★ ★

وقد كان على كتبة سفر يشوع كما يضغطون أعمال أربعة قرون ويصورونها كأنما أتاها كلها  
يشوع في بضع سنوات أن يجعلوا يشوع يأتي من المعجزات مثل ما أتاه موسى<sup>(٨)</sup> بل أن يبذه في  
ذلك:

١ - فيسقط أسوار أريحا بالنفخ في الصور<sup>(٩)</sup> وإطلاق صيحة يخر لها سور المدينة منهاراً.  
« وكان حين سمع الشعب صوت البوق أن الشعب هتف هتافاً عظيماً فسقط السور في مكانه  
وصعد الشعب الى المدينة كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة وحرّموا كل ما في المدينة من رجل  
وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحدّ السيف». (يشوع ٦: ٢٠-٢١).

٢ - ويرمي أعداء اليهود بحجارة من سجيل<sup>(١٠)</sup>. « وبينما هم هاربون من امام اسرائيل  
وهم في منحدر بيت حورون رماهم الرب بحجارة عظيمة من السماء». (يشوع ١٠: ١١).

٣ - ثم هو لا ينتهي في عبثه بنظام الكون عند حد، فيأبى إلا أن يقف الشمس والقمر عن  
المسير في فلكيهما حتى يفرغ من ذبح الأموريين في وضح النهار. « حينئذ كلم يشوع الرب يوم  
أسلم الرب الأموريين أمام بني إسرائيل، وقال أمام عيون إسرائيل يا شمس دومي على جبعون

---

(٨) ولهذا نحل كتاب «العهد القديم» يشوع كثيراً من أعمال موسى، فكان ذلك مما يبحث على الظن أن يشوع هذا  
ليس شخصاً تاريخياً بل هو أنموذج أسطوري متكرر لموسى. ويعتقد بعض العلماء أن موسى ويشوع والإله الاغريقي  
ديونيسس أصناء نجموا من أسطورة واحدة، فانا نجد في سيرة ذلك الإله أنهم ساروا به في موكب وهم يحملونه في سلة  
ملأى بالحشائش، وأنه لما اشتد عوده شق طريقه في البحر ليمبره هو وجيشه، وأنه ضرب الأرض بمصاه فنج منها  
الماء، وأنه نقش شريعته في ألواح من الحجر.

وكلمة «يسوع» هي الصيغة اليونانية للام العبري «يشوع» ومن ثم كان أصحاب النظرية الأسطورية يعتقدون أن  
قصة يسوع المسيح قد نشأت بتطور أسطورة إله فلسطيني يدعى يشوع كانت تعزى إليه من الأعمال ما بات يعزى بعد  
ذلك الى يسوع.

(٩) هو التغير أي البوق يتخذ من قرن الكبش.

(١٠) السجيل: حصى من طين متحجر، وفي سورة الفيل أن الله أنقذ الكعبة في الجاهلية من جيش أبرهة الحبشي  
المسيحي وكان يريد هدمها فوق رؤوس الأصنام التي يحمل بها فناؤه فسير على ذلك الجيش جماعات من الطير تسقط  
عليهم هذه الأحجار المهلكة، وقيل إن ذلك كان في العام الذي ولد فيه الرسول أو قبل ذلك بقليل.

ويا قمر على وادي أيلون. فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه<sup>(١١)</sup>». (يشوع ١٠: ١٢-١٣).

(١١) تحتوي القصص الشعبية المتخلفة عن الشعوب القديمة على غير قليل من الحكايات المشابهة، فقد أوقف باكوس دورة الشمس والقمر. وفي أسطورة هندية أن الشمس أمسكت عن الدوران لتستمع الى المرثية التي ألغها أرجوان في تأبين بوذا عقب موته.

وعمد قديس بوذي اسمه مانانيا الى القمر فشقه ووقف الشمس عن أن تبرغ. وكذلك وقفت الشمس مكانها في قصة شعبية صينية، وفي أخرى مكسيكية. وحدث على العكس من ذلك في إيذاة هوميرس أن الإلهة هيري جعلت الشمس تسرع بالغروب، ومن الواضح أنه لو حدث شيء من ذلك لشهده العالم أجمع.

وقال بعض الشراح في تفسير الآية: «اقتربت الساعة وانشق القمر» (القمر ١). إن المشركين سألوا الرسول آية فأشار إلى القمر فانشق وقال آخرون إنها إنما تعني أنه سينشق يوم القيامة. ومهما يكن من أمر، فقد كان على يشوع ليطلب أمد النهار أن يقف الأرض - لا الشمس - عن الدوران، بيد أن يشوع (أو بالأحرى كاتب السفر المنسوب إليه) كان يعتقد أن تعاقب الليل والنهار رهن بحركة الشمس في دورانها حول الأرض التي هي ثابتة مكانها.

قال مارتن لوثر مؤسس المذهب البروتستانتي (ولعل ذلك كان في معرض تعليق له على ما اكتشفه كوبرنيكس سنة ١٥٤٣ م من أن الأرض هي التي تدور حول الشمس لا العكس):

لقد أصاخ الشعب سمعاً لمتشغل بالتنجيم برز فجأة يزعم أن الأرض هي التي تدور وليست السموات ولا الشمس والقمر. ولا غنى لمن يود أن يبدو ماهراً من أن يتكبر نظاماً جديداً يكون - بداهة - خير الأنظمة كافة. إن هذا المأفون يود أن يقلب علم الفلك كله رأساً على عقب، ولكن الأسفار المقدسة تنبئنا أن يشوع أمر الشمس أن تقف ولم يأمر الأرض.

## مولد مخلص اليهود

هنالك قصة فحواها أن فرعون موسى تعاضمه ازدياد العبريين في العدد والقوة فرأى أن يتقي خطرهم باستئصال شأفتهم، فدعا إليه القابلتين العبرانيتين (اللتين لا تالته لهما بين ثلاثة ملايين من بني إسرائيل منبثين في رقعة فسيحة من الأرض) وطلب إليهما أن يقتلا كل من يولد على أيديهما من ذكور مواليد بني جنسهما. « وكلم ملك مصر قابلتي العبرانيات اللتين اسم إحداهما شفرة واسم الأخرى فوعة. وقال: حينما تولدان العبرانيات وتنظرانهن على الكراسي، إن كان ابناً فاقتلاه وإن كان بنتاً فتحيا ». (خروج ١: ١٥-١٦).

هذه القصة الساذجة التي تلبس عاهل مصر العظيم ثوب العجز عن التخلص من عبده المناكيد بإجراء حاسم مع اقتناعه بشدة خطرهم فيسف إلى الأتثار هو وقابلتان في ذلك المطلب السخيف، هذه القصة هي الصورة اليهودية لأسطورة طالما صحبت مولد المخلصين لتضفي عليهم الجلال والبهاء<sup>(١)</sup>.

(١) ومن ذلك أن الملك الطاغية كنزا كان يطلب حياة الإله الطفل كرشنا فهربت به أمه مابا هي وزوجها الى بلدة ماطورة. وأن الملك هيرووس كان يطلب حياة الإله الطفل يسوع فهربت به أمه ماريما هي وخطيبها الى بلدة المطرية بمصر.

وحدث في مصر قبل ذلك أن الملك الطاغية أموليوس كان يتمقب الطفل الإلهي أوزيريس فأخفاه أبواه في موضع على إحدى شعب النيل.  
وحدث مثل ذلك أيضاً لحورس في مصر، وزرادشت في فارس، وألسيدس في اليونان ورومولوس في إيطاليا، وهلم جرا.

ونقل الطبري في كتابه « السلوك في تاريخ الدول والملوك » عن ... عن ابن اسحق أنه قال :

أتى أصحاب النجوم نمرود فقالوا له تعلم أنا نجد في علمنا أن غلاماً يولد في قريتك هذه يقال له ابراهيم يفارق دينكم ويكسر أوثانكم في شهر كذا وكذا من سنة كذا، فلما دخلت السنة التي وصف أصحاب النجوم لنمرود، بعث نمرود الى كل امرأة حبلى بقريته فحبسها عنده إلا ما كان من أم إبراهيم عليه السلام امرأة آزر فإنه لم يعلم بحبلها وذلك أنها كانت جارية حدثت فبها يذكر لم يعرف الحبل في بطنها فجعل لا تلد امرأة غلاماً في ذلك الشهر من تلك السنة إلا أمر به فذبح. فلما وجدت أم ابراهيم المطلق خرجت ليلاً الى مغارة كانت قريباً منها فولدت فيها ابراهيم عليه السلام وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود ثم سدت عليه المغارة، ثم رجعت الى بيتها ثم كانت تطالعه في المغارة

وتقول قصة التوراة إن القابلتين لم تستجيبا إلى الرغبة الملكية السامية فأعفاها فرعون من  
إنفاذ أمره وبذلك انحسم الموضوع.

وقد وضعت هذه القصة المتهافتة لتكون أساساً لأسطورة نجاة موسى بن عمران (عمران).  
وحده دون غيره من بني إسرائيل بطريقة عجيبة، إذ أن أمه مضت به وله من العمر ثلاثة أشهر  
« أخذت له سفطاً<sup>(٢)</sup> من البردى وطلته بالحمز<sup>(٣)</sup> والزفت ووضعت الولد فيه ووضعت بين  
الحلفاء على حافة النهر<sup>(٤)</sup> ». (خروج ٢: ٣).

وهكذا نجد أن موسى، وإن يكن قد ولد بطريقة سوية غير خارقة كولادة يسوع، قد أنقذ  
من الهلكة مثله بطريقة خارقة.

ويرى بعض الباحثين أن موسى قد ألقى به في اليم، لا بغية إنقاذه، بل للثبث من صحة  
نسبه، فقد كان المألوف في ذلك الزمن الجاهلي أن يمتحن الطفل الذي يستراب بصحة نسبه بأن  
يلقى به في اليم، فإذا طفا على وجه الماء رأوا في ذلك برهاناً على شرعية مولده وإذا غرق عدوه  
نغلاً<sup>(٥)</sup>.

ومثار التظنن في نسب موسى أن أباه عمران (عمران) تزوج عمته يوكابد وأولدها إياه.  
« وأخذ عمران يوكابد عمته زوجة له فولدت له هرون وموسى ». (خروج ٦: ٢٠).

وكان اليهود يعدون مثل هذا الزواج زنا بين المحارم وذلك ما سجلته الشريعة الموسوية فيما

---

لتظنر ما فعل فتجده حياً يمض إبهامه، يزعمون - والله أعلم - أن الله جعل رزق إبراهيم فيها ما يجيئه من مصه. ولم  
يمكث إبراهيم في المغارة إلا خمسة عشر شهراً حتى قال لأمه أخرجيني أنظر. أ. هـ.

وهذه القصة الطريفة لا أساس لها في التوراة ولعلها من ابتكار بعض أصحاب ابن عباس من اليهود الذين  
يروجون الخرافات الاسرائيلية.

(٢) السفط: وعاء كالجوالق (الشوال) أو كالفقة، ويستعار للتأبوت الصغير، و - وعاء من قضبان الشجر  
ونحوها توضع فيه الأشياء كالفاكهة والثياب (مولد).  
(٣) الحمز: القطران.

(٤) وعند المسلمين أن أم موسى ألقته بتابوته في النهر لا على حافته، وهذا يجعل لتقيير التأبوت بالقار معنى،  
كما أنه يوائم الاسم الذي أطلقته عليه ابنة فرعون. « ودعت اسمه موسى وقالت إني انتلثته من الماء ». (خروج ٢: ١٠).

(٥) نغل الأدم: فسد في الدباغ. والنخل: ولد الزنية لفساد نسبه. والبغل كل حيوان أبوه من نوع وأمه من آخر.  
وهذا الامتحان لصحة النسب بإلقاء الطفل في اليم لا يركن الى دعاء من العلم وهو يذكرنا بما كانوا يعمدون إليه  
لاستكناه أمر المرأة التي يسترب زوجها بأمانتها الزوجية، إذ يأخذها الى الكاهن ويوفيه رسوم الامتحان فيقوم  
الكاهن ببعض الحركات ويتمم ببعض الألفاظ ثم يسقيها ماء ملوثاً بالتراب. « ومتى سقاها الماء فإن كانت قد تنجست  
وخانت رجلها يدخل ماء اللعنة للمرارة فيرم بطنها وتسقط فخذها فتصير المرأة لعنة في وسط شعبها. وإن لم تكن  
المرأة قد تنجست بل كانت طاهرة تبرأ وتحبل بزرع ». (عدد ٥: ٢٧-٢٨).

بعد. « عورة أخت أمك أو أخت أبيك لا تكشف. إنه قد عرى قريبتة. يحملان ذنبيها ». (لاويون ٢٠: ١٩).

كانت أسطورة الطفل الطافي على صفحة الماء ذائعة بين جميع الشعوب. ومن المحتمل أن تكون قصة نجاة موسى من الموت على هذا النحو منتحلة من قصة سرجون الأب أول ملوك الساميين وكان يحكم بابل قبل المسيح بخمسة وعشرين قرناً، وتقول قصته أنه وضع وهو طفل في سلة من الخلفاء مطلية بالحمز أقرت بين الأعشاب النامية على ضفة الفرات، فحملة النهر إلى حيث أنقذه أحد الناس واستخدمه في بستانه، ثم هامت به الإلهة عشتار فتزوجته ورفعته إلى عرش المملكة فحكما أربع سنوات.

وقد اختار كاتب سفر الخروج، وهو يحوك<sup>(٦)</sup> هذه القصة حول موسى، أن ينزل: « ابنة فرعون<sup>(٧)</sup> إلى النهر لتغتسل وكانت جواربها ماشيات على جانب النهر. فرأت السفط بين الخلفاء فأرسلت أمتها وأخذته ولما فتحته رأت الولد وإذا هو صبي يبكي، فرقت له وقالت هذا من أولاد العبرانيين ». (خروج ٢: ٥-٦).

وقد كانت ابنة فرعون تعلم بما يقض مضجع أبيها من أمر أطفال العبريين ولكن ذلك لم يحجزها عن أن تتبنى ذلك الطفل وأن تطلق عليه اسماً عبرياً غير معروف بين أساء العبريين ابتدعت لتشير به إلى حادثة عثورها على ذلك الطفل في مياه النهر. « ودعت اسمه موسى<sup>(٨)</sup> وقالت أني انتشلته من الماء ». (خروج ٢: ١٠).

وطلبت ابنة فرعون ظئراً<sup>(٩)</sup> للطفل فجاءوها بأمه فأرضعته ثم بانث عنه فغدونا لا نسمع عنها خبراً.

وهذه القصة إن دلت على شيء فإنها لتدل على أن المصريين ظلوا سادرين في تسامحهم إزاء العبريين ولم يرعوا عن ذلك حتى بعد أن شب الطفل اليهودي كما وانتقض على الذين أحسنوا إليه وانقلب يكييل لهم الضربات واحدة تلو الأخرى، فأف<sup>(١٠)</sup> زرعهم وأوبق ضرعهم واصطلم

(٦) حاك الثوب: نسجه.

(٧) ذكرت القصص الشعبية أن اسمها مريس.

(٨) يرجح بعض الباحثين أن هذا الاسم يعني أن صاحبه من جهة مسري (Moor) المجاورة لجبل حوريب، وقد أوظنت بها إحدى قبائل بني إسرائيل على حين اتجهت سائر القبائل صوب كنعان.

وبما هو جدير بالذكر أن الوصايا العشر المدونة في الإصحاح الثامن للعشرين من سفر الخروج أنزلت على موسى في سيناء، ثم أنزلت عليه مرة أخرى في حوريب بصيغة جديدة هي التي في الإصحاح الخامس من سفر التثنية.

(٩) الظئر: المرضعة لغير ولدها، يقال ظارت المرأة والناقة ونحوها على ولد غيرها: عطفت عليه.

(١٠) أوف الزرع: أصابته الآفة. آفة: أضره وأفسده.

أبكارهم. أجل، لم يرفعوا عن تسامحهم بل تهادوا فيه فأعاروهم حلى الذهب والفضة فذهبوا بها إلى غير رجعة، وقد تمت هذه السرقة بأمر موسى وبعون من رب موسى. « وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى. طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً. وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم. فسلبوا المصريين ». (خروج ١٢: ٣٥-٣٦).

وقد قوبلت هذه الخطة اليهودية - الموسوية بالرضا والتأييد من بني إسرائيل، فلم يكن اقتراحهم السرقة وليد نزعة عابرة أو استجابة لإغراء طارئ، بل هو في تقاليدهم خطة قومية ثابتة رسمها لهم إلههم فلما أنفذوها في دقة ومضاء سجل لهم هذه المفخرة مزدهياً بها في كتابه المقدس.

وقد كان العبريون، كمن في مستواهم من قبائل شتى المجاهل، يحكمون بالقتل على من يسرق في داخل نطاق القبيلة ولكنهم يشجعون السرقة من القبائل الأخرى، وعندهم أن يهوه خلق شتى الأمم لكي يجعل أموالهم غنيمة للاسرائيليين.





## الهجرة

وحدثت في تلك الأيام لما كبر موسى أنه خرج الى إخوته لينظر في أئقالمهم. فرأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من إخوته. فالتفت إلى هنا وهناك ورأى أن ليس أحد فقتل المصري وطمره في الرمل». (خروج ٢: ١١-١٢).

واعتقد موسى أن الجريمة التي طوع له التعصب اقترافها « جريمة كاملة » ارتكبها مستوفياً وسائل المحاذرة والتحوط، ثم تخلص من جسم الجريمة فلم تبق ثم ثغرة تُفضي إلى مؤاخذته بها، واطمأن الى أن الدم المصري الزكي الذي خضب يديه قد طل وعفى النسيان على مصرع صاحبه، فخرج في اليوم التالي يجوس مختالاً خلال بني جلدته فوجد اثنين منها يشتجران فانتصر لأحدهما على صاحبه، فصاح به الآخر: « من جعلك رئيساً وقاضياً علينا. أمفتكر أنت بقتلي كما قتلت المصري. فخاف موسى ». (خروج ٢: ١٤).

ولما استشعر ما هو فيه من حرج مركزه بادر بالفرار ومغادرة الديار، ولم يزل يستحث الخطى حتى بلغ أرض مدين حيث دخل في أسرة كاهنها شيخ العرب رعوثيل. « فلما أتين إلى رعوثيل أبيهن قال ما بالكن اسرعتن في المجيء اليوم ». (خروج ٢: ١٨).

وبذلك يكون موسى قد زایل القصر الملكي الذي كان يحظى فيه بالاعزاز والإجلال وينعم بمباهج (البلاط) وهجر العاصمة الكبيرة التي تزخر شوارعها بالحركة وتنبض بالحياة، ونأى عن ندوات العلماء ومجالس المفكرين وكان يناقلهم فيها أحاديث شائقة ومحاضرات ممتعة ويقبس منهم حكمة وهدى.

وطوح بنفسه في ذلك المهمة<sup>(١)</sup> الموحد ليفقد فيه من عمره أربعين عاماً فريداً بعيداً يطوي

(١) المهمة: المغاظة البعيدة - والبلد القفر.

الليل في خباء<sup>(٢)</sup> من الشعر ثم يصبح ليرعى أغنام حيه. « وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون<sup>(٣)</sup> حيه كاهن مديان ». (خروج ٣: ١).

وكان يضرب في تلك الفيافي متوكئاً على محجنته<sup>(٤)</sup> متأملاً في مستقبله المضاع مفكراً في أبناء قبيلته الذين واجه هذا المصير من أجلهم والذين أمسى يراهم في أحلامه يكدحون ويثنون مما هم فيه مسخرون.

وقد كان أولئك البدو الذين أوى إليهم هم أيضاً أبناء لأبرام<sup>(٥)</sup> فطفقوا يقصون عليه أساطير الأيام الغابرة ويحدثونه حديث مشايخهم الكبار الذين ثوت جثتهم في كنعان، ويدلون إليه بأنباء الإله الذي كان يعبده أبوه، فارتد الرجل إلى عقيدة الصحراء.

وكان لتلك الأصقاع فيه أثر كأثر السحر، ففيها تل يدعى « جبل الله » كان العرب يحجونه ويجعلون عنده نعالهم، وفيها جبال جسام شواهد شاخصة إلى السماء بقللها<sup>(٦)</sup> الجرانيتية تتهور<sup>(٧)</sup> منها أجرف<sup>(٨)</sup> من الرمال والأحجار باعثة في الفضاء هزيماً كثيباً كأنه قصف مدافع يدوي من مكان قصي. ويسمع الصوت البشري في ذلك الجو من أبعاد سحيقه وقد تضخم ورجع صدى له هدير وزئير.

(٢) الخباء: بيت من وبر أو شعر أو صوف يكون على عمودين أو ثلاثة وما فوق ذلك فهو بيت، وفي الحديث أنه اتى خباء فاطمة.  
(٣) هنا أصبح اسم الكاهن يثرون بديلاً من رعوئيل.  
ذكر النظري أن ذلك الكاهن هو المعروف باسم شعيب وأنه كان ضريراً. ﴿وإنا لنراك فينا ضعيفاً﴾.  
(هود ٩١).

وأنه كان يقال له خطيب الأنبياء، لحسن مراجعته قومه فيما يراد بهم.  
ونقل عن قتادة أنه بعث إلى أمينين: إلى قومه أهل مدين وإلى أصحاب الأيكة. وكانت الأيكة من شجر ملتف، فلما أراد الله عز وجل أن يعذبهم بعث عليهم حراً شديداً ورفع لهم العذاب كأنه سحابة فلما دنت منهم خرجوا إليها رجاء بردها فلما كانوا تحتها مطرت عليهم ناراً.

ويقول آخرون إن شعيباً هو نبي شعب الأيكة (أي أهل الغابة) الذي دعى فيما بعد باسم مدين، وأنه لا صلة له بيثرون حمى موسى. ويذهب بعض المفسرين إلى أن موسى لم يدرك شعيباً. إذ أن القرآن ذكر نفرأ من الأنبياء بينهم شعيب ثم قال: ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه...﴾ (الأعراف ١٠٣).  
والملا: الأشراف يملأون العين مهابة.

(٤) المحجن والمجنة: العصا المنعطفة الرأس كالصولجان. يقال حجن العود: عطفه.  
(٥) فقد رزق أبرام من امرأته الجديدة قطورة أولاداً كان أحدهم مديان كما هو مذكور في (تكويين ٢٥: ١-٢).

(٦) القلة: أعلى الرأس والسنام والجبل.

(٧) هار وانهار وتمور البناء وضوه: تهدم.

(٨) الجرف (بالضم وبضمّتين): ما تجرفه السيول وأكلته من الأرض ومنه « فلان يبني على جرف هار ».

وضرب موسى بطرفه من أعلى الجبل إلى ما يليه غرباً فوق بصره على البيداء التي تفصل بينه وبين كنعان موطن أسلافه فجعلها مناط أمله، وأخذت تطراً على ذهنه أفكار جديدة وبدأ يرى في الیقظة أضغاث الأحلام وتراءى له شجيرات يكتنفها الدخان وينبعث منها اللهب وهي لا تحترق<sup>(٩)</sup>، وتتناهى إليه أصوات لا تصحبها أشكال. وخيل إليه مرة أنه سمع هاتفاً يطلب إليه أن يخلع نعليه فتداخله الخوف ولج به الذهول وشروذ الفكر وطالت به الغيبوبة: لقد أصبح يرى صوراً وهمية ويتخيل أخيلة كواذب وجملة القول إنه أصبح نبياً. وزينت له نفسه أن الإله الذي عثر هو عليه حديثاً إله أبرام وإسحق ويعقوب. قد اصطفاه لتحرير قومه من طغيان سادتهم ولإخراجهم من مصر كي يستولوا على أرض تفيض لبناً وعسلاً.

وبذلك تنتهي مرحلة هامة من حياة موسى، مرحلة التخيلات والتوهمات لتبدأ مرحلة تالية هي مرحلة الديماجوجية<sup>(١٠)</sup> والسحر والشعوذة وهي الأشياء التي تصاحب ظهور كل دين.

---

(٩) وجاء إلى جبل الله حوريب. وظهر له ملاك الرب بلهب نار من وسط العليقة. فنظر وإذا العليقة تنوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق... (خروج ٣: ١-٢).

ويفسر بعضهم أحجية العليقة المشتعلة بأن يهوه كان في مبدأ أمره إلهاً للنار.

(١٠) الديماجوج (Demagogue) هو زعيم الغوغاء والمقصود بالديماجوج: المقدرة على التأثير في الجماهير وتهيج

## التنبؤ

كان على موسى أن يفرض زعامته على العبرانيين في مصر عندما يصل إليهم، وأن يظفر منهم بالاعتراف بهذه الزعامة، وذلك بأن ينهي إليهم، هو الغريب عنهم، أن إله آبائهم بعث به إليهم.

### اسم الله :

وكان يتوقع أن يسأله قومه عن اسم الإله الذي بعث به إليهم، وقد جرى كبار رجال الدين في شتى الأديان البدائية على إخفاء اسم إلههم سرّاً محجوباً عن عشيرتهم، فإذا اقتضاهم الأمر أن يسيروا إليه عبروا عنه بكلمة مثل « لفظ الجلالة ». « فقال موسى لله ها أنا آتي الى بني اسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلني إليكم، فإذا قالوا لي ما اسمه. فماذا أقول لهم. فقال الله لموسى أهيه الذي أهيه<sup>(١)</sup>. وقال هكذا تقول لبني إسرائيل: أهيه أرسلني إليكم ». (خروج ٣: ١٣-١٤).

ولج موسى في الاستفسار عن اسم إلهه وألح عليه في الإفصاح عنه صراحة فأجاب إلهه طلبته. « وقال الله أيضاً لموسى. هكذا تقول لبني إسرائيل. يهوه إله آبائكم. إله ابراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلني إليكم. هذا اسمي إلى الأبد، وهكذا ذكرى الى دور فدور ». (خروج ٣: ١٥).

« ثم كلم الله موسى وقال له أنا الرب. وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء<sup>(٢)</sup> وأما باسمي يهوه فلم أعرف عندهم ». (خروج ٦: ٢-٣).

واطمأن موسى إلى أن هذا الاسم الحركي لله الذي سيكشف عنه لبني جنسه سيقنعهم بأنه يمثل

(١) أي « أنا الذي أنا ». وفي كتاب الفرس المقدس أن أمورا مزدا قال لزيدشت « أنا الذي هو أنا » وفي كتاب الموتى المقدس عند قدماء المصريين كان يرمز الى الحياة بكلمة « عنخ » أي ذاك الذي يعيش. وقد يكون لهذا الاسم العبراني صلة بقولهم « قال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم. قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن ». (يوحنا ٨: ٥٨).

(٢) وهو في العبرية إلهداي (Elshaddai).

إلهاً حقيقياً وبأن هذا الإله رسم له أن يمضي إلى مصر ليخرجهم منها ويقودهم إلى فلسطين ودبر في نفسه أن يقول لهم إن أميه هذا الذي غير اسمه فجعله يهوه هو إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، فإذا لم يكف ذلك لإقناعهم باتباعه فليلق في وهمهم أنه سي شخص بهم إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً فلا يلبثون أن تتحلب<sup>(٣)</sup> أفواهم وتهن مقاومتهم فيسلموه مقادهم، وعندئذ يبدأ الهجوم على مصر من داخلها.

## الترجان:

كان موسى يعرف من نفسه العي والفهاة فهو أخرى ألا يتحدث إلى أحد من عامة الناس فضلاً عن أن يخطب في جموع الشعب ويوجه النذر الهادرة إلى فرعون العظيم. وقد رأى موسى أن يراجع يهوه في ذلك. « فحى غضب الرب على موسى وقال أليس هرون اللاوي أخاك. أنا أعلم أنه هو يتكلم وأيضاً ها هو خارج لاستقبالك، فحيناً يراك يفرح بقلبه. فتكلمه وتضع الكلمات في فمه. وأنا أكون مع فمك ومع فمه وأعلمكما ماذا تصنعان. وهو يكلم الشعب عنك. وهو يكون لك فماً وأنت تكون له إلهاً. وتأخذ في يدك هذه العصا التي تصنع بها الآيات». (خروج ٤: ١٤-١٧).

ودعك من هذه التعبيرات الفجة « تضع الكلمات في فمه » « أنا أكون مع فمك ومع فمه » « أنت تكون له إلهاً »، التي تبين لنا أن يهوه كان يشكو من العي في التعبير عما شكا موسى، وتعال نرى من أين نجم هرون هذا؟ إن كاتب القصة لم يذكر لنا إلى الآن طرفاً من أمره، وقد عهدنا موسى منبت الصلة بأهله منذ فضاله<sup>(٤)</sup>. وها هوذا الآن قد بلغ الثمانين من عمره.

إن الثمانين وبلغتها ————— قد أحوجت سمعي إلى ترجان وهي إذا كانت قد أحوجت سمع زهير بن أبي سلمى إلى ترجان فقد أحوجت لسان موسى إلى ترجان. الخطب هين. فليظهر الترجان وألهم يهوه هرون أن يخف إلى لقاء أخيه في جبل حوريب بشبه جزيرة سيناء، ويا له من مكانٍ سهل فيه اللقاء. « فذهب والتقاءه في جبل الله وقبله ». (خروج ٤: ٢٧).

ووفد موسى هناك بعد أن أذنه يهوه بأن جريمته في مصر قد سقطت بمضي المدة. « مات جميع الذين كانوا يطلبون نفسك ». (خروج ٤: ١٩).

(٣) تحلب العرق: سال: تحلب فمه: سال بالريق.

(٤) فصل المولود عن الرضاع: فطمه. الفصال: فطام المولود، ومنه « ورحله وفصاله ثلاثون شهراً ».

الأحقاف ١٤).

وكم نبي الله موسى من حيه نبي الله يثرون خبيثة أمره وعلة سفره بل كذب عليه قائلاً :  
 « أنا أذهب وأرجع إلى إخوتي الذين في مصر لأرى هل هم بعد أحياء » . ( خروج ٤ : ١٨ ) .  
 « فأخذ موسى امرأته وبنيه وأركبهم على الحمير<sup>(٥)</sup> ورجع إلى أرض مصر . وأخذ موسى  
 عصا الله في يده » . ( خروج ٤ : ٢٠ ) .

كان موسى قد حذق في مصر أفانين السحر وملك من أعنته ما يكفل له أن يسترعى انتباه  
 قومه له ويجذبهم نحوه ويلفهم حوله . ورأى أن يجرب الأعيبه أمام شيوخ القبيلة ورؤساء  
 البيوتات قبل أن يجازف بعرضها على فرعون . « ثم مضى موسى وهرون وجعا جميع شيوخ بني  
 إسرائيل . فتكلم هرون بجميع الكلام الذي كلم الرب موسى به وصنع الآيات أمام عيون الشعب  
 فآمن به الشعب » . ( خروج ٤ : ٢٩ - ٣٠ ) .

وحظى موسى وأخوه بالثول بين يدي فرعون . وليس فرعون مصر بملك صغير كملوك  
 الإسرائيليين والفلسطينيين ممن لا تزيد مملكة كل منهم على رقعة محدودة السعة كالتى يحكمها  
 أحد « العمد » في ريف مصر هذه الأيام . وعمد النبيان الشقيقان الى الكذب على فرعون فزعا  
 أنها يلتمسان المضي بالعبريين في البرية ثلاثة أيام ليزجوا الأضحى ، لإلههم القوي . « فالآن  
 نمضي ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب إلهنا » . ( خروج ٣ : ١٨ ) .

وذلك على حين أنها كانا قد بيتا النية على أن يفصلا بهم عن مصر الى غير رجعة .  
 ولم يكن الاسرائيليان الشقيقان بمعنيين أن يحقا الحق ويزهقا الباطل بل كان أكبر همهما أن  
 يجلوا للعبون ما يحذقان من فنون الشعوذة وانبرى موسى بيدي بين يدي فرعون ما كان أعده من  
 صنوف التعاجيب ، فجعل عصاه تستحيل حية ثم أعادها سيرتها الأولى<sup>(٦)</sup> فلم تبهر اللعبة فرعون  
 لأنها لم تكن بدعا . « فدعا فرعون أيضاً الحكماء والسحرة . ففعل عرافو مصر أيضاً بسحرهم  
 كذلك : طرحوا كل واحد عصاه فصارت العصي ثعابين » . ( خروج ٧ : ١١ - ١٢ ) .

(٥) لقد اركبهم جميعاً على حمار واحد كما هو واضح في الترجمة الانجليزية (Upon an Ass) .

(٦) وهذا يذكرنا بما صنعه موسى بعضا أخيه هرون إذ وضعها بين عصي رؤساء الأسباط أمام الرب أي أمام  
 الصنم الحجري الناوي في خيمة الشهادة ، فزدهرت وأورقت . « وفي الغد دخل موسى الى خيمة الشهادة وإذا عصا  
 هرون لبيت لاوي قد أفرخت . أخرجت فروخاً وازهرت زهراً وأنضجت لوزاً » . ( عدد ١٧ : ٨ ) .  
 وبذلك أفحم موسى منافسي شقيقه وبين لرؤساء الشعب أن الله اختار هرون وحده من بينهم لينفرد هو وأولاده  
 وحفده من بعده الى أبد الأبدين بأعمال الكهانة وما تفيئه من كسب .

وفي أساطير الرومان أن رومولوس (مؤسس روما) أطلق رجه في الهواء فمضى بونا شاسعاً ثم سقط على تل  
 الأفتين حيث استحال شجرة مورقة .

ولكن كيف تنسى لهم ذلك؟ إن كاتب السفر لا يحدثنا في أمر خدعة بل هو يذكر في صراحة أن العرافين والسحرة بعثوا الحياة في العصا فإذا هي حية تسعى، فهل تم لهم ذلك بمعونة الله أو بمعونة الشيطان؟

فإذا كان الله هو صاحب الفضل في ذلك فلم انتهك جل جلاله قوانين الطبيعة هذا الانتهاك الخطير مرضاة لفرعون وسحرته؟ وإذا كان الشيطان هو الذي سني لهم ذلك، فهل في طوق الشيطان أن يخلق الحياة ويبعثها في غير الحي ويحبو الجهاد بالروح؟

وعرض موسى لبعبتين أخريين هما تحويل الماء دماء وركوب البلاد بجحفل من الضفادع، فنهض سحرة مصر أيضاً بمثل ذلك ولكن موسى كان أرسخ منهم قدماً في هذه الفنون، وكان قد أعد في جعبته ألعاب أخرى لا يعرفونها فلم يستطيعوا مماراته فيها.

ومن الواضح أن براعة موسى في تحويل الأشياء الكريمة أشياء خسيصة ثم إعادتها الى ما كانت عليه، وإن دلت على شيء فإنما تدل على مهارته في هذا الضرب من السحر ولكنها لا تدل بحال على أنه نبي إسرائيل. وفي استطاعة المنوم المغناطيسي أن يوهم امرأة ما أن «يده برصاء مثل الثلج». (خروج ٤: ٦).

ثم يوهمه بعد ذلك أنها «قد عادت مثل جسده». (خروج ٤: ٧).

وفي استطاعة اللعابين أن يخرجوا من قلائسهم أرانب فلا يدل ذلك على أن في مقدور أي منهم أن ينجي الموتى وإنما يدل على طول باعهم في بعض فنون المخاتلة عن النفس والتغريب بالناس.

لو أن الاسرائيليين الشقيين قالوا لفرعون قولاً ليناً، وعملا من بادىء الأمر على إقناعه بصدق رسالتها، لكان من الممكن أن تنتهي المشكلة بسلام، ولو أنها أروياها قتيلاً بادىء بدء، لبلغت القصة ختامها دون ما إطالة أو تمطيط، بيد أنها كانا يرغبان في الإفاضة والإسهاب ليسفر ذلك عن مأساة بالغة البشاعة تثلج صدور الاسرائيليين، ومن ثم عمد يهوه الى تقسية قلب فرعون وإكسابه غلظاً. «ولكني أشدد قلبه حتى لا يطلق الشعب». (خروج ٤: ٢١، خروج ١٠: ٢٧، خروج ٧: ٣، خروج ١٠: ١-٢، خروج ١٤: ٤).

«وها أنا أشدد قلوب المصريين حتى يدخلوا وراءهم. فأمجد بفرعون وكل جيشه بمركباته وفرسانه فيعرف المصريون أني أنا الرب حين أتمجد بفرعون ومركباته وفرسانه». (خروج ١٤: ١٧-١٨).

وإنما قسى يهوه قلب فرعون ليتيح لنفسه فرصة البطش بالمصريين، فهو يمينهم بالبواب **هلل** الوباء، حتى إذا ما رضي فرعون أن يطلق اليهود طلب موسى مطلباً جديداً لم يكن

فما احتواه ملتمسه الأول، فأصرّ على أن « تذهب مواشينا أيضاً معنا. لا يبقى ظلف»  
(خروج ١٠: ٢٦).

ولا يملك فرعون إلا أن يبدي امتعاضه من المطلب الجديد فتهياً فرصة جديدة ليهوه كي  
يبطش بالمصريين.



## الضربات الموسوية العشر

أهوى يهوه وكليمه موسى الى المصريين بهذه الضربات الموجعة .

### ١ - ضربة الدم :

« ففعل هكذا موسى وهرون كما أمر الرب . رفع العصا وضرب الماء الذي في النهر أمام عيني فرعون وأمام عيون عبيده ، فتحول كل الماء الذي في النهر دمًا . ومات السمك الذي في النهر وأنتن النهر فلم يقدر المصريون أن يشربوا ماء من النهر . وكان الدم في كل أرض مصر .. وفعل عرافو مصر كذلك بسحرهم . فاشتد قلب فرعون فلم يسمع لها كما تكلم الرب .. وحفر جميع المصريين حول النهر لأجل ماء ليشربوا لأنهم لم يقدرُوا أن يشربوا من ماء النهر » . (خروج ٧ : ٢٠ - ٢٤) .

### ٢ - ضربة الضفادع :

« فقال الرب لموسى قل لهرون مد يدك بعصاك على الأنهار والسواقي والآجام واصعد الضفادع على أرض مصر ... وفعل كذلك العرافون بسحرهم وأصعدوا الضفادع على أرض مصر » . (خروج ٨ : ٥ - ٧) .

### ٣ - ضربة القمل :

« مد هرون يده بعصاه وضرب تراب الأرض فصار البعوض على الناس وعلى البهائم . كل تواب الأرض صار بعوضاً في جميع أرض مصر » . (خروج ٨ : ١٧) .  
بيد أن القوم لم يبعضوا<sup>(١)</sup> بل قملت<sup>(٢)</sup> رؤوسهم وتفشى القمل مواشيهم على غير المعهود .

(١) بعض القوم (بالبناء للمجهول) : آذاهم البعوض .

(٢) قمل البدن : تولد فيه القمل . والترجمة الانجليزية للآية الآنفة الذكر هي :

(And it Became Lice to man and in' Beast) ومنها يتضح أن الذي ركب الناس والبهائم لم يكن بعوضاً بل كان قملًا .

● وقد استعمل القرآن في هذا الموضع كلمة قمل . ومن المعلوم أن القرآن كتب في عهد الخليفة عثمان خلوا من

## ٤ - ضرب الذباب :

« فدخلت ذبان كثيرة الى بيت فرعون وبيوت عبيده وفي كل أرض مصر خرجت الأرض من الذبان ». ( خروج ٨ : ٢٤ ).  
وذلك باستثناء المنطقة الاسرائيلية في أرض جاسان شرقي فرع دمياط .

## ٥ - وباء المواشي :

« فها يد الرب تكون على مواشيك التي في الحقل ، على الخيل والحمر والجبال والبقر والغنم وباء ثقيل جداً » . ( خروج ٩ : ٣ ) .

هنا يهدد موسى مصر تهديداً خطيراً بحرب الجرائم التي حرّمها اتفاق جنيف لبشاعتها ومنافاتها للانسانية، حتى لقد عف عنها السفاحان الفاشيان هتلر وموسوليني . « فهايت جميع مواشي المصريين وأما مواشي بني إسرائيل فلم يمت منها واحد » . ( خروج ٩ : ٦ ) .

ونفقت جميع الخيل والحمر والجبال والبقر والغنم في مصر مع أن هذه الحيوانات لم يكن لها ذنب في الاضطهاد الذي كان يسامه العبرانيون بل لقد كانت هي أيضاً تسام من السخرة أضعاف ما يسامون .

يرى المتمدنون الآن في بث الأوبئة وقتل الماشية دليلاً على شذوذ عقلي وانحراف ذهني، أما بهوه فقد وجد فيها الطريقة المثلى لإظهار عظمتة . « لكي تعرف أن ليس مثلي في كل الأرض » . ( خروج ٩ : ١٥ ) .

ويبدو أن بهوه نسي أن المقصود بهذه الضربات هو تخريب شعبه المختار، فانقلبت عنده الوسيلة غرضاً وأصبح التخريب مطلباً مقصوداً لذاته .

٦ - « فأخذوا رماد الأتون ووقفوا أمام فرعون وذراه موسى نحو السماء فصار دمامل بثور ضالعة في الناس وفي البهائم » . ( خروج ٩ : ١٠ ) .

وهكذا قدر على تلك البهائم أن تصاب بالبثور بعد أن نفقت جميعاً في الوباء الذي ابتلاها به موسى في الضربة الخامسة .

## ٧ - ضربة البرد :

« فكان برد ونار متواصلة في وسط البرد . شيء عظيم جداً لم يكن مثله في كل أرض مصر »

علامات الضبط ثم استحدث العرب هذه العلامات فضببط هذه الكلمة بضم القاف وتشديد الميم مفتوحة، وقد يكون المراد بالقمل القمل أو حشرة أخرى كالمهاوش الذي يكثر على ضفاف النيل في موسم الفيضان. وهذا ما سهل لترجي التوراة إلى العربية أن يستبدلوا بكلمة القمل كلمة البعوض . والبعوض أقل استئارة للاشمئزاز من القمل .

منذ صارت أمة فضرب البرد في كل أرض مصر جميع ما في الحقل من الناس والبهائم. ضرب البرد جميع عشب الحقل وكسر جميع شجر الحقل. إلا أرض جاسان حيث كان بنو إسرائيل فلم يكن فيها برد». (خروج ٩: ٢٤-٢٦).

يا للبهائم المسكينة. إنها تقتل هنا مرة أخرى إرواء لحقد يهوه وشفاء لسخيمته. لقد أهلك الزرع والضرع جميعاً في هذه الضربة ولم يبق لغذاء الأهلين منها شيئاً. وماذا عسى أن تكون قد أكلت تلك الحيوانات التي سلمت من المذبحة لتهلك في ضربة تالية.

## ٨ - ضربة الجراد:

« فصعد الجراد على كل أرض مصر. وحل في جميع تخوم مصر. شيء ثقيل جداً لم يكن قبله جراد هكذا مثله ولا يكون بعده كذلك. وغطى وجه كل الأرض حتى أظلمت الأرض. وأكل جميع عشب الأرض وجميع ثمر الشجر الذي تركه البرد حتى لم يبق شيء أخضر في الشجر ولا في عشب الحقل في كل أرض مصر». (خروج ١٠: ١٤-١٥).

وهل أبقى البرد في الحقول شيئاً أخضر للجراد بعدما ضرب جميع العشب وكسر جميع شجر الحقل؟

## ٩ - ضربة الاظلام:

« ثم قال الرب لموسى، مد يدك نحو السماء ليكون ظلام على أرض مصر حتى يلمس الظلام. حمد موسى يده نحو السماء فكان الظلام دامس في كل أرض مصر ثلاثة أيام لم يبصر أحد أخاه ولا قام أحد من مكانه ثلاثة أيام. ولكن جميع بني إسرائيل كان لهم نور في مساكنهم»<sup>(٣)</sup>. (خروج ١٠: ٢١-٢٢).

لقد كان يهوه دائماً عدواً للنور، ومن ثم لم يهجمس بخاطره أن يدع للمصريين بصيصاً منه يسرون على هدية ولو إلى الخلاء لقضاء الحاجة.

وقد كان في مستطاع موسى أن ينتهز حلول هذا الظلام الحندس<sup>(٤)</sup> فينصرف ببني إسرائيل الى حيث شاء، ولكنه لو فعل ذلك لفوت على إلهه الغشوم فرصة توجيه الضربة العاشرة الى

---

(٣) قيل إنه بدا لراهب من رهبان القرون الوسطى أن يتخذ من هذه القصة وسيلة للتأثير في السذج فكان يعرض عليهم قارورة ملأى بمسحوق أسود ويقول لهم إن ما في القارورة هو بقية من ذلك الظلام المجسم الذي عم أرجاء مصر في أيام موسى.

(٤) الحندس: الليل الشديد الظلمة، ومنه الحديث: «وفي ليلة ظلماء حندس...». و-الظلمة، ومنه الحديث «وقام الليل في حندسه». ويقال أسود حندس: شديد السواد كأسود حالك.

أجدادنا المصريين، وهي تمتاز من الضربات السابقة بأنها مأساة حقيقية لا هزل فيها.

## ١٠ - مجزرة الأبقار :

« فدعا موسى جميع شيوخ اسرائيل وقال لهم. اسحبوا وخذوا لكم غنماً بحسب عشائركم واذبحوا الفصح وخذوا باقة زوفا وأغمسوها في الدم الذي في الطشت ومساو العتبة العليا والقائمتين بالدم الذي في الطشت. وأنتم لا تخرج أحد من باب خيمته حتى الصباح. فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين يعبر الرب عن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب ». (خروج ١٢: ٢١-٢٣).

ولم كان ذلك العنت؟ ألم يكن في استطاعة يهوه أن يميز بين بيوت اليهود وبيوت المصريين دون علامة كما فعل في ضرباته السابقة؟ ولم كان من المحتوم أن تكون تلك العلامة دموية؟ وكيف تسنى لموسى أن يبلغ اليهود - وهم قرابة ثلاثة ملايين - هذه الأوامر الخطيرة التي يفضي الخطأ فيها الى اباداة أبقار اليهود أنفسهم؟ إن دم الشياه إنما هو قربان ليهوه وبدل من الأضحيات البشرية التي كان تقربها للآله شائعاً بين البدائيين في غابر الزمان.

ولا يزال اليهود الى اليوم يحتفلون لذكرى تلك المذبحة امتثالاً لأمر يهوه. « ويكون لكم هذا اليوم تذكراً فتعيدونه عيداً للرب. في أجيالكم تعيدونه فريضة أبدية ». (خروج ١٢: ١٤). ألا ما أشنع أن يتخذ الناس أيام المذابح أعياداً قومية.

والآن، فلندع التوراة تدلي لنا بتفصيل الجناية الفظيعة التي جناها الاسرائيليون على المصريين. « فحدث في نصف الليل أن الرب ضرب كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه الى بكر الأسير الذي في السجن وكل بكر بهيمة. فقام فرعون ليلا هو وكل عبيده وجميع المصريين وكان صراخ عظيم في مصر لأنه لم يكن بيت ليس فيه ميت ». (خروج ١٢: ٢٩-٣٠).

يا له من مشهد فاجع اغتبط له بنو اسرائيل فأنشدوه أغنية يترغنون بها. « أحمدا رب الأرباب لأن الى الأبد رحته... الذي ضرب مصر مع أبقارها<sup>(٥)</sup> لأن الى الأبد رحته ». (مزمور ١٣٦: ٣-١٠).

---

(٥) ولا غرو أن يقتل يهوه أبقار الشعب المصري الذي يكن هو له الحقد والحسد وهو الذي لم يعف عن أبقار شعبه المختار، فأوجب على كل أب نذر ابنه له في ساعة طيش أن يلقيه دوغماً رحمة في الأتون المشتعل الذي لا يفنا يصبح هل من مزيد. « كل محرم مجرم من الناس لا يفدي. يقتل قتلاً ». (لاويون ٢٧: ٢٩).

ما الذي جناه أبناء الشعب المصري حتى يبتلوا بهذه المحن التي ليس لها منتهى ثم تذبح أبقارهم جميعاً في تلك الليلة الشؤمى؟ بم أساء «الأسير الذي في السجن» الى يهوه؟ بل ما ذنب فرعون نفسه ويهوه هو الذي أودع قلبه الغلظة والقساوة؟

وهذه البهائم المسكينة بأي ذنب قتلت؟ إن كاتب القصة رجل سادي<sup>(٦)</sup> يلتذ تعذيبها وقتلها في كل ضربة. لقد أماتها في الضربة الخامسة ثم أثنخ فيها قتلاً بالبرد في الضربة السابعة، ثم اصطلم الأبقار منها في الضربة العاشرة، وها هو ذا قد ادخر لها ضربة أخرى.

فقد أطلق فرعون شعب اسرائيل ولكن يهوه لم يطلق فرعون، ذلك أن الضربات العشر لم ترو ظمأه الى الدماء وما يزال في وسعه أن يصك الشعب المصري قبل أن يعبر تخومه ويفارقه الى غير رجعة، بضربة حادية عشرة، ولهذا وسوس الى فرعون أن يتعقب موسى وأوحى الى موسى أن يتلكأ في فراجه حتى يوشك فرعون أن يدركه. «وكلم الرب موسى قائلاً: كلم بني اسرائيل أن يرجعوا وينزلوا أمام فم الحيروث بين مجدل والبحر أمام بعل صفون. مقابله تنزلون عند البحر. فيقول فرعون عن بني اسرائيل هم مرتبكون في الأرض قد استغلق عليهم الفقر واشدد قلب فرعون حتى يسعى وراءهم فأتجد بفرعون وبجميع جيشه»<sup>(٧)</sup>. (خروج ١٤: ١-٤).

وقد غلظ قلب فرعون حقاً امتثالاً لمشيئة يهوه. «فشد مركبته وأخذ قومه معه. وأخذ ست مئة مركبة منتخبة وسائر مركبات مصر وجنوداً مركبية على جميعها. وشدد الرب قلب فرعون ملك مصر حتى سعى وراء بني اسرائيل». (خروج ١٤: ٦-٨).

وأنى لفرعون الخيل وقد نفق جميع ما كان في مصر منها؟

ورأى مقاتلة اليهود وعددهم ٦٠٠,٠٠٠ شاكو السلاح جيش فرعون وقد نهكته الضربات العشر ففزعوا وجزعوا وأخذوا يولولون ويصوتون، ورأوا أن يهوه قد اشتط في تقسية قلب

---

لقد روى الأرض بدماء الأبقار قروناً طويلة ثم جاء آخر الأمر يعترف بأنه قد فعل ذلك سخرية بشعبه المختار وأنه لم يكن جاداً فيما فرضه عليهم. «وأعطيتهم أيضاً فرائض غير صالحة وأحكاماً لا يميون بها: ونجستهم بمطاباهم إذ أجازوا في النار كل فاتح رحم لأبيدهم حتى يعلموا أني أنا الرب». (حزقيال ٢٠: ٢٥).

هو دائماً السبب نفسه: ليعلموا أنه هو الرب.

(٦) نسب الى الماركيز الفرنسي ده ساد أنه كان يلتذ تعذيب عشيقاته، ويستهو به أن يقتل الحيوان ليستمتع بمشاهدته وهو يعاني آلام النزع.

(٧) وهذا يناقض ما ذكره هذا السفر قبل ذلك من أن يهوه مال ببني اسرائيل نحو الجنوب ولم يرحف بهم قدماً صوب كنعان حتى لا يصطدموا هناك بمحافل الفلسطينيين فيرتدوا الى مصر مقطعين. «لأن الله قال لثلاثا يندم الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعوا الى مصر فأدار الله الشعب في طريق برية بحر سوف... وكان الرب يسير أمامهم نهراً في همد سحاب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم. لكي يمشوا نهراً وليلاً». (خروج ١٣: ١٧-٢١)

فروعون وخالجهم الشك في أنهم سيفلحون في الخروج من مصر وكذلك في أن هذا الخروج سيجدي عليهم فقالوا لموسى. « كف عنا فنخدم المصريين. لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية »<sup>(٨)</sup>. (خروج ١٤: ١٢).

فأخذ موسى يهدى من روعهم ويسري عن قلوبهم وجعل يطمئنهم مؤكداً لهم أن « الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون »<sup>(٩)</sup>. (خروج ١٤: ١٤).

وأدار موسى عصاه في الهواء فانشق الماء<sup>(١٠)</sup> وهبط إسرائيل في منحدر عميق. « فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم ». (خروج ١٤: ٢٢-٢٣).

ولم يبد المصريون شيئاً من الدهش وهم يسيرون على قعر البحر بين جدارين شاهقين من الماء، ولم يسترع الأمر انتباههم<sup>(١١)</sup> فتبعوا العبريين.

وحارب يهوه بنفسه واضطلع بالجانب الميكانيكي من الحملة. « وكان في هزيع الصباح أن أشرف على عسكر المصريين في عمود النار والسحاب وأزعج عسكر المصريين وخلع بكر مركباتهم حتى ساقوها بثقله. فقال المصريون نهرب من إسرائيل لأن الرب يقاتل المصريين عنهم ». (خروج ١٤: ٢٤-٢٥).

وأطبق البحر على الفرسان المصريين فغرقوا عن بكرة أبيهم وملك السرور على الاسرائيليين

---

(٨) وهذا يخالف ما ذكرته القصة قبل ذلك من أن بني إسرائيل ظعنوا عن مصر مرفوعي الرؤوس شامخي الأنوف. « وبني إسرائيل خارجون بيد ربيعة ». (خروج ١٤: ٨).

(٩) في القرآن أن قوم موسى هم الذين اقترحوا عليه هذا المقترح. « قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها، فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ». (المائدة ٢٤).

(١٠) وفي رواية أن انشقاق الماء كان لهبوب الريح. « فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء ». (خروج ١٤: ٢١).

وتم قصص مماثلة.

فقد عبر الماء على هذا النحو الأسكندر وجيشه، وباخوس وجيشه، وإيزيس، وكروشنا.

وكذلك عبر يشوع بن نون نهر الأردن مقابل أريحا، وعبره إيليش بعد أن ضرب ماء برداء إيليا.

ومشى يسوع فوق صفحة الماء.

(١١) فليس في قصص الكتاب المقدس أحد يدهش لشيء.

فحواً لم تدهش حين كلمتها الحية في جنة عدن باللغة العبرية الفصحى.

وبلعام لم يدهش حين كلمته الآتان باللهجة الموآبية الفصحى.

وجنود يشوع لم يدهشوا عندما سقط سور أريحا استجابة لنفخ الكهنة في السور.

أنفسهم. « حينئذ رنم موسى<sup>(١٢)</sup> وبنو اسرائيل هذه التسبيحة للرب وقالوا: أرنم للرب فإنه قد تعظم. الفرس وراكبه طرحها في البحر... الرب رجل الحرب. الرب اسمه... بريح أنفك تراكمت المياه. نفخت بريحك فغطاهم البحر. غاصوا كالرصاص... من مثلك بين الآلهة يا رب ». (خروج ١٥: ١-٩).

وهذا النشيد - في أغلب الظن - لم يوضع إلا بعد عبور البحر (أو البر)<sup>(١٣)</sup> بزمن مديد، إذ هو يتحدث عن فتح كنعان على أنه شيء قد وقع حقاً. « ترشد برأفتك الشعب الذي فديته. تهديه بقوتك الى مسكن قدسك. يسمع الشعوب فيرتعدون. تأخذ الرعدة سكان فلسطين. حينئذ يندهش أمراء أدوم أقوياء موآب تأخذهم الرجفة. يذوب جميع سكان كنعان ». (خروج ١٥: ١٣-١٥).

هذا، ويلاحظ أن هاتين الحادثتين ذواتي الطابع الرومانسي اللتين أريد بهما إظهار مدى حب يهوه لشعبه المختار، الا وهما عبور اليهود للبحر وغرق المصريين فيه، لم يقتصر أمرهما على أنه لم يرد لهما ذكر فيما دونه المصريون من متون تاريخية، بل إنها كذلك كانتا مجهولتين من الرعييل الأول من أنبياء بني اسرائيل، وذلك دليل أنها لفتتا في زمن تال.

---

(١٢) وفي رواية أخرى أن التي استخفها الطرب فترنمت بهذه الأنشودة إنما هي مريم ابنة عمرام (عمران) أخت هرون وموسى. « فأخذت مريم النبية أخت هرون الدف بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص. واجابتهم مريم. ونموا للرب فإنه قد تعظم. الفرس وراكبه طرحها في البحر ». (خروج ١٥: ٢٠-٢١).

(١٣) تناول أحدهم هذا الموضوع بالبحث فقال إن البحر الأحمر ينتابه مد وجزر شديداً فجائيان، وقد يكون من المستطاع الخوض فيه شمال مدينة السويس، وحدث أن خصائص هذا المكان هي التي كانت مرجع الإلهام لوضاع القصة.

## اليهودي التائه

وما أنفك اليهودي التائه<sup>(١)</sup> يضرب في صحراء سيناء حتى قضى هو والملايين الثلاثة الذي فصلوا معه عن مصر وأسلموه مقادهم، دون أن يرى منهم أرض الميعاد غير رجلين اثنين لا ثالث لهما. وقد كان جديراً بهم الا يضلوا الطريق وقد جعل يهوه من نفسه مرشداً لهم. « وكان الرب يسير أمامهم نهراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهراً وليلاً. لم يبرح عمود السحاب نهراً وعمود النار ليلاً من أمام الشعب ». (خروج ١٣: ٢٠-٢١).

ويبدو من ذلك أنهم لم يكونوا يشعرون باللغب<sup>(٢)</sup> من المشي نهراً والسري ليلاً وهم حاملين أثقالهم. ولنا أن نسأل أنفسنا: لم يرضيهم يهوه بهذا المشي النكير<sup>(٣)</sup> الى غير غاية، وقد حزم رأيه ألا يبلغهم أملهم في دخول الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً، وبيت نيته أن يميتهم في ذلك المهمة القفر؟

لقد كانوا نحو ثلاثة ملايين فإذا ساروا في صفوف مترابطة ينتظم كل منها عشرين امرأة ويشغل كل صف متراً واحداً بلغ طول القافلة مئة وخسين كيلو متراً، وبما أنهم فصلوا جميعاً عن مصر في ليلة واحدة أي خلال سبع ساعات أو ثماني ساعات فلا بد أنهم كانوا يسرون دون توقف بسرعة عشرين كيلو متراً في الساعة، وإنما لسرعة تخرج عن طوق البشر.

ولنا أن نسائل أنفسنا كيف كان موسى يتحدث اليهم جميعاً عند باب خيمة الاجتماع وهي لا يزيد عرضها على خمسة أمتار ولم يكن ثم مذياع؟ « وكلم الرب موسى قائلاً. خذ هرون وبنيه معه

---

(١) جاء في إحدى القصص الشعبية أن يهودياً ما هزأ بالرب يسوع وهو يسمى الى حيث يصلب، وأبى أن ينقع بالماء غلته، فباء بلعنة منه قضت عليه أن يظل هائماً على وجهه في الأرض الى أن يؤوب اليها يسوع بعد آلاف السنين يفرض عليها حكمه وسلطانه (وازن بين هذه الأسطورة وأسطورة المهدي المنتظر).

(٢) لغب الرجل: تعب وأعبأ أشد الإعباء.

(٣) نكر الأمر: صعب واشتد. أمر نكير: شديد صعب.



والثياب ودهن المسحة وثور الخطية والكبشين وسل الفطير واجمع كل الجماعة الى باب خيمة الاجتماع». (لاويون ٨: ١-٢).

لا ريب أنه كان يتمتع برئتين قويتين وصوت جهير يسمع على مبعده عشرات الكيلومترات. وكيف تسنى لهم أن يحملوا من الكساء ما يقوم بجاحتهم أربعين عاماً؟ هل كانت الملائكة تعمل طوال تلك الأعوام في رتق ما يتفتق من أهدامهم<sup>(٤)</sup> وفي خصف<sup>(٥)</sup> ما ينقب<sup>(٦)</sup> من نعالمهم. «ثيابك لم تبل عليك ورجلك لم تتورم هذه الأربعين سنة». (تثنية ٨: ٤، تثنية ٢٩: ٥).

حسن، ولكن ألم يكونوا يموصون<sup>(٧)</sup> ثيابهم؟ ذلك أمر لا مناص منه وبخاصة فيما يتصل بثياب الأطفال. وإذا سلمنا - جديلاً - بأن ثيابهم لم تخلق واحتفظت بجدتها فكيف ظلت ثياب الأطفال الرضع صالحة لهم عندما أوغلوا في أطوار العمر ونمت منهم تبعاً لذلك الجسوم؟ وكيف كانت قطعان الماشية التي استصحبوها معهم تجد ما تأكله في تلك الأرض الجرداء التي لا تنبت غير طبقة رقيقة من الكلاً إذا لم ترعه الصفوف الأمامية من الماشية وطئته وصيرته غير صالح لطعام الصفوف الخلفية منها؟ وأين كانت هذه الماشية عندما كان اليهود النازحون لا يجدون شيئاً يقتاتونه غير المن<sup>(٨)</sup> وهو طعام تعافه النفس؟

لِمَ لم يأكل المهاجرون ما جلبوه معهم من مواشي مصر وأغنامها؟ هل نفقت؟ هل نفذت؟ ليس يبدو الأمر كذلك، فقد كتب عليهم إلههم أن يظلوا يرعون مواشيهم وأغنامهم حتى يدخل أولادهم أرض الميعاد. «فجثثكم أنتم تسقط في هذا القفر وبنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة». (عدد ١٤: ٣٢-٣٣).

لقد أجم<sup>(٩)</sup> القوم ذلك المن ذا الخواص العجيبة، وقد كان. «إذا حيت الشمس يذوب». (خروج ١٦: ٢).

ولكنه لم يكن يذوب وهم يسلقونه ويعجنونه ويخبزونه، وكان الاسرائيلي منهم مهما أكثر من جمعه أو قلل منه يجد أنه جمع ما يملأ المكيال المعروف عندهم بالعمر ملئاً تاماً لا زيادة فيه ولا نقصان، وذلك باستثناء أيام الجوع فقد كان يسقط بين أيديهم منه ما يكفيهم يومين

(٤) الهدم: الثوب البالي، يقال عليه هدم وأهدام أي ثياب أخلاق.

(٥) خصف النعل: خرزها بالمخصف.

(٦) نقب الخف الملبوس: تخرق.

(٧) ماص الثوب: غسل غسلاً ليناً رقيقاً.

(٨) وقد أسمى المن في المزمور الثامن والسبعين بجز الملائكة مما يفهم منه أنه يؤكل في الفردوس.

(٩) أجم الطعام وغيره: كرهه من المداومة عليه.

ولا يسقط منه في أيام السبت شيء ، وكانوا إذا أفضلوا الى اليوم التالي شيئاً مما جمعه أنتن<sup>(١٠)</sup> ودود<sup>(١١)</sup> .

وقد لبثوا طوال تجوالهم في سيناء يأكلون هذا الطعام المسيح<sup>(١٢)</sup> الذي لا تتوافر فيه حاجتهم من العناصر الغذائية الضرورية للجسم ولم يتخلصوا منه إلا بعد أن عبروا نهر الأردن فأصبحوا عبريين موطنين بأرض الميعاد .

لقد دخلوا تلك البلاد بعد حرب عوان<sup>(١٣)</sup> استأصلوا فيها شأفة أهلها وأبادوا حيوانها وأحرقوا دورها وأخربوا ربوعها ولكنهم ما إن وضعت الحرب أوزارها حتى ألفوا الموائد حافلة بطعام شهى غذي يقوم بثلاثة ملايين من الغزاة . « وانقطع المن في الغد عند أكلهم من غلة الأرض » .

---

(١٠) ويبدو أن هذه القاعدة قد نقضت مرة عندما تسلم يشوع مقاليد الأمور بعد موت موسى ، وقال للقوم : « هيثوا لأنفسكم زادا لأنكم بعد ثلاثة أيام تعبرون الأردن هذا لكي تدخلوا فتملكوا الأرض » . ( يشوع ١ : ١١ ) .  
(١١) المفروض أن الدود الذي يتحدثون عنه ليس دوداً حقيقياً بل هو يرقان الذباب وما اليه من حشرات .  
وقد أمر موسى بصون مقدار من هذا الغذاء العجيب يدخر للأخلاف من ذراري بني اسرائيل . « واجعل فيه ملء العمر منا وضعه أمام الرب للحفظ في أجيالكم » .

ولكنه فيما يبدو - ذاب فلم يوفق المنقبون في الاهتداء اليه .

(١٢) المسيح: الطعام الذي لا ملح فيه و - ما لا طعم له . والعامه تقول ماسخ .

(١٣) الحرب العوان: التي قوتل فيها مرة بعد اخرى كأنهم جعلوا الأولى بكرة .

## الرقم ٧

تكرر استعمال الكتاب المقدس الرقم «٧» مفرداً أو مركباً (١٧) أو معقوداً (٧٠) أو معطوفاً (٥٧) أو مثوياً (٧٠٠) أو مؤلفاً (٧,٠٠٠,٠٠٠,٧٠٠,٠٠٠) زهاء ٥٠٠ مرة.

فهو يقول في قصة الخلق: «وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل. فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل. وبارك الله اليوم السابع و قدسه». (تكوين ٢: ٢-٣).

ويقرر في كتاب مواليد آدم أن لأمك والد نوح عمر ٧٧٧ سنة ويقول في قصة الطوفان: «من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً وأنثى... لأني بعد سبعة أيام أمطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة». (تكوين ٧: ٢-٤).

«فلبث أيضاً سبعة أيام آخر وعاد فأرسل الحمامة من الفلك. فأنت إليه الحمامة عند المساء وإذا ورقة زيتون خضراء في فمها. فعلم نوح أن المياه قد قلت عن الأرض فلبث أيضاً سبعة أيام آخر وأرسل الحمامة فلم تعد ترجع إليه أيضاً». (تكوين ٨: ١٠-١٢).

وفي قصة هجرة أبرام: «وأقام إبراهيم سبع نعاج من الغنم وحدها. فقال أبيمالك لإبراهيم ما هي هذه السبع النعاج التي أقمتهما وحدها. فقال إنك سبع نعاج تأخذ من يدي لكي تكون لي شهادة بأني حفرت هذه البئر. لذلك دعا ذلك الموضع بئر سبع لأنها هناك حلقتا كلاهما. فقطعا ميثاقاً في بئر سبع». (تكوين ٢١: ٢٨-٣٢).

وفي قصة يعقوب: «أحب يعقوب راحيل فقال أخدمك سبع سنين براحيل ابنتك الصغرى... فخدم يعقوب براحيل سبع سنين». (تكوين ٢٩: ١٨-٢٠).

وخدع الرجل ابن أخته يعقوب فجعله يعرس بابنته الكبرى الكليلة الطرف ليثة وهو يحسبها الابنة الصغرى راحيل التي شغفته حبا فتجشم من أجلها عناء العمل طوال تلك السنين، ويبدو أنه هو أيضاً كان كليل الطرف يشكو العشايرة فلم يستبن الخدعة إلا ضحى الغد، وعندئذ حل حموه المشكلة في سهولة ويسر قائلاً له: «أكمل أسبوع هذه فنعطيك تلك أيضاً بالخدمة التي تخدمني أيضاً سبع سنين آخر». (تكوين ٢٩: ٢٧).

فدخل يعقوب على راحيل بعد أسبوع وغشيها ثم هرب بها، فتعقبه لابان. «وسعى وراءه مسيرة سبعة أيام». (تكوين ٢١: ٢٣).

واستدعى يوسف أباه يعقوب (إسرائيل) وإخوته (بني إسرائيل) إلى مصر ليوطنوا بها، فكانت: «جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت إلى مصر سبعون». (تكوين ٤٦: ٢٧).  
ثم مات يعقوب وله من العمر ١٤٧ عاماً و«بكى عليه المصريون سبعين يوماً». (تكوين ٥٠: ٣).

وكان تأويل يوسف للحلمين اللذين رآهما فرعون هو: «البقرات السبع الحسنة هي سبع سنين والسنابل السبع الحسنة هي سبع سنين هو حلم واحد. والبقرات السبع الرقيقة القبيحة التي طلعت وراءها هي سبع سنين. والسنابل السبع الفارغة المفلوحة بالريح الشرقية تكون سبع سنين جوعاً... هوذا سبع سنين قادمة شعباً عظيماً في كل أرض مصر. ثم تقوم بعدها سبع سنين جوعاً». (تكوين ٤١: ٢٦-٣٠).

وفي قصة موسى نرى أنه هاجر إلى مدين فتزوج إحدى بنات الكاهن. «وكان لكاهن مديان سبع بنات». (خروج ٢: ١٦).

وأنه فرض على بني إسرائيل أن يصوموا سبعة أيام عن الخبز الذي استعملت الخميرة في صنعه. «سبعة أيام تأكلون فطيراً. اليوم الأول تعزلون الخمير من بيوتكم فإن كل من أكل خيراً من اليوم الأول إلى اليوم السابع تقطع تلك النفس من إسرائيل... سبعة أيام لا يوجد خيراً في بيوتكم...». (خروج ١٢: ١٥-١٩).

ثم صعد موسى وهرون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل. ورأوا إله إسرائيل. (خروج ٢٤: ٩-١٠).

وعندما تظهر أعراض البرص على امرئ ويشبه الكاهن في أن المرض الذي بين يديه هو برص حقيقي وليس مجرد بهق. «يجز الكاهن المضروب سبعة أيام. فإن رآه الكاهن في اليوم السابع وإذا في عينيه الضربة قد وقفت، ولم تمتد الضربة في الجلد يجزه الكاهن سبعة أيام ثانية فإن رآه الكاهن في اليوم السابع ثانية وإذا الضربة كامدة ولم تمتد الضربة في الجلد يحكم الكاهن بطهارته». (لاويون ١٣: ١٤-٦).

وعندما يلمس المرء قتيلاً يصبح نجساً ويحق عليه التطهر. «من مس ميتاً ميتة إنسان ما يكون نجساً سبعة أيام. يتطهر به في اليوم الثالث وفي اليوم السابع يكون طاهراً. وإن لم يتطهر في اليوم الثالث ففي اليوم السابع لا يكون طاهراً... وكل من كان في الخيمة يكون نجساً سبعة أيام... وكل من مس على وجه الصحراء قتيلاً بالسيف أو ميتاً أو عظم إنسان أو قبراً يكون نجساً سبعة

أيام... يتضح الكاهن على النجس في اليوم الثالث واليوم السابع ويطهره في اليوم السابع». (عدد ١٩: ١١-١٩).

وفي قصة الملك إكزسيس وحظيته إستير. «عمل الملك لجميع الشعب... وليمة سبعة أيام... في اليوم السابع قال له... الخصيان السبعة... أن يأتوا بوشى الملكة... وكان المقربون اليه سبعة رؤساء فارس ومادي». (استير ١: ٥-١٤).

وفي قصة بلعام بن بعور نبي المؤابيين الوثنيين وهو الشهير بلقمان الحكيم (بلع = لقم) قال بلعام للمليكة بالاق بن صفور. «... ابن لي ههنا سبعة مذابح وهيء لي ههنا سبعة ثيران وسبعة كباش». (عدد ٢٣: ١، عدد ٢٣: ٩).

وعندما عبر يشوع بن نون نهر الأردن الى أرض الميعاد فتح مدينة أريحا بأن هدم سورها الحصين بطريقة فذة تفاعلت فيها القوى السحرية للرقم ٧. «سبعة كهنة يحملون أبواق الهتاف السبعة أمام التابوت. وفي اليوم السابع تدورون دائرة المدينة سبع مرات والكهنة يضربون بالأبواق... وليحمل سبعة أبواق هتاف أمام تابوت الرب...».

والسبعة الكهنة الحاملون أبواق الهتاف السبعة... وكان في اليوم السابع أنهم بكروا. عند طلوع الفجر وداروا دائرة المدينة على هذا المنوال سبع مرات. في ذلك اليوم فقط داروا دائرة المدينة سبع مرات. وكان في المرة السابعة عندما ضرب الكهنة بالأبواق أن يشوع قال اهتفوا... وكان حين سمع الشعب صوت البوق أن الشعب هتف هتافاً عظيماً فسقط السور في مكانه وصعد الشعب الى المدينة... وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير مجد السيف». (يشوع ٦: ٤-٢١).

وفي قصة سليمان نجد أن بناء الهيكل استغرق سبع سنوات، وأنه زين التاج الذي على كل عمود من أعمدة الهيكل بسبع ضفائر ثم جمع رجال إسرائيل في العيد وهو يقع في الشهر السابع، وكان سليمان مزواجا له سبعمئة من الزوجات الحرائر بله من عداهن من الساراي.

وقام بنهود ملك آرام ومعه اثنان وثلاثون ملكاً بمحاصرة السامرة عاصمة مملكة اسرائيل وأرسل الى آخاب ملكها يطلب اليه الاستسلام، فتقدم إليه أحد الأنبياء وقال له إن الله يأمره بالحرب، فأمر الملك أن يعدوا غلمان رؤساء المقاطعات. «وعد بعدهم كل الشعب كل بني اسرائيل سبعة آلاف... فنزل هؤلاء مقابل أولئك سبعة أيام، في اليوم السابع اشتبكت الحرب». (١ ملوك ٢٠: ١٥-٢٩).

«كان لآخاب سبعون ابناً في السامرة». (٢ ملوك ١٠: ١).

وفي قصة أيوب طلب الرب محرقة سبعة ثيران وسبعة كباش، وكان لأيوب سبعة بنين وسبعة

آلاف رأس من الماشية فشخص اليه ليف من الناس وقعدوا معه على الأرض سبعة أيام وسبع ليال. ونضيف الى ذلك الآيات: (تكوين ٨: ٤، تكوين ٢٣: ١، تكوين ٥٠: ٣).

(خروج ١٦: ٢٧-٣٠، خروج ٢٤: ١٦، خروج ٢٩: ٢٩-٣٠، خروج ٣١: ١٥، خروج ٣٤: ١٨).

(لاويون ٨: ٣٣-٣٥، لاويون ١٢: ١-٥، لاويون ١٣: ٢٦-٢٧، لاويون ١٣: ٣١-٣٤، لاويون ١٣: ٤٧-٥٤، لاويون ١٤: ٧-٩، لاويون ١٥: ١٣-٢٨، لاويون ١٦: ١٤-١٩، لاويون ٢٣: ١٥-١٨، لاويون ٢٣: ٢٣، لاويون ٢٣: ٣٣، لاويون ٢٣: ٣٩-٤٢، لاويون ٢٥: ٤، لاويون ٢٥: ٨-٩، لاويون ٢٥: ٢٠-٢١، لاويون ٢٦: ٢٣-٢٩).

تشنية ٧: ١-٢، تشنية ١٥: ١٢، تشنية ١٦: ١-٩).

(إستير ٢: ٩، استير ٢: ١٦).

(٢ ملوك ٤: ٣٥، ٢ ملوك ٥: ١٤، ٢ ملوك ٨: ١-٣، ٢ ملوك ١٢: ١، ٢ ملوك ١٨: ٩).

(١ أخبار ١٨: ٣-٤، ١ أخبار ١٩: ١٨).

قضاة ١٤: ١٢، قضاة ١٤: ١٧، قضاة ١٦: ٧-٨، قضاة ١٦: ١٣، قضاة ١٦: ١٩).

(١ صموئيل ٦: ١، ١ صموئيل ١٦: ١٠، ١ صموئيل ٣١: ١٣).

(٢ صموئيل ٢: ١١، ٢ صموئيل ١٠: ١٨، ٢ صموئيل ٢١: ٩، ٢ صموئيل ٢٤: ١٣-١٥).

(١ ملوك ٦: ٣٨، ١ ملوك ٧: ١٧، ١ ملوك ٨: ٢، ١ ملوك ١١: ٣، ١ ملوك ١٨: ٤٣-٤٤، ١ ملوك ١٩: ١٨).

(أيوب ٢: ١٣، أيوب ٤٢: ٢، أيوب ٤٢: ٨).

إن السفر الوحيد من أسفار العهد القديم الذي نفتقد فيه الرقم ٧ هو نشيد الأنشاد، وهو السفر الوحيد الذي أجمع علماء الكتاب المقدس رأيهم على أنه ليس عملاً عبرانياً.

ولا يخلو العهد الجديد من بعض التغالي في استعمال هذا الرقم الهام، فإنا نجد - مثلاً - في رؤيا يوحنا اللاهوتي: «يوحنا الى السبع الكنائس التي في آسيا نعمة لكم وسلام من الكائن والذي كان والذي يأتي ومن السبعة الأرواح التي أمام عرشه... ولما التفت رأيت سبع منابر من ذهب وفي وسط السبع المنابر شبه ابن الإنسان. ومعه في يده اليمنى سبعة كواكب».

(رؤيا ١: ٤-٦).

« ورأيت فإذا في وسط العرش والحيوانات الأربعة وفي وسط الشيوخ خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبع أعين هي سبعة أرواح الله المرسلّة الى كل الأرض ». (رؤيا ٥ : ٦).

« ولما فتح الختم السابع حدث سكوت في السماء نحو نصف ساعة. ورأيت السبعة الملائكة الذين يقفون أمام الله وقد أعطوا سبعة أبواب ». (رؤيا ٨ : ١-٢).

وكذلك (رؤيا ١٠ : ٣-٤ ، رؤيا ١٢ : ٣ ، رؤيا ١٣ : ١ ، رؤيا ١٥ : ١ ، رؤيا ١٥ : ٦-٨ ، رؤيا ١٦ : ١ ، رؤيا ١٧ : ١ ، رؤيا ١٧ : ٧) وهلم جرا.

لقد فشا الرقم ٧ في أساطير الأديان القديمة، فمن ذلك :

١ - رؤساء الملائكة السبعة عند الكلدانيين والعبرانيين.

٢ - الأرواح العظيمة السبع التي يتهل إليها الفرس.

٣ - الأرواح الشريرة السبع عند البابليين.

٤ - الآثام الكبيرة السبع عند المصريين.

٥ - القرابين المقدسة السبعة عند المسيحيين.

٦ - نضح الدم على المذابح المصرية سبع مرات.

٧ - البوابات السبع في طيبة.

٨ - الأبواب السبعة في كهف مئراس.

٩ - سبع أبواب جهنم<sup>(١)</sup>.

١٠ - السموات السبع والأرضون السبع<sup>(٢)</sup>.

١١ - الطبقات السبع في برج بابل.

١٢ - المزمار ذو القصبات السبع في يد « بان » إله الماشية عند اليونان.

١٣ - القيثارة ذات الأوتار السبعة المتفرعة من شجرة الحياة الأشورية.

١٤ - الأحجار السبعة المخصصة للكواكب السبعة في لاكونيا.

١٥ - تقسيم الناس سبع مراتب في كل من مصر والهند الخ.

★ ★ ★

كان القدماء يعتقدون أن حظ الإنسان في الحياة رهن بمحركات الأجرام السماوية، وكانوا يعرفون الشمس والقمر وخمسة من الكواكب السيارة، وبأسماء هذه الأجرام السماوية السبع

(١) « وإن جهنم لموعدهم أجمعين. لها سبعة أبواب لكل منهم جزء مقسوم ». (الحجر ٤٣-٤٤).

(٢) « الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ». (الطلاق ١٢).

أسميت أيام الأسبوع في مصر وبابل وغيرها. ونجد شيئاً من ذلك في بعض اللغات الأوروبية،  
ففي الإنجليزية مثلاً:

منسوب الى زحل Saturn

Saturday يوم السبت

منسوب الى الشمس Sun

Sunday يوم الأحد

منسوب الى القمر Moon

Monday يوم الاثنين

وقد سبقت عبادة الناس للقمر لعبادتهم للشمس، وربما كان ذلك يرجع الى أن الشيء المتغير يسترعي الأنظار أكثر من الشيء الثابت. ويتم القمر دورته في ثماني وعشرين يوماً وكان الأقدمون يسمون هذه المدة شهراً، ولا يزال الأمر كذلك في التوقيت العربي. ويسمى الشهر في الإنجليزية Month وهو لفظ مرخم عن Moonth أي القمري. ولدورة القمر صلة بالحيض الذي يعتري النساء وإناث الحيوان كل ثماني وعشرين يوماً. وبقسمة العدد ٢٨ على ٤ ينتج الرقم ٧ وهو عدد أيام الأسبوع. وقد شاركت هذه الأسباب في إكساب هذا الرقم ما له من قدسية، ومن ثم كثر ظهوره، في أوضاعه المذكورة آنفاً، في أديان شتى. وقد ورد ذكره في القرآن في سبعة وعشرين موضعاً نذكر منها قوله: ﴿يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات لعلي أرجع الى الناس لعلهم يعلمون﴾. (يوسف ٤٦).



## مكالمات الكليم

تقول التوراة للشعب الاسرائيلي إن في أرض الميعاد « سبع شعوب أكثر وأعظم منك ». (تثنية ٧: ١).

وهذا يعني أن تلك الرقعة الضيقة من الأرض التي لا تزيد على اثني عشر ميل مربع كانت وطننا لما يربي على واحد وعشرين مليوناً من البشر رأى يهوه أن يقطع دابرههم أو - في الأقل - يجليهم عن بلادهم بغير حق ليحل محلهم بني اسرائيل، وما زال الاسرائيليون الى الآن ينهجون هذا النهج فيفعلون هذه الأفاعيل بعرب فلسطين قطان البلاد الأصلاء .

وسلط يهوه على شعوب فلسطين سلاحاً لم يكن لهم قبل به ألا وهو سلاح الزنابير . « وأرسل أمامك الزنابير فنطرد الحويين والكنعانيين والحثيين من أمامك ». (خروج ٢٣ : ٢٨).

إذا كان يهوه قد أطلق على كل من أعداء اليهود خمسين زنبوراً فإنه يكون قد جند في هذه الحرب الحشرية نحو مليار من الزنابير لديها المقدرة على التمييز بين المغزوين والغزاة .

وهم يفسرون - أو يسوقون في الاعتذار من - طول المدة التي اقتضاهم إياها تدويخ الكنعانيين ومن إليهم أن يهوه أضمر في وليجة نفسه ألا يبید من عدا اليهود دفعة واحدة حتى لا تتفاوى<sup>(١)</sup> الوحوش على بني اسرائيل . « لا أطردهم من أمامك في سنة واحدة، لثلا تصير الأرضُ خربة فتكثر عليك وحوش البرية . قليلاً قليلاً أطردهم من أمامك الى أن تثمر وتملك الأرض . وأجعل تخومك من بحر سوف الى بحر فلسطين ومن البرية الى النهر ». (خروج ٢٣ : ٢٩ - ٣١).

يا له من عذر! أفكان يعسر على يهوه أن يرسل زنابيره على الوحوش أيضاً فتذيقها من بأسها مثل ما أذاقت سكان البلاد الأصلاء .

وطالما الأمر باليهود الظاعنين من وادي النيل وهم يضربون على غير هدى في تلك الفيافي دون أن ينجز لهم يهوه ما وعدهم إياه من إقطاعهم أراضي تفيض لبناً وعسلاً، فلما استنجزوا

(١) تفಾಯ القوم: جمعوا وتعاونوا على الشر و - عليه: جمعوا وتعاونوا عليه فقتلوه أو لم يقتلوه.

كليم الله ما مناهم به المهم برم بهم يهوه وضجر من لجاجتهم وأوشك أن يتبرهم<sup>(٢)</sup> لولا أن أسرع إليه موسى يخوفه ما عسى أن يتقول به المصريون عليه وهم المعروفون بمجدة ألسنتهم. «لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم بجبث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض». (خروج ٣٢: ١٢).

ولم يزل به حتى عدل جل جلاله عما كان قد عقد العزم عليه. «فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه». (خروج ٣٢: ١٤).

بيد أنه ما عثم أن عاد فقلب لشعبه ظهر المجن<sup>(٣)</sup> وجبههم بأنهم قاضون نجبهم دون أن تطأ أقدامهم أرض الميعاد. «لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي<sup>(٤)</sup> لأسكننكم فيها... فجتشكم أنتم تسقط في هذا القفر وبنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم في القفر... أنا الرب قد تكلمت لأفعلن هذا بكل هذه الجماعة الشريرة المتففة علي، في هذا القفر يفنون وفيه يموتون». (عدد ١٤: ٣٠-٢٥).

وبهذه اللعنة اليهودية فقد المعذبون في الأرض أملهم بالفكاك من ذلك العذاب المقيم. لقد طالما نعموا في مصر بأرقى التقدم الحضاري وأقصى التسامح الديني والعنصري، فلما أبطرتهم النعمة انخرطوا من النعيم في الجحيم، جعلوا يجولون ويجولون ولا يهتدون، وإذا هم يقرصهم كلب الجوع والظلم ويؤرقهم الرعب والفرع وتنغصهم خيبة الأمل، لقد عاشوا في تلك الغربية طعاماً للخوف والظلم ونهباً للوسواس، ثم ما زالوا يتفانون فريسة للمجاعة والطاعون وللوحوش والحيات، حتى أسدلت الستارة آخر الأمر على مشهد بشع ترى فيه ثلاثة مليون جثة مبعثرة في الفلاة تعتب على يهوه أنه غرر بذويها ولم يصدقهم ما عاهدهم عليه ولم يذقهم اللبن والعسل، بل أذاقهم عذاب الهون. وهكذا أبادت السنون العجاف ذلك القرن<sup>(٥)</sup> من الناس الذين كانوا قد فقهوا، في أثناء مقامهم بمصر وعقب خروجهم منها، كثيراً من الأشياء تنير طريقهم وتكشف لهم عما يراد بهم وما يساقون إليه. لقد ألقوا في مصر المعاملة الانسانية الكريمة فلما أسيتت معاملتهم في الصحراء رفعوا عقائرتهم يجأرون بالشكوى ويتذمرون من الفساد، فنكل بهم الطغاة وتخرمهم الموت. وخلف من بعدهم خلف مستضعف ذليل أضنته المسغبة وأطبق عليه الجهل وأخذت

(٢) تبره: أهلكه ودمره.

(٣) المجن: الترس.

(٤) يقصد: التي أقسمت.

(٥) القرن: كل أمة هلكت فلم يبق منها أحد و - أهل زمان واحد.

بناصيته الخرافات فهو لا يعي ولا يفقه شيئاً ويمتثل مستكيناً صاغراً لما يرسمه له الكهنة من أوامر ويوفيههم ما يطلبون إليه توفيته من فرائض .

★ ★ ★

كان موسى في أثناء تلك السنين الطويلة العصبية يصعد في الجبل بين الحين والحين ليقابل يهوه ويقاولة<sup>(٦)</sup> . وقد عهدنا أمثاله ممن يلقون أربابهم ويتحدثون إليهم يؤثرون الجبال مقرأ لاجتماعهم ، وعلى سفوح تلك الجبال كانوا يتلقون الشرائع السماوية .

وكان الشخصان الساميان يسترسلان في الحديث بغير تكلف . « ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه<sup>(٧)</sup> كما يكلم الرجل صاحبه » . ( خروج ٢٣ : ١١ ) .

وما فتئ موسى يصعد في الجبل خاوي الوفضة ثم يهبط منه وقد ملاً وفضته<sup>(٨)</sup> بجملة من الأوامر والنواهي يزعم<sup>(٩)</sup> أنها أسس التشريع وينبوع الحكمة ومنبت الفضيلة ، ويقول المتدينون بدينه إنه لولا هذا لظلّ الناس على ما فطروا عليه أقرب الى بهيمة الأنعام .

وإليكم قبسا من تلك الآيات اللدنية التي كانت تتناثر<sup>(١٠)</sup> إليه فوق الجبل . « لا تصعد بدرج الى مذبحي كيلا تنكشف عورتك عليه » . ( خروج ٢٠ : ٢٦ ) .

« لا تطبخ جديا بلبن أمه » . ( خروج ٣٤ : ٣٦ ) .

« لا تقصروا رؤوسكم مستديرا » . ( لاويون ١٩ : ٢٦ ) .

---

(٦) قاروه في أمره : فارضه وجادله فيه .

(٧) وهذا يخالف ما قيل من أن : « الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذي هو في حضن الأب هو خبره » . ( يوحنا ١ : ١٨ ) .

ونذكر أن الرب ظهر قبل لإبراهيم . « وظهر الرب لأبرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض فبنى هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له » . ( تكوين ١٢ : ٧ ) .

ثم قفى بالظهور لإسحق . « وظهر له الرب وقال لا تنزل الى مصر » . ( تكوين ٢٦ : ٢ ) .

ثم ظهر ليعقوب واشتبك معه في مصارعة حرة . « فدعا يعقوب اسم المكان فنيشيل قائلاً لأني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي » . ( تكوين ٣٢ : ٣٠ ) .

(٨) الوفضة : خريطة يحمل فيها الراعي اداته وزاده ، وهي اصغر من الجعبة .

(٩) وهو زعم جزائي لا يأوي الى سند شديد ، فإن القوانين تسن منذ أقدم الأزمنة للدفاع عن الأنفس ووقايتها الأذى ، إذ ليس من الميسور أن يعيش الناس معاً بلا قواعد خلقية يتراضون عليها لتنظيم حياتهم . وقد كانت مصر ، قبل موسى بزمن مديد ، تعاقب على القتل والزنا وتفصل ما يتصل بالتقصير في الوفاء بالدين وبالإخلال بالعقود وبافتكاك الرهائن وما الى ذلك .

ومن المسلم به أن القوانين المصرية القديمة تفضل القوانين الموسوية من وجوه .

● (١٠) تناثروا إليه : انصبوا .

« كلم بني إسرائيل وقل لهم أن يصنعوا لهم أهداباً في أذيال ثيابهم في أجيالهم ويجعلوا على هذب الذيل عصابة من أسمانجوني»<sup>(١١)</sup>. (عدد ١٥: ٣٨).

« لا تزرع حقلك صنفين... لا تحرث على ثور وحرار معاً. لا تلبس ثوباً مختلطاً صوفاً وكتاناً معاً. أعمل لنفسك جدائل على أربعة أطراف ثوبك الذي تغطي به». (تشية ٢٢: ٩-١٢).

« إذا تخاصم رجلان بعضهما بعضاً رجل وأخوه وتقدمت امرأة أحدهما لكي تخلص رجلها من يد ضاربه ومدت يدها وأمسكت بعورته فاقطع يدها ولا تشفق عينك». (تشية ٢٥: ١١-١٢).

وإذا أراد مجذوم أن يتطهر من دائه فعليه أن يجزل العطاء للكاهن، ومن المعلوم أن جميع كهنة بني إسرائيل في مختلف الأوقات هم من حفدة هرون شقيق موسى. « فيأخذ الكاهن كبش الإثم ولح الزيت ويرددهما الكاهن ترديداً أمام الرب. ثم يذبح كبش الإثم ويأخذ الكاهن من دم ذبيحة الإثم ويجعل على شحمة أذن المتطهر وعلى إبهام يده اليمنى وعلى إبهام رجله اليمنى ويصب الكاهن من الزيت في كف الكاهن اليسرى وينضح الكاهن بإصبعه اليمنى من الزيت الذي في كفه اليسرى سبع مرات أمام الرب. ويجعل الكاهن من الزيت الذي في كفه على شحمة أذن المتطهر اليمنى وعلى إبهام يده اليمنى وعلى إبهام رجله اليمنى وعلى موضع دم ذبيحة الإثم. والفاضل من الزيت الذي في كف الكاهن يجعله على رأس المتطهر تكفيراً عنه أمام الرب. ثم يعمل واحدة من الياميتين أو من فرخي الحمام مما تنال يده. الواحد ذبيحة خطية والآخر محرقة مع التقدمة. ويكفر الكاهن عن المتطهر أمام الرب. هذه شريعة الذي فيه ضربة برص الذي لا تنال يده في تطهيره». (لاويون ١٤: ٢٤-٣٢).

تذكرنا هذه الحركات بما تفعل « الكدية » بعروس « الزار » عندما يذبح الكبش قرباناً للجان، ونستطيع أن نتصور كيف يتميز يهوه من الغيظ ويفور فائره على الكاهن إذا التبس عليه الأمر فأخطأ فيما بين الأيمن والأيسر من أعضاء الجسم.

وإليكم بعض ما يبوء به الكاهن من مغام. « ذبيحة الإثم كذبيحة الخطية. لها شريعة واحدة. الكاهن الذي يكفر بها تكون له. والكاهن الذي يقرب محرقة إنسان. المحرقة التي يقربها تكون له. وكل تقدمه خبزت في التنور وكل ما عمل في طاجن أو على صاج يكون للكاهن الذي يقربه. وكل تقدمه ملتوتة بزيت أو ناشفة تكون لجميع بني هرون كل إنسان كأخيه». (لاويون ٧: ٧-١٠).

(١١) أي زرقاء اللون، والرزقة هي اللون الرسمي الأثير عند اليهود.

حقاً، لقد استهتر<sup>(١٢)</sup> يهوه بأمر الجزارة والطهية ثم انصرف الى ابتكاره طرز اللباس (تصميم الأزياء) فشغل الإصحاح الثامن والعشرين من سفر الخروج كله بوصف حالة الكاهن هرون أخي موسى، ومن ذلك قوله في وصف الصدرية المشودة. «وتصنع صدرية قضاء. صنعة حائك حاذق كصنعة الرداء تصنعها. من ذهب وأسمانجوني وأرجوان وقرمز وبوص مبروم تصنعها. تكون مربعة مثنية طولها شبر وعرضها شبر وترصع فيها ترصيع حجر أربعة صفوف حجارة. صف عقيق أحمر وياقوت أصفر وزمرد. الصف الأول. والصف الثاني بهرمان وياقوت أزرق وعقيق أبيض. والصف الثالث عين الهر ويشم وجشت. والصف الرابع زبرجد وجزع ويشب. تكون مطوقة بذهب في ترصيعها. وتكون الحجارة على أسماء بني إسرائيل اثني عشر على أسمائهم. كنعش الخاتم كل واحد على اسمه تكون للثاني عشر سبطا.

وتصنع على الصدرية سلاسل مجدولة صنعة الضفر من ذهب نقي. وتصنع على الصدرية حلقتين من ذهب. وتجعل الحلقتين على طرفي الصورة وتجعل طرفي الضفيرتين الآخرين في الطوقين وتجعلها على كتفي الرداء الى قدامه. وتصنع حلقتين من ذهب وتضعها على طرفي الصدرية على حاشيتها التي الى جهة الرداء من داخل. وتصنع حلقتين من ذهب وتجعلها على كتفي الرداء من أسفل من قدامه عند وصله من فوق زنار الرداء بخيط من أسمانجوني ليكون على زنار الرداء. ولا تنزع الصدرية عن الرداء. فيحمل هرون أسماء بني إسرائيل في صدرية القضاء على قلبه عند دخوله الى القدس للتذكار أمام الرب دائماً. وتجعل في صدرية القضاء الأوريم والتميم لتكون على قلب هرون عند دخوله أمام الرب. فيحمل هرون قضاء بني إسرائيل على قلبه أمام الرب دائماً». (خروج ٢٨: ١٥ - ٣٠).

واستفاض الحديث بين الطرفين الساميين كذلك في مقاييس قطع الرياش والأثاث وما يرتفق به في أماكن العبادة، وأخذ يهوه يحصي مطالبه. «وكلم الرب موسى قائلاً. كلم بني إسرائيل أن يأخذوا الى تقدمة... ذهب وفضة ونحاس وأسمانجوني وأرجوان وقرمز وبوص وشعر معزي وجلود كباش محمرة وجلود تحس وخشب سنط وزيت للفارة وأطياب لدهن المسحة وللبحور العطر وحجارة جزع». (خروج ٢٥: ١ - ٧).

واسترسلا في الحديث فطال بها الوقت إذ كان موسى الكليم «أغلف الشفتين». (خروج ٦: ١٢).

(١٢) استهتر بالشيء: فتن به ولزمه غير مبال بنقد ولا موعظة، يقال استهتر بالشراب واستهتر بفلانة.

ومضى يهوه في بيان الأشياء التي هو بحاجة إليها مستوعباً الإصحاحات ٢٥ الى ٣١ من سفر الخروج.

ويبدو أن أحاديث الغذاء والكساء هذه كانت شائعة فأهلت طلاوتها موسى، وهو شيخ قد ذرف على الثمانين، عن طعامه وشرابه أياماً وأسابيع فهاهه ومو في صبارة<sup>(١٣)</sup> القرفوق عرعة<sup>(١٤)</sup> الجبل وأنسته أيضاً رعيته فبرمت بانتظاره. لقد ظلت تتطلع إليه مترقبة قدومه ولكنها لم ترَ إلاً سحباً، وشعروا بالحاجة الى زعم جديد و- من ثم- الى إله جديد، فطلبوا الى هرون أن يصنع لهم إلهاً يتخففون به من وطأة عزلتهم الدينية، وسرعان ما لبي هرون طلبتهم مبتهجاً بتلك الفرضة المتيحة له أن يتخذ موقف الند من الند تجاه أخيه الذي يهيمن عليه مع أنه يصغره في السن.

وطلب هرون الى قومه أن يلقوا إليه بما يقتنون من ذهب، وهذا هو الطلب الأول لكل كاهن في كل قطر وفي كل عصر. « فقال لهم هرون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنبيكم وبناتكم وأتوني بها ». (خروج ٣٢: ٢).  
وبادر القوم ذكوراً وإناثاً إلى نزع أقراطهم فصاغها هرون على هيئة العجل<sup>(١٥)</sup>، ولعله توخى

(١٣) الصبارة: شدة البرد.

(١٤) عرعة كل شي: أعلاه. يقال عرعة الجبل.

(١٥) يربأ القرآن بهرون عن إتيان هذه الفعلة الذميمة ويذهب الى أن مقترفها هو رجل سامري لا يعرف رجال اللاهوت الاسلامي من أمره شيئاً. والمعروف أن السامريين شعبة من اليهود يعترفون بالتوراة وحدها دون سائر الكتب الدينية الأخرى ولا يعترفون بالسنة.

نقل الطبري في كتابه « تاريخ الأمم والملوك » عن ... عن ابن عباس أنه قال :

كان السامري رجلاً من أهل باجرما وكان من قوم يبدون البقر فكان حب عبادة البقر في نفسه وكان قد أظهر الإسلام في بني اسرائيل، فلما فصل موسى عن بني اسرائيل الى ربه تبارك وتعالى قال لهم هرون إنكم قد حلتُم أوزاراً من زينة ألقوم آل فرعون وأمتة وحلياً فتطهروا منها فإنها نجس، وأوقد لهم ناراً وقال اقدفوا ما كان معكم من ذلك فيها قالوا نعم فجمعوا يأتون بما كان فيهم من تلك الحلي وتلك الأمتة فيقدفون به فيها حتى اذا انكسرت الحلي فيها رأى السامري أثر فرس جبرائيل فأخذ تراباً من أثر حافره ثم أقبل الى الحفرة فقال لهرون يا نبي الله ألقى ما في يدي. قال نعم ولا يظن هرون إلا أنه كيمض ما جاء به غيره، فقدفه فيها وقال كن عجلاً جسداً له خوار فكان للبلاد والفتنة. فقال هذا إلهكم وإله موسى فكفوا عليه وأحبوه حباً لم يحبوا مثله شيئاً قط. وكان اسم السامري موسى بن ظفر. وقع في أرض مصر فدخل في بني اسرائيل.

فلما رأى هرون ما وقعوا فيه قال يا قوم إنما فتنتم به - الى قوله - حتى يرجع إلينا موسى. فأقام هرون فيمن معه من المسلمين من لم يفتن وأقام من يعبد العجل على عبادة العجل وتخوف هرون إن سار بمن معه من المسلمين أن يقول له موسى فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي، وكان هائباً مطيعاً. ولما انتهى موسى الى قومه ورأى ما هم فيه من عبادة العجل ألقى الألواح من يده وكانت فيها يذكرون من زبرجد أخضر ثم أخذ برأس أخيه ولحيته ويقول ما منعك

أن يجيء بالعجل المصوغ شبيهاً بعجل أبيس الذي كان يعبد يوماً في مصر. « فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلاً مسبوكة. فقالوا هذه أهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من مصر. فلما نظر هرون بني مذبجاً أمامه ونادى هرون وقال غداً عيد للرب. فبكروا في الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة. وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب. » (خروج ٣٢: ٤-٦).

وليس يفوتنا هنا أن نذكر أن العبريين القدماء كانوا في غواير أيامهم يعبدون عجلاً ذهباً أو مذهباً، وكانوا يتخذون منه إلهاً ورمزاً للقوة وللإخصاب. ويذهب الكثير من علماء الانثروبولوجيا<sup>(١٦)</sup> الى أن الموطن الأصلي للساميين هو بلاد العرب حيث كان العجل الوحشي حيواناً مقدساً يقيمونه في معابدهم زائناً لها وحامياً لحماها. وفي الكتاب المقدس مواضع شتى تجد فيها موازنة بين إله العبرانيين والعجل الوحشي، ومن ذلك قول بلعام يصف يهوه ويذكر كيف أخرج شعبه المختار حديثاً من مصر. « الله أخرجه من مصر. له مثل سرعة الرثم. » (عدد ٢٣: ٢٢).

ويبدو أن القوم كانوا ما يزالون في حيرة من أمرهم لا يقطعون من الذي انتشلهم من وهدة العبودية؛ أهو الإله الذي لهج بذكره موسى أو هو العجل الذي قال لهم هرون ومشايعوه بصده: « هذه أهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر. » (خروج ٣٢: ٤).

لقد عهدنا موسى يتلقى الشريعة مشافهة فيدونها بخطه وينقل التشريعات الجديدة الى الشعب الاسرائيلي فيعاهدونه على الاستمسك بها فيقدس موسى هذه المعاهدة بالدم كما جرت العادة في الشعوب البدائية. « فكتب موسى جميع أقوال الرب<sup>(١٧)</sup>. وبكر في الصباح وبنى مذبجاً في أسفل الجبل... وذبحوا ذبائح سلامة للرب من الثيران... وأخذ موسى الدم ورش على الشعب وقال هو ذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال. » (خروج ٢٤: ٤-٨).

---

إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعني - الى قوله - ولم ترقب قولي. قال يا ابن أم، إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين فارعوى موسى وقال رب أغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين. أو هذا ما اخترعته تخيلة ابن العباس - إن صحت الرواية - ويكفي لتفنيد هذا الهراء أن نعرف أن اليهود في أيام موسى لم يكونوا يعرفون شيئاً من أمر جبريل ومن اليه من الملائكة المنحيين.

(١٦) عم الإنسان وهو علم يبحث في أصل الجنس البشري وتطوره وأعرافه وعاداته ومعتقداته.

(١٧) هذا مع ملاحظة أن جهابذة العلماء أجمعوا على أن بني إسرائيل لم يعرفوا القراءة والكتابة إلا منذ القرن التاسع ق م وعلى أن لغتهم المكتوبة ظلت الى القرن السابع الميلادي خلوا من علامات الاعجام والضبط أي الشكل الذي يقوم مقام أحرف العلة لخلو اللغة العبرية منها، وقد نقل اليهود هذه العلامات عن العرب الذين ابتدعوا لضبط كتابة القرآن.

بيد أن يهوه أراد مرة أن يعطيه الشريعة مكتوبة. « وقال الرب لموسى اصعد إليّ إلى الجبل  
وكن هناك فأعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم، فقام موسى ويشوع  
خادمه، وصعد موسى إلى جبل الله. » (خروج ٢٤: ١٢-١٣).

أما يشوع فقد اكتفى بالقيام ولكنه لم يصعد، ولا نعرف كيف كان مسلكه بازاء الأحداث  
التالية، إذ أنه لم يكن عندئذ أكثر من خادم لموسى كما سيأتي:

وتحدث يهوه ملبياً إلى موسى: « ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سينا  
لوحى الشهادة. لوحى حجر مكتوبين بإصبع الله. » (خروج ٣١: ١٨).

وأنتهى يهوه هذا اللقاء الإلهي السامي بأن أنهى إلى موسى أن الشعب التف حول العجل الذهبي  
وقدم له فروض العبادة، فأنحدر موسى من الجبل حاملاً معه لوحى الشهادة. ومع أنه لم يفاجأ  
حين شاهد بني إسرائيل يرقصون حول العجل فقد أظهر حنقاً شديداً. « وطرح اللوحين من يديه  
وكسرها في أسفل الجبل. » (خروج ٣٢: ١٩).

فيا له من مسلك.

وجمع موسى إليه ذوي قرابته من بني لاوي. « فقال لهم. هكذا قال الرب إله إسرائيل.  
ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب إلى باب في المحلة واقتلوا كل واحد  
أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه. ففعل بنو لاوي بحسب قول موسى. ووقع من  
الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل. » (خروج ٢٢: ٢٧-٢٨).

ها هو ذا موسى الذي أنزلت عليه الوصية السادسة « لا تقتل ». (خروج ٢٠: ١٣).  
ينتهك هذه الوصية إذ يقتل بني قومه في غير تمييز لأنهم انتهكوا الوصية الثانية التي تنهى عن  
صنع الأصنام وعبادتها، وهي وصية لم يكن قد ذكر فيها نوع عقاب من يخالف عنها، وعهدنا  
بالقوانين في البلاد المتقدمة أنها لا تكتفي ببيان ما هو عدوان محظور وما هو حق مباح  
فحسب، بل تبين كذلك مدى العقوبة التي توقع على مقترف الخطأ.

أما الشقيق العزيز هرؤن، ذلك الذي خان وكالته وأفسد رعيته وأيقظ الفتنة النائمة، فقد  
كان كل ما وفق إليه من عذر يتعلل به هو أنه لم يصنع العجل على عمد وأنه لم يفعل شيئاً غير  
أن جمع الذهب وأوقد عليه النار فإذا هو عجل يكاد يسمع له خوار. « فقلت لهم من له ذهب  
فليزعه ويعطيني فطرحته في النار فخرج هذا العجل. » (خروج ٣٢: ٢٤).

ولم يشترك هذا الشقيق العزيز، سادن<sup>(١٨)</sup> العجل الذهب، رفاقه عباد هذا العجل مصيرهم

(١٨) سدن الرجل: خدم الكعبة أو بيت الصنم.



الفاجع، كما أنه لم يشرك شقيقته النبية مريم ابنة عمرام ما ألم<sup>(١٩)</sup> بها من البرص عندما انبرى كلاهما يغتاب أخاه موسى ويزري عليه تزوجه امرأة من بنات الحبش<sup>(٢٠)</sup>.

---

(١٩) أم على قوم: أتاهم فنزل بهم وزارهم زيارة غير طويلة.

(٢٠) وتكلمت مريم وهرون على موسى بسبب المرأة الكوشية التي اتخذها. لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية...

فحمى غضب الرب عليها ومضى. فلما ارتفعت السحابة عن الخيمة إذا مريم برصاء كالثلج... فصرخ موسى الى الرب قائلاً اللهم اشفها. فقال الرب لموسى ولو بصق أبوها بصقا في وجهها أما كانت تحجل سبعة أيام خارج المحلة. تحجز سبعة أيام خارج المحلة وبعد ذلك ترجع. (عدد ١٢: ١-١٤).

## الوصايا العشر

مهد موسى لفرض الوصايا العشر على قومه بتهيئته جواً سحرياً يشل أذهانهم ويبلد نفوسهم فيدعهم يتقبلون ما يوحيه إليهم معقولاً كان أو غير معقول. ولئن كان كهنة الأديان البدائية الأخرى يتوسلون الى ايقاع عشائهم في غيبوبة روحية بمعاطاتهم أشربة روحية ونباتات مخدرة. لقد لجأ موسى الى أحداث التأثير النفسي في الملايين الثلاثة من المهاجرة الذين تظلمهم رايته وأحاط الأمر كله بالغموض.

١ - فدعا القوم الى التطهر بغسل الثياب والصوم عن قربان النساء. « فقال الرب لموسى اذهب الى الشعب وقدسهم اليوم وغداً. وليغسلوا ثيابهم ». (خروج ١٩: ١٠).

٢ - وحذرهم من الدنو<sup>(١)</sup> من الجبل الذي سيصعد فيه لتكليم يهوه.

٣ - وأمعن في استغلال ظواهر الطبيعة الغاضبة الصاخبة من تكاثف السحب وهزيم الرعود ووميض البروق، ولعلّ بعض أعوانه كانوا ينبشون بين شعاب الجبال ويطلقون الدخان وينفخون في الأبواق. « وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار. « وصعد دخان كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جداً. فكان صوت البوق يزداد اشتداداً جداً وموسى يتكلم والله يجيبه ». (خروج ١٩: ١٨-١٩).

٤ - وتخلت أعصاب القوم وسرى الرعب في أوصالهم، فابتهلوا إلى موسى أن ينقل إليهم مشيئة يهوه ولا يدعه يشافهمهم بالحديث فيوبقهم، فإن لهم من خبرتهم به ما يحفزهم الى الهرب من أذاه.

٥ - ووصل آخر الأمر الى الغاية المنشودة، فأوجب عليهم البذل للكهنة والتضحية للرب والتبرع بالأبقار والأغنام وهما قوام الثراء في تلك الأيام.

(١) قرب الشيء: دنا منه وباشره. وللشديد في النهي عن الأمر يقال لا تقربه و - الرجل زوجته: جامعها ومنه ﴿ولا تقربوهن حتى يتطهرن﴾.

٦ - وليس يفوتنا أن نلاحظ أن عنصر التصحية المصطبغة بالدم قد برز هنا، فإن شعائر كل دين تدل على عمره كما تدل الأحافير على مقدار تقادم الطبقات الأرضية التي تحتوي عليها.

٧ - إن ختام الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر الخروج يلقي على الموضوع ضوءاً يكشف عن خبيثته. « وكان لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة في يد موسى عند نزوله من الجبل أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع في كلامه معه. فنظر هرون وجميع بني إسرائيل موسى وإذا جلد وجهه يلمع. فخافوا أن يقتربوا إليه. فدعاهم موسى. فرجع إليه هرون وجميع الرؤساء في الجماعة. فكلّمهم موسى. وبعد ذلك اقترب جميع بني إسرائيل فأوصاهم بكل ما تكلم به الرب معه في جبل سيناء. ولما فرغ موسى من الكلام معهم جعل على وجهه برقعاً. وكان موسى عند دخوله أمام الرب ليتكلم معه ينزع البرقع حتى يخرج. ثم يخرج ويكلم بني إسرائيل بما يوصي. فإذا رأى بنو إسرائيل وجه موسى أن جلده يلمع كان موسى يرد البرقع على وجهه حتى يدخل ليتكلم معه. » (خروج ٢٤: ٢٩-٣٥).

فالموضوع كله، كما يتضح من ذلك، لا يعدو أن يكون عملاً من أعمال الشعوب.

★ ★ ★

تضم الوصايا المدونة في الإصحاح المتمم للعشرين من سفر الخروج ثلاث عشرة وصية مكتوبة في ست عشرة جملة، وقد أسموها مع ذلك بالوصايا العشر لأن الرقم « ١٠ » كان عندهم ذا شأن<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكرت الوصايا العشر مرة أخرى في الإصحاح الخامس من سفر تثنية الاشرع على صورة تختلف عن صورتها الأولى مع أن الصورتين موحى بهما من مصدر واحد الى شخص واحد.

ومن أمثلة ذلك أن الوصية الرابعة التي تحض على تقديس يوم السبت قد وردت في سفر الخروج في ثلاث وخمسين كلمة عربية (وأربع وتسعين إنجليزية) على حين هي قد وردت في سفر التثنية في ثمان وستين كلمة عربية (ومئة وثلاث وثلاثين كلمة إنجليزية) وذلك مع اختلاف المتنين في بيان توضيح السبب الذي وجب من أجله تقديس السبت.

(٢) وقد زعم أحد مدرسي علم الحساب أننا نستعمل الوحدات العشرية في حسابتنا لأن لنا في كلتا يدينا عشر

في سفر التثنية	في سفر الخروج
وأذكر أنك كنت عبداً في أرض مصر فأخرجك الرب الهك من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة. لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت.	لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع.

وقد ذكر السبب في تقديس السبت مرة أخرى قبل ذلك. « وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل. وبارك الله اليوم السابع وقده لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً » (تكوين ٢: ٢-٣).

وهذا يعني أن تقديس السبت كان منذ بدء الخليقة لا منذ أيام موسى فحسب، وذلك يناقض كل المناقضة ما يؤخذ من قوله. « سبوتي تحفظونها: لأنه علامة بيني وبينكم في أجيالكم. لتعلموا اني أنا الرب الذي يقديسكم ». (خروج ٣١: ١٣).

ونرى كذلك اختلافاً بينا بين المتنين فيما يتصل بالوصية العاشرة التي تنهي عن الحسد، فهي:

في سفر التثنية. إصحاح ٥	في سفر الخروج. إصحاح ٢٠
ولا تشته امرأة قريبك ولا تشته بيت قريبك ولا حقله ولا عبده ولا ثوره ولا حماره ولا كل ما لقريبك.	لا تشته بيت قريبك. لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما مما لقريبك.

ويرى فقهاء الكتاب المقدس أن النص الذي في سفر التثنية كتب بأخرة، ودليلهم على ذلك.

- ١ - استعماله حرف الواو للإضافة في الوصايا السابعة وما بعدها.
- ٢ - ذكر « الحقل » في ذلك النص.

وتم ملاحظة أخرى هي أن الوصايا، في سفر الخروج، تليت على موسى شفاهاً. « ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً ». (خروج ٢٠: ١).

على حين هي في سفر التثنية، قد سلمت إليه مكتوبة. « فكتبت على اللوحين مثل الكتابة

الأولى الكلمات العشر التي كلمكم بها الرب في الجبل من وسط النار في يوم الاجتماع وأعطاني الرب اياها<sup>(٣)</sup>. (تثنية ١٠: ٤).

ولنتابع الآن قصة اللوحين الحجريين. «ثم قال الرب لموسى انحت لك لوحين من حجر

(٣) هذا، وقد بدل المسيحيون في متون هذه الوصايا شيئاً ما، فمن ذلك أنهم حذفوا من الوصية الأولى جملة الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية». (خروج ٢٠: ٢).

لأنها لا تنطبق عليهم، فهم لم يكونوا قط في مصر ولم يحررهم يهوه من العبودية.

وقد أطاح البروتستانت الوصية الأولى جملة وأحلوا محلها فقرة من الوصية الثانية. أما الكاثوليك فقد أبقوا من الوصية الأولى كلمات ضئيلة، فأصبح نصها:

عند اليهود	عند الكاثوليك	عند البروتستانت
أنا الرب الهك. الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية	لا يكن لك آلهة أجنبية أمامي	لا يكن لك آلهة أخرى أمامي

أما الوصية الثانية، تلك التي تحرم صنع التماثيل فقد طوح بها الكاثوليك لأنها تناوى أكثر شعائهم الدينية إدراكاً للريح، فهم يصنعون التماثيل المنحوتة ويعبدون ما يصنع من تماثيل القديسين.

لقد عرف الكاثوليك، في القرن السادس، الصليب الذي نقش فيه صورة المسيح مصلوباً (ويسمى هذا الصليب المنقوش في الإنجليزية Crucifix على حين يسمى الصليب الأسمح Cross وقد أقره مجمع القسطنطينية سنة ٦٩٢ م كما أقر المجمع العام السابع في اجتماعه بمدينة نيقية سنة ٧٨٧ م (وهو المعروف باسم المجمع النيقاوي الثاني) تقديس صور المسيح والقديسين دون عبادتها. وقد تم هذا القرار على الرغم من المعارضين وعلى رأسهم ملك الفرنجة شارلمان (٧٤٣-٨١٤ م). وقد عمدت الكنيسة من ذلك الوقت الى حذف الوصية الثانية من مطبوعات الكتاب المقدس والى إحلال الوصية الثالثة محلها، بيد أن الناس لم ينتبهوا لذلك إلا بعد حين.

وبذلك أصبح نص الوصية الثانية.

عند اليهود	عند الكاثوليك	عند البروتستانت
لا يكن لك آلهة أخرى أمامي	لا تتنطق باسم الرب إلهك باطلا	لا تصنع لك تماثلاً منحوتاً... الخ
لا يصنع لك تماثلاً منحوتاً... الخ		

وتستمر الحال على هذا المنوال، فبينما نجد الوصية «لا تسرق» هي الثانية عند اليهود والبروتستانت إذا هي السابعة عند الكاثوليك. وهذا شأن الوصية «لا تشهد على قريبك شهادة زور» فهي التاسعة عند اليهود والثامنة عند الكاثوليك. وقد وضع الكاثوليك في مكان الوصية التاسعة جزءاً من الوصية العاشرة.

الأولين فأكتب أنا على اللوحين الكلمات التي كانت على اللوحين الأولين اللذين كسرتهما». (خروج ٣٤: ١).

هذا وعد صريح قاطع بأن يكتب الله على اللوحين الجديدين صورة ما كان قد خطه بإصبعه على اللوحين القديمين. « فنحت لوحين من حجر كالأولين. وبكر موسى في الصباح وصعد الى جبل سيناء كما أمره الرب. وأخذ في يده لوحى الحجر ». (خروج ٣٤: ٤) « فنزل الرب في السحاب ». (خروج ٣٤: ٥).

وتحدث الرب قليلاً الى موسى ثم أخذ يتلو عليه الوصايا العشر، فكانت أولها. « لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة ». (خروج ٣٤: ١٧). وكانت عاشرتها: « أول أباك أَرْضُك تحضره الى بيت الرب الهك. لا تطبخ جدياً بلبن أمه »<sup>(٤)</sup>. (خروج ٣٤: ٢٦).

وهي مجموعة من الوصايا تختلف اختلافاً بيناً عن تلك التي كان الله قد خطها بإصبعه في اللوحين الأولين. ولقد وعد يهوه نبيه موسى بأن يكتبها بإصبعه مرة أخرى على اللوحين الآخرين، بيد أنه أخلف وعده « وقال الرب لموسى اكتب لنفسك هذه الكلمات. لأنني بحسب هذه الكلمات قطعت عهداً معك ومع إسرائيل. وكان هناك عند الرب أربعين يوماً وأربعين ليلاً لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماء. فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر ». (خروج ٣٤: ٢٧-٢٨).

لو أن أحداً عثر على هذين اللوحين الحجريين الجديدين لما كان لها مثل قيمة اللوحين الأولين اللذين كتبهما يهوه بإصبعه القدسية. ومع ذلك فإن كتب موسى لها وإكتاب<sup>(٥)</sup> الله له إياها يجعلها لا يقومان بثمان. فما الذي صار إليه أمرهما؟ إن التوراة لا تذكر أنها حطما كاللوحين الأولين. فأين ترى مكانها؟

---

(٤) يؤمن البدائيون بفعالية السحر، ويعتقدون أن المرء إذا جمع على مائدته بين اللحم واللبن تولدت من اجتماعها صلة سحرية عاطفية وخيمة العاقبة.

(٥) أكتب فلاناً قصيدة ونحوها: أملاها إياها.

## السفاح

لم ينته موسى عن القتل بعدما فصل عن مصر مخلفاً في كل بيت من بيوتها مائماً يتجاوب فيه عجيج الخزانى وصوات الثكالى، فقد كان مفطوراً على الصرامة والقسوة مطبوعاً على العنف وسفح الدم، إذا أعوزه المجال لاصطلام الخصوم والأعداء لم يعدم مسوغاً للفتك بالأتباع والعشراء. وعندما تردى برداء المشرّع جعل القتل عقاباً أكيداً لمن يخالف شريعته في جسام الأمور وسفسافها، وجعل كلما نهى عن شيء يعزز النهي متوعداً بالقتل.

« ٩ - كل انسان سب أباه أو أمه فإنه يقتل. قد سب أباه أو أمه. دمه عليه<sup>(١)</sup> ».

١٠ - وإذا زنى رجل مع امرأة قريبه<sup>(٢)</sup> فإنه يقتل الزانى والزانية.

١١ - وإذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه فقد كشف عورة أبيه. إنها يقتلان كلاهما. دمها عليها.

١٢ - وإذا اضطجع رجل مع كنته<sup>(٣)</sup> فإنها يقتلان كلاهما. قد فعلا فاحشة دمها عليها.

١٣ - وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجع امرأة فقد فعلا كلاهما رجسا. إنها يقتلان. دمها عليها.

١٤ - وإذا اتخذ رجل امرأة وأمها فذلك رذيلة بالنار يحرقونه وإياهما لكي لا يكون رذيلة بينكم.

١٥ - وإذا جعل رجل مضجعه مع بهيمة فإنه يقتل والبهيمة تميّتها.

١٦ - وإذا اقتربت امرأة الى بهيمة لنزائها تميّت المرأة والبهيمة. إنها يقتلان. دمها عليها.

١٧ - وإذا أخذ رجل أخته بنت أبيه أو بنت أمه ورأى عورتها ورأت هي عورته فذلك عار. يقطعان أمام أعين بني شعبها، قد كشف عورة أخته. يحمل ذنبه.

(١) يعني هو الجاني على نفسه، ويقول بعض العامة: ذنبه على جنبه.

(٢) مع امرأة قريبه تعني أيضاً مع امرأة يهودية.

(٣) الكنة: امرأة الإبن أو الأخ.

١٨ - وإذا اضطجع رجل مع امرأة طامث وكشف عورتها، عرى ينبوعها وكشفت هي ينبوع دمها يقطعان كلاهما من شعبها.

١٩ - عورة أخت أمك أو أخت أبيك لا تكشف. إنه قد عرى قريبته. يحملان ذنبيهما.

٢٠ - وإذا اضطجع رجل مع امرأة عمه فقد كشف عورة عمه. يحملان ذنبيهما. يموتان عقيمين.

٢١ - وإذا أخذ رجل امرأة أخيه فذلك نجاسة. قد كشف عورة أخيه. يكونان عقيمين<sup>(٤)</sup>. (لاويون ٢٠: ٩-٢١).

« وإذا كان في رجل أو امرأة جان<sup>(٥)</sup> أو تابعة فإنه يقتل ». (لاويون ٢٠: ٢٧).  
« وإذا أغواك سراً أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذي مثل نفسك قائلاً نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك... فلا ترض منه ولا تسمع له ولا تشفق عينك عليه ولا ترق له ولا تستره بل قتلا تقتله. يدك تكون عليه أولاً لقتله ثم أيدي جميع الشعب أخيراً ترجمه بالحجارة حتى يموت »<sup>(٦)</sup>. (تثنية ١٣: ٦-١٠).

وكذلك (خروج ١٢: ١٩، خروج ١٣: ١٧، خروج ٢١: ٢١، خروج ٢٨: ٢١، خروج ٢١: ٣٨، خروج ٣٠: ٣٨، - خروج ٣١: ١٤-١٥، خروج ٣٥: ٢، خروج ٢٢: ١٨-٢٠، خروج ٢٠: ٦).

(لاويين ٧: ٢٢-٧٢، لاويون ٢٠: ٢٧، لاويون ٢٤: ٢٦، لاويون ٢٦: ٢٧-٢٩، لاويون ٢٧: ٢٩).

(٤) لو أن هذه المجدود طبقت على من سبق موسى من شيوخ العبرانيين لأودت بحياة الكثيرين منهم.  
إن «إبرام» الأب الأعلى لبني إسرائيل وأرومة دوحة النبوة فيهم بنى بأخته لأبيه «سارة» وكشف عورتها. وبالخفية هي أختي ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أمي فصارت لي زوجة». (تكوين ١٢: ٢٠).  
وسار الذبيح اسحق في الدرب الذي سلكه أبوه، فاصطحب امرأته الحسناء رفقة إلى جزار لينعم بالعيش الرغد معها في رحاب ملكها أبالك. «وسأله أهل المكان عن امرأته فقال هي أختي...». (تكوين ٢٦: ٧).  
«وافترع لوط ابنتيه وأولد كلاً منها ابناً». فحملت ابنتا لوط من أبيها. فولدت البكر ابناً ودعت اسمه موآب، وهو أبو الموآبيين إلى اليوم. والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمي. وهو أبو بني عمون إلى اليوم». (تكوين ١٩: ٣٤-٣٨).

ونزا يهوذا ابن يعقوب «أي أخو يوسف» على ثامار أرملة ابنه. «فنظر يهوذا وحسبها زانية لأنها كانت قد غطت وجهها... ودخل عليها فحملت منه». (تكوين ٣٨: ١٥-١٨).

(٥) يعني إذا أصيب المرء بمرض عقلي. لاحظ الاشتقاق اللغوي بين الجنان والجنون.

(٦) وطوعاً لذلك لا عجب أن اليهود صلبوا الرب يسوع وقد مثل بينهم بشراً يدعوهم إلى دين غير الذي ألفوا، فقطعوا عليه سبيل الحجاج واللجاج ولم يمتكروا في دعاواه إلى العقل والمنطق بل وقفوا منه موقفهم المعروف امتثالاً لأمر يهوه وشعارهم القتل عند اختلاف العقيدة.



(عدد ٣: ١٠، عدد ٩: ١٣، عدد ١٧: ١٣، عدد ٣٥: ٣١).

(تثنية ١٣: ٦-١٠، تثنية ١٧: ١٢، تثنية ٢١: ١٨-٢١).

وهلم جراً.

ولم يقف الأمر عند حد التهديد والوعيد بل جرى مجرى التحقيق والتنفيذ، ومن ذلك أنه « خرج ابن امرأة اسرائيلية وهو ابن رجل مصري في وسط بني اسرائيل. وتخاصم في المحلة ابن الاسرائيلية ورجل اسرائيلي. فجذف ابن الاسرائيلية على الاسم وسب. فأتوا به الى موسى... فكلم موسى بني إسرائيل أن يخرجوا الذي سبّ الى خارج المحلة ويرجوه بالحجارة ففعل بنو إسرائيل كما أمر الرب موسى». (لاويون ٢٤: ١٠-٢٣).

وهكذا قتل موسى ابن المصري في سيناء بعد أن قتل شاباً مصرياً في مصر قبل أربعين عاماً وبعد أن اتخن في المصريين - بعد مآبه من مدين - تقتيلاً وتكليلاً.

وحدث أن رجلاً بائساً من أتباعه رأى أن يبيء لأطفاله المقرورين جذوة يصطلون بها احتفاء من زمهرير الصحراء وينضجون عليها طعامهم. « ولما كان بنو اسرائيل في البرية وجدوا رجلاً محتطب حطباً في يوم السبت فقدمه الذين وجدوه محتطب حطباً الى موسى وهرون وكل الجماعة فوضعوه في المحرس لأنه لم يعلن ماذا يفعل به. فقال الرب لموسى قتلا يقتل الرجل. يرجه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة فأخرجه كل الجماعة الى خارج ورجوه بحجارة فمات كما أمر الرب موسى». (عدد ١٥: ٣٢-٣٦).

وهكذا نجد موسى، وهو الذي اغتفر لهرون ما صنع من جمع الذهب المسروق من مصر وصياغته عجلاً ذهباً بنى له مذبحاً وأمر العشيرة أن تسوق إليه ذبائحها، نجده لم تداخل قلبه الرحمة. بذلك المسكين، وهو إنما أتى عملاً لم يكن قد حدد لمقترفه عقاب معلوم، فأفتى بقتله رجماً، ولما استحال هذا الذي كان قبلاً رجلاً كتلة لا شكل لها من اللحم المهراً، عن اللمشع الكبير أن يخلط الجد بالهزل، فأمر القوم رجلاً ونساءً أن يضعوا في أذيال ثيابهم أهداباً (شراريب) وشرائط زرقاء اللون. « وكلم الرب موسى قائلاً. كلم بني اسرائيل وقل لهم أن يصنعوا لهم أهداباً في أذيال ثيابهم في أجيالهم ويجعلوا على هدب الذيل عصاة من أسمانخوني. (عدد ١٥: ٣٧-٣٨).

وحدث ذات يوم أن: « ابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب... فقال الرب لموسى خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس فيرتد حمو غضب الرب عن اسرائيل. فقال موسى لقضاة اسرائيل اقتلوا كل واحد قومه المتعلقين ببعل فغور». (عدد ٢٥: ١-٥).

★ ★ ★

يخصي اليهود أسماء كبار أعدائهم الذين أمعنوا في التنكيل بهم على مر الزمان، فيذكرون:

١ - سرجون الثاني ملك آشور، فقد دهم في سنة ٧٢٢ ق.م. المملكة الشمالية إسرائيل بجحافلها واستولى على حاضرتها « السامرة » ونفي من أهلها ألوفاً لم يقبض لهم الاحتفاظ بمشخصات قوميتهم ففتانوا في غيرهم.

٢ - نبوخذ نصر (مختصر) ملك الكلدان وقد غلب المملكة الجنوبية يهوذا على أمرها وافتتح حاضرتها أورشليم<sup>(٧)</sup> سنة ٥٨٦ ق.م. فأخرب ربوعها ونقض هيكل سليمان بها وسبى من أهلها ألوفاً نقلهم إلى بلاده ليسخرهم في العمل هناك<sup>(٨)</sup>.

٣ - قسطنطين الأول (الأكبر) الإمبراطور الروماني، نقل عاصمته في سنة ٣٣٠ م إلى بيزنطة وأسماها القسطنطينية وتوفي سنة ٣٣٧ م. اصطنع في توطيد دعائم المسيحية أنكر الجرائم واستعان أكثر الوسائل إصطباغاً بالدم، وقد حظر الزواج بين اليهود والمسيحيين وجعل القتل عقاباً لمن يتهود من المسيحيين.

★ ★ ★

هاجر أولئك الاسرائيليون من مصر ومضوا يضربون في شعاب سيناء عاماً إثر عام باقدام كليلية وسحي كوالح وهم فاقدو الأمل، تريبهم من زعيمهم أمور شتى عدّد المؤرخ اليهودي الكبير يوسفوس (المتوفي سنة ١٣٠ م تقريباً) طرفاً منها، فكان من ذلك:

١ - أنه وعدهم بأن يقودهم الى أرض تفيض لبناً وعسلاً، فلما أسلموه مقادهم لم يصدقهم ما رد وتيههم في فلاة مضلة غطشاء<sup>(٩)</sup> لا يهتدون إلى سبيل الخروج منها.

٢ - وأنه جعل يسوسهم بالصرامة والقساوة ويشتط في العنف بمن يخالف عن أمره، ولو في التافه، ولا يرحم من يأتي هنة هينة على حين هو يعتمد للموزورين<sup>(١٠)</sup> من أهله أفحش الخطايا وأنكر الآثام.

(٧) وهي بيت المقدس، ويذهب كثير من الشراح الى أنها هي المعنية بالآية «أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أني يحي هذه الله بعد موتها...» (البقرة ٢٥٨).

(٨) ولبنوا هناك زهاء نصف قرن خبروا فيه من ضروب التقدم الحضاري وشاهدوا من أشكال العبادات ما لم يعهدوه في بلادهم من قبل، ثم إن قورش الكبير ملك فارس غزا ملكة بابل في سنة ٥٣٨ ق.م وأطلق من كان بها من أسرى اليهود وأمر بإعادة بناء الهيكل المنقوض، ولهذا نجد النبي اليهودي أشعيا يجمد هذا الملك الوثني ويلقبه بمسيح الرب. « هكذا يقول الرب لمسيحه كيروش ». (أشعيا ٤: ١).

وكان الأخرى باليهود أن يذكروا في مقدمة هؤلاء جميعاً اسم زعيمهم موسى، فقد زج بهم جميعاً في جحيم دنبوية في وقت لم تكن الجحيم الأخروية قد عرفت فيه بعد

(٩) غطش البصر: ضعف و- الليل: أظلم، ويقال فلاة غطشى وغطشاء: مظلمة غمة المسالك لا يبتدي فيها لطريق.

(١٠) غمد الشيء: ستره وغطاه، غمده: ستر ما كان منه وغطى عبويه: تغمد: ستر ما كان منه وغطى عبونه،

الموتور: المرتكب الإثم.

٣ - أنه أمعن في ضرب الضرائب وفرض الفرائض عليهم، وجعل يشترع الشرائع ويسن القوانين لابتزاز أموالهم. وما أنفك يستحثهم باسم الرب على الإسراع في تقديم بواكير ما يجنون من ثمار وما يعصرون من خمور. « لا تؤخر ملء بيدرك وقطر معصرتك وأبكار بنيك تعطيني »<sup>(١١)</sup> ويتهدد المتخلفين عن أداء الضرائب بأن يفشي فيهم الأوبئة ويسلط عليهم الطواعين فيتخرمهم الموت الزؤام<sup>(١٢)</sup>. « يعطون كل واحد فدية عن نفسه للرب عندما تعدهم لثلا يصير فيهم وبأ عندما تعدهم ». (خروج ٣٠ : ١٢).

وكانت التقاليد قبله تجعل الإشراف على مناسك العبادة من حق البطارقة العبرانيين وآباء الأسر الكبيرة فالغى موسى هذا التقليد وجعل ذلك الإشراف وقفاً على كهنة مختصين، ثم اصطفى للكهنة أخاه هرون وأولاده وحفدته من بعدهم وعين لهم الأرزاق الموفورة يؤديها إليهم أفراد الرعية صاغرين وسجل ذلك في توراته فريضة مفروضة أبداً لأسرته على رعيته. « فتأخذ خمسة شواقل لكل رأس على شاكل القدس<sup>(١٣)</sup> تأخذها. وأعطى موسى فضة الفداء لهرون وبنيه حسب قول الرب كما أمر الرب موسى ». (عدد ٣ : ٤٧ - ٥١).

ثم خطا الخطوة الأخيرة فزعم أن الرب يهوه قد نزل عن جميع مغامه للأسرة الموسوية وأقربائها بني لاوي. « وقال الرب لهرون... هذا يكون لك من قدس الأقداس من النار كل قرابينهم مع كل تقدماتهم وكل ذبائح خطاياهم وكل ذبائح آثامهم التي يردونها لي. قدس أقداس هي لك ولبنيك. كل دسم المسطار<sup>(١٤)</sup> والحنطة أبكارهن التي يعطونها للرب لك أعطيتها. أبكار كل ما في أرضهم التي يقدمونها للرب لك تكون... كل فاتح رحم من كل جسد يقدمونه للرب من الناس ومن البهائم يكون لك غير أنك تقبل فداءه وفداؤه من ابن شهر تقبله حسب تقويمك. فضة خمسة شواقل على شاكل القدس... جميع رفائع الأقداس التي يرفعها بنو اسرائيل للرب أعطيتها لك ولبنيك وبناتك معاً حقاً دهرياً. ميثاق ملح دهرياً أمام الرب لك ولزرعك معاً... وأما بنو لاوي فإني قد أعطيتها كل عشر في اسرائيل ميراثاً عوض خدمتهم التي يخدمونها خدمة خيمة الاجتماع... إن عشور بني اسرائيل التي يرفعونها للرب ربيعة قد أعطيتها لللاويين نصيباً ». (عدد ١٨ : ٨ - ٢٤).

(١١) الترجمة سقيمة وتصويبها هو : لا تتوان في تقديم اباكورة ما ينضج من ثمارك وما تعصر من خورك وأسلم الى بكر أبنائك.

(١٢) الزؤام : العاجل.

(١٣) من الواضح أن هذا الكلام لم يوح به في سيناء كما يزعمون وإنما كتبه أحبار اليهود بعد بضعة قرون فإن القدس لم تفتح إلا في عهد داود أي بعد موسى بأكثر من أربعة قرون.

(١٤) يقصد أن يقول كل ما كان ممتازاً من الخمر.

اللعبة واضحة لا يحتاج تبينها الى تحديد ذكاء .

٤ - أنه خلس آنية الذهب والفضة وغيرها مما جمع عند تدشين المذبح، وإيكم بياناً ببعض ما جمعة فلما افتقدوه لم يجدوه. « هذا تدشين المذبح يوم مسحه من رؤساء اسرائيل. أطباق فضة اثنا عشر ومناضح فضة اثنتا عشرة وصحون ذهب اثنا عشر. كل طبق مئة وثلاثون شاقل فضة وكل منضحة سبعون. جميع فضة الآنية ألفان وأربع مئة على شاقل القدس. وصحون الذهب اثنا عشر مملوءة بخوراً كل صحن عشرة على شاقل القدس. جميع ذهب الصحون مئة وعشرون شاقلا. كل الثيران للمحرقة اثنا عشر ثوراً والكباش اثنا عشر مع تقدمتها وتيوس المعز اثنا عشر لذبيحة الخطية. وكل الثيران لذبيحة السلامة أربعة وعشرون ثوراً والكباش ستون والتيوس ستون والخراف الحولية ستون. هذا تدشين المذبح بعد مسحه. » (عدد ٧: ٨٤-٨٨).

٥ - أن أخاه اختزل الذهب الذي جمعه لصنع العجل، ثم طحنه موسى وذره، كله أو بعضاً منه على وجه الماء .

٦ - أنه ظفر بالسلطان في نهزة ثم شرع يرسخ دعائمه ويضع من ضروب التشريع ما يكفل له استدامة هذا السلطان في بيته أبد الدهر، وجعل منصب الكهانة العظمى طعمة لأخيه ولذريته من بعده وهو أعظم مناصب تلك الحكومة الدينية جاها وأدراها رزقا .

وقد أزعج القوم كل ما حل بهم من النكبات الى استثثار موسى بالسلطان، وبدأوا يتألبون عليه وعلى أخيه هرون. « وقالوا لها كفاكما. إن كل الجماعة بأسرها مقدسة وفي وسطها الرب. فما بالكما ترفعان على جماعة الرب. » (عدد ١٦: ٣).

وأحس موسى بالغيوم تتعقد فوق رأسه، فبعث إلى بعض أصفياؤه وخلصانه يلتمس منهم نجدة ولكنهم لم يخفوا له. « فأرسل موسى ليدعو دائان وأبيرام ابني اليآب. فقالا لا نصعد. أقليل أنك أصعدتنا من أرض تفيض لبناً وعسلاً لتميتنا في البرية حتى تترأس علينا ترؤساً<sup>(١٥)</sup> ؟ كذلك لم تأت بنا الى أرض تفيض لبناً وعسلاً ولا أعطيتنا نصيب حقول وكروم. هل تطلع أعين هؤلاء القوم؟ لا نصعد. فاغتاظ موسى جداً وقال للرب لا تلتفت الى تقدمتها. حاراً واحداً لم آخذ منهم ولا أسأت الى أحد منهم. » (عدد ١٦: ١٢-١٥).

ولكن للكهنة ومن إليهم أساليب مأكرة تسني لهم التخلص من خصومهم وتصيرهم عبرة لكل

(١٥) الترجمة الصحيحة هي:

لتقتلنا في البرية بما لم نتأمر علينا. ولم تكن تلك أول مرة يلاحظ الاسرائيليون فيها على موسى نزوحه الى التامر والتروؤس، وقبل قال له أحد العبريين في مصر قبل فراره منها. « من جعلك رئيساً وقاضياً علينا. » (خروج ٢: ١٤).

من تحدّثه النفس باعتراض سيّلتهم. وقد فتك موسى بأولئك الأحرار الذين أبوا أن يساموا الخسف وعلى رأسهم قورح، ثم زعم أن هلاكهم إنما هو معجزة تبرىء ساحته وتبرر مسلكه. «فتحت الأرض فاها وابتلعتهم وبيوتهم وكل من كان لقورح مع كل الأموال. فنزلوا هم وكل ما كان لهم أحياء الى الهاوية وانطبقت عليهم الأرض فبادوا من بين الجماعة. وكل بني اسرائيل الذين حولهم هربوا من صوتهم لأنهم قالوا لعلّ الأرض تبتلعنا. وخرجت نار من عند الرب وأكلت الميتين والخمسين رجلاً». (عدد ١٦: ٣٢-٣٥).

وقد أوغرت هذه المذبحة الرهيبة صدور القوم على هذا الحاكم بأمره وأججت نار الفتنة بينهم وألبتهم عليه فوقفوا في وجهه صفّاً واحداً وجبهوه بتهمة القتل. «فدمر كل جماعة بني اسرائيل في الغد على موسى وهرون قائلين أنما قد قتلتما شعب الرب». (عدد ١٦: ٤١). ولم ينقذه هو وأخاه من برائتهم سوى وباء تفشاهم واحترم الكثير منهم، سيان من عصى ومن أطاع. «فكان الذين ماتوا بالوباء أربعة ألفاً وسبع مئة عدا الذين ماتوا بسبب قورح». (عدد ١٦: ٤٩).

وهنا أعلن النبيان الشقيقان بهذه المعجزة الجديدة معترزين: لقد اقتص لها يهوه.

★ ★ ★

أما الفظائع الموسوية في الحروب فأجلّ من أن تقاس بها فظائع الذين حوكموا في نورمبرج من مجرمي الحرب العالمية الثانية. استمع إلى نبي الإله اليهودي كيف يصف في ازدهاء حربه على سيخون ملك الأموريين وكان مقماً ببلدة حشبون «فدفعه الرب إلهنا أمامنا فضرناه وبنه وجميع قومه وأخذنا كل مدنه في ذلك الوقت وحرّمنا من كل مدينة الرجال والنساء والأطفال. لم نبق شارداً. لكن البهائم نهبناها لأنفسنا». (تثنية ٢: ٣٣-٣٥).

ثم استمع إليه يسرد أحداث حربه على باشان وملكها عوج. «فضرناه حتى لم يبق له شارد وأخذنا كل مدنه... فحرّمناها كما فعلنا بسخون ملك حشبون محرمين كل مدينة الرجال والنساء والأطفال. لكن كل البهائم وغنيمة المدن نهبناها لأنفسنا. وأخذنا في ذلك الوقت من يد ملكي الأموريين الأرض التي في عبر الأردن من وادي أرنون الى جبل حرمون... إن عوج ملك باشان وحده بقي من بقية الرفائين<sup>(١٦)</sup>. هوذا سريريه سرير من حديد. أليس هو في ربة بني عمون<sup>(١٧)</sup> طوله تسع أذرع وعرضه أربع أذرع رجل». (تثنية ٣: ٣-١١).

(١٦) يقابلها في الإنجليزىه Giants أي الجبابرة. ومن هنا نستبين مصدر الأساطير والقصص الشعبية تصف في غلوط طول عوج بن عتق فتزعم أنه كان يحتوي عرض البحر بين قدميه فيقبض على السمكة بيده ويشويها في عين الشمس. (١٧) هي حاضرة العمونيين في ذلك الزمان وحاضرة الأردن في الوقت الحاضر وتعرف باسم عمان.

وتأهب لغزو كنعان: « فنذر اسرائيل نذراً للرب وقال إن دفعت هؤلاء القوم الى يدي أحرم مدنيهم. فسمع الرب ليقول اسرائيل ودفع الكنعانيين فحرموهم ومدنيهم فدعي اسم المكان حُرمة»<sup>(١٨)</sup>. (عدد ٢١: ٢-٣).

وأرسل موسى جنوده على أهل مدين<sup>(١٩)</sup> يغزونهم في أعقار بيوتهم ويقوضونها على رؤوسهم. « وقتلوا كل ذكر وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم. خمسة ملوك مديان. وبلعام<sup>(٢٠)</sup> بن بعور قتلوه بالسيف. وسبى بنو اسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم وأحرقوا جميع مدنيهم بمساكنهم... وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم. وأتوا الى موسى وألغاز الكاهن والى جماعة بني اسرائيل بالسبي والنهب والغنيمة الى المحلة». (عدد ٣١: ٧-١٢).

لقد ذبحوا من أهل مدين قرابة حسين ألف نفس<sup>(٢١)</sup>.

وسبوا ضعفي هذا العدد وغنموا نحو ثمانين ألف رأس من ذوات الأربع، ونكن تلك الألوف الكثيرة من الجثث المتناثرة في حومة الوغي لم تشف قرم<sup>(٢٢)</sup> موسى وتعطشهُ الى الدماء<sup>(٢٣)</sup>. « فسخط موسى على وكلاء الجيش رؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من جند

(١٨) أراد واضعو التوراة تسويغ حريمهم على الكنعانيين وتبرير ما ارتكبه فيها من تقتيل وتحريق وبغاسة فاخترعوا قصة ذبلوا بها أسطورة الطوفان، فحواها أن نوحاً عمداً بعد انحسار الطوفان الى زرع بستان من الكروم، فلما أبيع العنب عصره خراً وشرف فأفرط. « فسكر وتعري داخل خبائه. فابصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً. فأخذ سام ويافت الرداء ووضعاه على أكتافها ومشيا الى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاها الى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما. فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير. فقال ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لإخوته. (تكوي ٩: ٢١-٢٧).

(١٩) هم، فيما يزعمون، ذرية مديان بن ابراهيم فهم من أدنى أقرباء بني اسرائيل، وهم الذين آورا موسى عندما لجأ اليهم بعد فعلته التي فعلها بقتله أحد المصريين الذين آوره قبلهم، فقد نشأ بين المصريين ونعم بالعيش الطيب في قصر فرعون، ثم هجر مصر الى مدين حيث أمضى فيها زمناً آخر ثم رجع الى مصر يهوي إليها بضرباته البشعة ثم رجع الى مدين ليفشي فيها الموت والدمار، فقد جاءت الآن خونتهم ليتلقوا اعتراف موسى بالجميل.

(٢٠) ويدعي في القرآن الكريم لقان (لقم = بلع) وهو من أنبياء المؤابيين الوثنيين الذين طالما شن بنو اسرائيل بالحرب عليهم. دعاه بالاق ملك موآب ليلعن له بني اسرائيل الزاحفين على بلاده فأبى وباركهم بين يديه، بيد أن الاسرائيليين لم يذكروا له هذا الجميل وقتلوه بالسيف.

وقد ذاعت شهرة الحوار الطريف الذي دار بين بلعام وأتانه. وحكاها بعض المسلمين فلفقوا حديثاً زعموا أنه جرى بين النبي محمد (ص) وخروف مسموم قدمه له يهود خبير.

(٢١) مع أن خسائر بريطانيا العظمى في معركة وانترولو لم تزيد على ٤,١٧٢ رجلاً.

(٢٢) قرم الرجل الى اللحم: اشتدت شهوته.

(٢٣) وقد نسي كاتب سفر القضاة أن زميله كاتب سفر العدد أباد المديانيين وأفناهم عن بكرة أبيهم، فسلطهم - بعدما اخترعهم الموت - على الاسرائيليين لأن هؤلاء لم يحسنوا سيرتهم وبيدعوا لأوامر الكهنة. وعمل

الحرب. وقال لهم موسى هل أبقيتم كل أنثى حية. فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال. وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلواها». (عدد ٣١: ١٤-١٧).

أما العذارى، فقد استحيان ليحتضن قتلة آبائهن وإخوتهم. « وكان النهب فضلة الغنيمة التي اغتنمها رجال الجند من الغنم ست مئة وخمسة وسبعين ألفاً. ومن البقر اثنين وسبعين ألفاً. ومن الحمير واحدا وستين ألفاً، ومن نفوس الناس من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر جميع النفوس اثنين وثلاثين ألفاً. ونفوس الناس ستة عشر ألفاً وزكاتها للرب اثنين وثلاثين نفساً فأعطى موسى الزكاة ربيعة الرب لألعازار الكاهن كما أمر الرب موسى». (عدد ٣١: ٣٢-٤١).

وهكذا حظي الكهنة الفاسقون باثنتين وثلاثين من أجل العذاري توزعوهن فيما بينهم كما توزعوا البقر ونحوه من غنائم الحرب.

وسن موسى على اليهود سنة إبادة الشعوب المسالمة التي يصادفونها في طريقهم. « متى أتى الرب الى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوباً كثيرة من أمامك الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع شعوب أكثر وأعظم منك ودفعهم الرب الهك أمامك وضربتهم فإنك تحرمهم... وتأكل كل الشعوب الذين الرب الهك يدفع إليك. لا تشفق عينك عليهم». (تثنية ٧: ١-١٦).

وقال نفعنا الله برأيه. « حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح فإن أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك. وإن لم تسلمك بل عملت معك حرباً فحاصرها. وإذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب الهك. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا. وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما بل تحرمها تحريماً». (تثنية ٢٠: ١٠-١٧).

وجملة القول أنه وضع نصب أعين المقاتلة من بني اسرائيل هدفين رئيسيين هما إبادة الشعوب المتاخة واستعباد ما يليها من الشعوب. وبذلك تتحول الجيوش اليهودية الى بعثات للتقتيل والتدمير وللاستعباد والنخاسة، وكلها أعمال قبيحة كريمة يجرمها ما قرره المواثيق الدولية للانسان من حقوق.

بنو اسرائيل الشر في عبي الرب فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين فاعتزت يد مديان على اسرائيل ه. (قصة ٦: ١-٢).

## موته

قضى الاخوان الزعيان نجبها في برية سيناء، فأما منية هرون فكانت بجبل هور. « فصعد هرون الكاهن الى جبل هور حسب قول الرب ومات هناك في السنة الأربعين لخروج بني اسرائيل من أرض مصر »<sup>(١)</sup>. (عدد ٣٣: ٢٨).

وأما موسى فقد فاضت نفسه في أرض موآب<sup>(٢)</sup> دون أن يعبر الأردن الى الأرض التي تفيض

(١) وفي رواية أخرى أنه مات في موسى. « وبنو إسرائيل ارتحلوا من آبار بني بعقان الى موسى. هناك مات هرون وهناك دفن. فكهن العازار ابنه عوضاً عنه ». (تثنية ١٠: ٦).

(٢) نقل الطبري في الجزء الأول من كتابه تاريخ الأمم والملوك عن عن... عن عبد الله مسعود وعن ناس من أصحاب النبي أنهم قالوا:

أوحى الله تبارك وتعالى الى موسى إني متوف هارون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل فإذا هما بشجرة لم ير مثلها وإذا هما ببيت مبني وإذا هما فيه بسرير عليه فرش وإذا ربح طيبة، فلما نظر هارون الى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه فقال يا موسى إني لأحب أن أنام على هذا السرير، قال له موسى: فم عليه. قال إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب عليّ. قال له موسى لا ترهب. أنا أكفيك رب هذا البيت فم. قال يا موسى بل نم معي فإن جاء رب البيت غضب عليّ وعليك جميعاً. فلما ناما أخذ هارون الموت فلما وجد حسه قال يا موسى خدعتني. فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير الى السماء فلما رجع موسى الى بني إسرائيل وليس معه هارون قالوا إن موسى قتله وحسده لبني إسرائيل له، وكان هارون أكف عنهم وألين لهم من موسى وكان في موسى بعض الغلظ عليهم، فلما بلغه ذلك قال لهم ويحكم كان أخي أفتروني أقتله، فلما أكثروا عليه قام فصلي ركعتين ثم دعا الله فنزل بالسرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصدقوه.

ثم إن موسى بنا هو يشي ويوشع فناه إذا أقبلت ربح سوداء فلما نظر إليها يوشع ظن أنها الساعة والتزم موسى وقال تقوم الساعة وأنا ملتزم موسى نبي الله فاستل موسى من تحت القميص وترك القميص في يد يوشع، فلما جاء يوشع بالقميص أخذته بنو إسرائيل وقالوا قتلت نبي الله. قال لا والله ما قتلته ولكنه استل مني فلم يصدقوه وأرادوا قتله، قال فإذا لم تصدقوني فأخروني ثلاثة أيام فدعا الله فأتى كل رجل ممن كان يحرسه في المنام فأخبر أن يوشع لم يقتل موسى وأنا قد رفعناه إلبنا فتركوه.

ونقل (الطبري) عن عن... عن أبي هريرة أنه قال:

قال رسول الله ﷺ. إن ملك الموت كان يأتي الناس عياناً حتى أتى موسى فلطمه ففقا عينيه قال فرجع فقال يا رب إن عبدك موسى فقاً عيني ولولا كرامته عليك لشقت عليه فقال أنت عبيدي موسى فقل له فليضع كفه على متن ثور فله بكل شعرة وارث يده سنة. خيره بين ذلك وبين أن يموت الآن. قال فاتاه فخيرته فقال له موسى فما بعد ذلك قال الموت قال فالآن إذن. قال فشمه قبض روحه. قال فجاء بعد ذلك الى الناس خفياً.



لبناً وعسلًا، فقد أبى الله عليه ذلك إذ كان ينقم منه ما بدا على بني اسرائيل من قلق خلال تجوالهم على غير هدى وما أعربوا عنه من ضيق بقلّة الغذاء ومن عوز الى الكساء وتذمرهم من الحالة التي كانوا عليها بوجه عام. «ولكن في هذا الأمر لستم واثقين بالرب الهكم. السائر أمامكم في الطريق ليلتمس لكم مكاناً لنزولكم في نار ليلا ليريكم الطريق التي تسرون فيها وفي سحاب نهارا. وسمع الرب صوت كلامكم فسخط وأقسم قائلاً. لن يرى انسان من هؤلاء الناس من هذا الجيل الشرير الأرض الجيدة التي أقسمت أن أعطيها لأبائكم. ما عدا كالب بن يفتنة. هو يراها وله أعطى الأرض التي وطئها ولبنيه لأنه قد اتبع الرب تماماً. وعليّ أيضاً غضب الرب بسبيكم قائلاً وأنت أيضاً لا تدخل الى هناك. يشوع بن نون الواقف أمامك هو يدخل الى هناك شدده لأنه هو يقسمها لإسرائيل»<sup>(٣)</sup>. (تثنية ١: ٣٢-٢٨).

ونقل عن عن... عن ابن اسحاق أنه قال:

كان موسى صفي الله قد كره الموت وأعظمه، فلما كرهه أراد الله تعالى أن يجب اليه الموت ويكره اليه الحياة فحولت النبوة الى يوشع بن نون فكان يغدو عليه ويروح فيقول له موسى: يا نبي الله، ما أحدث الله إليك، فيقول له يوشع بن نون يا نبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة، فهل كنت أسألك عن شيء. مما أحدث الله إليك حتى تكون أنت الذي تبدي به وتذكره فعلا تذكر شيئاً. فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت.

وقال الشهرستاني في كتابه «الملل والنحل» يتحدث عن فكرة «الرجعة» عند اليهود:

وأما جواز الرجعة فإما وقع لهم في أمرين، أحدهما حديث عزيز إذ أماته الله مائة عام بعثه، والثاني حديث هارون عليه السلام إذا مات في التيه وقد نسبوا موسى الى قتله، قالوا حسده لأن اليهود كانت إليه أميل منهم الى موسى. واختلفوا في حال موته، فمنهم من قال مات وسيرجع ومنهم من قال غاب وسيرجع.

(٣) بيد أن ثمة رواية أخرى تقول إن مبعث غضب يهوه على موسى هو أنه غفل عن أن يقدس الرب بالماء. «قال الرب لموسى اصعد الى جبل عبارم هذا وانظر الأرض التي أعطيت بني اسرائيل - ومق نظرتها تضم الى قومك أنت أيضاً كما ضم هرون أخوك لأنكما في برية صين عند مخاصمة الجماعة عصيتا قولي أن تقدساني بالماء أمام أعينهم».

وقد أشير الى هذه الحادثة قبل ذلك في قولهم: «وكلم الرب موسى قائلاً خذ العصا واجمع الجماعة أنت وهرون أخوك وكلما الصخرة أمام أعينهم أن تعطي ماءها فنخرج لهم ماء من الصخرة وتسمى الجماعة ومواشيهم. فأخذ موسى العصا من أمام الرب كما أمره. وجمع موسى وهرون الجمهور أمام الصخرة فقال لهم اسمعوا أيها المردة. أمن هذه الصخرة نخرج لكم ماء. ورفع موسى يده وضرب الصخرة بعصاه مرتين فخرج ماء غزير فشربت الجماعة ومواشيها: فقال الرب لموسى وهرون من أجل أنكما لم تؤمنّا بي حتى تقدساني أمام أعين بني اسرائيل لذلك لا تدخلان هذه الجماعة الى الأرض التي أعطيتها إياها». (عدد ٢٠: ٧-١٢).

ونلاحظ هنا

١ - أن تلك الجماعة التي كان يتحدث اليها والتي استطاع أن يقيها هي ومواشيها بضربة عصا يبلغ عددها ٣,٠٠٠,٠٠٠.

٢ - أنه أخذ العصا من أمام الرب.

٣ - أن خطاه هنا هو - فيما يبدو - أنه قرع الصخرة وتمّم بالفاظ غير مفهومة بدلا من أن يقتصر على أن يأمر الصخرة باسم الرب أن تنفجر ماء.

## الرقم ٤٠

وقد عمر موسى حتى استتم له من العمر مئة وعشرون سنة. وتنقسم حياته ثلاث مراحل دامت كل منها أربعين سنة<sup>(١)</sup> بالتام والكمال.

(١) أكثر الكتاب المقدس من استعمال رقم ٤٠ فنحن نجد في قصة الطوفان - مثلاً - أنه « كان المطر على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة ». (تكوين ٧: ١٢).

« وكان الطوفان أربعين يوماً على الأرض ». (تكوين ٧: ١٧).

« وحدث من بعد أربعين يوماً أن نوحا فتح طاقة الفلك التي كان قد عملها ». (تكوين ٨: ٦).

ونجد في قصة خروج اليهود من مصر أن موسى نزل هو وقومه في صحراء سيناء ٤٠ عاماً لم يذوقوا خلالها غير المن. (خروج ١٦: ٣٥).

وأنه صعد في الجبل حيث لبث ٤٠ يوماً و٤٠ ليلاً. (خروج ٢٤: ١٨).

ولبث وقته أجمع طاوياً يصيب لقمة من طعام ولا حسوة من شراب. (تثنية ٩: ٩).

وكرر ذلك بعد كسره اللوحين الالهيين بأن صام ٤٠ يوماً أخرى. (تثنية ٩: ١٨).

ونجد - عندما نطالع سير القضاة، الذين حكموا بني اسرائيل وخلصوهم من أعدائهم قبل عهد الملوك، أن:

عثنيل قتل ملك آرام (سوريا) واستراحت الأرض أربعين سنة. (قضاة ٣: ١١).

وفتك جدعون بأهل مدين واستراحت الأرض أربعين سنة في أيام جدعون. (قضاة ٨: ٢٨).

واغتال أهود عجولون ملك مواب واتبع ذلك بجملة شعواء على الموابيين فأهلك منهم ١٠,٠٠٠ رجل « واستراحت الأرض ثمانين سنة ». (قضاة ٣: ٣٠).

أي ٤٠ × ٢

وأذل الفلسطينيون بني اسرائيل بعد موت يفتاح الجلعادي ومن تبعوه « وساموهم الخسف أربعين سنة حتى خلصهم شمشون. ثم عاد بنو اسرائيل يعملون الشر في عيني الرب فدفعهم الرب ليد الفلسطينيين أربعين سنة ». (قضاة ١٣: ١).

هذا. وقد لفظ عالي أنفاسه عندما تناهت اليه أنباء الهزيمة التي حاقت بقومه وهي التي بلغ من فداحتها أن الأعداء استولوا على تابوت الله. وكان موته (عالي) بعد أن « قضى لإسرائيل ٤٠ سنة ». (١ صموئيل ٤: ١٨).

وسم بنو اسرائيل حكم القضاة واستشراء الفساد على عهدهم « ومن ثم طلبوا ملكاً فأعطاهم الله شاول بن قيس رجلاً من سبط بنيامين أربعين سنة ». (أعمال الرسل ١٣: ٢١).

وخلفه ابنه ايشبوشث « وكان ايشبوشث بن شاول ابن أربعين سنة حين ملك على اسرائيل ». (٢ صموئيل ٢: ١٠).

**المرحلة الأولى:** تنشئته في كنف فرعون واستبصاره في مبادئ فلسفة التوحيد وإمامه بنظام الكهانة وفنون الشعوذة والسحر. وقد انتهت تلك المرحلة بقتله أحد المصريين الأقحاح وفراره الى مدين.

**المرحلة الثانية:** لجوءه الى مدين وإصهاره الى كاهنها الأكبر وارتداده الى دين أجداده، وإعداده نفسه للزعامة الدينية (النبوة). وقد انتهت تلك المرحلة بعودته الى مصر وانزاله الضربات المتتالية بأهلها الوادعين.

**المرحلة الثالثة:** مرحلة التيه في سيناء، وفيها اختص اسرته وذرايرها بالكهانة وما تسبغه الكهانة من جاه وما تفيء من أسلاب. وقد جرد نفسه طوال تلك السنين لاستئصال شأفة الأحرار الذين ضاقوا ذرعاً بمسلكه. وقد انتهت تلك المرحلة بانتهاء حياته في تلك الفلاة القاحلة مغضوباً عليه من إلهه وشعبه.

كان موسى في حياته مثلاً نموذجياً للإله الكاهن الساحر<sup>(٢)</sup>. « فحمى غضب الرب على موسى

---

ونازعه داود على الملك وفاز به. « كان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك وملك أربعين سنة. (٢ صموئيل ٥: ٤).  
وشن داود الحرب على آرام (سوريا) وائخن فيهم قتلاً. « وقتل داود من آرام سبع مئة مركبة وأربعين ألف فارس. (٢ صموئيل ١٠: ١٨).

أو في رواية أخرى. « وقتل داود من آرام سبعة آلاف مركبة وأربعين ألف راجل. (١ أخبار الأيام ١٩: ١٨)  
وملك سليمان مثل المدة التي تسب فيها والده العرش. « وكانت الأيام التي ملك فيها سليمان في أورشليم على كل اسرائيل أربعين سنة. (١ ملوك ١١: ٤٢).

وكان جلالته يغالي في اقتناء الجياد الفارسة. « وكان لسليمان أربعون ألف مذود لحيل مركبته واثنان عشر ألف فارس. (١ ملوك ٤: ٢٦).

ويرى كتاب أخبار الأيام أن عدد المذاود هذا لا يتناسب وعدد الفرسان، ولذلك كتبوا: « وكان لسليمان أربعة آلاف مذود خيل ومركبات واثنان عشر ألف فارس. (٢ أخبار ٩: ٢٥).

وهرب النبي إيليا (الذي ارتفع الى السماء حياً) من اسرائيل ميمماً صوب سيناء دون أن يحتقب معه زاداً يتبلغ به في الطريق. « ثم عاد ملاك الرب ثانية فمسه وقال قم وكل لأن المسافة كثيرة عليك. فقام وأكل وشرب وسار بقوة تلك الأكلة أربعين نهاراً وأربعين ليلة الى جبل الله حوريب. (١ ملوك ١٩: ٧-٨).

ويتقصى سفر الملوك نبأ الذين تعاوروا سرير الملك في مملكة يهوذا، فيقول: « في السنة السابعة لياهو ملك يهوآش. ملك أربعين سنة في أورشليم. (٢ ملوك ١٢: ١).

وهلم جرا. ولا يخلو العهد الجديد أيضاً من مواطن يستعمل فيها الرقم ٤٠ ومن ذلك حديثه في تجربة الشيطان ليسوع المسيح، فقد ليث يسوع ٤٠ يوماً و٤٠ ليلة يتأهب لاجتياز هذه التجربة بنجاح. « فبعد ما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً. (متى ٤: ٢).

ودامت التجربة ٤٠ يوماً. « وكان هناك في البرية أربعين يوماً يجرب من الشيطان. (مرقس ١: ١٣).

(٢) كان السحرة في بعض الأعصر الفابرة لا يقنعون بأن يكونوا ملوكاً بل يدعون الألوهية أيضاً، وكانت شعوبهم تتوقع منهم المعجزات وتعزو إليهم كل ما يصيبهم من خير، فهم الذين يستدرون المطر ويفشون الغلات في

وقال أليس هرون اللاوي أخاك. أنا أعلم أنه هو يتكلم... وهو يكون لك فماً وأنت تكون له إلهاً». (خروج ٤: ١٤-١٦).

ومات موسى فواراه يهوه التراب بيديه القدستين، واشتجر نزاع بين رئيس الملائكة ورئيس الشياطين، كل منهما يريد أن يتسلم جثمانه. «وأما ميخائيل رئيس الملائكة فلم خاصم إبليس محاجاً عن جسد موسى لم يجسر أن يورد حكم افتراء بل قال لينتهرك الرب». (يهوذا<sup>(٣)</sup>: ٩).

---

الحقول ويمدون الجيوش بالنصر، أما إذا استشرى الجفاف أو أوف الزرع أو هزم الجيش فإن الساحر يلقي تبعة ذلك على الرعية ويجازيها على ممصيتها للإله بإيقاع العقوبات البدنية والمغارم المالية، فيفرض عليها الصيام الطويل والتضحيات الوافرة تكفيراً عما جنت أيديها.

لقد كان الرعيل الأول من ملوك بابل يدعون الأوثية، فكانت المعابد تقام لتمجيد أشخاصهم وهم بعد أحياء. وكانت الأضحيات تقرب لهم بين أيديهم. وكذلك كان الأمر في مصر، وقد خبر موسى ذلك بنفسه. وكان ملوك المكسيك يقسمون عند تبوئهم العرش أن يجعلوا الشمس تشرق والسحب تمطر والأنهار تفيض والأرض تجود بالفلات.

(٣) يهوذا هي إحدى رسائل العهد الجديد. ولم يرد لقصة النزاع بين رئيس الملائكة ورئيس الشياطين ذكر في العهد القديم، لأن بني إسرائيل لم يكونوا يؤمنون بالثواب والعقاب في يوم آخر، ولم يتراق إلى مسامحهم شيء مما يقال في موضوع الجنة والنار والملائكة والشياطين إلا قبل زمن المسيح بوقت يسير.

## خليفة موسى

استخلف موسى على عرش الملك ومحراب النبوة خادمه وصبيه يشوع بن نون. « وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً موسى عبدي قد مات. فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب الى الأرض التي أنا معطيها لهم أي لبني اسرائيل<sup>(١)</sup>. كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى. من البرية ولبنان هذا الى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثيين والى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم ». (يشوع ١: ١-٤).

ولم يضع يشوع الوقت بل بادر الى إصدار الأمر اليومي: « هيئوا لأنفسكم زادا لأنكم بعد ثلاثة أيام تعبرون الأردن هذا لكي تدخلوا فتمتلكوا الأرض ». (يشوع ١: ١١).  
وأنى لهم الزاد وقد لبثوا، يطعمون المن حتى وطئوا أرض كنعان، وكان من خصائص المن أن يذوب إذا بات وتذهب ريجه سدى.

على أن يشوع لم يقعد ساكناً هذه الأيام الثلاثة، بل إنه بادر فأرسل عينين من عيونته يتجسسان أرض الموعد. ووقع الدسيسان الميمونا الطالع في مدينة أريحا على بغني محترفة ضمنتها الى مضجعها. « فذهبوا ودخلا بيت امرأة زانية اسمها راحاب واضطجعا هناك ». (يشوع ٢: ١).

وقد باعتهما تلك الزانية جسدها ووطنها ودينها ثم يسرت لهما أن يعودا سالمين<sup>(٢)</sup> وحرص يشوع مرة أخرى على ألا يضيع الوقت. « فبكر يشوع في الغد وارتحلوا من شطيم

(١) يتضح من هذا الأسلوب أن الله كان يشرح كلامه لنبية خيفة أن يكون قد أساء الفهم.

(٢) وقد حظيت تلك البغي بتقدير اليهود والمسيحيين على السواء، لأنها مالأت بني اسرائيل على قومها من العرب أهل البلاد الأصلاء. وحاول بعضهم أن يرفع من قدرها ويهون من عارها فتمتها بأنها أم متوي أي صاحبة فندق، وهي مهنة لم يكن لذلك العصر بها عهد، بل إن اللغة العبرية لم تكن حينئذ تحتوي على لفظ يفيد هذا المعنى.

وقد زفت راحاب هذه الى سلمون فولدت له بوعز. « وسلمون ولد بوعز من راحاب ». (مق ١: ٥).

وبذلك غدت راحاب (وهي تكتب أحياناً راحاب بالحاء المعجمة) جدة ليسوع المسيح.

وأثوا الى الأردن هو وكل بني اسرائيل وباتوا هناك قبل أن عبروا». (يشوع ٣: ١).  
واتخذ الرب مكانه على رأس القوى المحاربة، لم يكن ممتطياً صهوة جواد ولكن كان قابلاً  
في صندوق. وأغرى الجند باتباع قائدهم مهما تكن المخاطر التي تعترض سبيلهم على أن يدعوا  
بينهم وبينه شقة تربي على كيلومتر. «ولكن يكون بينكم وبينه مسافة نحو ألفي ذراع  
بالقياس». (يشوع ٣: ٤).

وعبر يشوع وجنوده نهر الأردن دون أن ينال أحداً منهم بلال، ويبدو أن الكهنة أبعدهوا في  
المسير غير فاطنين الى أنهم قد نأوا بالرب الى مكان لا يتسنى له فيه أن يتصل اتصالاً مباشراً  
بنيبه يشوع، فلم يكن له مندوحة عن أن يفضي إليه بمشيئته عن يد رسول روحاني يدعو نفسه  
«رئيس جند الرب». «أنا رئيس جند الرب. الآن أتيت. فسقط يشوع على وجهه الى الأرض  
وسجد. وقال له بماذا يكلم سيدي عبده فقال رئيس جند الرب ليشوع اخلع نعلك من رجلك  
لأن المكان الذي أنت واقف عليه مقدس. ففعل يشوع ذلك». (يشوع ٥: ١٤-١٥).

وعاد رئيس جند الرب أدراجه بعد أن أبلغ نبي الرب تلك الرسالة الخطيرة.  
وفتح يشوع<sup>(٣)</sup> مدينة حبرون ودمرها بالنار وقتل أهلها هي ولواحق ومنها قرية دبير. «ثم  
صعد يشوع وجميع اسرائيل معه من عجلون الى حبرون وحاربوها وأخذوها وضربوها بجد  
السيف مع ملكها وكل مدنها وكل نفس بها. لم يبق منها شارباً حسب كل ما فعل بعجلون  
فحرمها وكل نفس بها. ثم رجع يشوع وكل اسرائيل معه الى دبير وحاربها. وأخذها مع ملكها  
وكل مدنها وضربوها بجد السيف وحرّموا كل نفس بها. لم يبق شارباً». (يشوع ١٠: ٣٦-٣٩).

«وجاء يشوع في ذلك الوقت وقرض العناقين من الجبل من حبرون ومن دبير ومن عناب ومن  
جميع جبل يهوذا ومن كل جبل إسرائيل. حرمهم يشوع مع مدنهم». (يشوع ١١: ٢١).  
وكانت أورشليم أيضاً بين البلاد التي فتحها<sup>(٤)</sup> يشوع. «وهؤلاء هم ملوك الأرض الذين

---

(٣) وفي رواية أخرى أن الذي فتح تلك البلاد إنما هو كالب بن يفنة يساعده عثنيل بن أخيه. «وطرد كالب  
من هناك» أي من حبرون «بني عناق الثلاثة... وصعد من هناك الى سكان دبير وكان اسم دبير قبلاً قرية سفر. وقال  
كالب من يضرب قرية سفر ويأخذها أعطيه عكسة ابنتي امرأة. فأخذها عثنيل بن قناز أخو كالب فأعطاه عكسة  
ابنته امرأة». (يشوع ١٥: ١٤-١٧).

(٤) على أنه من الثابت أن اليهود لم يفتحوا تلك البلاد إلا بعد موت يشوع. «وكان بعد موت يشوع أن بني  
اسرائيل سألو الرب قائلين من منا يصعد الى الكنعانيين أولاً لمحاربتهم». (قضاة ١: ١).  
«وحارب بنو يهوذا أورشليم وأخذوها وضربوها بجد السيف وأشعلوا المدينة بالنار. وبعد ذلك نزل بنو يهوذا  
لمحاربة الكنعانيين سكان الجبل والجنوب والسهل. وسار يهوذا على الكنعانيين الساكنين في حبرون... وسار من  
هناك على سكان دبير». (قضاة ١: ٨-١١).

ضربهم يشوع وبنو اسرائيل في عبر الأردن غرباً... ملك أورشليم واحد: ملك حبرون واحد... ملك جازر واحد. ملك دبير واحد». (يشوع ١٢: ٧-١٣).

وذكر إقامة بني يهوذا في أورشليم. «وأما اليبوسيون الساكنون في أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم الى هذا اليوم». (يشوع ١٥: ٦٣).

وقصارى القول أن يشوع دأب في تخريب البلاد ونهبها على نحو منقطع النظر، حتى إذا ما أتم رسالته الهدامة ثوي في قبره، ولكنه كان رقيقاً بنا كسيده موسى فلم تطوع له نفسه أن يتركنا دون أن يزودنا بوصف لمواراته التراب ويدي لنا بمحدث في أمر الشيوخ الذين عاشوا بعده.

«وكان بعد هذا الكلام أنه مات يشوع بن نون عبد الرب ابن مئة وعشر سنين فدفنوه في تخم ملكه في تمنا سارح التي في جبل إفرام شمالي جبل جاعش. وعبد اسرائيل الرب كل أيام يشوع وكل أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع والذين عرفوا كل عمل الرب الذي عمله لإسرائيل». (يشوع ٢٤: ٢٩-٣١).

---

نرى أن يشوع يُعد جازر بين البلاد التي ضربها بجد سيفه على حين أن الاسرائيليين لم يقووا على طرد الكنعانيين الساكنين هناك. «فلم يطردوا الساكنين في جازر. فسكن الكنعانيون في وسط إفرام في وسطه في جازر». (قضاة ١: ٢٩).

لقد استعصت المدينة على بني اسرائيل، فلما أصره سليمان الى فرعون فتحها فرعون وأهداها الى ابنته لتقدمها الى زوجها صداقاً (دوطة). «وصعد فرعون ملك مصر وأخذ جازر وأحرقها بالنار وقتل الكنعانيين الساكنين في المدينة وأعطاهها مهراً لابنته امرأة سليمان». (١ ملوك ٩: ١٦).

ومن المعلوم أن بني يهوذا لم يوطنوا بأورشليم قبل عهد داود فقد كان داود أول يهودي استولى على أورشليم. «وذهب الملك ورجاله الى أورشليم الى اليبوسيين سكان الأرض. فكلموا داود قائلين لا تدخل الى هنا ما لم تنزع بالعميان والعرج. أي لا يدخل داود الى هنا». (٢ صموئيل ٥: ٦).





# الفهرس

مقدمة ..... ٥

## ١

### اليهودية في العقيدة والتاريخ

- ٩ ..... نشوء العقيدة الدينية
- ٩ ..... ١ - حيرة الإنسان البدائي
- ١٢ ..... ٢ - الروح
- ١٥ ..... ٣ - الطوطم والتابو
- ١٧ ..... ٤ - التائم والأوثان
- ٢٠ ..... ٥ - الآلهة
- ٢١ ..... ٦ - السحر عند الوثنيين
- ٢٣ ..... ٧ - السحر عند العبريين
- ٢٨ ..... ٨ - التابو وليد الإيمان بالسحر
- ٣٩ ..... ٩ - الوصايا العشر
- ٤١ ..... ١٠ - جهالة العبريين
- ٤٦ ..... ١١ - الأساطير
- ٤٨ ..... ١٢ - أنبياء بني اسرائيل
- ٥٦ ..... ١٣ - يهوه
- ٦٠ ..... ١٤ - صفات يهوه

٦٦	..... الضحايا البشرية	١٥ -
٦٩	..... إله في صندوق	١٦ -
٧٢	..... مضي اليهود في عبادة الأوثان	١٧ -
٧٦	..... في سبيل التوحيد	١٨ -
٨٢	..... نشأة الوجدانية في مصر	١٩ -
٨٤	..... قصة الخلق	
١٠١	..... قصة الطوفان	
١١٢	..... برج بابل	

## ٢

### الأسطورة والوعي

١١٩	..... قابيل وهابيل	
١٢٨	..... ابراهيم	
١٣٧	..... لوط	
١٤٨	..... يوسف	
١٦٢	..... داود	

## ٣

### موسى وفرعون بين الأسطورية والتاريخية

٢١٧	..... توراة موسى	١ -
٢١٨	..... بين الأسطورية والتاريخية	٢ -
٢٢٠	..... استعباد المصريين لبني اسرائيل	٣ -
٢٢٧	..... بيت العبودية في مصر	٤ -
٢٣٢	..... موسى الآخر	٥ -
٢٣٧	..... مولد مخلص اليهود	٦ -
٢٤١	..... الهجرة	٧ -
٢٤٤	..... التنبؤ	٨ -
٢٤٩	..... الضربات الموسوية العشر	٩ -

٥٦	.....	اليهودي التائه	١٠ -
٢٥٩	.....	الرقم ٧	١١ -
٢٦٥	.....	مكالمات الكنيم	١٢ -
٢٧٤	.....	<u>الوصايا العشر</u>	١٣ -
٢٧٩	.....	السفاح	١٤ -
٢٨٨	.....	موته	١٥ -
٢٩٠	.....	الرقم ٤٠	١٦ -
٢٩٣	.....	خليفة موسى	١٧ -



# مؤلفات و مترجمات ★ عصام الدين حفي ناصف ( ١٩٠٠ - ١٩٦٩ )

- ١ - النور يضيء في الظلمة (رواية مترجمة عن الألمانية) تأليف ليو تولستوي / مطبعة التقدم . ١٩٢٦ .
- ٢ - النشوء والارتقاء أو مصير الانسانية ونشوء المدنية ( مترجم عن الألمانية) تأليف هيرمن كلاتش / مطبعة الشباب . ١٩٢٧ .
- ٣ - الزوج الأبدي (رواية مترجمة عن الألمانية) تأليف دستوفسكي / دار العصور . ١٩٣٠ .
- ٤ - التجديد الاجتماعي - أبحاث في شؤون العمال والفلاحين / مطبعة السفير بالاسكندرية . ١٩٣١ .
- ٥ - متابعة التجديد الاجتماعي - أبحاث في الاشتراكية وحقوق العمال / مطبعة السفير بالاسكندرية . ١٩٣١ .
- ٦ - مبادئ الاشتراكية / مطبعة أبو الهول . ١٩٣٣ .
- ٧ - حركة العمال والاشتراكية الديمقراطية ( مترجم عن الألمانية) تأليف باول كامفهاير / دار الترقى . ١٩٣٣ .
- ٨ - المسألة الاشتراكية / مطبعة أبي الهول . ١٩٢٣ .
- ٩ - البترول - قصة عن كفاح العمال ( مترجم عن الانجليزية )، تأليف ابتون سنكلير / دار الترقى . ١٩٣٧ .

- 
- ١ ★ - الكتب من ١-١٥ نفذت جميعاً ومن ١٦-٢٠ توجد بالمكتبات .
  - ٢ - الكتب من ٢١-٢٤ لا يوجد نسخ منها إطلاقاً وبالتالي لم تتمكن من إعطاء بيانات عن الناشر أو المطبعة أو سنة صدورها .
  - ٣ - دور النشر أو المطابع المذكورة، جميعها بالقاهرة، وما عدا ذلك مذكور مكان الطبع أو النشر أمام كل كتاب .

- ١٠ - عاصفة فوق مصر (رواية) / مطبعة فتى النيل ١٩٣٩ .
- ١١ - إخفاق الفاشية / مطبعة لجنة التأليف ١٩٤٣ .
- ١٢ - الحياة في الاتحاد السوفياتي (مترجم عن الانجليزية)، تأليف موريس دب / مطبعة مصر ١٩٤٥ .
- ١٣ - موسكو برلين لندن - تاريخ سياسي لفترة ما قبل الحرب العالمية الثانية / مطبعة المقتطف ١٩٤٦ .
- ١٤ - نظرية التطور / مطبعة مصر ١٩٥٢ .
- ١٥ - المستدلون والمهانون (رواية مترجمة عن الألمانية في جزئين)، تأليف دستوفسكي / وزارة الثقافة ١٩٦١ .
- ١٦ - الختان ضلالة اسرائيلية مؤذية (مترجم عن الانجليزية)، تأليف جوزيف لويس / دار مطابع الشعب ١٩٦٥ .
- ١٧ - محنة التوراة على أيدي اليهود / طبعة الرسالة ١٩٦٥ .
- ١٨ - سيرة لينين (من سلسلة الفكر السياسي والاشتراكي) / دار الكاتب العربي ١٩٦٨ .
- ١٩ - صلة القرآن باليهودية والمسيحية (مترجم عن الألمانية)، تأليف فلهم رودلف / دار الطليعة - بيروت ١٩٧٤ .
- ٢٠ - موسى وفرعون بين الأسطورية والتاريخية / دار العالم الجديد ١٩٧٥ .
- ٢١ - الاشتراكية الحديثة .
- ٢٢ - لماذا كانت الرأسمالية تعني الحرب .
- ٢٣ - قصة هنري الصياد (من أجل فتاة في محكمة الجمعية السرية) .
- ٢٤ - نوتة في الاصلاحات .